سورة فاتحه	سورة بقرة	سورة آل عمران
سورة النساء	سورة المائدة	سورة الانعام
سورة الاعراف	سورة الانفال	سورة التوبة
سورة یونس	سورة هود	سورة یوسف
سورة الرعد	سورة ابرهیم	سورة الحجر
سورة النحل	سورة الاسرا	سورة الکهف
سورة مریم	سورة طه	سورة الانبیا
سورة الحج	سورة المؤمنون	سورة النور
سورة الفرقان	سورة الشعراء	سورة النمل
سورة القصص	سورة العنکبوت	سورة الروم
سورة لقمان	سورة السجدة	سورة الاحزاب
سورة السبا	سورة الفاطر	سورة یس
سورة الصافات	سورة ص	سورة الزمر

سوره

سورة الطول	سورة حم السجده	سورة الشوری
سورة الزخرف	سورة الدخان	سورة الشریعه
سورة الاحقاف	سورة القتال	سورة الفتح
سورة الحجرات	سورة ق	سورة الذاریات
سورة الطور	سورة النجم	سورة القمر
سورة الرحمن	سورة الواقعه	سورة الحدید
سورة المجادلة	سورة الحشر	سورة الممتحنه
سورة الصف	سورة الجمعة	سورة المنافقون
سورة التغابن	سورة الطلاق	سورة التحریم
سورة الملک	سورة ن	سورة الحاقة
سورة المعارج	سورة نوح	سورة الجن
سورة المزمل	سورة المدثر	سورة القیمة
سورة الانسان	سورة المرسلات	سورة النبا

لا اله الا الله محمد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم

١٥٥

وقف السلطان السعيد الاعظم والخاقان المجيد الاكرم ماحي آثار الظلم
ناشر العدل والاحسان وموضح احكام الامور بالرشد والعرفان
السلطان بن السلطان السلطان ابو الفتوح والمغازي
محمود خان بن السلطان مصطفى خان ثبت الله اساس
دولته الطاهرة وخلد خلافته العلية الباهرة
وانا الفقير اليه سبحانه وتعالى مصطفى طاهر
المفتش باوقاف الحرمين الشريفين المحترمين
عفي عنه

سورة النازعات	سورة عبس	سورة التكوير
سورة الانفطار	سورة المطففين	سورة الانشقاق
سورة البروج	سورة الطارق	سورة الاعلى
سورة الغاشية	سورة الفجر	سورة البلد
سورة الشمس	سورة الليل	سورة الضحى
سورة الم نشرح	سورة التين	سورة العلق
سورة القدر	سورة لم يكن	سورة الزلزال
سورة العاديات	سورة القارعة	سورة التكاثر
سورة العصر	سورة الهمزة	سورة الفيل
سورة قريش	سورة الماعون	سورة الكوثر
سورة الكافرون	سورة النصر	سورة تبت
سورة الاخلاص	سورة الفلق	سورة الناس
	٢	

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة
من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى
لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين
للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب
تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
هن رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقايق ولطايف الدقايق
ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم
قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الآيات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم
تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع
اليه راسه واطفا نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فايض الجود
ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من اعانه
وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم
وعلينا تسليما كثيرا وبعد فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي
هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي
للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات
العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا
يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف
الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطايف رايعة استنبطتها انا ومن قبلي
من افاضل المتاخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات الى الائمة الثمانية

المشهورين

المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام
ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي
على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار
التاويل فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه تعالى اقول وهو الموفق لكل خير والمعطي لكل سؤل

سورة فاتحة الكتاب مكية وهي سبع آيات

وتسمى ام القران لانها مفتتحه ومبداه فكانها اصله ومنشاه ولذلك تسمى اساسا
او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده
او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع
على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك
وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب
قراتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه السلام هي شفاء لكل داء
والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت
عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة
لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم وهو مكي بالنص

بسم الله الرحمن الرحيم

من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة
والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست
من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث
كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن
بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة
وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلهما اختلف في انها
آية براسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها
في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن العظيم حتى لم تكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف
تقديره بسم الله الرحمن الرحيم اقرا لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل
ما يجعل التسمية مبدا له وذلك اولى من ان يضمر ابدا لعدم ما يطابقه ويدل عليه او ابتدائي

لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله تعالى بسم الله مجراها ومرسيها
وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان
اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به
شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر
وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده الى آخر السورة مقول على السنة
العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف
المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة
داخلة على المضمر للفصل بينها وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء
التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ
بها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدؤوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفهم
على سماء واسام وسمي وسميت ومجي سمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا
آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى
وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة
الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم
ومن لغاته سِم وسُم قال بسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير
المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار
ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه
لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى سبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته
وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الكريمة الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب
او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة
كما هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى
والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك
والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط
لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض
عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في اصله

يقع

يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة والوهية
بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته او من الهت
الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله
اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه
او من اله الفصيل اذا اولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا
تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال
الضم في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه
مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار
ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يشهدها
لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم
تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله
الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه
لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره تعالى وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه
في اجراء الوصف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته
من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ
ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى
صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب
وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف
الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل
مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة
الشعر الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال الرحمن الرحيم
اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة
رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها
واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون
انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع

وكبار وكبار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول
قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن
الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة
وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار
كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره تعالى لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها
وذلك لا يصدق على غيره سبحانه لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه
يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او يزيح الرقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة
في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية عليه والتمكن من الانتفاع
بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه تعالى لا يقدر عليها احد غيره ولان
الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف
له او للمحافظة على رؤس الآي والاظهر انه غير منصرف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون
له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا له بالاغلب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم
العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولي
النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس
ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد لله
الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا
تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان
والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير
المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة
وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة
فيه فقال عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران
نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه
الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب
بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرف
كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط

او بغير

او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم
اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس
تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب
في الاصل بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم
والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك
لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك
والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من
الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده
وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر
اوصافهم وقيل اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع
وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم
الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى
بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب
على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي
مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم
كرره للتعليل على ما سنذكره ان شاء الله مالك يوم الدين قرأه عاصم والكسائي
ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ
الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم
والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف يشاء من الملك والملك هو المتصرف
بالامر والنهي في المأمورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا
بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف
وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول
به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على
طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار ليكون

الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى
يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه
واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم
كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة
على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتيب الحكم
على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لا يتصف بتلك
الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف
الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه
متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر عنه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية
لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه
بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين اياك نعبد واياك نستعين ثم انه
لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات تعلق العلم بمعلوم
معين فخوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل
على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان
المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال
العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه
على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير
من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون
السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر
تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله
تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت
له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نباء جاءني وخبرته عن ابي الاسود
وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت
لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف

في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل
الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضماير وايا عمدة فانها
لما فصلت عن العامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو
المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل
ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل
الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية
والضرورية ما لا يتاتى الفعل بدونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل
بها فيها وعند استجماعها يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل
وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب
الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة
في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة
وحاضري صلوة الجماعة او له ولساير الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم
وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول
للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه معناه
لا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود
اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها
نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق
في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها
الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكاه الله تعالى عن حبيبه صلى
الله عليه وسلم حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي
سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غيره وقدمت العبادة على
الاستعانة ليتوافق رؤس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى
الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر
عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له
الا بمعونة منه تعالى وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون

فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى اليا اذا لم ينضم ما بعدها
اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا وافراد
لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله
ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية
الله تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها
يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة
والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث
قال وهديناه النجدين وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية
بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا
القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشيا كما هي
بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى
بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه
فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط
غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا
ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه
فكانه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء
في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاء ليكون اقرب الى المبدل منه وقرأ ابن كثير برواية
قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش
والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي
والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل
الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص
على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير
والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين

وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء عليهم السلام وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام
قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل
الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله وان
كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي
والاول قسمان موهبي وكسبي روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى
كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له
من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات
الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال
والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين
والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك يشترك
فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم
هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة
المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد
التاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى باللام في قوله
ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة
لانه اضيف الى ماله ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن
ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء
ان فسر النعم بما يعم القبيلتين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله
تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف
الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين
ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب
وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض
والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه
الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا عن سواء
السبيل وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون

بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى فى القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعقل جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذى هو استجب وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بنى على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن العظيم وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام علمنى جبرائيل آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفى معناه قول على رضى الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به فى الجهرية لما روى عن وايل بن حجر انه عليه السلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابى حنيفة انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والماموم يؤمن معه لقوله عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفرله ما تقدم من ذنبه وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى الا اخبرك بسورة لم تنزل فى التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منها الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهى مائتان وست وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم وسائر الالفاظ التى يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التى يركب منها الكلم لدخولها فى حد الاسم واعتوار ما يختص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو على وما روى ابن مسعود رضى الله عنه انه عليه السلام قال من قرأ

حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذى اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوى ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهى مركبة صدرت بها ليكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهى ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبنى الاصل ولذلك قيل ص وقاف مجموعا فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسايطه التى يركب منها افتتحت السور بطايفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامى الذى لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى فى ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق فى فنه وهو انه اورد فى هذه الفواتح اربعة عشر اسما هى نصف اسامى حروف المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا برأسها فى تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهى ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقى المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة فى اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقى الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التى هى الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقى المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهى حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهى التى يتصعد الصوت بها فى الحنك الاعلى وهى سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقى المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهى احدى عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جنى ويجمعها اجد طويت منها الستة الشايعة المشهورة التى يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهى اللام فى اصيلال والصاد والزاى فى صراط

وزراط والفاء في اجداف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك
حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها التسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين
ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء
والياء والميم والفاء والخاء والغين والضاد والظاء والشين والزاء والواو نصفها
الاقل ومما يدغم فيهما وهي الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء
والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها
ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاء والشين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية
التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء
والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد
لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف
تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتركيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس
مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى
به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة
وذكر ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف
واربع ثنائيات لانها تكون في الحروف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير
حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء
من واذ وذو وفي الافعال كقل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلث
ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في ثلثة عشر سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة
ثلثة عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا
كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم يعد باجمعها في اول القران
لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى هذا المتحدى
به مؤلف من جنس هذه الحروف والمؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر
سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط
مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب
بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القران باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به

وان

وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير
ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس
كذلك او غيره وهو باطل لان القران نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل
على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام و
استيناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصر عليها اقتصار
الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ونون مجموعها الرحمن
وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام
من جبريل والميم من محمد اي القران منزل من الله بلسان جبرائيل على محمد عليه السلام و
الى مدد واقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه السلام
لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى
وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص
والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب
عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها
لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكات والسجيل والقسطاس
او دلالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسايط اسماء الله
تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب
لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي
تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد
مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح
السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاقتصار من كلمات
معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع
الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات
متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب
الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه عليه السلام تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها

مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة
اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء
العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء
حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته
ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل
واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض
على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القران العظيم ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران
وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق
ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان
وهو وسطها والميم من الشفة وهي اخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه
واوسطه واخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثر الله تعالى بعلمه وقد روي عن الخلفاء
الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله
ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى
او القران او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب
بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف
القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل
والحكاية ليس الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها
على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر
على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله
لافعلن فيكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة
حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف
عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها اية عند غير الكوفيين
واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم اية وحمعسق ايتان والبواقي
ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم
ان اول او اريد به المؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما تكلم به وتقضى او وصل

من المرسل الى المرسل اليه اشير اليه بما يشار الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة
لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون الكتاب صفته
والمراد به الكتاب الموعود انزاله في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في
الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم عبر
به عن المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه
معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل فيه بعد النظر الصحيح في كونه
وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
الاية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم
من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيها مجال للشبهة
ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل
فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك
الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة و
في الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب
الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى
ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلال قال الله تعالى
لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه
بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم
او كافر وبهذا الاعتبار قال تعالى هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل
واستعمله في تدبر الدلائل والايات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء
الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى وننزل
من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه
من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين المراد منه والمتقي اسم فاعل
من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما
يضره في الآخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك
وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك

اطلق

حتى الصغاير عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى
ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره
وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى للمتقين ههنا
على الاوجه الثلثة واعلم ان الآية يحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه
اسم القران او السورة او مقدر بالمولف منها وذلك خبره وان كان اخص من المولف
مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المولف الكامل في بلاغته البالغ
اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر
مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهور مبني لتضمنه
من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضها ولازمة للاسماء
لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى
لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد به ثمه او صفته
وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال والخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب
على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير فيه لا ريب فيه فيه هدى للمتقين وان يكون ذلك
مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده
خبره والجملة خبر الم او يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب
صفة والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك
لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه
كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال
ثم سجل على كماله بنفي الريب فيه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ
اي هو جملة رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين او يستتبع كل واحدة منها
ما يليها استتباع الدليل للمدلول بيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس
كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك
ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان
لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود
مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل

وفي

وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى
بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين
يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك
ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر التقوى بما يعم
فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات
من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية
والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة
الاسلام او مادحة بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر
اظهار لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير
اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف
على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان آمن المصدق
المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق
من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن
في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه السلام
كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه
عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار
فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر
عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه وتعالى اضاف الايمان
الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان
في قلوبهم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير وانه اقرب الى الاصل وهو متعين للارادة في الآية اذ المعدى
بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه
المقصود ام لا بد من اقتران الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند

لا يخفى ان ارادة المقصود الشرعي ليست بجايزة على تقدير جعل بالغيب صلة للايمان فضلا عن التعيين بل المراد انما هو المعنى اللغوي كما يشعر به كلامه السابق وكلام صاحب الكشاف واما على تقدير جعله حالا فجايزة كما لا يخفى يعقوب باشا رحمه

اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار به للتمكن منه والغيب
مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب
تسمي المطمئن من الارض غيبا والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي
الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله
تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته
واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في هذه الآية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع
المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم
يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمن به وعن ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما آمن
احد افضل من الايمان بغيب ثم قرا هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور
والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية
وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها و
يحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت
السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب
لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كان كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت
كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم
قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر
عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت وبالركوع والسجود و
التسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق
بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من
الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلوتهم ساهون ولذلك
ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة
من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله
على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار
هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي

الداع

١٢

١١

الانتفاع

الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق
في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان
للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من
الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه تعالى اسند الرزق
ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم
المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه
حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم
يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه السلام في
حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه
مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا
وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده
اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دل على معنى الذهاب
والخروج وجدت ما يوافقه في الفاء والعين دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا
الانفاق صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكوة ذكر افضل
انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به
والمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه
ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي آتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة
ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما
خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه معطوفون على الذين
يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك
الذين آمنوا من الشرك والانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا
للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين
آمنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط
في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث

الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع
وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل
الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبرئيل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشأنهم وترغيبا
لامثالهم والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات
الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا
روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول فيلقيه على الرسول والمراد بما انزل
اليك القرآن بأسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا
تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا
انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل
من قبلك التورية والانجيل وغيرهما من الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين وبالاول
دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه
على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال
معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم
الا اياما معدودات واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه
وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب
وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم
بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى ولا
العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة
فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون
بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان
الى موسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل
احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له فكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما لهم خصوا بذلك
فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات والا فاستيناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام
والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى
ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة

الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستأنف باعادة الاسم وحده لما فيه
من بيان المقتضي وتلخيصه بان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى
الاستعلاء على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء
وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل
باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل
ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي
فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق
له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة
تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف
في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله تعالى
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم
شيء واحد فكانت الجملة مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة
خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر
وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف
المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة
او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تأمل كيف
نبه سبحانه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم
الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم
والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبث به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة
في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن
ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخالصة
اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة المردة الذين
لا ينفع فيهم الهدى ولا يغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين
كما عطف في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض

فان الاولى سبقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم
وانهماكهم فى الضلال وان من الحروف التى شابهت الفعل فى عدد الحروف والبناء
على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدى خاصة فى دخولها على اسمين
ولذلك اعملت عمله الفرعى وهو نصب الجزء الاول ورفع الثانى ايذانا بانه فرع
فى العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهى بعد باقية
مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية
الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها فى خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف
وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر
فى معرض الشك مثل ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له
فى الارض وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله
قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم
جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابى لهب
وابى جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا كل من صمم على الكفر وغيرهم فخص
عنهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه
قيل للزراع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفى الشرع انكار ما علم بالضرورة مجئ الرسول به
وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول
عليه السلام لا يجترئ عليها ظاهرا لا انها كفر فى انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء فى القران بلفظ
الماضى على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم
حدوث الكلام كما فى العلم سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء
نعت به كما نعت بالمصادر قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده
مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده
بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له
اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم
فى الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم
تسمع بالمعيدى خير من ان تراه وانما عدل هنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد

وحسن

وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام
لمجرد الاستواء كما جردت حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص فى قولهم اللهم اغفر لنا ايتها
العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة
لانه اوقع فى القلب واشد تاثيرا فى النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا
لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية
بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدى الى جمع الساكنين على غير حده
وبتوسيط الالف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية
وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء
فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والاية
مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان
فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان
التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعى غرضا سيما
الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشئ او عدمه لا ينفى القدرة عليه
كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام
الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة
الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفى الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد
بالموصول اشخاص باعيانهم فهى من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمى به الاستيثاق من الشئ بضرب
الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل فى احرازه والغشاوة فعالة
من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشئ كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية
على الحقيقة وانما المراد ان يحدث فى نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصى واستقباح
الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم فى التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم
بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم و
ابصارهم لا تجتلى الايات المنصوبة فى الانفس والافاق كما تجتليها اعين المستبصرين
وتصير كانها غطى عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماها على الاستعارة ختما وتغشية

او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع
بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع
الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات
باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه تعالى ومن حيث انها مسببة
مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا
فطبع على قلوبهم وردت الآية الكريمة ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت
المعتزلة فيه وذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك
في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به
تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها
ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته والثالث ان
ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه
اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت
بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف
عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في
الضلال والبغي والخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه
بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا
وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون
عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما
وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه
ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما عن خاص فعلهما الختم الذي
يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها
الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال

كل

كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله و
المصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك
العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في
الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل
والمعرفة كما في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع
الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع عند
سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب
على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليها
والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع والفتح والنصب وهما لغتان
فيها وغشوة بالكسر مرفوعا وبالفتح مرفوعا ومنصوبا وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم
عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول عذب
عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه ماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك
سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يراد به ردع
الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب
كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير وكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم
فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة
اليه ومعنى التنكير في الآية على ابصارهم نوع غشاء ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي
عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بشرح حال الكتاب
العظيم وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم
وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة راسا ثلث بالقسم الثالث
المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث
الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول
في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب
لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها

معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانسي واناسي فحذفت
الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله
ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية
الجمع مأخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك
سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال
ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة يراد بها عبد الله
ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم
على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس
انما تتنوع بزيادات تختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثاني واختصاص
الايمان بالله تعالى وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء
انهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون
انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون
بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم
وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان
لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق
وعقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء
ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال
بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللراي والمذهب مجازا والمراد
باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
لانه آخر الاوقات المحدودة وما هم بمؤمنين انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان
اصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة
في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي
الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء
ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه
لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه

او ينافيه

او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينتهض حجة عليهم يخادعون
الله والذين آمنوا الخداع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو فيه
او عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع
اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة
والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس
على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسول
الله صلى الله عليه وسلم على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله
من حيث انه خليفته تعالى كما قال الله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنعهم مع الله من اظهار الايمان و
استبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار
واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله
تعالى في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع
المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او الاستيناف
بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة
والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحب
ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم
ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان
يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض
والمقاصد وما يخدعون الا انفسهم وما يخادعون قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى
ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم بذلك خدعوا انفسهم لما غروها
بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه
خافية وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ يخدعون
من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع
الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل
الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللراي في قولهم فلان

فيه ان تمام هذا الوجه مبني على صدور فعل الخداع معهم من الرسول عليه الصلوة والسلام والمؤمنين ولا شبهة في عدمه كما لا يخفى فليتامل
يعقوب باشا م خطه

هذا اشارة الى جواز كون المخادعة الاولى المتعلقة بغير والمؤمنين وقوله او انهم في ذلك اشارة الى جواز كون المراد المخادعة الاخرى الجارية بين اثنين لكن لا يخفى ان المناسب بسوق القرآن ان يكون المراد منهما واحدا لا المراد بالحصر هنا الحصر بالنسبة الى من اراد المنافقون المخادعة معهم وبيان انه لا يلحق بهم ضرر من ذلك ايضا لا يجوز ارادة المخادعة الجارية بين اثنين على تقدير ارادة الذوات من الانفس فليتامل
يعقوب باشا م خطه

يوامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تامره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا
ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وارائهم وما يشعرون لا يحسون ذلك لتمادي غفلتهم
جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤف
الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم
مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به
ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة
والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال
الحيوة الحقيقية الابدية والاية الكريمة تحتملها فان قلوبهم كانت متالمة تحرقا على ما فات
عما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء شانه
يوما فيوما فزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤفة بالكفر
وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد
التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث
انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل
ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم
بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء
وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم اي مولم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف
به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده بما كانوا يكذبون
قراءة عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء له وهو قولهم آمنا وقرا
الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم
او من كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب
الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب
هو الخبر عن الشيء خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث
رتب عليه وما روي ان ابرهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن
لما شابه الكذب في صورته سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون
او يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهلها

ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها
بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان
كل نافع وضار وكان من فسادهم في الارض تهييج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين
وممالأة الكفار عليهم وافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس
والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض
عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض
المومنين قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه
لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب
الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا
ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال الله افمن زين
له سوء عمله فراه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه ابلغ رد
للاستيناف به وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام
التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر فلذلك
لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى بها القسم واختها اما التي هي من طلايع القسم
وبان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون
من التعريض للمومنين والاستدراك بلا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح
والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله
لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كما آمن الناس في حيز النصب
على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به
الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا
يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصود منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال
زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ
ا الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من آمن من اهل
جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب
النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان

ايمان واللام لتفيد التقييد قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار
بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد
رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد
وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه
خفة وسخافة راى يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون
رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة
من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وينفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية
بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين
والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد وانما
يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا
بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد
نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه
انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد
بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله
ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله
فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا
طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان
واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية
او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم
الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر
او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من
شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه
الباطل قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين
بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية
تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به

المؤمنين

المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار
بخلاف ما قالوا مع الكفار انما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء
المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او
استئناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم
توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف
يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل
السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم
يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة
اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ
بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم
معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال
والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار
بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم
الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل على ان الله
تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به
في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء
يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال اولا يرون
انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده
اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد
لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملى له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة
لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين
وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه
قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم
طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى باسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان
اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند

لا يخفى ان مرادهم بقولهم انا معكم دفع ما وقع في خاطر شياطينهم من قولهم
للمؤمنين آمنا فحينئذ لم يناسب الاستئناف المقتضي ان يكون جوابا
لسؤال انما نشأ من قولهم انا معكم فليتأمل
يعقوب باشا رحمه الله

فيه ان هذه الدلالة لا توجب التاكيد بطريق الاستئناف بل انما تفيد
حسن الكلام المستأنف كما لا يخفى واما وجه الاستئناف فوقع توهم
كونه معطوفا على انا معكم او على قالوا مع الدلالة على انهم ما بالغوا في
استهزائهم مبالغة تامة تظهر بها شناعة ما ارتكبوه وتعاظم
على الاستماع على وجه تحرك السامع ان يقول هؤلاء الذين نفسا
شانهم واصرارهم وعلى حالهم وكيف مقابلة الله تعالى اياهم
يعقوب باشا رحمه الله

المد الى الشياطين تطلق الغى وقال واخوانهم يمدونهم فى الغى اذ كان اصله يمد لهم
بمعنى يملى لهم ويمدهم فى اعمارهم كى يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت
اللام وعدى الفعل بنفسه كما فى قوله واختار موسى قومه والتقدير يمدهم استصلاحا
وهم مع ذلك يعمهون فى طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد
فى العصيان والعتو والغلو فى الكفر واصله تجاوز الشئ عن مكانه قال الله تعالى انا لما
طغى الماء حملناكم والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير فى الامر يقال رجل عامه وعمه
وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان
فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب بعينه ان يكون ثمنا وبذله
اشتراء والا فاى العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بايع ولذلك
عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما فى يده محصلا به غيره سواء كان
من المعانى او الاعيان ومنه اخذت بالجمة رأسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشئ
طمعا فى غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذى جعل الله لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها
محصلين الضلالة التى ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما ربحت
تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء فى معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم
ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش فى وكريه جاش له صدرى والتجارة
طلب الربح بالبيع والشرى والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمى شفا واسناده
الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث
انها سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة
رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة
والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق
لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين
الاصل مثلهم كمثل الذى استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة
فى التوضيح والتقرير فانه اوقع فى القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول

محسوسا

محسوسا ولامر ما اكثر الله تعالى فى كتبه الامثال وفشت فى كلام الانبياء والحكماء
والمثل فى الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم للقول
السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير
ثم استعير لكل حال وقصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله مثل الجنة التى وعد
المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا
والذى بمعنى الذين كما فى قوله وخضتم كالذى خاضوا ان جعل مرجع الضمير فى بنورهم
وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة
التى هى صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه
ان لا يجمع كما لا يجمع اخواتها ويستوى فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل النون
فيه زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التى عليها
التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم
كسرته ثم اقتصر على اللام فى اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج
الذى استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعى فى تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع
لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت
ما حوله اى النار حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة
الى ما والتانيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة فى معنى الامكنة
نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول
لانه يدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذى وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال
بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استيناف اجيب به اعتراض سائل
يقول ما لهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل
البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما فى قوله تعالى فلما ذهبوا به
للايجاز وامن الالتباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان
الاطفاء حصل بسبب خفى او امر سماوى كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدى الفعل
بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان
بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذى هو

مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة
وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا الا يرى كيف قرر ذلك واكده بقوله
وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها
ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى
طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم
في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة مأخوذة من قولهم
ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة
الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين
ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمدي او ظلمة شديدة
كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير
متعد والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم
الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء
المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به ألسنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره
حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد
عن دينه بعد ما آمن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه
ما اشرق عليه من انوار الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة
الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة
ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب
نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وأبوا ان ينطقوا به ألسنتهم
ويتبصروا الآيات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت قواهم كقوله
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا وقوله اصم عن الشيء الذي
لا اريده واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة
اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا
القرينة كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثمه
ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول

ليس فيه دلالة على رجاع الضمير على المنافقين وكون ذهب استئنافيا بل يجوز ان يكون بيان ظلمات المنافقين الذين شبهت حالهم بحال المستوقدين المتروكين في ظلمات كما لا يخفى فليتأمل. يعقوب

لا يخفى ان تقديم الصم على البكم بين اذ التكلم بعد السماع وانما تأخر العمي عنه لعله لكشف ان العمي شامل لعمى القول الحاصل من طرق المبصرات بعدم التبصر والحاصل من عدم تبصره في نفسه وبهذا المعنى تأخر لانه مفعول صرف يعني انما تأخر لذلك وفيه لا ريب اذ الاحتياج الى التكلم فوق الاحتياج الى الرد فليتأمل. يعقوب رحمه

بأن له حاجة في السماء ومهما وان طوى ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق
به ونظيره. اسد علي وفي الحروب نعامة. فتخاء تنفر من صفير الصافر. هذا اذا جعلت
الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي
على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة
ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلثتها قرئت بالنصب على الحال
من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء
وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا
لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما
من شأنه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى
الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون
ايتقدمون ام يتأخرون الى حيث ابتدءوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان
اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء عطف
على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم في آذانهم واو في الاصل
للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن
او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن
المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب من السماء ومعناه ان قصة
المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل
بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال
الشماخ. واسحم دان صادق الرعد صيب. وفي الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع
من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها
فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء
امد الله ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد من السماء
السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر
فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق
لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه

اي ذكر السماء مع ان الصيب لا يكون الا في السماء ليكون في الحقيقة فائدة ذكره كما في الكشاف فليتأمل. من خط يعقوب پاشا

مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت
يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام واصطكاكها اذا حدتها الريح
من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل
ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في اذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف
لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى
ماء بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم
مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة من الصواعق متعلق
بيجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت
عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع ومشاهد ويقال
صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس
بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف فيقال صقع الديك وخطيب
مصقع وصقعته الصاعقة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة
كما في الرواية او مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت نصب على العلة كقوله
واغفر عوراء الكريم ادخاره واصفح عن شتم اللئيم تكرما والموت زوال الحيوة وقيل عرض
يضادها لقوله خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة
والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة
اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن
يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود
لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي
خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا
تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل
عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما في اصل المقاربة والخطف
الاخذ بالسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى
الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف

كلما

كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون
في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف
بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك
اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول
وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه
وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه
وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا
منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا
ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي لو شاء
الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف
المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء
المستغرب كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها
الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء اللازم
وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه
الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان
تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشية الله تعالى وان وجودها مرتبطا باسبابها
واقع بقدرته ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود
لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما
قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله
وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله ان الله على كل شيء قدير والله خالق كل شيء فهما
على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن
او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل
والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان
هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان
شاء فعل وان شاء لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قل ما يوصف به

قال صاحب الكشاف قائله حبيب بن اوس
وتعين ابو تمام لقب الحبيب لكن كلام الكشف يأباه فيه
فليتأمل
من خط يعقوب باشا

فيه ان النزاع بيننا وبين المعتزلة ان الشيء بحسب الاصطلاح
بمعنى الثابت يطلق عندهم على الموجود والمعدوم الممكن وعندنا على الموجود
فقط واما اطلاق الشيء بحسب اللغة على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فجائز
عندنا وعندهم بلا نزاع فلا وجه لقوله والمعتزلة لما قالوا الشيء الخ
كما لا يخفى على المتامل الصادق فليتامل
من خط يعقوب باشا

غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار
قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن
حال بقائه مقدور وان مقدور العبد مقدور الله تعالى لانه شئ وكل شئ مقدور
والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع
تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئاً واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى
مثل الذين حملوا التوریة ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوریة
بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة
والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقاده في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة
مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل
تمثيل المفرد وهو ان تاخذ الاشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما يستوي الاعمى
والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كان قلوب
الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان يشبه في الاول
ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به
من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين
وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم او بافشاء حالهم وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب
السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم
المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان
نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات
المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق
حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئاً ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم
لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة
مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك
لهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب
الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتكبت من الشبه المبطلة
واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد

بالرعد

بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصاممهم عما يسمعون من الوعيد
بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو
معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه
ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين
يعرض لهم شبهة او تعن مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى
والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله
لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد
الفرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل
الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة
العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له
منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او
لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو اليه وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة
لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر
لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود
بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه
تأكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة
في القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها
امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثر عنها غافلون
حقيق بان ينادى له بالآكد والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل
عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون
واستدلال الصحابة بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا
ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه
شامل للقبيلين ثابت الى يوم الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن
ان كل شئ نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب

تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة
والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان
بما يوجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب
ما لا يتم الا به فكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب
رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم
تنبيها على ان الموجب للعبادة هو الربوبية الذى خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم
والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب
الحقيقى والآلهة التى يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله
التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول لكل
ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب
فى خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سالتهم من خلقهم
ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى
نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثانى بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير فى قوله
يا تيم تيم عدى لا ابا لكم . تيم الثانى بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير
فى اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا فى سلك المتقين الفائزين بالهدى
والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين
وهو التبرؤ من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغى ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف
ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول
خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم فى صورة من يرجى منه التقوى لترجح
امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعى اليه وغلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ و
المعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اى خلقكم لكى تتقوا كما قال تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت فى اللغة مثله والآية تدل على ان
الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر فى صنعه
والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت
عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجرة قبل العمل الذى جعل لكم

الارض

الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا لله اندادا
وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله
فقد جعلت قلوص بنى سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول
واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله جعل لكم
الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشا
ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما فى طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة
بين الصلابة واللطافة واللين حتى صارت مهياة لان يقعدوا وينامو اعليها
كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعى كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها و
اتساع جرمها لا تابى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم
جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر
سمى به المبنى بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا
عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف
على جعل وخروج الثمار بقدرة الله ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا
فى اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها
الى المادة الممتزجة منهما او ابدع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة قابلة يتولد من
اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما
ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له فى انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع
وحكم يجدد فيها لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس فى ايجادها دفعة
ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان
المطر يبتدأ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهره او من
اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فينعقد سحابا
ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له
اعنى ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء واخرجنا به بعض الثمرات
ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار
ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى كقولك انفقت من الدراهم الفا

فان قيل ما موقع الفاء على البيانية والتبعيض لا التعقيب ولا التراخى
لا يناسب اصلا قلنا ان الفاء قد يدخل على الكلام بعد كلام
لو اهتم به ترتيب الذكرى فقط وههنا كذلك اذ لا شك
ان خروج الثمرات مطلوب اتم من الانزال فليتامل بتفهم

وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة التى
فى قولك فلان ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد
او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وقوله
ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا
ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله
اندادا متعلق باعبدوا على انه نهى معطوف عليه او نفى منصوب باضمار ان جواب
له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع فى قوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب اسباب
السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها فى انها غير موجبة والمعنى ان
تتقوا فلا تجعلوا له ندا او بالذى جعل ان استانفت به على انه نهى وقع خبرا على تاويل مقول
فيه فلا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه
النعم الجسام والآيات العظام ينبغى ان لا يشرك به والند المثل المناوى قال جرير
اتيما تجعلون الى ندا وما تيم لذى حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل
خالفته خص بالمخالف المماثل فى الذات كما خص المساوى بالمماثل فى القدر وتسمية
ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه فى ذاته وصفاته
ولا انها تخالفه فى افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت
حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس
الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون
له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب
ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير
وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطرح اى وحالكم انكم من اهل العلم
والنظر واصابة الرأى فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات
متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوى وهو انها لا تماثله
ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء فعلى هذا المقصود
منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء
فى التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهى عن الاشراك به

هذا ركيك جدا والاوجه ما ذكره صاحب الكشاف من انه
متعلق بالذى اى ذا رزقه على الابتداء اى جعله مرفوعا مدحا
على انه خبر مبتدأ محذوف فيكون ههنا مترتبا على هذه الجملة
اى هو الذى جعلكم بهذه الآيات فلا تجعلوا فليتامل بتغييرات
الجملة

والاشارة

والاشارة الى ما هو العلة والمقتضى وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية
اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه
فى معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق
اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور التى لا يقدر عليها غيره شاهدة
على وحدانيته رتب عليها النهى عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة
مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض
عليه من المعانى والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء
والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال
العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى
السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا
ولكل حد مطلعا وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة لما قرر وحدانيته
وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عليه السلام وهو القرآن
المعجز بفصاحته التى بذت فصاحة كل منطيق وافحام من طولب بمعارضته من مصاقع
الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم والمضادة والمضارة وتهالكهم على المغالبة
والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا
لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما يرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله
عنهم فقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا
الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه
مختص به منقاد لحكمه وقرئ على عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القرآن
المترجمة التى اقلها ثلث آيات وهى ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة
لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم
احتواء سور المدينة ما فيها او من السورة التى هى الرتبة قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب
فى الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة
فمن السورة التى هى البقية والقطعة من الشىء والحكمة فى تقطيع القرآن سورا افراد الانواع

وملاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه
فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ
متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها
فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غيرها من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة
من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة
للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله
من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل
اوجه لانه المطابق لقوله فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدي ولان الكلام فيه لا
في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان
يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى
به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس و
الجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره
ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا
بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر
او الامام فكأنه سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات
او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة
حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض
ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو
اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر
قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون الله اي لا يتجاوزوا ولاية
المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت
وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم او
رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان يأتي بمثله الا الله
او وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله
فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله

اوليا

اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي
الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي
امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل
من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم
ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان
اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق
الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى
كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف
التكذيب الى قوله نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم
ما يتعرفون به امر الرسول عليه السلام وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب
عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان
بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد
لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل
لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا
بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان الذي للشك والحال يقتضي اذا الذي
للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين
الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا
عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول
ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه
قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف
مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله
لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر
وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه سمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا
والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر

ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق
الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير مقياس والمراد بها الاصنام
التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع
المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا
بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في
تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويفتخرون بها وعلى هذا لم يكن للتخصيص
اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل
وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها
والكبريت يتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس فلعله اراد به ان
الاحجار كلها لتلك كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت
بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه
بالمدينة صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت
للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة
والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته
مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين دليل النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي
والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم
الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم
بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل
المهج والثاني انهما تضمنتا الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع
خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث
انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان
يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن
وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود
عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت
به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا

عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل بنفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر
او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه
واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك
يستدعي ان يخوف هولاء ويبشر هولاء وانما امر الرسول عليه السلام او عالم كل عصر
او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما
لشأنهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنئوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول
عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة
ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم
ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى
فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات
جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة
كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه
الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل
على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعار بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع
الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس
والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه لذلك قلما ذكرا مفردين وفيه
دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه
ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن
والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي به الشجر
المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كان عيني
في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من
الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك
لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال الله تعالى فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع
جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون

وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال
واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته
فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا عن ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع
ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله
تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه
عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيدها هنا
استغناء بها تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار
النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار
للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة
في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق
الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز
او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا
محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار
الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى
والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وتقدير الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا
مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها ابتداؤه
من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال
ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع
ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه
بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل
الذي رزقنا من قبل ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف
ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس
اليه اول ما رأت فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه
النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها

متشابهة

متشابهة الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى
فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وكما روي
انه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها
فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا
ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي
لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه
البليغ في الصورة واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا
في الدارين فانه مدلول عليه بقوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان
قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس
ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الهيئة التي هي
مناط الاسم واللون دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان
للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف
والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي
رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد
نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء
ويذم من احوالهن كالحيض والدرن وسوء الخلق ودنس الطبيعة فان التطهير يستعمل في الاجسام
والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت
وفعلن وهن فاعلة وفواعل واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت
فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة
ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل
والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل
فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي
مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك
نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة

والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها
وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم
ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام
حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا و
استعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف
ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات
والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات
المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث
لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى
منها شيء على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما تشاهد في بعض
المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف
البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح
على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة
اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها
ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود
ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت
الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له
والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي يتعلق بها التمثيل في العظم والصغر
والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب
عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى
الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة
ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات
الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل
غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير

دجار

وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما
قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله تعالى حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب
الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب
واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت
وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به
ووعد من آمن بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي
اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء
انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح
وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من
الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي
وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث
ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد
يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد
من رحمة الله وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف
ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وانما عدل به
عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة
لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله
وقع الشيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل
اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها
طرق التقييد كقوله اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم ولا نعني بالمزيد اللغو الضايع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما
لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيره فتفيده وثاقة وقوة وهو زيادة
في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت
عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدا وعلى هذا يحتمل ما
وجوها اخر ان تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي

أو موصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية
هي المبتدأ كأنه لما ردّ استبعادهم ضرب الله الأمثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها
حتى لا يضرب به المثل بل له أن يمثل بما هو أحقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينارا
ودينارا والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش
فما فوقها عطف على بعوضة أو ما إن جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب
والعنكبوت كأنه قصد به ردّ ما استنكروه والمعنى أنه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوضة
فضلا عما هو أكبر منه أو في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فإنه
عليه السلام ضرب به مثلا في الدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي أن رجلا بمنى خرّ على طنب
فسطاط فقالت عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك
شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فإنه يحتمل ما تجاوز الشوكة في
الألم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه ما أصاب المؤمن من مكروه
فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم أما حرف
يفصل ما أجمل ويؤكد ما به صدّر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه
أما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب أي هو ذاهب لا محالة وأنه منه
عزيمة وكان الأصل دخول الفاء على الجملة لأنها الجزاء لكن كرهوا إيلاءها حرف الشرط فأدخلوا
الخبر وعوّضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به إحماد لأمر المؤمنين واعتداد
بعلمهم وذمّ بليغ للكافرين على قولهم والضمير في أنه للمثل أو لأن يضرب والحق الثابت
الذي لا يسوغ إنكاره يعم الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة
من قولهم حق الأمر إذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج وأما الذين كفروا فيقولون كان
من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا
دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا أراد الله
بهذا مثلا يحتمل وجهين أن يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع
خبر ما وأن يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى أي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما أراد
الله والأحسن في جوابه الرفع على الأول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال
والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ

النزوع

النزوع والأول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري
تعالى به ولذلك اختلف في معنى إرادته فقيل إرادته لأفعاله أنه غير ساه ولا مكره ولأفعال غيره
أمره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته وقيل علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل
والوجه الأصلح فإنه يدعو القادر إلى تحصيله والحق أنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه
بوجه دون وجه أو معنى يوجب هذا الترجيح وهي أعم من الاختيار فإنه ميل مع تفضيل
وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز أو الحال كقوله هذه ناقة الله لكم
آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا أي إضلال كثير وإهداء كثير وضع الفعل
موضع المصدر للإشعار بالحدوث والتجدد أو بيان للجملتين المصدرتين بأما وتسجيل
بأن العلم بكونه حقا هدى وبيان وأن الجهل بوجه إيراده والإنكار لحسن مورده ضلال
وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر إلى أنفسهم لا بالقياس إلى مقابليهم فإن المهتدين
قليلون بالإضافة إلى أهل الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل أن
يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال
قليل إذا عُدّوا كثير إذا شدّوا وقال إن الكرام كثير في البلاد وإن قلّوا كما غيرهم قلّ وإن كثروا
وما يضل به إلا الفاسقين أي الخارجين عن حد الإيمان كقوله تعالى إن المنافقين
هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت وأصل الفسق الخروج
عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن أمر الله
بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الأولى التغابي وهو أن يرتكبها أحيانا مستقبحا إياها
والثانية الانهماك وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو أن يرتكبها
مستصوبا إياها فإذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الإيمان من عنقه
ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي أو الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن
لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الإيمان ولقوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الإيمان عبارة عن مجموع التصديق والإقرار والعمل والكفر
تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد
منهما في بعض الأحكام وتخصيص الإضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على أنه الذي
أعدّهم للإضلال وأدى بهم إلى الضلال وذلك لأن كفرهم وعدولهم عن الحق وإصرارهم

باطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم
وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يُضَل على البناء للمفعول والفاسقون
بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ
التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار
له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز
وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه فنبّه ان العهد حبل في ثبات الوصلة
بين المتعاهدين كقوله شجاع يفترس اقرانه عالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه
اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى و
يتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ
وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب
وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل
على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره و
لم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره و
قيل عهود الله تعالى ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه
على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه
من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق
الله به عهده من الآيات والكتب وما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى
المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
يحتمل ان يكون كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين
والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة
وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات
من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء
وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له
شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل
النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون

في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم
وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص
ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر
في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب
بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع
عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم
حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من أتكفرون
واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث
الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك
والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية
واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه
بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي آجالكم
ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم
باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل
ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم
من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية
تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان
بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد
والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد
عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك الجليلة
فان عظم النعمة يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية
للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى
وان الدار الآخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى
المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها
ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم

وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اى جهالا فاحياكم بما افادكم
من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم
بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة حقيقة فى القوة الحساسة
او ما يقتضيها وبها سمى الحيوان حيوانا مجاز فى القوة النامية لانها من طلايعها ومقدماتها و
فيما يخص الانسان من الفضايل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها
والموت بازائها يقال على ما يقابلها فى كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال
اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشى به فى الناس واذا وصف بها البارى تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم
والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضى ذلك على الاستعارة وقرأ
يعقوب ترجعون بفتح التاء فى جميع القرآن هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا بيان
نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه
بقاؤهم وتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم فى دنياكم باستنفاعكم بها فى مصالح
ابدانكم بوسط او غير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف بما يلائمها من
لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض
من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضى اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص
بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد
وما يعم كل ما فى الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا
حال عن الموصول الثانى ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى
اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوى على شئ واحد واصل الاستواء
طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه
من خواص الاجسام وقيل استوى اى استولى وملك قال قد استولى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية
المرتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت
ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخى
فى الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها فانه يدل

على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف
بدحيها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أانتم اشد خلقا ام السماء بناها مثل
تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسويهن عدلهن وخلقهن
مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او فى معنى الجمع
والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس ان
اصحاب الارصاد اثبتوا التسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس فى الآية
نفى الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسى لم يبق خلاف وهو بكل شئ عليم فيه تعليل
كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع
واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان
اتقان الافعال واحكامها فى تخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم
حكيم رحيم وازاحة لما يختلج فى صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها
واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شئ منها ولا ينضم اليها
ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية
على ثلث مقدمات وقد برهن عليها فى هاتين الآيتين اما الاولى فهو ان مواد الابدان
قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب
الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات
يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها
واشار تعالى الى وجه اثباتها بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب
صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت
واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهى علمه وكمال حكمته جلت
قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائى الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له
بعضد واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم
فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف
وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى
ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث فى المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا

فيه لف ونشر غير مرتب اذ قد اشار بالوجه الاحكم الى السماء وبالانفع الى الارض ٢

للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة فلما ذكرنا
واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذ كان كذا
فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الآية قالوا او اذكر على التأويل المذكور
لانه جاء معمولا له صريحا في القران كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ
خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخل في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة
جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك
من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسايط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل
اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها
فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين
بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة
البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة
منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره
كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة
المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية
على تفصيل اثبتّه في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص
وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض
اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال
وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال
ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه
والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك
كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم
لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير
وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى
ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار

ارسل

وانما قال في القسم الاول شأنهم الاستغراق
وفي القسم الثاني يدبر الامر ولم يقل شأنهم التدبير
لان المدبر ليس جميع شغله التدبير بل له التسبيح
والتقديس ايضا ولذلك اورد الآية على سبيل
الاقتباس من غير تغيير لكا مكوت وغير في الاول
وقال كما وصفهم في محكم تنزيله [illegible]

ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه
السلام في الميقات ومحمدا صلوات الله عليه ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة
ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته
جلت قدرته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة
من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد
اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر
وهاشم او على تأويل من يخلف او خلفا يخلف وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة
وتعظيم شأن المجعول بان بشر تعالى بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار
فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب
خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها
او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي
بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه
عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة
فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره
يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم
ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن
انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح
في الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك
على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك
الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك
أتحسن الى اعدائك وانا الصديق القديم المحتاج والمعنى أتستخلف عصاة ونحن معصومون
بذلك احقاء والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين
في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار
امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة

والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك
القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية
فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة
من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة
الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات
واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو
المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون
والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس
اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك
في موضع الحال اي متلبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به
ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كأنهم
قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال
الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم آدم الاسماء كلها
اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم
فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ
واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه
عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك
يأتي بنوه اخيافا او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من
الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما
يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله
عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما
واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد
في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة
متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا
لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات

والهمه

والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين
الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها
ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض
عنه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات
فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء
او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها
والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على
عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف
على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف
بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين
في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم وان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو
وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد
يتطرق اليه لغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات
قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم
كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة
في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض
العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله
كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر
وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح
التوبة فقال موسى صلوات الله عليه سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك
اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته
الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت
بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل
ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم
وقد قرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم

اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله
اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم
من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون
وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون
قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق
خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار
دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف
الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم
يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به
وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في
القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون
ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا
لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا
ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم
افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
لما انبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا
عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق
ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة
الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر
ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وقال فقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ رأسه
وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له في الحقيقة
هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه تعالى لما خلقه
بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني

والجسماني

والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور
ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته
وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس
اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة
لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي فهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل
والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود
الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا
من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى لما فيه خيره وصلاحه
والاباء الامتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب
ذلك بالتشبع وكان من الكافرين اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه
بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول
والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان آدم
افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم
يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز
ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة
ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان
جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن كانوا ايضا مامورين
مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل
لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين
فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان
الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا
من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة
والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس فلذلك
صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن

يعني ان آدم ان جعل قبلة للسجود يكون اللام فيه
بمعنى الى كما في سمع الله لمن حمده وان كان سببا
له يكون للتعليل كما في قولك جئتك للضرب
بمعنى قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس
اي لوجود سببه سعدي رحمه

فيه كلام على تقدير كونه قبلة وان السجدة لله تعالى
تأمل اللهم الا ان بني على العلم والتعليم

ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من مارج
من نار لما روت عايشة انه عليه السلام قال خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من مارج
من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضئ والنار كذلك غير ان ضوءها
مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت
مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال
تتزايد حتى ينطفي نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص
والعلم عند الله تعالى ومن فوايد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه
الى الكفر والحث على الايتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم
الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا
وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري رحمه الله وقلنا يا آدم اسكن
انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن
ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له
والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه
بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل
الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا
واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما اي مكان من الجنة شئتما وسع
الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة
للحصر فلا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو
من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب
من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي
حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم الله عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا
لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان
بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له
والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين
من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا

بكسر

بكسر التاء وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما
على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة
بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي
عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله
اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق
الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج فانك رجيم فقيل انه منع من
الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء
لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة
وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى
فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى
قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها
ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم لبعض عدو
حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم
في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت
الموت او القيمة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين
علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى
ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال
يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال
يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب
ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك
باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة
وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف
بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت

قوله او هما وابليس وقيل والحية وهذا يقتضي ان يكون
الحية عاقلة فلا يدفع استبعاد الامام حكاية
الدخول في فم الحية بانه لم لم يتمثل بصورة الحية
ابتداء ولم عوقبت الحية مع انها ليست عاقلة
ولعل الملئكة كانوا يمنعون ما لم يعرفوه من الحيات
فتأمل للمولى الفاضل طاشكبري زاده
مرحوم

تبعا له في الحكم فلذلك طوي ذكر النساء في اكثر القران والسنن انه هو التواب
الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا
وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري اريد بها الرجوع
عن العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان
مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل
على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف
فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد
هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما
ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة
الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في
المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان
واحد كقولك جاؤا جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن
تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال او ارسال
فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب
عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه
العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم
مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى
عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف
بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف
على فمن تبع الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا
بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية
في الاصل العلامة الظاهرة وتقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع
وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها
من اي لانها تبين ايا من اي ومن اوى اليه واصلها ايية او اوية كتمرة فابدلت عينها

على

على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت او آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا
والمراد باياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة تنبيه وقد تمسكت الحشوية
بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول ان آدم صلوات
الله عليه كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من
الظالمين والظالم ملعون لقوله الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند
اليه العصيان والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع
عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب
لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب
البيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك
الاولى له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه ان شاء
الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك
الاولى ووفاء لما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي
ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة
لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة
كتناول السم على الجاهل بشانه انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتان لانه
ليس فيهما ما يدل على انه تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم
انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه
الرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة
الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع
كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل
لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تفظيعا لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان
الجنة مخلوقة وانها جنة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة
وان عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها

خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها بتعداد
النعم العامة تقريرا وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث
حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت
في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز تدل على نبوة
المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه
قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان
يذكروا نعمة الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد عليه
السلام وما انزل عليه فقال يا بني اسرائيل اي يا اولاد يعقوب والابن من البناء لانه
مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابن الحرب وبنت فكر واسرائيل
لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف
الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها
والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله
على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله عليه حمله حب النعمة على
الرضاء والشكر وقيل اراد بها ما انعم على ابائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ
العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلوات الله عليه وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان
الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي
بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد
ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل
الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض
عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم و
المال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله
الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف بعهدكم
في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب
او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط
وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة

اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة واياي فارهبون
فيما تأتون وتذرون خصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد
لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه
قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد
والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله تعالى
وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود
والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث
انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد
والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات
الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة
الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر لنزل
على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان
اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان
الواجب ان تكونوا اول من آمن به لانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين
به والمبشرين بزمانه واول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتأويل
لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر
وقد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك
اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر
بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله
اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او اأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت
ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا
فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك
الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم واختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه

عطف على قوله في القصص كانه قيل مطابق لها فيما يوافقها من القصص والمواعيد وفيما يخالفها من جزئيات ولما كان التطابق مع التخالف محالا بحسب الظاهر من وجهها بقوله من حيث ان كل واحدة الخ للمولى الفاضل طاشكبري زاده رحمه

فان قلت فما فائدة التقييد والكفر منهي عنه بكل حال قلت بيان زيادة قبح وشناعة ونسبة الكفر من بعدهم منا ولا دمهم بعد ان كونهم اول مؤمن به للمولى طاشكبري زاده رحمه

قوله او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب اقول فلا يرد الاشكال بمشركي العرب للمولى الفاضل طاشكبري زاده رحمه

وإياي فاتقون بالإيمان واتباع الحق والإعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة
مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى
ولأن الخطاب بالأولى لما عم العالم والمقلد أمرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك
والخطاب بالثانية لما خص أهل العلم أمرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل
عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق
المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما أو لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط
الباطل الذي تكتبونه في خلاله أو تذكرونه في تأويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي
كأنهم أمروا بالإيمان وترك الضلال ونهوا عن الإضلال بالتلبيس على من سمع الحق والإخفاء
على من لم يسمعه أو نصب بإضمار أن على أن الواو للجمع أي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه
ويعضده أنه في مصحف ابن مسعود وتكتمون أي وأنتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه إشعار بأن
استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وأنتم تعلمون عالمين بأنكم لابسون كاتمون
فإنه أقبح إذ الجاهل قد يعذر وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم
فإن غيرهما كلا صلوة ولا زكوة أمرهم بفروع الإسلام بعد ما أمرهم بأصوله وفيه دليل
على أن الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع إذا نما فإن إخراجها يستجلب بركة
في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم أو من الزكاء بمعنى الطهارة فإنها تطهر المال من الخبث
والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين أي في جماعتهم فإن صلوة الجماعة تفضل صلوة
الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا
عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الأضبط السعدي
لا تذل الضعيف علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه أتأمرون الناس بالبر تقرير
مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك
قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الأقارب وبر في معاملة الأجانب
وتنسون أنفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس أنها نزلت في أحبار
المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة
ولا يتصدقون وأنتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله تعالى وأنتم تعلمون أي تتلون التورية
وفيها الوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل أفلا تعقلون قبح

صنيعكم

صنيعكم فيصدكم عنه أو أفلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الأصل
الحبس سمي به الإدراك الإنساني لأنه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة
التي بها النفس تدرك هذا الإدراك والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ بنفسه
سوء صنيعه وخبث نفسه وأن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الأحمق الخالي عن العقل
فإن الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والإقبال
عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فإن الإخلال بأحد الأمرين المأمور
بهما لا يوجب الإخلال بالآخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كأنهم لما أمروا
بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والإعراض عن المال عولجوا بذلك
والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى أو بالصوم الذي
هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة و
الالتجاء إليها فإنها جامعة لأنواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة
وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه إلى الكعبة والعكوف للعبادة وإظهار الخشوع
بالجوارح وإخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجات الحق وقراءة القرآن
والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الأطيبين حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المصائب
روي أنه عليه السلام إذا حزبه أمر فزع إلى الصلوة ويجوز أن يراد بها الدعاء وإنها أي
الاستعانة بهما أو الصلوة وتخصيصها برد الضمير إليها لعظم شأنها واستجماعها ضروبا
من الصبر أو جملة ما أمروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة لقوله تعالى كبر على المشركين
ما تدعوهم إليه إلا على الخاشعين أي المخبتين والخشوع الإخبات ومنه الخشعة للرملة
المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب
الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون أي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده
أو يتيقنون أنهم يحشرون إلى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده أن في مصحف ابن مسعود يعلمون
وكأن الظن لما شابه العلم في الرجحان أطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال أوس بن حجر
فأرسلته مستيقن الظن أنه مخالط ما بين الشراسيف جائف وإنما لم تثقل عليهم ثقلها
على غيرهم فإن نفوسهم مرتاضة بأمثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لأجله مشاقها
ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثمة قال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتأكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل
النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها واني فضلتكم
عطف على نعمتي على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى
وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين
واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اي ما فيه من حساب
والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون
نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا
وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف
تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار
واجري مجرى المفعول به ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا ولا يقبل
منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكأنه
اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا
او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني
اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة
من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية
وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى ولا هم ينصرون يمنعون
من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي
من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصه
بدفع الضر وقد تمسك المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها
مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب
معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من آل
فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف
جبرئيل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة
الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس
والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن

ريان

ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان
بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما
واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة
الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال
من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف
وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من
يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير
بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار
الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به
الامتحان الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وبتوفيقه
لتخليصكم منه او بهما عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير
او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون
من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت
فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
وقرئ فرّقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم
واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به
وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى
بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر
عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي
انه تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم
على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا
يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا فلا نعلم ففتح كوى فتراءوا
وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم
عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل و

ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم والتصديق بموسى عليه السلام ثم
انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة
والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر
من معجزاته امور نظرية مثل القرآن والتحدي به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوته
محمد صلى الله عليه وسلم دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة
معجزاته على ما مر تقريره واذ وعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك
فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة
وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي
واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل
الها ومعبودا من بعده من بعد موسى ومضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم
حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون
لكي تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التورية الجامع بين كونه كتابا
وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في
الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي
فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا
بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم
العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت
ومميزا بعضها عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما
على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقوله
برأ الله آدم من الطين فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع وقطع الشهوات كما قيل
من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا
وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر
المضي لامر الله تعالى فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا
يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة
وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند

بارئكم

بارئكم من حيث انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية
فتاب عليكم متعلق بمحذوف وان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره
ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله لهم
على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر الباري
وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم
الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان
يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم الذي يكثر
توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
لاجل قولك ولن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت
بالقراءة ثم استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او حال
عن الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون
حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف
من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التورية وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة
لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته
رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة
عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا
قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جبرئيل وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا
صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد
موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم
لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم
الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى
الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب
عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى
كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا
بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره

واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها
حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب
اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة
موسى عليه السلام سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه
وقولوا حطة اي مسألتنا حطة او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب
على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل
معناه امرنا حطة اي نحط هذه القرية ونقيم فيها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرئ
نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه
ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدل الثانية ياء ثم قلبت
الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم
فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة
الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك
وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه تعالى يفعل لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي
قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا
فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم
بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها
رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز
في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون
روي انه مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا
في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا
حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا
ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب
فاعطاه مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه
من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره ان يضرب حجرا بعينه
ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة فيها حمل حجرا في مخلاته وكان

يضربه

يضربه بعصاه اذا نزل فيتفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه
متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل
كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى
من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق
بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله تعالى
فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط
مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به
ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويوكل مما ينبت به
ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده وان غلب
في الفساد لانه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن
صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب
فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب
صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد
لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب
ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به
ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام
مائدة الامير واحد يريدون انه لا يتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا
طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوا فادع لنا ربك
سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته
سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل
ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع
الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي توكل
والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة
فيه قال اي الله او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل
الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد

المحل بعيد التهمة وقرئ ادناه من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير
في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه
يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم
واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تأويل البلد
ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرايم فعرب فان لكم ما سألتم
وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت
بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء
مساكين اما على الحقيقة واما على التكلف مخافة ان يضاعف جزيتهم وباؤا بغضب
من الله رجعوا به وصاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به
واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء
بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات
التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار
العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وآية الرجم والتي فيها نعت محمد عليه
السلام من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق
عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب
الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي
والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي
الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل
كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم
المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما
جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره
في الضمير قول رؤبة. فيها خطوط من سواد وبلق. كأنه في الجلد توليع البهق. والذي حسن
ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعهما وتأنيثهما ليست على الحقيقة ولذلك جاء
الذي بمعنى الجمع ان الذين آمنوا بألسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلوات الله عليه
المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا

بمعنى وقعت الاحاطة بهم وهي من الذلة
والمسكنة فلظهوره لم يذكره وتحميل الهمزة
لتعدية حاط بمعنى احاط فالضمير للذلة
والمسكنة اي جعلت الذلة محيطة وحائطة
احاطة وحياطة مثل احاطة القبة
حسن چلبي رحمه الله

تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك
لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام
والنصارى جمع نصران كالندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك
لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها
او من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه
السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبا اذا
خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا
من سائر الاديان الى دينهم او من الحق من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان
منهم في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن
من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم
الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب
ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان
او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه
دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى عليه السلام والعمل
بالتورية ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم
بالتورية ورأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل
بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة
بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به
لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق
بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم
عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلوات
الله عليه يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي
او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل
على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه

قوله قبل ان نسخ من قبيل قوله قبل تنفد يعني لتعتصر
النسخ فيتناول العاملين من امة محمد عليه السلام الدائم
حسن چلبي رحمه الله

يشكل باليهود الذين لم يؤمنوا بعيسى ومحمد عليهما السلام
وكذلك النصارى اللهم الا ان يخص بمن مات
على دينه من غير نسخ او يقال من جملة العمل بمقتضى
شرعه وكتابه ان يؤمن بمن جاء بالمعجزات من
الانبياء على ما مر من اخذ الميثاق كذا

سيشير الى انه يحتمل ان يراد الذكر اللساني والقلبي
والاعم منهما وما يكون كاللازم لها والمقصود
منهما اعني العمل

لا خصوص لهذا بالمعتزلة اذ ارادة طلب ان
يتقوا حسن چلبي رحمه الله

مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين
فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة
فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا
يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر
الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول
وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد قال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن
قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة
لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف
وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها
اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت
حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها
من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم
وما تأخر عنها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم
ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه
وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء
في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا
في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة و
يضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اي مكان هزو او اهله او مهزوا بنا او الهزو
نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقد قرأ حمزة واسمعيل عن نافع
بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك
في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها
وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي وكيف هي لان ما يسال به عن الجنس غالبا

لكنهم

لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته
ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا مسنة ولا فتية يقال
فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر
للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين
ذلك اي ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد
وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها بقرة معينة
ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق
البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص
ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه
عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله
عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه
بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع
نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده
الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة
صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى
تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد
لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد
بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع
او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف
زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة
كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه
بالتاء والياء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتأنيث وتشابهت
مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشبهة
ومتشبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث

لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة
الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة
والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها
بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة
لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل
لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل
ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل
او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون
جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا الآن
جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والآن
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة
فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل
او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم
اني استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها
اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها (اي جلدها) ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكاد من
افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا
وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف
وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا
كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم
في شأنها اذ المتخاصمون يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه
الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله
مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه
لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس
والتذكير على تأويل الشخص والقتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل
بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه

فيحيي

فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الآية ويريكم آياته دلائله
على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر
على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحييه ابتداء وشرط فيه ما
التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان
من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه لما روي
عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلث مائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب
امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت
الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها
ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية
بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيي حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال
ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة
عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد
القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما توجب
لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل
الحجارة او زائد عليها او انها مثلها او مثل اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش (الحسن) بالجر عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى
لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة
واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها
وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها
لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق
فينبع منه الماء وتنفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به
وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد
وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط
بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف
وابو بكر وحماد بالتاء ضما الى ما بعده والباقون بالياء افتطمعون الخطاب لرسول

الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم
يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية
ثم يحرفونه كنعت محمد صلوات الله عليه وآية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل
هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول
في آخره ان استطعتم ان تفعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم
ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم منهم
كانوا على هذه الحالة فما ظنكم بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك
واذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية
واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد عليه السلام او الذين نافقوا لاعقابهم
اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين
فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما
انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد
به انه جاء في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند
ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره
افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى
افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين
او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم
الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية
الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه
من منى اذا قدر ولذلك تطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون
اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها
الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية
عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليله . تمنى داود الزبور على رسل

وهو

وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم
لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه
كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل
في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو
في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب
يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني
ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه
وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني
المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد به الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء
بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده
الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل
اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل
الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار
الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله
عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون
ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع
احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس
النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص
بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها تقال فيما يقصد
بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ والكسب استجلاب النفع
وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته استولت
عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح
في شأن الكافر لان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة
به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره
الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب

قوله وفيه دليل العهد ظ شرعي الوعد بل حقيقة عرفية
فيه وهو المراد ههنا فلا دليل على نفي الخلف في الوعيد
كما ذهب اليه كثير من الاشاعرة
حسن چلبی رحمه الله

وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة
سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين
اساءوا السوأى ان كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته
على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها في الآخرة كما انهم
ملازموا اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية
كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه على ان يشفع وعيده
بوعده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه
واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كقوله لا تضار
كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء
فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل
تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايها الزاجري احضر الوغى وان
اشهد اللذات هل انت مخلدي ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق
او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون
وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون
بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا
وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو
قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا
وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين
وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل
الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق
ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم
وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب
عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم

على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل
قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه
لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة
الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء
الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك اقر فلان
شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد
الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة
عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت
ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند
اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكي عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم
من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد
والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر
التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ باظهارهما
وتظهرون بمعنى تتظهرون وان يأتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء
الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار
واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان يأتوكم اسارى
في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم
كقوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى
واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان
وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق
بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشأن او مبهم ويفسره اخراجهم
او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم بدل او بيان افتؤمنون ببعض
الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك
منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم

واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيامة يردون الى اشد
العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد اي الله سبحانه
بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم
وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالآخرة آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا
والتعذيب في الآخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية
وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى
يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى
ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء كالزير
من الرجال قال رؤبة. قلت لزير لم تصله مريمه. ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه
قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل
صدق اراد به جبريل وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته
على الله تعالى ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث
او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان
في جميع القرآن افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى
اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به
توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف
على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية
او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه
فانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا
غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف
الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية للعلم لا تسمع علما
الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها من غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا

والمعنى

والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل
استعدادهم او انها لم تأب قبول ما تقول لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال
تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء
عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون فما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو
ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني
القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه
بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان
المنعوت في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه
والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا
من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر
للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا
اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن
واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب
بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة
يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل وحسده على ان ينزل وقرأ ابن كثير
وابو عمرو بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة
فباؤا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى
او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب
العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا
نؤمن بما انزل علينا اي بالتورية ويكفرون بما وراءه حال عن الضمير في قالوا والوراء في الاصل
مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول
فيراد به وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القرآن
مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا
بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع

اقول يعني انهم ظنوا ان انفسهم تخلص من العقاب
بما فعلوا من اظهار الكفر حسدا وخوفا على الرياسة
مع اعتقادهم النبي على حقيته فكانهم ظنوا ان اظهار
الكفر لاجل امر عارض لا يضر اذا كانت قلوبهم ثابتة
على التصديق فكانهم بهذا الظن اشتروا انفسهم
وخلصوها من العقاب فبئس ما اشتروا به انفسهم من
ما خطر بالبال وبه يندفع ما اورد عليه من الاشكال
بانهم كانوا معتقدين على الحق وليس فيهم ظن حتى اشتروا
انفسهم ويخلصوها من العقاب بهذا الظن السيئ
فتدبر
لمولانا الفاضل كمال الدين [illegible]

او ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم و
انهم راضون بما عازمون عليه قرا نافع وحده انبياء مهموزا في جميع القرآن ولقد
جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات
بينات ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون
حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم
عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان
طريقتهم مع الرسل طريقة اسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة اي قلنا لهم خذوا ما امرتم
به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا
في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ
الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون
في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما
اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يامركم به ايمانكم اي بالتورية و
المخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات
الثلث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعويهم الايمان بالتورية وتقديره
ان كنتم مؤمنين بها لم يامركم بهذه القبائح ولا يرخص لكم فيه ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين
بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان
بها لا يامر به فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خاصة
بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس
سائرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه
من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله
عنه لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة
محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني
سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم
من موجبات النار كالكفر بمحمد والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة

قال المصريون العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور كذا في سورة الاسرا [illegible]

بالانـ

بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة
والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر
فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب
لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه
فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه
على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن سواهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة
من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم احرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها
وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص
الناس على الحيوة ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ
لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون
بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص
من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته يود
احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود
احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة
حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجري على الغيبة لقوله يود احدهم كقولك
حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه
اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان
يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت
النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من
كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن
ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان
بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان
كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبما تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه مدارس
اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب
كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلامة فقال وما منزلتهما من الله قالوا

جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا
بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر رضي الله عنه
فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل
ثمان لغات قرئ منهن اربع في المشهورة جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي
وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية ابي بكر
وجبريل كقنديل قراءة الباقون واربع في الشواذ جبرائل وجبرائيل وجبرئل وجبرين ومنع
صرفه للعجمة والتعريف وقيل معناه عبد الله فانه نزله البارز الاول والثاني للقرآن واضماره
غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك
فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله
كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره او تيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين
يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى
من عادى منهم جبرئيل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه
لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته
مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا
او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان
الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر
الكلام بذكره تفخيما لشانه كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافراد الملكان بالذكر
لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب
العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم
على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع المظاهر موضع الضمير للدلالة على انه
عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعيل وابو عمرو
ويعقوب وعاصم ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائيل ولقد انزلنا اليك آيات
بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع
من المعاصي دل على عظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله
ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار

والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون
الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا نبذه فريق منهم
نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض
بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم
يؤمنون به خفا ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق
بها كفر بها فيما تصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات
وقيل ما مع الرسول وهو القرآن وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما
يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به
رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق
فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله
نبذه فريق منهم وفرقة لم تجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة
تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا
ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها
او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلوا
حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها
الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام
حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن
والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان
من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا
والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان
مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس
فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما
ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة

اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي
سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار
او هو نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس
وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما تمثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراة
يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي
عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا
ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر
تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور
انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية
ولو كان من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين
بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له
انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر
باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع
من اتباعه للعمل به وعلى الثاني وما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون
الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما
وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات
بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل
بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل ولان العلم يجر الى العمل غالبا
ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد
علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والاظهر
ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الاخرة من خلاق نصيب ولبئس
ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين
او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التاكيد القسمي العقل الغريزي او العلم
الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان

من

من لم يعمل بما علم فهو كمن لا يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك
المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا
مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على
ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب
اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدا وقرئ
لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون
ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله راعنا
اي راقبنا وتان بنا فيما نلقنا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين
نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي
المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهي انظرنا بمعنى انظر الينا
او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظه وقرئ
راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج
لما شابه قولهم راعنا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب
المراعاة او اسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او اسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا
الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود
الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة
المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل
منهما ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل
عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء
وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة
ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره
لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة
من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيته وما عرف فيه من حكمته
ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه

بامر يتبينها لهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشئ واثباتها
في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت
الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد
منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به
على المفعولية وقرأ ابن عامر ما ننسخ من انسخ اي نأمرك او جبرئيل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير
وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسأ وقرئ ننسها اي ننسي احدا اياها وننسها اي انت
وننسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين نأت بخير منها او مثلها اي بما هو خير
للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان
الله على كل شئ قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ او بما هو خير والآية دلت على جواز
النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان
الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك
يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر
في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ
هو المأتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح
والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك
في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما
من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم الم تعلم الخطاب للنبي عليه السلام
والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم ان الله له ملك السموات
والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شئ قدير وعلى جواز
النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك
اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير
قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة
للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد
ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة
به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا

من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالآيات البينة
وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى
الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤديكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل
الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم
ان يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين
وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا
ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا
بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة
في التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى يأتي الله
بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير
وعن ابن عباس انه منسوخ بآية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل
شئ قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه
امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير
كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون
بصير لا يضيع عنده عمل عامل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير
لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف
بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد
كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة
الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا
وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الآية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية
امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم
على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت
بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده
واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعده له على عمله عند ربه ثابتا عند ربه

لعل ابن عباس رضي الله عنهما حمل الآيات بالامر
على اماتتهم او على قيامة الساعة على ما هو المراد
بقوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه
مولى الفاضل طاشكري زاده رحمه

لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة
والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه
ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون في الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست
اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى
الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب
الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل
ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه
بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت
لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه
مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكم الله
بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب
مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس
وخربوه وقتلوا اهله والمشركين لما منعوا رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم والتعطيل اولئك
ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان
يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا
ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص
المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه
فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل
وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب
يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا
في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية
شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان

قوله ومن اظلم ممن منع مساجد الله [illegible]
النصارى خربوا بيت المقدس ثم قيل مشركو
العرب المذكورون في قوله تعالى وكذلك
قال لا يعلمون مثل قولهم قد عطلوا المسجد الحرام
للمولى الفاضل طاشكبري زاده
مرحوم

او فهم

او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل به ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد
التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في صلوة
المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا
تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة
لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت
اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه
على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له
عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية
مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان
والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده
والمعنى انه خالق ما في السموات الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون
لا يمتنعون على مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته
فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال
قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل
ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد
اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من
ملك ولده عتق عليه باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما
ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو
بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله
سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا
والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو
تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا
على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء
اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك وفعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق
الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة

اى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به
ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايما اى حجة خامسة
وهو ان اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغنى عن ذلك وقرا ابن عامر
فيكون بنصب النون واعلم ان السبب فى هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة
كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو
هو الاب الاصغر والله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى
الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد
وقال الذين لا يعلمون اى جهلة المشركين والمتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله
هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحى الينا بانك رسوله او تاتينا آية حجة على صدقك والاول
استكبار والثانى جحود بان ما آتاهم آيات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين
من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان
ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هولاء ومن قبلهم فى العمى والعناد
وقرئ بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين او يوقنون
الحقايق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء فى الايات
او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به
بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا
بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب لا تسأل على انه نهى للرسول عن السؤال عن حال ابويه
وتعظيم لعقوبة الكافر كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع
خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتاجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم مبالغة فى اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم
فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب
ان هدى الله هو الهدى اى ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى اى الحق لا ما
تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم الزايغة والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان
انبيائه من املكت الكتاب اذا املیته والهوى راى يتبع الشهوة بعد الذى جاءك من العلم
اى الوحى او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولى ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو

اى نحن عظماء كالملائكة والنبيين فلم اختصوا دوننا
حال معطوف على قوله بشيرا ونذيرا

جواب

جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد به مؤمنى اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة
اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده
او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون
المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا
الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا
يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة
واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود
من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء فى الاصل التكليف
بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن
ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط احد التقديرين
والكلمات قد تطلق على المعانى فلذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة فى قوله
التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك
هم الوارثون كما فسرت بها فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التى هى من سنته
ومناسك الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة
المختبر بهن وبما تضمنه الآيات التى بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارنى
كيف تحيى الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرا ابن عامر ابراهام فاتمهن فاداهن كملا
وقام بهن حق القيام لقوله وابراهيم الذى وفى وفى القراءة الاخيرة الضمير لربه اى
اعطاه جميع ما دعاه قال انى جاعلك للناس اماما استيناف ان اضمرت ناصب اذ
كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات
ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة
معطوفة على ما قبلها وجاعل من الجعل الذى له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته
عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبى الا كان من ذريته مامورا باتباعه قال ومن ذريتى عطف
على الكاف فى جاعلك اى وبعض ذريتى كما تقول وزيدا فى جواب ساكرمك والذرية
نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما فى تقضيت من القض بمعنى التفريق

اذا جعل يتلونه حق تلاوته حالا يكون مختصا لعموم مفهوم الذين آتيناهم ويصح جعل اولئك
يؤمنون به خبرا بلا تكلف واما اذا جعل يتلونه حق تلاوته خبرا فلا بد من تخصيص الموصول لكونه
استعمالا للعام فى الخاص وهذا معنى قوله على ان المراد مؤمنوا واما قوله يريد به فمعناه اعم من
الارادة بالتقييد اللفظى بالحال ومن الارادة بالاستعمال لوجود القرينة فتامل
للمولى الفاضل طاشكبرى زاده
مرحوم

او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذِرِّيتي بالكسر وهي لغة قال
لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم
لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهده والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة
الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح
للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة
غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار وامثالهم
او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل واحد وامنا موضع
امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم او يامن حاجه من عذاب
الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يواخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وهو مذهب
ابي حنيفة واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر
عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة
محمد عليه السلام وهو امر استحباب ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع
الذي كان فيه حين قام عليه ودعى الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم
روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال
لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر
انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا
من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبها قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل
مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا
بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون
اليها وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون ان
مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه
للطائفين حوله والعاكفين اي المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين
جمع راكع وساجد واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا آمنا
ذا امن كقوله في عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من
آمن منهم بالله واليوم الآخر ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر

عطف

لا يخفى انه لا حاجة على تقدير الاعتراض الى اعتبار
مضمر يعطف عليه لكنه لاحظ حسن الالتيام فان
الامر بالاتخاذ انما يناسب بعد الامر بان يثاب
اليه منه — م خط طاشكبري زاده

وصححه في بعض النسخ او رفع على لفظ المصدر
عطف على الحج فكانه لاحظ انه لم يكن لابرهيم عليه السلام
موضع معين — م خط طاشكبري زاده

عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة فنبهه
سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم
في الدين او مبتدأ متضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب
التمتع ولكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب
ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه
ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه
من دعاء ابرهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره
واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف
لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف
وهو العذاب واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع
قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات لعله مجاز من المقابل للقيام
ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع
ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها
وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد
وتبيينها تفخيم لشانها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء
عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا
وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا
مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد
والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان والثبات عليه وقرئ مسلمين على ان
المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل
بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم
الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي
الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك
قيل لولا الحمقى لخربت الديار وقيل اراد بالامة امة محمد عليه السلام ويجوز ان يكون
من للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف

والمعطوف كما في قوله تعالى سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من رأى بمعنى
ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك
في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد من العادة وقرأ ابن كثير
ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة دليل
عليها وقرأ الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط
منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب
ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه
وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي
يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب
القرآن والحكمة ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم من الشرك والمعاصي
انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة
ابرهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها
واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء
في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب
على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه وقول جرير وناخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام
او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير
في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين
حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح
يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض
عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل
له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق
للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه
واخطر باله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا
عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر
ووصى بها ابرهيم بنيه التوصية هي التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها

الوصل

الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي
والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة وقرأ نافع وابن عامر واوصى
والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب
على انه ممن وصاه ابرهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين
لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابرهيم
كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب
اثنى عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويشخر وجاد وزبولون ودان ونفتالا
واشر وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة
الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال
الاسلام والمقصود هو النهي عن ان لا يكون على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات
على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم
لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت
وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم
ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت
وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين
ام كنتم شهداء شاهدين وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شهدتم ذلك وانما علمتموه من
الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء
تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما
يسأل به عن شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل
عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل
واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا
للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وكما قال عليه السلام في العباس
رضي الله عنه هذا بقية آبائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال
ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان

الهًا واحدًا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح
بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد
او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما و
يحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة
في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم
واتباعهم كما قال عليه السلام لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون
عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى
الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود
كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابرهيم
اي بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ بالرفع اي ملته ملتنا او
عكسه او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف
او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض
باهل الكتاب وغيرهم بانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين
لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وما انزل الينا يعني القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة
الينا او سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
الصحف وهي وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت
احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد
يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتي
موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى
وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير
المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر
ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله
مسلمون مذعنون مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت
كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام

فيه بحث والحق انه يستوي فيه الواحد والجمع

فيه بحث اذ لو كان المسوغ لذلك لجاز ان يقال
من ارسول منهم بل الحق ان احدا اذا كانت همزته اصلية
اسم يستوي فيه الواحد والمثنى والمجموع ويقع
على كل من يصلح ان يخاطب

وقيل

وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل
طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتأكيد كقوله جزاء سيئة سيئة
بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من
بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به وان تولوا
فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق
وهي المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله
تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم وهو السميع العليم اما من
تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين
بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغته
وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ
او هدانا هدايته او ارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم
ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى
كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم
ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم
عليه السلام ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون
تعريض لهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله
في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا
ملة ابرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا
في الله في شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم
منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب
برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه
الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء
والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص
فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون
نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط

كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر والكسائي و
حمزة وحفص بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة
او ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء قل أأنتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابرهيم
بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل
الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى
لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض
بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله
بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون
عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال
عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة
في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس
الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من
المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما وليهم
ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان
من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب
لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره
لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة
من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة
اي كما جعلناكم مهتدين الى الصراط المستقيم وجعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا
اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي يستوي اليه المساحة
من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف
والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي توصف بها واستدل بها على ان الاجماع حجة
اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون

في فهم افضلية قبلتنا من الآية المتقدمة تامل اذ مثلية الحكم الناسخ جائزة
طاشكبرى زاده [illegible]

ويكون الرسول

ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل
عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا
ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات
فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم يوم القيامة
يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى
بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار
الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل
عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه
السلام كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون
الرسول عليه السلام شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت
عليها وهي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة
تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان
يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل
امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن
ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك
الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله
وعلى الاول معناه ما رددناك الى التي كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص
على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما
قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به
موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او ليميز الثابت
عن المتزلزل لقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه
ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام
او مفعوله الثاني ممن ينقلب على عقبيه اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت
لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام
بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التولية

او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على الذين هدى الله
الى الحكمة والاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اى ثباتكم
على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روى انه عليه السلام لما
وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله
بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ
محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر
قد نرى ربما نرى تقلب وجهك فى السماء تردد وجهك فى جهة السماء تطلعا للوحى
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة
لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك
يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسئل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك
وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلى جهتها ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد
دينية وافقت مشيئة الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام
نحوه وقيل الشطر فى الاصل لما انفصل عن الشئ من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة
عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم فيه القتال
او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد الحرام دون الكعبة لانه عليه السلام كان
فى المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف
القريب روى انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه
الى الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه فى مسجد بنى سلمة
ركعتين من الظهر فتحول فى الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم
فسمى المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له
وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص
كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلى الى القبلتين والضمير للتحول او التوجه وما الله
بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتاء ولئن اتيت
الذين اوتوا الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا

قبلتك

قبلتك جواب القسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا
قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم
فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذى ننتظره تقريرا له وطمعا
فى رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة
بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم
لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل
الفرض والتقدير اى ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحى انك اذا
لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه
وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين آتيناهم
الكتاب يعنى علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره
لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اى يعرفونه
باوصافه كمعرفتهم ابناءهم ولا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست اشك فى محمد انه
نبى فاما ولدى فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند
واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام
للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذى يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه
من الله كالذى انت عليه لا ما لم يثبت كالذى عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اى
هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول
يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين فى انه من ربك او فى كتمانهم الحق عالمين به وليس
المراد به نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد
واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة
للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة
والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف اى هو موليها وجهه او الله تعالى
موليها اياه وقرئ لكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة
للتاكيد جبر الضعف العامل وقرأ ابن عامر مولاها اى هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا

قوله وبالغ فيه من سبعة اوجه الاول اتباع الهوى فيه
مع عصمته اشعارا باولوية امكانه وافرضه بحققه فى غيره
الثانى فرضه مع وجود المانع وهو العلم الذى جاءه فان
هذين الامرين يفيدان مزيد التهديد وتشديده
بالنسبة الى غيره والخمسة الباقية ان واذن ولام
الابتداء واسمية الجملة وطريق الكناية فى لمن الظالمين
على ما عرف لمولى الفاضل طاشكبرى زاده رحمه

وفى بعض النسخ عشرة اوجه هى السبعة السابقة
وايثار طريقة من الظالمين على انك اذن لظالم
لافادته ان ذلك محقق وانه معدود فى زمرتهم العا
الاساغ على ما سماه اهواء بمعنى انه لا يعضده برهان
ولا نزل فى شانه بيان والاجمال والتفصيل فى قوله
ما جاءك من العلم مع اشعاره بان الجائى نفس العلم
ولد رحمه

الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات
وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا اى اى موضع تكونوا من موافق ومخالف
مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله اى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل
الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم
كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شئ قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث
خرجت ومن اى مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه
وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون وقرأ ابو عمرو بالياء ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله
فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية على ان
يولى كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن
بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان
والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى ان تؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى
لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة يدفع
احتجاج اليهود بان المنعوت فى التورية قبلته وان محمدا عليه السلام يجحد ديننا ويتبعنا
فى قبلتنا والمشركين بانه يدعى ملة ابرهيم عليه السلام ويخالف قبلته الا الذين ظلموا استثناء
من الناس اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة
الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم
وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقون ساق الحجة وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل
الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة رأسا كقوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب • للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف
التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشونى فلا تخالفوا ما امرتكم ولاتم
نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اى وامرتكم لاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم
او عطف على علة مقدرة مثل واخشونى لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتى عليكم او على لئلا يكون وفى
الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة او فى الاخرة

كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى يتلو عليكم
آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره فى دعوة ابرهيم
عليه السلام باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر
والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحى وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكرونى
بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لى ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان
الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصى وحظوظ النفس والصلوة التى
هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجات رب العالمين ان الله مع الصابرين
بالنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى موات بل احياء
بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس
ما يحس به من الحيوانات وانما هى امر لا يدرك بالعقل بل بالوحى وعن الحسن ان الشهداء
احياء عند الله يعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار
على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزلت فى شهداء بدر
وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس
من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات
والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة
والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون
للقضاء بشئ من الخوف والجوع اى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه
ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم فى الآخرة
وانما اخبرهم قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات
عطف على شئ او الخوف وعن الشافعى رضى الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان
والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت
الاولاد وعن النبى عليه السلام اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدى
فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون
حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول ولمن يتأتى

منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عم كل شئ يوذى المومن
فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله
وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ان ما بقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه
ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
الصلوة فى الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها و
المراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبى صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة
جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون
للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى ان الصفا والمروة هما علما
جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهى العلامة فمن حج البيت او اعتمر
الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين
المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة
وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون
ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع فى الحج والعمرة انما الخلاف
فى وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال ابن عباس وانس لقوله تعالى فلا جناح فانه يفهم منه
التخيير وهو ضعيف لان نفى الجناح يدل على الجواز الداخل فى معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابى حنيفة
انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعى انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب
عليكم السعى ومن تطوع خيرا اى فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض الله عليه
من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعى ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر
محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ
حمزة والكسائى ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب
على الطاعة لا تخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالآيات
الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى وما يهدى الى وجوب اتباعه والايمان به
من بعد ما بيناه للناس لخصناه فى الكتاب فى التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
اى الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب
ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله فى كتابهم لتتم توبتهم وقيل

ما احدثوه

ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدى بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم
بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ فى قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار اى ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين استقر عليهم لعن الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا
لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل فى المعنى كقولك
عجبت من ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اى فى اللعنة
او فى النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف
عنهم العذاب ولاهم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم
اله واحد خطاب عام اى المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها
لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان فى الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة
الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة
او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم او لمبتدأ محذوف
قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت
ان فى خلق السموات والارض انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة
بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما لقوله تعالى جعل
الليل والنهار خلفة والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس اى بنفعهم او بالذى ينفعهم والقصد
به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع
على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر فى غالب الامر وتأنيث
الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل والجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند
المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل
الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل
دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات فى الارض
او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وتصريف
الرياح فى مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائى على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض
لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضى احدهما حتى يأتى امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه فى الجو

بسنة الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون يتفكرون
يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج
بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول
شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء
مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس
حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا وعلى هذا
الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه
حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه
فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما
لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما
اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام
واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام
وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد
اعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته
اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب
ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل
مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين
آمنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة
موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى عند الشدائد
ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ
الانداد اذ يرون العذاب اذا عاينوه يوم القيامة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه
كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف
اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق
الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله
كلها لا ينفع ولا يضر وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي عليه السلام

اي لو

قيل لا يمكن مرور المنطقة بالقطبين اصلا بل يجب مرورها بما بينهما كما هو المقرر في موضعه فحق العبارة في هذا المقام ان يقال بحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين او بالعكس فتدبر ولعل الواو في قوله وبحيث زائدة وقعت سهوا من الناسخ فحينئذ لا اشكال اصلا اقول هذا القائل لقد ابعد عن فهم المقام اذ الواو للعطف قوله بحيث على قوله بعكس حركاتها اي يمكن ان يتحرك الفلك بعكس حركاتها اي يمكن ان يتحرك المتحرك من المشرق الى المغرب مثلا من المغرب الى المشرق وان يتحرك بحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وذلك اذا تحرك من الجنوب الى الشمال مثلا ومن الشمال الى الجنوب فلا خلل في كلام القاضي اصلا للمولى الفاضل [illegible] رحمه

انظهر ان العلم حال المعاينة محقق فان متعلق بان القوة لله واما قوله لندموا فعلى ما سبق لا على ما في الدنيا [illegible] رحمه

اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب
ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستئناف او اضمار القول اذ تبرأ
الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ
بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة
وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا والحال
والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين و
الاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البناء
للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء
اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم
حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم
بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط
عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا
على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس حلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال
مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة
اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا
الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والبزي وابو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان
في جمع خطوة وهو ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها
عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي
البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت
انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه
وبعثه على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع
والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء
يعم القبائح والفحشاء ما يجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع
فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات
وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك

شرعي لوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال
لهم انظروا الى هولاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ما وجدناهم عليه
نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى
التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام
فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية
لانها ايضا تدعو الى الاسلام اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو
للحال او العطف والهمزة للرد والتعجيب وجواب لو محذوف اي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون
في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر و
الاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو
في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء
ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين
كفروا كمثل البهائم التي ينعق عليها والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى
عليهم ولا يتاملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف
مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين
بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه
وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان
الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون
اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس
كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها
فقال واشكروا الله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر
ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم
الميتة اكلها او الانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من حي
والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او استثنى الشرع عنهما والحرمة المضافة الى العين تفيد

عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم
الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير
الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال
واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رئي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت
وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر قرأ عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون
ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح
للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله
ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر
قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل
انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به
ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها
عقوبة عليه فكانهم اكلوا النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر
يعني الدية او في المآل اي لا يأكلون يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل
في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن
غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابلتهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم ولا يثني عليهم
ولهم عذاب اليم اي مولم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب
بالمغفرة في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجيب
من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها
كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله
نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب
او الكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله
وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في
تأويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم
سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس
البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب

فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بيّنه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اى ليس البر مقصورا بامر القبلة وليس البر العظيم الذى يحسب ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص ليس البر بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين اى ولكن البر الذى ينبغى ان يهتم به بر من آمن او ولكن البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى المال على حبه اى على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اى الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور فى موضع الحال ذوى القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم كما قال عليه السلام افضل صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الذى اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير الدائم السكر وابن السبيل المسافر سمى به لملازمته السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين الجأهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه وفى الرقاب وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثانى اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت فى المال سوى الزكوة وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين فى البأساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهرى البأساء فى الاموال كالفقر والضراء فى الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا فى الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثانى بقوله وآتى المال الى وفى الرقاب والى الثالث

بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعى رضى الله عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روى على رضى الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده النبى عليه السلام ونفاه سنة ولم يقده به وروى عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذى عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضى الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما فى التورية فلا ينسخ ما فى القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص على النصب وكذا كل فعل جاء فى القرآن فمن عفى له من اخيه شئ اى شئ من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام فى اسقاط القصاص وقيل عفى بمعنى ترك وشئ مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفى الشئ بمعنى تركه بل اعفاه وعفى يعدى بعن الى الجانى والى الذنب قال الله تعالى عفى الله عنك وقال الله عفى الله عنها فاذا عدى به الى الذنب عدى الى الجانى باللام وعليه ما فى الآية كانه قيل فمن عفى له عن جنايته من جهة اخيه يعنى ولى الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اى فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافى بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعى رضى الله عنه فى المسئلة

قوله ذلك اى الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل
والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة
بينها وبين الدية تيسيرا عليهم وتقريرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد
العفو واخذ الدية فله عذاب اليم فى الآخرة وقيل فى الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام
لا اعافى احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم فى القصاص حيوة كلام فى غاية الفصاحة والبلاغة
من حيث جعل الشئ محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان فى هذا الجنس
من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب
حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص
من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثانى تخصيص
وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه فى الدنيا لم يواخذ به فى الاخرة
ولكم فى القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا
عن الضمير المستكن فيه وقرئ فى القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او فى القرآن
حيوة للقلوب يا اولى الالباب ذوى العقول الكاملة ناداهم للتأمل فى حكمة القصاص من
قتل من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون فى المحافظة على القصاص والحكم به
والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اى حضر اسبابه
وظهر اماراته ان ترك خيرا اى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله عنه ان مولى له اراد ان
يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير والخير
هو المال الكثير وعن عايشة رضى الله عنها ان رجلا اراد ان يوصى فسألته كم مالك فقال
ثلثة آلاف فقالت كم عيالك فقال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشئ
يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تأويل
ان يوصى او الايصاء ولذلك ذكر الراجع فى قوله فمن بدله والعامل فى اذا مدلول كتب لا الوصية
لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل
الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم فى بدء الاسلام
فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذى حق حقه الا لا وصية لوارث
وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية

مطلقا

قوله والعامل فى اذا مدلول كتب اشارة الى ان معنى كتب اوجب الظرف قيد الوجوب لا الايجاب من حيث الحدوث والوقوع على ما هو مدلول الفعل تأمل من خط طاشكبرى زاده

مطلقا والحديث من الآحاد وتلقى الامة له بالقبول لا يلحقه بالتواتر ولعله احترز عنه
من فسر الوصية مطلقا بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله
او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى الله به عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز
الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء
والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء
المغير والتبديل الا على مبدليه لانهم الذين حافوا وخالفوا الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل
بغير حق فمن خاف من موص اى توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائى
ويعقوب وابو بكر موص جنفا ميلا بالخطاء فى الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى
لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول
ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم
يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعنى الانبياء والامم من
لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم فى اللغة الامساك
عما تنازع اليه النفس وفى الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس
لعلكم تتقون المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدأها كما قال عليه السلام فعليه
بالصوم فان الصوم له وجاء والاخلال بادائه لاصالته وقدمه اياما معدودات
موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير منه يهال هيلا ونصبها
ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان
او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر او بكما كتب
على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم فى عدد
الايام لما روى ان رمضان كتب على النصارى فوقع فى برد شديد او حر شديد فحولوه الى
الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة للتحويل وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان
منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من
سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اى فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام
اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اى فليصم عدة
وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية قال ابو هريرة رضى الله عنه

قوله وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس اما التوكيد فبناء على ان دوام الحكم يدل على قوة حاله فى الفرضية واما الترغيب فبالنظر الى ان عدم اخلاء الله تعالى الامم عنه يدل على خير واما التطييب فلان هذه مشقة لم تخصوا بها فينبغى ان تطيب نفوسكم بها تأمل من خط طاشكبرى زاده

قوله قيل فى الظرف اتساع فيجوز تقدم الفصل من خط طاشكبرى زاده

وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف
صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك
اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر
باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرأ هشام مساكين بغير اضافة الفدية
الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه
من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه
بالادغام ويطيقونه ويطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل
بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراآت يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم
الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا ويطيقونه وقد اول به القراءة المشهورة
اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له
وان تصوموا ايها المطيقون والمطوقون وجهدتم طاقتكم والمرخصون في الافطار
ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء
ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله
اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر
رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام
على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار
صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات والرمضان
مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف
والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه السلام من صام
رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه
من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حين ما نقلوا
اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان
ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شأنه
القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي عليه السلام نزلت صحف ابرهيم
اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن

لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر مبتدأ او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ
بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه
هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو هداية للناس
باعجازه وآيات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم
والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا او مريضا فليصم فيه
والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه ولكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب
على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال
الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ومن كان مريضا
او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك
او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم ولا
يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون
علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي شرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص له
بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان
قوله ولتكملوا العدة علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته
ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل
عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون
ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه لذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر
وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي هديكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد
واذا سألك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد
واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداعي
اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة
كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين
اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم
الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة

على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه
ثم بين احكام الصوم فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا
كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الآخرة او يرقدوا ثم
ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه
فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي تصبح منها
صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد الجماع يخلو من رفث وهو الافصاح
بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك
سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب
الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان
الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع
ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان
ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره
فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق
البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح
من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع
النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي
كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول
ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان
الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة
الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر
فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح
فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باجتهادهم
في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز
تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل

عه

عنه ولنفي صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف
هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف
فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد
ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب
الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز
بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطاه كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه
ومن يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود
الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة
الاوامر والنواهي ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا ياكل بعضكم مال البعض على الوجه الذي
لم يبحه الله وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف
على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا
بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين
الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها
اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرء القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان
فنزلت وهي دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر
وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن
قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي قطعة من نار يسألونك عن الاهلة سأله معاذ
بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي
ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج فانهم سألوا عن الحكمة في اختلاف
القمر وتبدل امره فامره الله بان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس
يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت
مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان
ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدأها والزمان مدة مقسومة والوقت

الزمان المفروض لأمر وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى كانت
الأنصار إذا أحرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وإنما يدخلون ويخرجون من نقب
أو فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم أنه ليس ببر وإنما البر بر من اتقى المحارم والشهوات
ووجه اتصاله بما قبله أنهم سألوا عن الأمرين أو أنه لما ذكر أنها مواقيت الحج وهذا أيضا من
أفعالهم في الحج ذكره للاستطراد أو أنهم لما سألوا عما لا يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا
السؤال عما يعنونه ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على أن اللائق
بهم أن يسألوا أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها أو أن المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال وتمثيلهم
بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر أن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر
بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من أبوابها إذ ليس في العدول بر فباشروا
الأمور من وجوهها واتقوا الله في تغيير أحكامه والاعتراض على أفعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا
بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه الذين يقاتلونكم
قيل كان ذلك قبل أن أمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه
الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان
والنساء أو الكفرة فإنهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الأول ما روي أن
المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع
من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا يفوا لهم ويقاتلوهم
في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال وبقتال المعاهد
والمفاجأة به من غير دعوة إلى الإسلام والمثلة وقتل من نهيتم عن قتله إن الله لا يحب
المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل أو حرم وأصل
الثقف الحذق في إدراك الشيء علما كان أو عملا وهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل
فيها قال فإما تثقفوني فاقتلوني فمن أثقف فليس إلى خلود وأخرجوهم من حيث أخرجوكم
أي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة أشد من القتل أي المحنة التي يفتتن
بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل
معناه شركهم في الحرم وصدهم إياكم عنه أشد من قتلكم إياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فإن قاتلوكم فاقتلوهم

ولا تبدءوا بالقتال لهم ثمة فإنهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى
يقتلوكم عليكم فإن قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو أسد كذلك جزاء الكافرين
مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فإن انتهوا عن القتال والكفر فإن الله غفور رحيم يغفر
لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان
فيه نصيب فإن انتهوا عن الشرك فلا عدوان إلا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين إذ
لا يحسن أن يظلم إلا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم أو سمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أنكم إن تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الأمر عليكم
والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية
في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا أن يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر
بذلك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه أي كل حرمة وهو ما يجب
أن يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا
عليهم عنوة واقتلوهم إن قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار فلا تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم واعلموا أن الله
مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم وأنفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الإمساك ولا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة بالإسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه فإنه يقوي
العدو ويسلطهم على إهلاككم ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال لما أعز الله الإسلام
وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت أو بالإمساك وحب المال
فإنه يؤدي إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الأصل انتهاء الشيء في الفساد
والإلقاء طرح الشيء وعدي بإلى لتضمين معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالأيدي الأنفس
والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة أي لا توقعوا أنفسكم في الهلاك
وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بأيديكم أو لا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها فحذف المفعول وأحسنوا
أعمالكم وأخلاقكم أو تفضلوا على المحاويج إن الله يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما
تامين مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من
قرأ وأقيموا الحج والعمرة لله وما روى جابر أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال
لا ولكن أن تعتمر خير لك معارض بما روي أن رجلا قال لعمر إني وجدت الحج والعمرة

مكتوبين على اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدتهما
مكتوبين بقوله اهللت بهما لجواز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال
على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما
من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او
ان يكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه
عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله تعالى فاذا
امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله لا حصر الا حصر العدو وكل منع
من عدو او مرض وغيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عليه السلام من كسر او عرج فعليه
الحج من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت
الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر
او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح
هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي
من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح
تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث
الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث
يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة رحمه الله
يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم
مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة او قمل او صداع ففدية فعليه فدية
ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه
عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم
ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصوع فاذا امنتم
الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب
الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته
باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره
بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج فلا يأكل منه وقال ابو حنيفة رحمه الله انه دم

لنسك

نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال
به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة رحمه الله في اشهره بين الاحرامين والاحب ان
يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثرين
وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله
الثاني ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعةً بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة
فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين
وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة
العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة
كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها
من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة لانه لا متعة ولا قران
لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد
الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا وان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في
حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله
في المحافظة على اوامره ونواهيه خصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه
كي يصدكم به عن العصيان الحج اي وقته كقولك البرد شهران اشهر معلومات معروفات
وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة رحمه الله وذو الحجة
كله عند مالك رحمه الله وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه
او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة
وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض
مقام الكل واطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن
عندنا وبالتلبية او بسوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان
من احرم بالحج لزم الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن
حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة
في الحج في ايامه نفي الثلثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت
مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج

عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على
معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف
في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف
بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي
عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم
التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون
فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس
واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم
بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرأوا عن كل شيء سوى الله وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب
الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان
تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ
ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء
الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت
الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة
وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيها العلمية والتأنيث لان تنوين
الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين
من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التأنيث اما ان يكون بالتاء
المذكورة وهي ليست تاء التأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث
او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل
لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام
فلما ابصره عرفه او لان جبرئيل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان
آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك
وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان
الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة الذكر المأمور واحة
وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل الامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء

وقيل

جزم صاحب الكشاف بالارتجال لعدم تحقق استعمال
معل فيه ويجرد ان نسبته فاسالما الاستعمال
لا يكفي في اثبات [illegible] وانما وقع القاضي فيه لتغيره
عبارة الكشاف حيث قال وتعليل الارتجال
لان المعرفة لا توجد في اسماء الاجناس الا ان
يكون جمع عارف فتوهم القاضي ان الاستثناء
من الدعوى وانما هو من الدليل [illegible] كبري زاده

وقيل بصلاة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما
بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر
يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا
حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام
مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما
هديكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية
او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان
هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين
ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش
كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم
لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل
من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر
اي الناسي يريد آدم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه
واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب
المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها
فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة
وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم
ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى
فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه الذكر على ضعف
بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى
او كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم
لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا
ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا
اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه
مقصور في الدنيا او طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني

الصحة والكفافة وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب
النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة
الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة
الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار مثلة
للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه
وهو جزاؤه او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي
الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم
في مقدار لمحة او يوشك ان تقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب
الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين
ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده
اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله
ومن تأخر فلا اثم عليه ومن تأخر في النفر حتى رمي اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة رحمه الله
يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجل والتأخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية
فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام
لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله
في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق
ومن الناس من يعجبك يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله
بسبب المتعجب منه قوله في الحياة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب
المعاش او في معنى الدنيا فانها مرادة من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك
قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه
لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق
لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون
جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق
الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين
كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها

ويهلك

عو قوله وقبل طلوع الفجر معطوف على قوله في ثاني ايام التشريق وعطفه على بعد تكلف لان اليوم الثاني منقطع عند الليل ... فتكبر

اعترض عليه ابن الدليس افعل التفضيل ... بالاشد واجيب بانه حمل على المعنى فان الكعي ... شديد الخصومة خصومته اكمل جماعه

ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زرعهم واهلك
مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشؤمهم القطر فيهلك
الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله
اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من
قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار
العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص
بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه
يبيعها اي يبذلها في الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله
طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه
ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا
عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل
هذا الشرى وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم
كافة السلم بالكسر وبالفتح الاستسلام والطاعة وكذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه
ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق
حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال الشاعر السلم تأخذ منها ما رضيت به
والحرب تكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا
والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني
اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله تعالى
كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام
واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان
بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم
من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز
لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء
بعده الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره وبأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او
يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة

كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كهلال من الغمام السحاب الابيض وانما
تاتيهم العذاب منه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر
اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة
فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة بباسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل
او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه
وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرا ابن كثير
وابو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على انه من الرجع وقرا ابن عامر على البناء للفاعل
بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل
بني اسرائيل امر للرسول عليه السلام او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم
من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء
وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء
على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آياته فانها سبب
الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف
والتاويل الزائغ من بعد ما جاءته بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض
بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد
العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا
حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها
والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين
على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية
والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين
كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم
على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية منه والذين اتقوا فوقهم يوم
القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين ولانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم
يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله
من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء

بغير

يحتمل ان يكون من افعال الرجوع محلا حالي رحمه الله

قال صاحب الكشف تم الكلام عند قوله ويسخرون من الذين آمنوا ثم ابتدأ فقال والذين اتقوا فوقهم والذين اتقوا مبتدأ وفوقهم خبر اي فوقهم في الحجة والقهر والغلبة

في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى
كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس عليهما السلام او نوح
او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب
الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر
والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد
انه انزل مع كل واحد كتابا فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب
من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله والنبي المبعوث
او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق
او الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل
مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما
لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف
من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي عليه السلام والمؤمنين بعد
ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها للانكار ولما ياتكم ولم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك
جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم الباساء والضراء
بيان له على الاستيناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرا نافع
يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء
له لتاخره الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا
لهم الى طلبتهم من عاجل النصرة وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض
الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري
كان شيخا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت

قيل عموم النبيين لا ينافي رجوع ضمير بعضهم الى بعضهم كقوله تعالى وبعولتهن احق بردهن فان الضمير مرجعيات الى هي بعض المطلقات العامة المذكورة سابقا

سيجيء في النص طريقة تخصيص اللفظ العام بقرينة الخصوص ولا يخفى ان التخصيص ههنا تكلف لا حاجة اليه مرحط طاشكبري زاده

قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق
واجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال
عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير
وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه
وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه
طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه
كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله
حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان
الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو
جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا
ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان
الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روي انه عليه السلام
بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عير قريش
فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة
الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد
عليه السلام الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب
السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى وعن ابن عباس
لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام فالسائلون
هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال
من الشهر وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر انه منسوخ
بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف
والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم
وصد وصرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات
وكفر به اي بالله تعالى والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دواد
اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله

وكفر

قال في الكشاف وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة قال التفتازاني يعني اذا كانت [illegible] في الفرض ويمكن ان يقال عموم كلمة ما في قوله ما انفقتم يقتضي كون الوالدين والاقربين مصارفا للزكوة ايضا فلعله يريد لفرض الزكوة موضعها المخصوصة المختصة بمصارف مخصوصة حيالي رحمه الله

اي ما يتجوز به رعي السعي على تسمية المفعول باسم المصدر [illegible]

وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء
في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم
النبي عليه السلام والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطاء وبناء على الظن وهو
خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل مما يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك افظع مما
ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة
الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله
حتى ادخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته
على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب
الشافعي رحمه الله والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهي لغة فيه في الدنيا
لبطلان ما تخيلوه وفات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والآخرة بسقوط الثواب
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت
ايضا في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان في تحقيق
الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب
ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطاء وقلة احتياط
رحيم باجزال الثواب والاجر يسئلونك عن الخمر والميسر روي انه نزلت بمكة قوله ومن ثمرات
النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا ونفرا
من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها
قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرأ
قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من
يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا
فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحى بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر فنزلت

انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر
خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلى كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه
يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب
والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد
سمي به القمار لانه اخذ مال الغير ميسرا او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله
قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير حيث يؤدي الى الانتكاب عن المأمور به وارتكاب المحظور
وقرئ حمزة والكسائي بالثاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة
الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما
اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان
المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر من ابطال
مذهب المعتزلة ويسألونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق
والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة
وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي
ان رجلا اتى النبي عليه السلام ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني
صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فخذفها خذفا لو اصابه لشجه
ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن غنى كذلك
يبين الله لكم الآيات مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع
النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به
جمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة في امور الدارين
فتأخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك
عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام
بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي
مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم
في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد
من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله

لاعنتكم اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة و
لم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة
ويتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي لا تزوجوهن
من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها
خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه عليه السلام بعث
مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية
فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم
ولكن استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة خير
من مشركة ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عباد الله واماؤه ولو اعجبتكم
بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا
منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي
عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين
والمشركات يدعون الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم
والله يدعو اي اولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما
لشانهم الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة
باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا
او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك
عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوها كفعل اليهود والمجوس
واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر
كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات
الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك
ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض مستقذر يؤذي من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء
في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا
حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود

وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى
ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان
لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم
في رواية ابن عباس يطهّرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فأتوهن فانه يقتضي
تاخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل
من حيث امركم الله اي المأتى الذي امركم به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب
ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى
نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف
بالبذور فأتوا حرثكم اي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث
امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها
في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم
ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطئ واتقوا الله بالاجتناب عن
معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان
بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلوات الله عليه ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره
منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق
رضي الله عنه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة او في عبد الله بن رواحة حلف
ان لا يكلم ختنه بشير بن نعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة
تطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم
عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كما قال النبي عليه السلام
لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك
وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون
للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به
وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله
ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين
الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات

ذات

قوله واللام صلة عرضة قيل يحتمل ان يكون صلة
الفعل ايضا فاوجه الاختصار على انها صلة
عرضة والجواب انه يظهر من المذكور بطريق الاولى
وفيه ما فيه م خط طاشكري زاده

قوله لا اولى ان يقول طلب بركم لان الارادة يستلزم
المراد عند اهل الحق والنهي عام للبار والفاجر
والمصنف غير ما ذكره صاحب الكشاف والله اعلم
صحيح م خط طاشكري زاده

ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي
لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه
كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله
بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل
بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب
فيها والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة
للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن
لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف
على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي
حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر من اربعة
اشهر ويؤيده فان فاؤا اي رجعوا من اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر
او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا
قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما فوقها وحكمه
ان المولي ان فاء في المدة بالوطئ ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الوطئ ان كفر والا
بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم
والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والاخبار ان حكم غيرهن
خلاف ما ذكر يتربصن خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع
الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله
وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء
طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على الظرف او المفعول به
اي يتربصن مضيها وقرء جمع قرء وهو يطلق للحيض كقوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك
وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر
الى الحيض وهو المراد به في الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق
الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها

قوله وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما فوقه
قلت النسخة الصحيحة فما دونها اي فما يجاوزه
من الزيادة على الاربعة للاتفاق من الحنفية
على ان اقل المدة اربعة مع شرط الزيادة
عنده م خط طاشكبري زاده

قوله كما قال الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن اي وقت
عدتهن والجواب ان المراد فطلقوهن مستقبلات
لعدتهن كما يقال لقيته لثلث بقين من الشهر اي
مستقبلات لثلث قال التفتازاني رحمه الله
في حاشية الكشاف هذا لا يدفع التمسك بل
يقويه لانه انما يقال حيث يتصل الفعل باول
الثلث واذا اتصل التطليق باول العدة كان
بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق محسوبا من
العدة وفيه المطلوب وانت خبير بانه كلام مختل
لان وجود العدة لا يدل على ذلك لو سلم اتصاله
للضرورة م خط طاشكري زاده

ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس
فتلك العدة التي امر الله تعالى ان تطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة
القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر
ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل
على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل
بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن
اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية
التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل
والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به واقيم
مقام المضاف المحذوف اي اهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان
التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح
للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن
حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس
وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف
وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض
الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام
حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه السلام
سئل اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة
بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك
بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة
او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الآخر حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب تعليمهم كيفية التطليق
ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا اي من الصدقات روي ان جميلة بنت عبد الله بن
ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعتبه في دين ولا خلق ولكني

اكره

ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض قال الامام الحيض خارج من الرحم لا مخلوق في الرحم قلت يجوز ان يكون في ارحامهن بيانا للمحل حينئذ كما قيل في قوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا م حط طاشكري زاده

اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة
فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت واختلعت منه بحديقة اصدقها
والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم آمرون بهما عند الترافع وقيل انه
خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان
يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة
احكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته
من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود
الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة
في اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها اي فلا تعتدوها
بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة
في التهديد واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق
الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امرأة سألت زوجها طلاقا
في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة روي انه عليه السلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته
فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه
فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه تعالى سماه افتداء واختلف
في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان
تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق
لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان
تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة و
بعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق
حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يستند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره
من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امرأة
رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن
بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين
ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فان طلقها

فان ظاهر السوق يقتضي كون ما افتدت به مما آتوهن على ما لا يخفى م حط طاشكري زاده

مذهب ابن رفيع هو ان الاصل في النهي عن الشرعيات هو الفساد الا ان يدل الدليل على انه للغير فمعنى المنصر محلا تاما وتارة ول م حط طاشكري زاده

ولولا هذا لكان الخلع رابعا او كان التسريح طلقة ثالثة م حط طاشكري زاده

فیه تها السنة ویحتمل ان یفسّر النکاح بالاصابة ویکون العقد مستفادا من لفظ الزوج
والحکمة فی هذا الحکم الردع عن التسرّع الی الطلاق والعود الی المطلقة ثلثا والرغبة فیها والنکاح
بشرط التحلیل فاسد عند الاکثر وجوّزه ابو حنیفة مع الکراهة وقد لعن رسول الله المحلّل والمحلّل له
فان طلقها الزوج الثانی فلا جناح علیهما ان یتراجعا ان یرجع کل من المرأة والزوج الاول
الی الاخر بالزواج ان ظنّا ان یقیما حدود الله ان کان فی ظنهما انهما یقیمان ما حدّه الله وشرعه
من حقوق الزوجیة وتفسیر الظن بالعلم ههنا غیر سدید لان العواقب لا تعلم غیب الظن
ولا تعلم ولانه لا یقال علمت ان یقوم زید لان ان الناصبة للتوقع وهو ینافی العلم وتلک حدود
الله ای الاحکام المذکورة یبیّنها لقوم یعلمون یفهمون ویعملون بمقتضی العلم واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن ای آخر عدتهن والاجل یطلق للمدة ولمنتهاها فیقال لعمر الانسان وللموت الذی
به ینتهی قال کل حی مستکمل مدة العمر ومود اذا انتهی اجله والبلوغ هو الوصول الی الشیء وقد یقال
للدنو منه علی الاتساع وهو المراد فی الآیة لیصح ان یترتب علیه فامسکوهن بمعروف او سرحوهن
بمعروف اذ لا امساک بعد انقضاء الاجل والمعنی فراجعوهن من غیر ضرار او خلوهن حتی تنقضی
عدتهن من غیر تطویل وهو اعادة للحکم فی بعض صوره للاهتمام به ولا تمسکوهن ضرارا
ولا ترجعوهن ارادة الاضرار بهن لان المطلق یترک المعتدة حتی تشارف الاجل ثم یراجعها
لیطول العدة علیها فنهی عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا علی العلة او الحال
بمعنی مضارّین لتعتدوا لتظلموهن بالتطویل او الالجاء الی الافتداء واللام متعلقة بالضرار
اذ المراد تقییده ومن یفعل ذلک فقد ظلم نفسه بتعریضها للعقاب ولا تتخذوا آیات الله هزوا
بالاعراض عنها والتهاون فی العمل بما فیها من قولهم لمن لم یجد فی الامر انما انت هازئ کانه
نهی عن الهزو واراد به الامر بضده وقیل کان الرجل یتزوج ویطلق ویعتق ویقول کنت العب
فنزلت وعنه علیه السلام ثلث جدّهن جدّ وهزلهن جدّ الطلاق والنکاح والعتاق واذکروا
نعمة الله علیکم التی من جملتها الهدایة وبعثة محمد علیه السلام بالشکر والقیام بحقوقها وما انزل
علیکم من الکتاب والحکمة القرآن والسنة افردهما بالذکر اظهارا لشرفهما یعظکم به بما انزل
علیکم واتقوا الله واعلموا ان الله بکل شیء علیم تاکید وتهدید واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن ای انقضت عدتهن وعن الشافعی رحمه الله دل سیاق الکلامین علی افتراق
البلوغین فلا تعضلوهن ان ینکحن ازواجهن المخاطب به الاولیاء لما روی انها نزلت

فی معقل بن یسار حین عضل اخته جمیلة ان ترجع الی زوجها الاول بالاستیناف فیکون
دلیلا علی ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمکنت منه لم یکن لعضل الولی معنی ولا یعارض باسناد
النکاح الیهن لانه بسبب توقفه علی اذنهن وقیل للازواج الذین یعضلون نساءهم
بعد مضی العدة ولا یترکونهن یتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقیل للاولیاء
والازواج وقیل الناس کلهم والمعنی لا یوجد فیما بینکم هذا الامر فانه اذا وجد بینهم وهم راضون
به کانوا کالفاعلین والعضل الحبس والتضییق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بیضتها
فلم تخرج اذا تراضوا بینهم ای الخطاب والنساء وهو ظرف لان ینکحن او لا تعضلوهن بالمعروف
بما یعرفه الشرع ویستحسنه المروءة حال من الضمیر المرفوع او صفة مصدر محذوف ای تراضیا
کائنا بالمعروف وفیه دلالة علی ان العضل عن التزوج من غیر کفو غیر منهی ذلک اشارة
الی ما مضی ذکره والخطاب للجمع علی تأویل القبیل او کل واحد او ان الکاف لمجرد الخطاب
والفرق بین الحاضر والمنقضی دون تعیین المخاطبین او للرسول علی طریقة قوله یا ایها النبی اذا
طلقتم للدلالة علی ان حقیقة المشار الیه امر لا یکاد یتصوره کل احد یوعظ به من کان منکم یؤمن
بالله والیوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلکم ای العمل بمقتضی ما ذکر ازکی لکم انفع واطهر من دنس
الآثام والله یعلم ما فیه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمکم والوالدات یرضعن اولادهن
امر عبّر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فیختص بما اذا لم یرتضع الصبی الا من امه
او لم یوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستیجار والوالدات تعمّ المطلقات وغیرهن وقیل
یختص بهن اذ الکلام فیهن حولین کاملین اکده بصفة الکمال لانه مما یتسامح فیه لمن اراد ان
یتم الرضاعة بیان للمتوجه الیه الحکم ای ذلک لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بیرضعن فان
الاب یجب علیه الارضاع کالنفقة والام ترضع له وهو دلیل علی ان اقصی مدة الارضاع
حولان ولا عبرة به بعدهما وانه یجوز ان ینقص عنه وعلی المولود له ای الذی یولد له یعنی الوالد
فان الولد یولد له وینسب الیه وتغییر العبارة للاشارة الی المعنی المقتضی لوجوب الارضاع
ومؤن المرضعة علیه رزقهن وکسوتهن اجرة لهن واختلف فی استیجار الام فجوّزه الشافعی
ومنعه ابو حنیفة ما دامت زوجة او معتدة النکاح بالمعروف حسب ما یراه الحاکم ویفی به وسعه
لا تکلف نفس الا وسعها تعلیل لایجاب المؤن والتقیید بالمعروف ودلیل علی انه تعالی لا یکلف
العبد بما لا یطیقه وذلک لا یمنع امکانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصیل له

وتقرير اي لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب لا تضارُّ بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين لا تضارر
بالكسر على البناء للفاعل والفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء
من صلته اي لا تضر الوالدة بالولد فتفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار
بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها
تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق
فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له
رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة
من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب
الشافعي رحمه الله اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه
المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وقيل عصبته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب
على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا
عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشورة استخراج الرأي من شرت
العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا
ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع لاولادكم
يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول
الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد
ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم
الى الصلوة وقرأ ابن كثير ما أتيتم من أتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم
عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط
محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح
للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون
بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا
اي وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان
بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور

والايام

والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت
عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في
غالب الامر يتحرك لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة اشهر ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد
عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي
تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها
لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال
اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن
اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب
وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم
ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به
من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك
لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل
وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة
بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة
او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم اي اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه
تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة
فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن
اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه مما يسر ثم عن العقد لانه
سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة بالسر المواعدة بما يستهجن
الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن
مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا
وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة
تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق
والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي لا تعزموا
عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ

الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما
لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم
لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق
قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي
ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي لم تجامعوهن وقرا الكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم
في جميع القرآن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض
تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية
الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة
غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة
ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي
الوجوب على الجملة في الاخريين ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة
في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى رأي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة ومن المقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق
به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك
وقال ابو حنيفة رحمه الله هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك
فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج
والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم
وقرا حمزة وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع
والمروة حقا صفة متاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون
الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا
وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر
حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح
المنفي ثمة تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات
فلا يأخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون
علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر ان ههنا ونصب

المعطوف

اشارة الى ان العطف على المجزوم الا ان المعنى
الواو ولو سلم فيجوز ان ينفي على تقدير حرف
نفي آخر فيؤول الى عموم النفي فتأمل من خط طاشكبري
زاده

المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله
عما يعود اليه بالتشطير فيسوق اليها المهر كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير
مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك
اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يريد الوجه الاول
وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا
اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق
استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنها وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها
قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تنسوا ان
يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات
بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج
لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا
وهي صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع
الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت
افضل لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل
والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر
النهار وقيل بين جهريتين واقعتين في طرفي الليل وعن عائشة انه عليه السلام كان يقرأ والصلوة
الوسطى وصلوة العصر فيكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب
على الاختصاص وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين
وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا
فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل ورجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب
الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن
الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم
ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية
او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية
لازواجهم قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين

يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين
يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه
وقرأ ابن كثير ونافع والكسائي وابو بكر بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون
اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب
بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأ لانه بمعنى التمتيع غير اخراج
بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اى غير مخرجات
والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا
بالسكنى والنفقة وكان ذلك فى اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو
وان كان متقدما فى التلاوة فهو متأخر فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى
لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابى حنيفة فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة
فيما فعلن فى انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه
لم يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة
وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات متاع
بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد
بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير
لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة
ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد وتكرار القصة كذلك اشارة الى ما سبق
من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل
والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها
الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير
ولم يسمع فانه صار مثلا فى التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل
واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من
قضاء الله وقدره او قوما من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله
ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل
متألفون جمع آلف او الف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا

ای

اى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر
الله تعالى ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم
قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى
اليه نادهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا
انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعريض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام
للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم
لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغى ويجوز ان يراد بالشكر
الاعتبار والاستبصار وقاتلوا فى سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر
لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففى سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان
الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذى يقرض
الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذى صفة ذا او بدله واقراض الله
مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس
او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله فيضاعفه له
فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام
حملا على المعنى فان من ذا الذى يقرض الله فى معنى ايقرض الله احد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع و
ابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثيرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا
جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثانى لتضمين المضاعفة معنى التصيير او المصدر
على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما
اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملأ
من بنى اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اى
من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبى لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا
نقاتل فى سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم
نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما
ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل
بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع

استفهام عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا الا
نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال
وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان
جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا
على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين
وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت
علم عبراني كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم عليه السلام
لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون
له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال
والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت
كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت
النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق كثير
قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم
لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله
وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة
امور السياسة وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو
ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال راسه
وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع
الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا
منه حجة على انه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت
الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول
لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما
في الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب
نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون

لكم

لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى عليه
السلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه
من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف
التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل فيه صور
الانبياء من آدم الى محمد عليهم السلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم
والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى
وآل هارون رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما
والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى
فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا
فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت
خمس مداين فتشاموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت
ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عليه السلام وان
يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال
العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال
لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان
الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم
معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن
لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت
لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي عليه السلام
الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية
بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل
دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل
في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا
قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة
وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة آلاف وقيل الفا روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته

ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي الى الجهاد وهكذا الدنيا
لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله
اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه وعلموا انهم يستشهدون عما قريب
فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا
في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن
الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس
من فاوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين
بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ
علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب
بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض
الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم
بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشا ابو داود في عسكر
طالوت مع ستة من بنيه وكان داود عليه السلام سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى
الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمته في الطريق ثلثة احجار وقالت
له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله
الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد
وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل
على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف
بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض ولفسدت الارض لشؤمهم وقرأ نافع هنا وفي الحج
دفاع الله تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت
واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق
الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها
من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة
او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه

اي من صنعة الدرع ونسج حبل وكلام النمل شيخ زاده

بمنقبة

بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلام
كلم الله موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما
بون بعيد وقرئ كلم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه
ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد عليه السلام
فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب
الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين
بهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل
ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن
مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره
وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره
ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من الرسل من بعد ما جاءهم
البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم
من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا
كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية
دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان
اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا
كان او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان ياتي
يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص
من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه
اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلموا على شفعاء
يشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع
او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون
يريد والتاركون للزكوة هم الظالمون الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه
وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان ومن
لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون

الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف فى انه
هل يضمر للا خبر مثل فى الوجود او يصح ان يوجد الحى الذى يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له
فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدايم القائم بتدبير الخلق
وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم
النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس بنائم
والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة
بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة
عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفى للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس
او نوم كان مؤوف الحيوة قاصرا فى الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفى الجمل
التى بعده له ما فى السموات وما فى الارض تقرير لقيوميته واحتجاج به على تفرده فى الالوهية
والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا فى حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله
له ملك السموات والارض وما فيهن من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه
وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان
يعاوقه عنادا ومناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل
المستقبل وتستدبر الماضى او امور الدنيا وامور الآخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه
او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل
عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشئ من علمه من معلوماته الا بما شاء ان
يعلموا وعطف على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتى التام الدال على وحدانيته
وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسى فى الحقيقة
ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه مأخوذ من كرسى العالم والملك وقيل جسم بين
يدى العرش ولذلك سمى كرسيا محيطا بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات
السبع والارضون السبع مع الكرسى الا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل
تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو فى الاصل اسم لما يقعد
عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله

مأخوذ

[Margin:]
ازواله فى الحصر للا يوجد ضلع ابتعد
ولا اما هو اصغر منه
احمد طاشكبرى زاده

قياس المبالغة يقتضى ترتيب القرآن اذ المراد
اعلم انه لا يغلبه السنة ولا النوم الذى هو
فوقها فى الغلبة قلت الظاهر ان المراد بالاخذ
مبدأه اعنى العروض لا منتهاه اعنى الغلبة
فالمعنى والله اعلم لا يعرض له السنة ولا النوم
فحينئذ لا يوجد معنى الترقى فيحتاج الى ما ذكره
القاضى فان قلت فاى قرينة على ان يراد بالاخذ
معنى العروض دون الغلبة قلت لان نفى الغلبة
ربما يجتمع مع عروضها واللايق بمقام التنزيه نفى
العروض المستلزم لنفى الغلبة فتأمل للمولى
الفاضل طاشكبرى زاده

مأخوذ من الأود وهو الاعوجاج حفظهما اى حفظه السموات والارض فحذف الفاعل
واضاف المصدر الى المفعول وهو العلى اى المتعالى عن الانداد والاشباه العظيم
المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل الالهية
فانها دالة على انه تعالى موجود واحد فى الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته
موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور
لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعترى الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول
والفروع ذو البطش الشديد الذى لا يشفع عنده الا من اذن له عالم الاشياء كلها جليها
وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده
شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام
ان اعظم آية فى القرآن آية الكرسى من قراها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو سيئاته
الى الغد من تلك الساعة وقال عليه السلام من قرا آية الكرسى فى دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه
من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ فى
مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه فى الدين اذ الاكراه
فى الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه لكن قد تبين الرشد من الغى تميز الايمان
من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة
الابدية والكفر غى يؤدى الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت
نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة فلم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار
فى معنى النهى اى لا تكرهوا فى الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم او خاص باهل الكتاب لما روى ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث
ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى يا رسول الله ايدخل بعضى النار وانا انظر فنزلت
فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة
الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل
فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق
وهى مستعارة لمتمسك الحق من النظر الصحيح والرأى القويم لا انفصام لها لا انقطاع

[Margin:]
فلا يكون منسوخا لانهم خصصوا انفسهم ببذل الجزية
كذا فى شروح الكشاف
وانت خبير بان قوله جاهد الكفار الآية عام
لاهل الكتاب وليس كل كتابى ذميا لا فى زماننا
ولا فى زمانه صلى الله عليه وسلم وما روى عن النظار
انه قبل نزول آية السيف اللهم الا ان يقال المراد
اهل العدل والذمة فانه يكتب غالب
مرحط طاشكبرى زاده

لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد
على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امورهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت
في علمه انه يومن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول
الوساوس والشبه المودية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر
او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما
يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد
والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل
نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب
لا يأبى تعلق قدرته تعالى وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد
وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المومنين تعظيم لشأنهم الم تر الى الذي
حاج ابرهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك لان آتاه اي
ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك
عاداني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله
الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه على الوجه الثاني
ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحيوة والموت في الاجسام وقرأ حمزة رب بحذف الياء
قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل وقرأ نافع انا بالالف قال ابرهيم فان الله يأتي
بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابرهيم عن الاعتراض على معارضته
الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة
عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى
ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابرهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك
وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك
الذي تدعوا اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابرهيم الكافر
والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم
محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره او ارايت

مثل

مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير
والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام
الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي
حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابرهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي
كاحياء الله الذي مر وقيل هو عزير بن شرحيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع
نمرود والقرية هي بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف
وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة
حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق
الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا او استبعادا ان كان كافرا
وانى في موضع النصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام
فالبثه ميتا مائة عام او اماته الله فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل
هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك
او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل
الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على
الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان
واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت
واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي
وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه
عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقرأ حمزة والكسائي لم يتسن بغير الهاء في الوصل وانظر
الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف
كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك
آية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه
فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع
الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة
وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها

اي في تصحيح عطف كالذي على ربي الذي
واما ان الم تر لا يدخل على مثل هذا في معناه فقد دفعه
ان الم تر على معنى ارايت فتأمل مرحوم طاشكبري
زاده

او نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام
اى انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى
وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده
تقديره فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير قال اعلم ان الله على كل شئ قدير فحذف
الاول لدلالة الثانى عليه او ما قبله اى فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائى قال اعلم
على الامر والآمر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت واذ قال ابرهيم رب
ارنى كيف تحيى الموتى انما سأله ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمروذ انا احيى واميت
قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمروذ هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم و
انتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى
قال اولم تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرف
الناس فى الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبى
اى بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحى والاستدلال
قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة
وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف
التى هى صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل
المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص
الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمى به او جمع كصحب
فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شياتها لئلا تلتبس عليكم
بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها
وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرّهن
بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وعنه فصرّهن من التصرية
وهى الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اى ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التى
بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة وقرأ ابو بكر جزؤا بضم الزاى حيث وقع ثم ادعهن
قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روى
انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها

على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن
فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان
يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى ينكسر سورتها فيطاوعنه
مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم
عليه السلام ويمن الضراعة فى الدعاء وحسن الادب فى السؤال انه تعالى اراه ما اراد
ان يريه فى الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز
لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة فى كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله
كمثل حبة اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف انبتت سبع
سنابل فى كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب
كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب
منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضى وقوعه وقد يكون
فى الذرة والدخن وفى البر فى الاراضى القوية المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة
لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن ثم تفاوتت الاعمال فى
مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر
انفاقه الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزل
فى عثمان فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف
فانه اتى النبى عليه السلام باربعة آلاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من
احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق
وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه
وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا
قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاحه او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل
او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما
صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غنى عن انفاق بمن وايذاء حليم عن
معاجلة من يمن ويؤذى بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر

كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضا الله ولا ثواب الآخرة او
مماثلين الذي ينفق رئاء والكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب
على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاق رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل
صفوان كمثل حجر أملس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا أملس نقيا من التراب
لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي
ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله وان الذي خاضوا فلج دماؤهم
والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى
على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم
ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق
الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا
للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية
النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان
بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح
وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ
ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل
والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة
امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي
يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير
القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة
ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير
تحذير عن الرئاء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة للانكار ان تكون له جنة من نخيل
واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيهما من سائر
الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها
على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن

فان

فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف فكأنه قيل
ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب
فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار
ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل
الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرئاء وايذاء في الحسرة والاسف اذا كان يوم
القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شأنه واشبههم به من جال
بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور
والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم
تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم
من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب
والثمار والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردي
منه اي من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه كثير وقرئ ولا تأمموا
ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون
الضمير للخبيث والجملة حال منه ولستم بآخذيه اي وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته
الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا
على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره
فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته
الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر
بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي
البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة
ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الآخرة والله واسع اي واسع
الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول
اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناه للمفعول لانه المقصود وقرأ
يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين
وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات او ما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله

في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب
الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية
في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه
فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون
الصدقات ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان
تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون
وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروي
عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء
فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره
افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا
وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم
قراءة ابن عامر وعاصم في رواية حفص اي والله يكفر او الاخفاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة او
اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما عطفا
على محل الفاء وما بعده وقرئ وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله
بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هديهم لا يجب عليك ان تجعل الناس
مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى
وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها
تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به
غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكأنه قال وما
تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله
اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي
وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة او ما يخلف
المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا
من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان

ينفعوهم

ينفعوهم فنزلت وهذا في غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون
اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه
للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون
لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة
من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا
يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم وقرأ
ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم
بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسألون الناس
الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني
من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين
كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر
تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية
وقيل في علي لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا
ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر
محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين يأكلون الربوا
اي الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شائع في المطعومات
وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان
يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت
الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان
يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس اي
الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو

متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذى لهم بسبب اكل الربوا او بيقوم
وبتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى
فى بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك
العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه
استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا
وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة
تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل
الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس بمعارضة النص فمن جاءه موعظة
من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهى عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهى فله ما سلف
تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما فى موضع الرفع بالظرف ان جعل ما موصولة وبالابتداء
ان جعلت شرطية على راى سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه
على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شانه ولا اعتراض لكم
عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه ويربى الصدقات
يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة
فيربيها كما يربى احدكم مهره وعنه ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرتضى ولا يحب
محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك فى ارتكابه ان الذين آمنوا بالله
ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة عطفهما على ما
يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم
يحزنون على فايت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم
على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روى انه كان لثقيف
مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب
من الله ورسوله اى فاعلموا بها من اذن بالشئ اذا علم به وقرا حمزة وعاصم فى رواية ابن عياش
فآذنوا اى فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم
وذلك يقتضى ان يقاتل المربى بعد الاستتابة حتى يفئ الى امر الله كالباغى ولا يقتضى كفره

قال المحقق الرضى وان قلنا ان حرف الشرط مقدر
قبل كلماته كما هو مذهب سيبويه فكلماته اذن
معمولة لفعل مقدر يفسره ما بعده ابدا سواء
مرفوعة او منصوبة وما حرف الشرط لا يدخل
الا على فعل ظاهرا او مقدر كما جئ فى قسم الافعال
انتهى من خط طاشكبرى زاده

روى انها نزلت قال ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء
واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان
ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما نقلناه اذ المصر على التحليل مرتد
وماله فئ وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اى وان كان الغريم
ذا عسرة فنظرة اى فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهى الانظار وقرئ فناظره على الخبر
اى فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الامر اى فسامحه
بالنظرة الى ميسرة يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ
بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا وان
تصدقوا بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذون
لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصديق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل
مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتأهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو
ويعقوب بفتح التاء ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص
ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبرئيل وقال ضعها فى رأس
المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين
يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم
بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين
ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون
مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق
وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس المراد به السلم وقال لما حرم الله
الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو
فى الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجئ مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع
ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق
او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها لقوله تعالى واحسن كما احسن الله
اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهى عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان يتعلق

الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي
عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله
ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما املى عليه فان كان
الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان
يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره
ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو
دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا
شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو
دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار
بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد
رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص
عند ابي حنيفة رحمه الله ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما
الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها
الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل اشعار بنقصان
عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب
فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا
لما شارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ولا تملوا من كثرة مداينتكم
ان تكتبوه الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال
عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب
او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط
عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط
واقام على غير القياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت
في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره
واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح
الا تكتبوها استثناء من الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين

وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا
لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا
ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا
ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم
هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة
وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين
ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف
والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج
عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار
وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه
ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلث
لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه
ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان
مقبوضة اي فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا
التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه
في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان
مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه
غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان
الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الداينين واستغنى بامانته عن الارتهان
فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي
ايتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء في التاء وهو خطاء لان المنقلبة عن الهمزة
في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة
ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي
يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه و
نظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال

وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب
كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان
تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه
يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن
يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما
ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط
ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم بنا
في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا يدغم الا في مثله والله
على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة
وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير
الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين
وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه
عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرا حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن
او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شايع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب
اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله يقولون لا نفرق وقرا يعقوب لا يفرق بالياء على ان
الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه
في سياق النفي كقوله وما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق
بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب
غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها
الا ما يسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها
لقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت
من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص
الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاعتمال في الشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله
واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان

او خطاء

او خطأ من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب
كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي
الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا ويجوز ان يدعو الانسان
به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطأ
والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف
الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا
او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس
وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم
من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي
بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد
ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثاني واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا
بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم
الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي
انه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين
من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قراهما بعد العشاء الآخرة
اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه
وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي
يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها
فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة
عليها لتدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف
كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم تحرك
في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء

ناظر الى اول التفسيرين لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله او من التكاليف الى ثانيهما ... زاده

فان قيل التخليص عن وقوع التكليف بما لا يطاق علم من قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فما معنى السؤال بعده قلنا معناه ما بينه حلبي المص في تفسير قوله تعالى لا تؤاخذنا ان نسينا او نقول قوله او من التكاليف الخ تفسير بملاحظة وجه الثاني في تفسير قوله تعالى لا يكلف الله نفسا فتأمل من خط مولى الفاضل شيخ زاده

ويجوز ان يكون المراد بالسحرة ... عليه السلام ان من البيان لسحرا ... يعني ان البلغاء لا يقدرون على ... بلوغها الى حد الاعجاز

معنى عدم استطاعتهم تلك السورة انهم مع حذاقتهم لا يوفقون لتعلمها والتأمل في معانيها والعمل بما فيها ولا يبعد ان يقال لن تستطيعها عند ما قرئت فان قراءتها يفضحهم ويبهرهم ويبطل سحرهم وسترهم خيالي رحمه الله

بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلث
سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه
وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق
في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب
وانزل التوریة والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما
بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس
من ابنية العرب وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع القرآن ونافع
وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه يقرأ بالفتح وكسره الباقون من قبل من قبل تنزيل القرآن
هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل
الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل والزبور او القرآن
وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه
وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله
من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب
ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد
جئ به تقريرا للتوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا
عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء اي شئ كائن في العالم
كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وقدم الارض
ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا
وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية
والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم
لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز
الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فانه
وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا
لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس

امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات
محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء
ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد
بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات
معالي الدرجات واما قوله تعالى الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى
وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ
واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه
ان القياس ان يعرف ولم يعرف الا انه في معنى المعرف او عن آخر من فاما الذين في قلوبهم
زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل
ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم
بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى
الاتباع مجموع الطلبين او كل واحد منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم
الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين ثبتوا
وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا
ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره
غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به استئناف موضح لحال الراسخين او حال
منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا
اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به
للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث
انها في تصوير الروح بالعلم وتزيينه وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب
عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب
له غير الله تعالى فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة
اب ومن غيرها وانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا
من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه
بتاويل لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان

شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ قلوبنا فيها بعد
اذ هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته
اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك
او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل
على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك
جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء
نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف
الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به
الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط
بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا
العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او من طاعته على معنى
البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب
آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك
او استيناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر
دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن والذين من قبلهم عطف على آل فرعون
وقيل استيناف كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير
حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة
تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون
يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان
ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا
لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده لهم بقتل قريظة واجلاء بني النضير
وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما
على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استيناف
وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود
وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم

مثليهم

مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكانوا قريب الف او مثلي عدد
المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا
عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى
المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم
الله به في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب
بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على
البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية
ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اي
في التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية
ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي
البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات
مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين
هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة
الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه من اسباب التعيش وبقاء
النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور
واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة
والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة
والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكره والله عنده
حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية
بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله
خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات
ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان

من الله قراءة عاصم في رواية ابي بكر في جميع القرآن بضم الرآء ما خلا الحرف الثاني
في المائدة وهو قوله رضوانه سبل السلام وهما لغتان والله بصير بالعباد اي عالم باعمالهم
فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه
الآية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله كقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها
الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة
للمتقين او للعباد او مدح منصوبا او مرفوعا وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل
على انه كاف في استحقاق المغفرة والاستعداد لها الصابرين والصادقين و
القانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب
فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها
على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت
الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار
لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال
كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها
اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين
قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين
وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة بالاقرار
واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد
قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمته وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها
ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او عن هو
والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة
للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ
القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء
بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف
بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة
لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة

فيقول

فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة
وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة
مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع
الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان
فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر
وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى
لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب
الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه
آخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم
موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي
بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة
لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم
فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت
نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه
الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى
والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب
والاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ااسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة
ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله تعالى فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة
فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك
البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد
ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط
من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء واتباعهم
وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة
وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون ومنع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك
قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح

يعني ان شهد في معناه الذي يتضمن فعلين وجعل
عاملا في المبدل باعتبار فعل ضمني وفي البدل
باعتبار فعل آخر كذلك و ان القول بالتضمين
الاصطلاحي اي قائلا انه عاملا ان فالحالان
بمنزلة المبدل والمبدل منه فتامل من خط
طاشكبري زاده

والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض
او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد
صلوات الله عليه وكتاب الله القرآن والتورية لما روى انه عليه السلام دخل مدراسهم فقال
فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت فقال على دين ابرهيم فقالا له
ان ابرهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت
فى الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة
السمعية حجة فى الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب
وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة
ذلك اشارة الى التولى والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم بهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم فى دينهم
ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى
وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب
فيه استعظام لما يحيق بهم فى الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روى ان
اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد
ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط
وان المؤمن لا يخلد فى النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون فى النار ولا قبل دخولها فاذن
هى بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه فى معنى كل انسان قل اللهم
الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام
التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بالخير فخفف بحذف حرف النداء
ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك
وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتى الملك من تشاء وتنزع
الملك ممن تشاء تعطى منه ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان
منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء
فى الدنيا او فى الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شئ

فيه بحث فانه يجوز ان يكون ضمير بينهم لليهود والرسول
كما فى القراءة المشهورة بلا فرق م حط طاشكبرى زاده

قوله وفيه دليل وفيه بحث ان المستدل عليه حال
ابرهيم انه يهودى ام مسلم وانه ليس من الاصول
اللهم الا ان يراد بالاصول غير العمليات تامل
م حط طاشكبرى زاده

قيل الصواب ان يقول كل انسان كما قاله صاحب
الكشاف لتضمنه توجيه التذكير وتوجيه
الجمع بعبارته م حط طاشكبرى زاده

وقيل اصله يا الله امنا ورد بانه لا يستقيم فى مثل
اللهم العنه واهلكه كذا ذكره التفتازانى ولكن ان
يقال القصد بالخير بطريق اجابة الدعاء لا ينافى
سرايته بالدعاء على الغير م حط طاشكبرى زاده

قدير

قدير ذكر الخير وحده لانه المقضى بالذات والشر مقضى بالعرض اذ لا يوجد شر جزئى ما لم
يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب فى الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روى انه عليه
السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة
عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله يخبره فاخذ المعول منه فضربها
ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا فى جوف بيت مظلم
فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم
ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال
اضاءت لى قصور صنعاء واخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون
الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم
انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شئ
قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى
وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار
والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز
وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول فى مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما فى
الآخر بالتعقيب والزيادة والنقص واخراج الحى من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها
واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر
من المؤمن وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا فى الله
او عن الاستعانة بهم فى الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى انهم
الاحقاء بالموالاة وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اى اتخاذهم
اولياء فليس من الله فى شئ من ولايته فى شئ يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين
لا يجتمعان قال تود عدوى ثم تزعم اننى صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان
تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه
فى معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا فى الاوقات
كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز قال عيسى عليه السلام كن وسطا

واخش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه و
موالاة اعدائه وهو تهديد عظيم يشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه
عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه
يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات
وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم
عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه فكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي
محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية
الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها
او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر
نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت
من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن
الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه
كرر للتوكيد والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة
بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فيرجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه
والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله
وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه
فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته
والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب
عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة
على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه
روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران
قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله
فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي

فالمعنى تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
محضرا فيكون من باب العطف على المفعول الاول
كما في قولك علمت زيدا فاضلا وعمروا فقيها
من باب الاقتصار على المفعول الاول كذا
في حاشية التحرير التفتازاني وقيل عليه كلام
ارباب المعاني صريح في ان مثل زيد قائم وعمرو
من قبيل حذف الخبر فيلزم الاقتصار بالضرورة
واقول فرق بين المفعول والمعطوف على المفعول
وعليه بنوا احكاما كثيرة وقد نص في المفصل
على ان المانع عدم اشتمال الكلام على ما يحتاج
[illegible] المفعول لا في المعطوف على المفعول
شكري زاده

والمضارعة

والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم
وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي
محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم
وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا
على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك
ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابرهيم اسمعيل و
اسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلوات الله عليه وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران
بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اشعيار
بن ابي يوزه بن زربابل بن سالبا بن يوحنا بن وشا بن اموز بن ميشكر بن حازقا بن
احاد بن يوثام بن عوزيا بن يوزام بن ساقط بن ايشا بن راحيم بن سليمان بن داود
بن ايشا بن عويد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياذب بن رام بن حصرون بن
فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض
حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح يعني انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض
وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة
من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم
فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع لقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة
عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت
فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون
فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته
ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا
للعبادة ونصبه على الحال روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي في ظل شجرة اذ رأت
طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا
ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا
النذر مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا فتقبل
مني ما نذرته انك انت السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها

انثى الضمير لما في بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان
تأنيثه علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل مؤنث كالنفس والحبلة
وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره
والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استئناف من الله تعظيما لموضوعها
وتجهيلا بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعتُ على انه من كلامها تسلية
لنفسها اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعتِ على خطاب الله لها وليس
الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت
واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت
فيكون اللام للجنس واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت
ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم
في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك
اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه
الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها
فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر
بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذاير وهو اقامتها مقام الذكر وتسلمها من امها عقيب
ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد
ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم
وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها
عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم
فطفى قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف
اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اي اخذها في اول امرها حين
ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها
زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عباس على ان الفاعل هو الله تعالى
وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا

كلما

كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها
سمي به محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس
وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق
عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى
لك هذا من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل
جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند
الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من
الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به
وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من الله روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت
عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله
يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل
ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك
دعا زكريا ربه في ذلك المكان والوقت او يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة
مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر
وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لي
من لدنك ذرية لانه لم يكن على الوجوه المعتادة والاسباب المعهودة انك سميع الدعاء
مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده
وقرأ حمزة والكسائي فناديه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائم بالصلوة
ويصلي صفة قائم او خبر او حال آخر او حال عن الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله
وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك
ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي
بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر
او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان
فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي

روى انه مرّ فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين
ناشيا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لى غلام
استبعادا من حيث العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد
بلغنى الكبر ادركنى كبر السن واثر فىّ وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة
وامرأتى عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل
ما يشاء اى يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز
عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك
الله مبتدأ وخبر اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدأ
محذوف اى الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لى آية علامة اعرف
بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس
ثلثة ايام اى لا تقدر على تكليم الناس ثلثة ايام وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص
المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر
واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرك ومنه
الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم
جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله
متى ما تلقنى فردين ترجف • روانف اليتيك وتستطارا • واذكر ربك كثيرا فى ايام الحبسة
وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح
بالعشى من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار
من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان
الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن
انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى
لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها
من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها
عما يستقذر من النساء والثانى هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات
السنية كالولد من غير اب وتبرئتها عما قذفته اليهود وبانطاق الطفل وجعلها وابنها آية

للعالمين

للعالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين امرت بالصلوة فى الجماعة
بذكر اركانها مبالغة فى المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك فى شريعتهم
او للتنبيه على ان الواو لا يوجب الترتيب او ليقترن اركعى بالراكعين للايذان بان من ليس
فى صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى امن هو
قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع
والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اى ما ذكرنا من القصص من الغيوب
التى لم تعرفها الا بالوحى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم قداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم
التى كانوا يكتبون بها التورية تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان
طريق معرفة الوقايع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقى
ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه
يلقون اقلامهم اى يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا
فى كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون
على ان وقوع الاختصام والبشارة فى زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان
الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة
كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من
المسيح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم فى موضع او مسحه جبريل
ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت تميز تمييز الاسماء
نظمت فى سلكها ولا ينافى تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان
الذى يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز
ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل عيسى بن مريم والخطاب لها
تنبيها على انه تولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب
وجيها فى الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة وهى وان كانت نكرة لكنها موصوفة و
تذكيره للمعنى والوجاهة فى الدنيا النبوة وفى الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل
اشارة الى علو درجته فى الجنة او رفعه الى السماء وصحبته للملائكة ويكلم الناس فى المهد
وكهلا اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمى به

ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة
المتنافية اشارة الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال رابعة من كلمة او ضميرها
الذي في يكلم قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر تعجب او استبعاد عادى
او استفهام على انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبرئيل
او الله تعالى وجبرئيل حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة
الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة
من غير ذلك ونعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة
لهمها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب
الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم
باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم
او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق كانه قال وناطقا بانى قد جئتكم وتخصيص
بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم انى اخلق لكم من الطين
كهيئة الطير نصب بدل من انى قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هى انى اخلق لكم والمعنى
اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير وقرأ نافع انى بالكسر فانفخ فيه الضمير للكاف
اى فى ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه
من الله لا منه وقرأ نافع ههنا وفى المائدة طائرا بالالف والهمزة وابرئ الاكمه والابرص
الذى ولد اعمى او الممسوح العين روى انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق
منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوى الا بالدعاء واحيى الموتى باذن الله كرر باذن
الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تأكلون
وما تدخرون فى بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها ان فى ذلك لاية لكم
ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين
ومصدقا لما بين يدى من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار
فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا كقولك جئتك متعذرا ولاطيب قلبك
بعض الذى حرم عليكم اى فى شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل
فى السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا

للتورية

للتورية كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة
بيان وتخصيص فى الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اى جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهى قولى ان الله
ربى وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين النبى والساحر او جئتكم
باية على ان الله ربى وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله
قد جئتكم باية من ربكم اى جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها
الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات
الباهرة فاتقوا الله فى المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع فى الدعوة واشار اليها
بقوله المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق
الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة
الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين
الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل امنت بالله
ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصارى
الى الله ملتجيا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصارى مضمنا معنى
الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم الى الله فى نصرى وقيل الى ههنا بمعنى مع او فى
او اللام قال الحواريون حوارى الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات
للحضريات لخلوص الوانهن سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم
وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب
اى يبيضونها نحن انصار الله اى انصار دينه امنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم
القيامة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع
الشاهدين اى مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم
او امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس ومكروا اى الذين احس منهم الكفر من اليهود بان
وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى
قتل والمكر من حيث انه حيلة فى الاصل يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى
الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال

الضر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع
ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك
من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع
نائما او مميتك عن الشهوات العايقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله
سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي
ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من
آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك
وشوكة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلب المخاطب على الغائبين فاحكم
بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا
والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم تفسير للحكم
وتفصيل له وقرا حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة
الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه عليك من الآيات حال من الهاء
ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب
بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن
وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم اي شانه الغريب كشان آدم خلقه من تراب
جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما به الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من تراب بلا اب
وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب
ثم قال له كن فيكون اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب
ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدا
محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدا من ربك خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين
خطاب للنبي على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه
في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالراي والعزم
ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة
اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه

المحل بقوله فاحكم بينكم وعليه اعتراض ظاهر وهو
ان الحكم المرتب على الرجوع الى الله الذي
يكون في الآخرة كيف يفسر بعذاب شديد
في الدنيا واجيب عنه بوجوه اربعة ذكرها النحرير
التفتازاني في حواشيه واقول لا يبعد ان يتعلق
قوله في الدنيا والآخرة بقوله شديدا شديدا
لا مر الشدة والوجه غير خفي [illegible] زاده

ويحارب

ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة
واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين
عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قال العاقب وكان
ذا رايهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله
ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله
وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا
دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان
يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية
الفي حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى
الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبا
عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبران وهو فصل يفيد ان ما ذكره في شان عيسى ومريم
حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها
ان تدخل المبتدا وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا للرد
على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة
والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم وهو
وضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد
للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل الى فساد العالم قل يا اهل الكتاب
يعم اهل الكتابين وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها ان لا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة
ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه
اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله
ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا
بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال
عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون

بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي
لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب
وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد
وحسن الترتيب في التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاقب عليه من الاطوار المنافية
للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع
من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك
طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما
لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا
بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده
تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله
فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى
وكان ابرهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون
فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف
تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة
للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية
والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له في كتابكم
من دين ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أانتم على الاستفهام
للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد اقل مدا وقنبل
بالهمزة من غير الف بعد الهاء والباقون بالمد والهمزة والبزي بقصر المد على اصله والله
يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح
بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله و
ليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين
تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابرهيم
ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه
من امته وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ وهذا النبي

بالنصب

قال الشيخ الفاضل رشيد الدين سألت مولانا برهان الدين المطرزي الم تكن كلمة بلى اليق بهذا الموضع لانه ايجاب بعد النفي فكتب في الجواب هذا محمول على المعنى لان الاستفهام من النفي اثبات

فيه تأمل لان ما لهم به علم ان كان خلاف ما جادلوا عليه كما هو الظاهر المفهوم من عنادا ايراد عليه ان قوله تعالى فلم تحاجون لا ينتظم مع السابق حينئذ لان انكار غير المنصوص المعلوم دون انكار المنصوص المعلوم ولا يلايمه قوله او تدعون وروده لان دعوى ورود ما لم يرد في الكتاب مع المجادلة على الخلاف ليس بمعقول وان كان عين ما جادلوا عليه فالجدال في المعلوم المنصوص ليس سبب الحماقة ولا يلايمه قوله عنادا لكن اختار الشيخ بان الجدال مع الشئ الثابت عنده بالآيات الباهرة ولو في المنصوص في كتاب آخر حماقة لان ذلك المنصوص يحتمل النسخ والتأويل على ما لا يخفى وقد يختار الاول ويجاب بان الحماقة هو الجمع بين الجدال الباطل والتجاوز منه الى الاخر ولا يخفى ما فيه وعدم ملايمته لقوله او يدعون
من خط طاشكبري زاده

بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم
ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود
لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم
الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم
وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطقت
به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون انها آيات
الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما و
قرئ تلبّسون بالتشديد وتلبَسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام
كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمون وقالت
طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان
بالقرآن اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا
بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما
لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا
الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر
تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا
فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم
فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته
عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان احد والمعنى
ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا
لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى
الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر
ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرأ ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع
وتؤيد الوجه الاول اي لان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فتكون من كلام

الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم
عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند
ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده
اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم
من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر
دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في
القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على
رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك
الاداء المدلول عليه بقوله بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي
ليس علينا في شأن من ليسوا من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون
على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم
من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما
اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي
عليه السلام انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت
قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل
من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى
مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من واشعر
بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي
ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء
بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا
اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم
يوم القيامة او لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله
ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات

نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب
اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد وحكم الامانات
وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف
لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او
ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون
السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه
الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على
الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه
بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله
تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا
تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي
من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا
يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نأمر بعبادة
غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك
كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله
ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين
والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل
في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب
وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد
والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من
التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة
المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا بالنصب ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول

فإن نأمر به اما واجب او مندوب وكلاهما عبادة
الله فبقي الاعم اقول وبه يندفع كلام النحرير لكن
مع الكلام في الوضوء المأمور به على مذهب
الحنفية وقوله طاهر حالي رحمه الله

ويكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرأ ابو عمرو على اصله برواية الدوري باختلاس الضم ايأمركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل وسماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا قال أاقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة أفغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير

فهمزة يطلب عنه معنى الانشائية لئلا يلزم عطف الانشاء على الاخبار والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ٢

وقل لهم

وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول صلوات الله عليه بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما تعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل تعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره ولعل الدين ايضا الاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن

وعدي انزل هنا بحرف على وفي البقرة بحرف الى لوجود معنى الاستعلاء والانتهاء جميعا في الانزال لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الانبياء فجاء باحد المعنيين تارة وبالآخر اخرى
الشيخ رحمه الله

فيه بحث اذ الاقتضاء انما لو لم يكن الاستثناء بقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك تأمل
من خط طاشكبري زاده

فانه مجزوم معطوف على محل منصوب بتوهم الجزم لولا الفاء كانه قيل لو اخرتني الى اجل قريب اصدق واكن
من خط طاشكبري زاده

لا يعرف الحق لعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يذكر هما لدلالة
الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك
اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا
في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحارث
بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان اسئلوا هل لي توبة فارسل
اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد
والقرآن او كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه
والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم
نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون
او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في
شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة لان توبتهم لا يكون الا نفاقا
لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون
على الضلالة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا
لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء
الشيء ما يملأه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف
ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض
ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به
في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان
للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم
شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه
الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق
لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي
هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل
الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت

جاء

جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها حيث اراك الله
فقال بخ بخ ذلك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة
بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة فقال زيد
انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك
يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق
الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين
وما تنفقوا من شيء اي من اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم
بحسبه كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو
مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى
لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا
فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج
به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل
ان تنزل التورية اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا
وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتان بان قالوا لسنا
اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى
الامر الينا فحرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول موافقة ابرهيم
بتحليله لحوم الابل والبانها قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم
وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه السلام
لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب
ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم
من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون
من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض لكذبهم اي ثبت ان الله
صادق فيما انزل وانهم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي
هي في الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف

قد تقرر عندهم ان البيانية يحتمل الظرف مستقرا
صفة لنكرة وحالا عن معرفة ولا تطرد جهة الصحة
ههنا الا بحذف مفعول يبين على احد الوجهين
وانه تكلف ظاهر من خط عسكري زاده

والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها لابرهيم ومن
تبعه فماكان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب فى التوحيد الصرف
والاستقامة فى الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود
ان اول بيت وضع للناس اى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله
تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذى ببكة للبيت الذى ببكة وهى لغة
فى مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هى موضع المسجد ومكة
البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روى انه عليه
السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل
كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه قوم جرهم ثم
العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس فى الطوفان ثم بناه ابرهيم
وقيل كان فى موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح ويطوف به الملائكة فلما اهبط
امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع فى الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة
السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد انه اول بالشرف لا بالزمان مباركا
كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن
فى الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال
فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان
ضوارى السباع تخالط الصيود فى الحرم فلا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء
قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتدأ محذوف
خبره اى منها مقام ابرهيم او بدل من الآيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان
على ان المراد بالآيات اثر القدم فى الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها
بهذه الآية من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه
الوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع
بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله
كان آمنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه فى معنى
امن من دخله اى ومنها امن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن

من

من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام
حبب الى من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما
فى الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال النبى عليه
السلام من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند ابى حنيفة من لزمه القتل
بردة او قصاص وغيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس حج البيت
قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائى وعاصم فى رواية حفص حج بالكسر
وهى لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعى انها بالمال
ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك
انها بالبدن فيجب على من قدر على المشى والكسب فى الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع
الامرين والضمير فى اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشئ فهو سبيله ومن كفر فان الله
غنى عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك
قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج
فى هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه فى صورة الاسمية وايراده
على وجه يفيد انه حق واجب لله فى رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح
بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء
فانه فى هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه
لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط
لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات
والاقبال على الله روى انه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب
الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس
ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اى باياته السمعية والعقلية
الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب
دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون
بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم

التحريف والاستتار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن
كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل
واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه
الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا
الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله
ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا
بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيها عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله
ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها
سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال وانتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم
ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية
الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الآية
صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي
فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم
بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا
وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بين قلوبكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من
عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول
صلوات الله عليه وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب
اظهار الجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف
تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع
لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك
بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ
الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم
وعن ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان تنزه
الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن
طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت الواو المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة
والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام
اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال وغيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل
تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله
بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل
من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب
للسلامة عن التردي والوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين
عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او ولا تتفرقوا
تفرقكم في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا ولا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة
واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التآلف
وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم
بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين
لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها
الله بالاسلام والف بينهم برسوله عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار مشرفين
على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم
منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة
فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر و
حذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون
ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية
ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام

ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام خاطب الجميع وطلب
فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل
بعضهم وهكذا كل ما هو فرض الكفاية او للتبيين بمعنى كونوا امة تأمرون بالمعروف كقوله
كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح
دينيّ او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام
للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه السلام
سئل من خير الناس فقال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم
للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب
كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب
عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب آخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد
ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي
فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة
ولقوله من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك لهم
عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كناية عن ظهور
بهجة السرور وكآبة الحزن فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة
وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم
وهم المرتدون واهل الكتاب كفروا برسول الله بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار
كفروا بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل و
الآيات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما
الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة
تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته
وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم ولكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه

جنة

حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتأكيد كانه
قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده
ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين
اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه
المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي
كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله
وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت
للناس اظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بيّن به كونهم
خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان
به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم
لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا
به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم امرين
بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان
امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان
خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون
المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم
الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم
بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفى اضرارهم
سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه
يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة
فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ
كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر
النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله
وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة
الاحوال الا معتصمين او متلبسين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين

او بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا به
مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب
على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب
الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء
بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا
وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر
يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة
في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم
واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المنازل والضمير لاهل
الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة
المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات
الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القران في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات
الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب
لا يصلونها لما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال
اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم
الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات
آخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين
بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته
مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اي
الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه
وثناه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك
كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمينه معنى الحرمان وقرأ
حفص وحمزة والكسائي وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله
عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز
عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله

شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار
ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا ما ينفقون الكفرة قربة
او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشائع
اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به
البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي
فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه
بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة
وهو من التشبيه المركب لذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث
ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون
اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها
او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة
وقرئ ولكن اي ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشأن لانه لا يحذف
الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة
وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار
قال النبي عليه السلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين
وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا
لا يقصرون لكم في الفساد والألو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين
كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع والنقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة
الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون
انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار
قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين
ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان يكون
الثلث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء الخاطئون
في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطأهم في موالاتهم او هو خبر ثان او خبر لاولاء
والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز

ان ينصب او لا يفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله
بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون
بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب
منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ
من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام
الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات
الصدور فيعلم ما في صدوركم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي قل
لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل
لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم
من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا
على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم
شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب
بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ
ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما تعملون من الصبر
والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم عليه وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم
عالم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة رضي الله عنها
تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف
للقتال واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد
صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين
نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله ابن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار
اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا
ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر مجلس
وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين

واشار

واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها
خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في درع
حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين
فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس
لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال
لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب
من احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى
صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا
اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا
روي انه عليه السلام خرج في زهاء الف رجل ووعد لهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط
انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري
وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه
فعصمهم الله فمضوا مع رسوله والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما
عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل
المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم
الله ببدر تذكير لبعض ما افاده التوكل وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى
بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم
بضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم به
عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام
لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان
قوله لهم يوم احد كان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن
الغنائم وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف
من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين
من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف

من الملائكة ثم صار ثلاثة آلاف ثم صار خمسة وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد
للتكثير او التدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر
والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون
من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير
للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم
ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتأخير مسومين معلمين من التسويم
الذي هو اظهار سيماء الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة
قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم و
يعقوب بكسر الواو وما جعله الله اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم
الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله
لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم
به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث
على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر
ويخذل بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق
بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين
وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم يخزيهم
والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين
فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم
ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم
ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة
عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان تكون
او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم
فتتشفى منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم
عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم
فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله

ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له
والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا
اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان
الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال
المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم
تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم
وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة
واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في
في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى جعل خبر له وسارعوا بادروا
واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص
وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضها
وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن
عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت
لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة
مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حال الرخاء والشدة
او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة ومضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق
ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة
من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم
غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأه الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس
التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء
في امتي قليل الا من عصمهم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين
يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون اشارة اليهم والذين فعلوا فاحشة
فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة
الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك

ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم
والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين
والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد
بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه
السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال
من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم
وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة
مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة
للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار
للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم
ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك
فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك
لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله
ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه
وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة
والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات
قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة
الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأوا
مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا
بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت
او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين
او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة
وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا
عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم
شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم

في

في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في
العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان
صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح
فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون
بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى ان
اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى
بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان
المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس
نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما
نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف
والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين
آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة
فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف
تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله
ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان
وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم
ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات
والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين
وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا
لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة
عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان
تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما يجاهد بعضكم
وفيه دليل على انه فرض على الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل
وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار
ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون

ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة
والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل
ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه
معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا
لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افإن مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت
او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان
يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله
بن قميئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير
وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال
قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الى
عباد الله فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركون وتفرق الباقون
وقال بعضهم ليت عبد الله بن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين
لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك
يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا
على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل
حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه
وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كأنس واضرابه وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيته تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه
والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتأخير
الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي موقتا لا يتقدم
ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان

المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على
النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب
الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم
شيء عن الجهاد وكأين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين
اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاع ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة
كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأي ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى
الفا كما ابدلت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء
او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه
ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات
النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم
من قتل النبي او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو
واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف
من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع
له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه السلام والله يحب الصابرين فينصرهم
ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم
ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة
لما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب التثبت في مواطن الحرب
والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم
خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار
واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة
وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين

عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان
واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول
على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير
بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي
في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا
القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان
شئت فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا
وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر
والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به
ما لم ينزل به عليهم سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل به عليهم سلطانا
وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله
والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر
موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر
وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون
يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه
اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف
العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا
ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر
الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام
العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة
ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم
حتى حالت الحال فغلبوهم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا
عنكم تفضلا لما علم من ندمهم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو
او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق
بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال صعدنا

من مكه

من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول
يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم
في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف
على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل
والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول وفجازاكم غما بسبب غم اذقتموه
رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فات
وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم
من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام
فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا
على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم
وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل عليكم الامن حتى اخذكم
النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط
من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا
بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين
بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من
الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة
المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او
ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى
لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر
اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدل له وهو الظن المختص
بالملة الجاهلية او اهلها يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر
من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل
بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا
من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي
الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء

ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كلّه بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم
ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون
النصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض
وهو بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان لو كان لنا من الامر شيء كما وعد
محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نبرح كما كان
رأي ابن أبيّ وغيره ما قتلنا ههنا لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم
في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدّر الله عليهم القتل
وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدّر
الامور ودبّرها في سابق قضائه لا معقّب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحّص ما في صدوركم
ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علّة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف
على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمّة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحّص
ما في قلوبكم وليكشفه ويميّزه او يخلّصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها
قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمييز المؤمنين
ويظهر حال المنافقين ان الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلّهم الشيطان
ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان
طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة ومخالفة
النبي فمنعوا التأييد وقوّة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب
ذنوب تقدّمت لهم فان المعاصي يجرّ بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلّهم بذكر ذنوب
سلفت منهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم
واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوّتهم
اتفاقهم في النسب والمذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة
او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزّى جمع غاز
كعاف وعفّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا
مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة

مثلها

مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد
ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة وذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل
الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان
مخالفتهم ومضادتهم مما يغمّهم والله يحيي ويميت ردّ لقولهم اي هو المؤثر في الحيوة والممات
لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله
بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء
على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرأ نافع
وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب
القسم وهو سادّ مسدّ الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدّم الاجل
وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا
ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله
تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجتكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون
فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة
وما مزيدة للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه
وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتمّ لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيّئ الخلق جافيا غليظ القلب
قاسيه لانفضّوا من حولك لتفرّقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص
بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان
يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت
فاذا وطّنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح
لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمتُ على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعيّنته
لك فتوكل عليّ ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح
ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم
احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه
فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير
عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصّوه بالتوكل عليه لما علموا ان

لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان
النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية
والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر
فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز
للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة
في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلايع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم
على من معه ولم يقسم للطلايع فنزلت فيكون تسميته حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا
ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول
والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة
يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل
نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب
لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله
فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب
عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي
ومأويه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى
ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت
في الثواب والعقاب او هم ذو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها
صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول
من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم وقرئ لمن من الله على انه
خبر مبتدأ محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم
عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين
به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبايل العرب
وبطونهم يتلو عليهم آياته اي القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم ويطهرهم
من دنس الطباع وسوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان

الشان كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد
اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة على ما سبق من قصة
احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم
مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين
واسر سبعين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما
اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات
والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء
يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب
منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يوم احد فباذن الله
فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم
الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف
على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم
للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا
الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه
قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه
ليس بقتال بل القاء الانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه
دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول
امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة لاهل الايمان اذ كان
انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
يظهرون خلاف ما يضمرون لا يواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه
تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا
بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب
على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله
على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من
جنسهم وقعدوا حال مقدرة بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا

كالم تقتل وقرأ هشام ما قتلوا بالتشديد في الثاني قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم
صادقين اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن
انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن عن القتل فان
اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا
للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت
في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل
احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول
الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا
بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء
عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتيهم الله من فضله
وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة
ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين
لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم
يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال
من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها
خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل
المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه
وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية
وما روى ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد
انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك
ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال لتحققه
ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث
على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح
يستبشرون كرره للتوكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون
الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه

كقوله

كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر
المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استيناف
معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة
واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة
للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته
ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين
كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء
ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج
في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع
جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا
على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال
لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق
عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد ولانه
انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان
واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان
شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر
الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون
المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود
وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون
فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا
فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين
راكبا وهم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال
او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا
بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم فاظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده
وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله

الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه
النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم تجعل فان اليقين
يزداد بالالف وكثرة التامل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه
اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا
رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله
عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها
سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي
هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت
وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة
على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة
من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم
الشيطان يريد به المثبط نعيما وابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان
لشيطنته او صفته وما بعده خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير
مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين
عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان
واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني
وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مومنين فان الايمان يقتضي
ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون
فيه سريعا حريصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام
والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله
شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا
يحتمل المفعول والمصدر يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة نصيبا من الثواب
في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان
كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم
الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان

عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم
عذاب اليم تكرير للتاكيد وتعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد
من الاعراب ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر
على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن
الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان
الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت
متصلة في الامام فاتبع وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء
على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر
وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه
اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة
للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح
وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد
الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير
ان انتهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو
اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه
حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى
لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه
باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون
منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم
وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان ليؤتي
احدكم على الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء
فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله
بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين

لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحى اليهم روى ان الكفرة قالوا ان
كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدى انه عليه السلام
قال عرضت على امتى واعلمت من يؤمن بى ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم
انه يعرف من يؤمن ومن يكفر ونحن معه لا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان
وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتيهم الله
من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق
مفعولاه اى ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل
الفاعل ضمير الرسول ومن يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا
لدلالة يبخلون عليه اى ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اى البخل شر لهم لاستجلاب
العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان لذلك والمعنى سيلزمون
وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدى زكوة ماله الا جعل
الله له شجاعا فى عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما
يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله والله يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقون فى سبيله
بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم
وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى بالتاء على الالتفات وهو ابلغ فى الوعيد
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذى
يقرض الله وروى انه عليه السلام كتب مع ابى بكر رضى الله عنه الى يهود بنى قينقاع
يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا
فقال فنحاص بن عازورا ان الله فقير ونحن اغنياء حين سال القرض فلطمه ابو بكر
وقال لولا بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله
فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء
بغير حق اى سنكتبه فى صحايف الكتبة او سنحفظه فى علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ
هو كفر بالله او استهزاء بالقران والرسول عليه السلام ولذلك نظمه مع قتل الانبياء
وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجتراء على قتل الانبياء لم يستبعد منه
امثال هذا القول ونقول ذوقوا عذاب الحريق اى وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب

المحرق وفيه مبالغات فى الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع
يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب
على قولهم الناشى عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل
المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك
اشارة الى العذاب بما قدمت ايديهم من قتل الانبياء وقولهم هذا وساير معاصيهم
عبر بالايدى عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف
على ما قدمت وسببية للعذاب من حيث ان نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى
اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيى و
فنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا فى التورية واوصانا الا نؤمن
لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة
الخاصة التى كانت لانبياء بنى اسرائيل وهو يقرب بقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل
نار سماوية فتأكله اى تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل
النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات شرع فى ذلك
قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب
والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه
فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان
لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به فى معجزات اخر واجترءوا على قتله فان كذبوك فقد كذب
رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول من تكذيب
قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشىء اذا حسنته
والكتاب فى عرف القران ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة
متعاطفين فى عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ
ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات
بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت
بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون
جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيامة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية

يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة
في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز
الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل
الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى
اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي
يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب
بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن
في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر
والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن في الدين
واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال
ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة
امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التي
يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي
على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب
يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابي عمرو
وعاصم في رواية ابن عباس بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه
اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه
ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه
جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام
الدنيا واغراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل
ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول ومن ضم الباء

يعني انه استعارة محسوس لمعقول لان المستعار منه
القار الشيء خلف الجامع الزوال غرامشاهدة
وجعله من باب التمثيل على سبيل الاستعارة
اقرب من اعتبار الاستعارة في المفردات
م المفتاح وشرحه للشريف

جعل

جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله
فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان
الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق
بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء
وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان
يدل عليهما مفعولا مؤكده وكأنه قيل لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم
بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله
الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سأل اليهود عن شيء مما
في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه وأروه انهم قد صدقوا وفرحوا بما فعلوا فنزلت
وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في التخلف و
استحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى
المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو
يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب
لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة
الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه
الثلثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه
اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او
الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن
قرأها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات
كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة
فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيآت الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام
لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء
فهو حجة للشافعي رضي الله عنه في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم
بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات

كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدل على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليس في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول عليه السلام وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا اي بان آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبايرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغايرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكباير وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر سأل ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء

ان اراد العذاب المتعلق بالاعمال الروحية فالامر ظاهر وان اراد المعنى المشهور فوجه الاشعار ان السورة قرينة على ان المراد بادخال النار التعذيب الروحاني وفيه ما فيه مرحوم حاشكري زاده

ولو سلم اللزوم فانما يقتضيها لعدم الدخول لا للخروج الا انه لا قائل بالفصل على ان ظاهر اللفظ عام له وان سبق في امر خاص مرحوم حاسكري زاده

عاقبه

عاقبة او قصور في الامتثال وتعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم اي طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او الاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى الآخرة تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشاير للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعة قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي والمراد امته وتثبيته على ما كان عليه كقوله ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته

في جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا في جنب الآخرة الا مثل ما
يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم ترجع ثم مأويهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله
النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعر الضبي
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا. جعلنا القنا والمرهفات له نزلا. وانتصابه
على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها
نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله
وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل في اربعين
من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل
في اصحمة النجاشي لما مات نعاه جبرئيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى
عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني وانما دخلت اللام على الاسم
للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين
خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا
قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر
ووعده في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه
بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر
الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين
آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا
اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب اعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى
وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور
مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام من الرباط انتظار
الصلوة بعد الصلوة وعنه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام
شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون
واتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل
المقامات الثلث المرتبة التي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس

في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها
بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران
اعطي بكل آية منها امانا من جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ السورة التي يذكر
فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس تغريب

سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم وخلق منها
زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منها امكم حوا من ضلع من اضلاعها
او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من
نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من
تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن
وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى
على هذه الصفة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة
الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد للامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق
اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف
مبتدا تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم بعضا
فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم
وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك
مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ
حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدا
محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه
اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش
تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا
وآتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتايم

صرح في التلويح وغيره ان قولك آتوا اليتامى
اموالهم وقت البلوغ مجاز باعتبار ما كان فان
العبرة بحال النسبة لا بحال التكلم فالورود للتبليغ
على كل حال تأمل من خط عاسكري زاده

ثم غلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كأسرى لانه من باب الآفات ثم جمع
يتمى على يتامى كأسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار
لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورود في الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب
عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم
ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكأنه قال
وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا كان من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ
له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ
بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال
من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تأخذوا
الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا اموالهم
الى اموالكم ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال
وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف انه الضمير للاكل
كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا
وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم الا تعدلوا في يتامى
النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات
مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان
خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء
فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج الذنوب كلها
على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كان يتحرجون من تكثير النساء
واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان
خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة
او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانهم وقرئ تقسطوا
بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد
مكررة هي ثنتين ثنتين وثلث ثلث واربع اربع وهي غير منصرفة للعدل والصفة
فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة

باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن
لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك
اقسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز
الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف
في العدد فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا
واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة
او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري
لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري
ادنى الا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار
وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال
الرجل عياله وعاله وعالهم يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على
الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال
الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج
بجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا النساء صدقاتهن
مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال
جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال
نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة
ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء
او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى
نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل
فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه
والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم فان طبن
لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول
رؤبة في قوله كأنه في الجلد توليع البهق اردت كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز
لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل

العدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنئ والمرئ صفتان من هنؤ الطعام ومرأ اذا ساغ من غير غص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنئ ما يلذه الانسان والمرئ ما يحمد عاقبته روي ان ناسا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيأ مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا بجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم المعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمسة عشر سنة عندنا لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وعليه واقيمت عليه الحدود وثماني عشر سنة عند ابي حنيفة رحمه الله وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز

بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس الرشد ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعن النبي عليه السلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل [illegible] نهي للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان فظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تتجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبا وعلى الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس بن صامت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما نورث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيأ من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم لا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء

بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف
بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض
ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة
بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم
لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا
للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين
حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب
الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره
ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم
بالتقوى الذي هو غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول
دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب
او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة
الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي
الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين
او على وجه الظلم انما يأكلون في بطونهم ملأ بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة
انه عليه السلام قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم قال الم تر
الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا سيدخلون نارا اي نارا وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا
وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته القيته فيها والسعير
فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم
في شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع
الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله
والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى
للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن
ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تأويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة

لنسآء

لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى
وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع
على كان التامة واختلف في البنتين فقال ابن عباس رضي الله عنهما حكمهما حكم الواحدة
لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان
حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان
ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء
فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الذكر
ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثان
بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل
وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا السدس
مما ترك ان كان له للميت ولد ذكر او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفريضة
وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب
فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط
وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب فكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان
لها حيث معها احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قال
ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو
خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة
يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس
انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن
له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس
لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة
والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها او دين
متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان
من وصية او دين وانما قال بأو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان
في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي

متأخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع
والدين انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد آباؤكم وابناؤكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم
في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصيكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض
روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة يسأل ان يرفع اليه
فيرفع بشفاعته او ممن يورثكم منهم او من اوصى فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من
لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة من الله
مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما
بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن
ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها
وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن
الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية
توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس
كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة
ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل اي الميت يورث
اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من
الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة
الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس
بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل والرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلثة
وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر
بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست
بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي
كلالة كقولك فلان من قرابتي او امرأة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه
عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه
قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في آخر السورة ان

للاختين

للاختين الثلثين والاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام
فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك
فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة
ومفهوم الآية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن
فخص منه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث
اي غير مضار به
او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال عن فاعل يوصى
المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى بها على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير
وابن عامر وابن عياش عن العاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار
على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية بالاضافة اي لا يضار وصية من الله
وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار
الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام
التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التي هي كالحدود
المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده
يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى
وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر
صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما
جريا على غير من هما له واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة
وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد
عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن
حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك
عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن
بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد
استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس

او النكاح المغني عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية فآذوهما
بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء
واعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك
المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس
ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة انما
التوبة على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب الله عليه اذا قبل
توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفهاء فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل
ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان
قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه الصلوة
والسلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله
تعالى قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع
ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان
الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه
بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب
التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني
تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت
من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها
في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هولاء وعدم توبة هولاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون
السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء
اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم
وبيان ان العذاب اعد لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو
العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم
ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا
احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها
وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان

تأخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ
حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه
ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي اي ولا تمنعوهن
من التزوج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب
مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن
وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين بفاحشة
مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف
والمفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن
لعلة الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل
والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي
فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو
بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم
مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا فهو خير لكم وان
اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن
اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا
منه شيئا اي من القنطار اتأخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي
اتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب
جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد امرأة
جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج
الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل
في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض
انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن
منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شأنهن
بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي عليه السلام بقوله
اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا

التي نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لانه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله

حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ والاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله سبحانه الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه السلام يحرم من الرضاع ما حرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخته من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتها في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب

كانت

كانت ابتدائية وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا للنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم اذا جعلتها للاتصال كقوله اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك ولست مني على ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلوات الله عليه فرق بينهما فقال في رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان تزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رضي الله عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده تقوى الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه جعله شرطا والامهات والربائب تتناول القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس بزنا كالوطي بشبهة او ملك يمين وعند ابي حنيفة مس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنى لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرا الكسائي في جميع القرآن غير هذا الحرف بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن حلائل للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله

فيه ان قيد المنكوحة ليس في محله لان مذهب ابي حنيفة عام على ما صرح به في كتب الفقه فيتامل كذا في بعض النسخ واظنه ليعقوب باشا رحمه الله

وذات حليل انكحتها رماحنا. حلال لمن يبني بها لم تطلق. وقال ابو حنيفة لو سبي
الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الآية والحديث حجة عليه كتاب
الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هولاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع
اي هذه فرايض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي
نصب كتاب الله وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت
ما وراء ذلكم ماسوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات
كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين
غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف
في مهورهن واثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال
واحتج به الحنفية على ان المهر لابد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين
للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه
فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد
عليهن فاتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور
بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح
عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا
من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت
مكة ثم نسخت لما روي انه عليه السلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت
امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وهي النكاح
الموقت بوقت معلوم سمي بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمراة وتمتيعها بما تعطى
وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام
ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات
المومنات في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم
ان يعتلي نكاح المحصنات او ومن لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحراير
لقوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات يعني الاماء المومنات فظاهر الآية حجة
للشافعي في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية

مطلقا

فيه ان اطلاق الآية غير معمول به لانه يقتضي جواز نكاح المملوكة المزوجة في دار الاسلام مع انه لا يجوز بالاتفاق فالفرق تخصيص وتخصيص فليتامل اظنه لمولانا يعقوب باشا

اقول الثمان وهي الامومة نسبا او رضاعا او مصاهرة كمنكوحة الاب وام الزوجة والبنوة نسبا او رضاعا او مصاهرة كحليلة الابن والربيبة والاخوة نسبا او رضاعا والعمومة كذلك والخؤولة كذلك وبنوة الاخ كذلك وبنوة الاخت كذلك ولا حرمة للمصاهرة في هذه الخمس وان منه الجمع بين الاختين م خط طاشكبري زاده

مطلقا واول ابو حنيفة طولا المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو
الوطي وحمل قوله من فتياتكم المومنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المومنات
ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية
دون المومنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد
وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان
فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان
تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد هنا تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف
منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام
فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان
يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية واتوهن اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن
باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر
للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدي اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر
بالمعروف بغير مطل وضرار ونقصان محصنات عفايف غير مسافحات غير مجاهرات
بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج وقرا ابو بكر وحمزة
والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زنا فعليهن
نصف ما على المحصنات يعني الحراير من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة
من المومنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف
ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار
العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح
وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي صبركم عن نكاح
الاماء متعففين خير لكم وقال عليه السلام الحراير صلاح البيت والاماء هلاكه والله
غفور لمن يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام
او ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد
معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد. اردت لكيما يعلم الناس انه
سراويل قيس والوفود شهود. وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد [illegible] له

وجه الاحتجاج على ما في الكشاف انه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم ووجه قول المصنف ان عدم الاشعار لا يوجب الاعتبار بالعدم فيجوز ان يكون هو المولى والوكيل فلا يدل على جواز عقدهن طاشكبري زاده

والظاهر المفهوم من هذا عدم جواز الاداء بغير اذنهم مع انه جائز كما هو المفهوم من الكشاف وكتب الفقه فليتامل اظنه لمولانا يعقوب باشا

ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طرقهم
ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة
او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب
عليكم كرره للتاكيد والمبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع
الشهوات الايتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له
في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات
الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم في اتباع الشهوات واستحلال
المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل له يريد الله
ان يخفف عنكم ولذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق
كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق
الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنه ثمان آيات في سورة النساء هي خير
لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه
ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا ما يفعل الله
بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب
والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي لكن كون تجارة
عن تراض منكم غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة
صادرة عن تراض المتعاقدين وتخصيص التجارة من بين الوجوه التي بها يحل تناول مال
الغير لانه اغلب واوفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود
بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون
تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة والجهة
تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالجوع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده
ما روي ان عمرو بن العاص تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم
او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس
وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية
بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم

ربتما

ربتما يستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان
الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى ما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة
محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهيكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل
او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه
وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف
نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة
مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك
على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب
التي نهاكم الله ورسوله عنه وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم
ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا
او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع
الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار
من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع
وقيل اراد بها هنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكباير الشرك واصغر الصغاير
حديث النفس وبينهما وسايط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت
نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب
على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى
عاتب نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها وندخلكم
مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع الكرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو ايضا
يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه
والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم
الرضى بما قسم الله له وانه تشهي لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما
لم يقدر له معارضة لحكم القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له
بغير كسب ضايع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن

ولم يعلم به وما علم ولم يعلم انه سيحصل لكونه مقدرا
فضايع فقط كتمني المريض المايوس للصحة التي
سيحصلها وخط طاشكبري زاده

بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب
ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان
بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم
لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب واسئلوا الله
من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسئلوا من فضله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو
يدل على ان المنهي هو الحسد ولا تتمنوا واسئلوا الله من فضله ما يقربه ويسوقه اليكم
ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وبيان روي
ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث
ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا
وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا
مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون
استيناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول
الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان على ان جعلنا موالي صفة كل
والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر والذين عقدت ايمانكم موالي
الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض وعن ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح
وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم
نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان
وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت
بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف
كما حذف في القراءة الاخرى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال
قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي
وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال
العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة
والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة

ونحوهما

ونحوهما والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا
من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار
نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فشكا فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا
امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات
بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب
حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك
وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل
لاسرارهم بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد
والتوفيق له او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن
وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ
فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال
واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن
واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون
كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايتة اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير
مبرح ولا شائن والامور الثلثة مرتبة ينبغي ان يدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن
سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن
فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر
عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم
فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه تعالى وتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق
بينهما خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق
الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقولك يا سارق الليلة او الفاعل كقولك
نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه
عليكم حالهما لتبيين الامر واصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح
من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح

وفيه دليل ان الارادة لا يستلزم المراد ولا يقع معه البتة م خط طاشكري زاده

يكفي ذكر الرجال والنساء لان المراد ذكر الازواج والزوجات م خط طاشكري زاده

وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب
للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح
ذات البين ولتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال
مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير
الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بحسن سعيهما الموافقة
بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع
الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه
ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا
وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى
والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب
واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب
البعيد الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار
وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له
حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر
حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل الزوجة وابن
السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان
مختالا متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم
الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع
عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون
الناس بالبخل وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ويكتمون
ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم فهو احقاء بكل ملامة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا
لنعمته فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة
من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر

وفي عدم ذكر من له حق الجوار وحق
القرابة اشارة الى ان حق القرابة
انما يكون بالاسلام
مرحوم طاشكبرى زاده

وقيل

وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رئاء
الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان
البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح
واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان
ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة وقيل
المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرنهم
فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس
واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان
بالنار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم
او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة
والاعتقاد في الشيء خلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الصواب لعله يؤديهم
الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر
فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره
في الآية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثمه وكان الله
بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب
اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال
من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة وان
يكن مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث
وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة
بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
يضعّفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل
زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر
مزيد عليه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم
اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقايدهم وقبح اعمالهم والعامل
في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وعظم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء

شهيداً تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقايدهم واستجماع شرعك
مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين
لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين
كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اى يود الذين جمعوا
بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة فى ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم
الارض كالموتى ولم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا
ولا يقدرون كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان تسوى
بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون
ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء فى السين
وحمزة والكسائى تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو
نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون فى صلوتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع
مأدبة ودعى نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت
صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلى بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة
مواضعها وهى المساجد وليس المراد منه نهى السكران عن قربان الصلوة وانما المراد
النهى عن الافراط فى الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرى سكارى بالفتح وسكرى
على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى او سكرى كحبلى على انها صفة الجماعة ولا جنبا
عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة فى موضع النصب على الحال والجنب الذى اصابته
الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجرى مجرى المصدر الا عابرى
سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اى لا تقربوا الصلوة جنبا
فى عامة الاحوال الا فى السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم او صفة لقوله جنبا اى جنبا غير
عابرى سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر
عابرى سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى وقال ابو حنيفة
لا يجوز له المرور فى المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهى

عن القربان حال الجنابة وفى الآية تنبيه على ان المصلى ينبغى ان يتحرز عما يلهيه ويشغل
قلبه ويزكى نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه عن استعمال
الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لا يجدونه فيه
او جاء احد منكم من الغايط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغايط
المطمئن من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل
الشافعى على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائى هنا
وفى المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء يريد
فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم
اما محدث او جنب والحال المقتضية له فى غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق
ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر من اسبابه ما يحدث بالذات
وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر
فيه مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغايط او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اى فتعمدوا شيئا من وجه
الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزأه وقال
اصحابنا لا بد من تعلق باليد شئ من التراب لقوله فى المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه اى من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض
واليد اسم العضو الى المنكب وما روى انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه
والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا
غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اى
الم تنظر اليهم او القلب وعدى بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا
من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى
او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكارهم نبوة محمد عليه السلام وقيل ياخذون
الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله
اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وبما يريدون لكم فاحذروهم وكفى بالله وليا
يلى امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد فى فاعل كفى

الظاهر انه خارج مخرج الاغلب اذ الغالب
التيمم بالتراب لان التطهير منحصر فيه
حيدر زاده

يؤكد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين
اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا
اي ينصركم من الذين هادوا او يحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه
اي ومن الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها
بازالته عنها واثبات غيره فيها او يأولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله عليه
وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك
وعصينا امرك واسمع غير مسمع مدعوا عليك بلا سمعت لصمم او موت او اسمع غير
مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان
اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه
وانما قالوه نفاقا وراعنا اي انظرنا نكلمك ونفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها
وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المتشابه لما يتسابون به موضع
انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء
والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية
ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان
خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل
ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم الله وابعدهم
عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان
ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله. قليل التشكي للمهم يصيبه.
او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا
مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها
ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الآخرة
واصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطمس في ازالة الصورة ولمطلق
القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها
ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام
يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل

الطمس

وجوهه
حال من النبي عليه السلام اي اسمع وانت
غير مسمع وهو قول ذو وجهين
يحتمل الذم والمدح
فبقرينة المقام حذف
المفعول المخصوص
اشارة الى ان لو انما تدخل الفعل وان مع الاسم
والخبر في معنى مصدر ماخوذ من مضمون الخبر
فاعل لفعل محذوف سعد رحمه الله

ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء
الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت
او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او مسخنا مثل مسخهم او نلعنهم على لسانك
كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات
او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به
مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب
او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع
شيء او وعيده او ما حكم به وقضى به مفعولا نافذا كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان
لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه رتب الحكم على خلود عذابه لان ذنبه
لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك
صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا واول المعتزلة الفعلين
على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء
وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى من آيات
الوعد ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة
والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب
شرك وان صاحبه داخل في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب
ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب
والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاف الم تر الى الذين
يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا
باطفالهم الى رسول الله فقالوا هل على هؤلاء ذنب فقال لا فقالوا والله ما نحن الا
كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من
زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون
تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى
المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون
بالذم والعقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط

الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب
في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه
ماثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعونا اليه محمد
وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون
قريشا على محاربة رسول الله فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا
نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل
في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء
والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم
هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك
الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم
نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد
لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان
لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا
هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء
متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم
لا يؤتون الناس شيئا واذن اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه
الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس
بل يحسدون رسول الله واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة
فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما
شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتيهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب
والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابرهيم الذين هم اسلاف
محمد وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل
ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابرهيم ومنهم من صد عنه
اعرض عنه ومن يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابرهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن

في ذلك توهين امره وكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة
يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا بآياتنا
سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال
عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم
ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة
ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق
حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام
فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب
فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعم التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة
من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان
بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال
لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة
وامره الله ان يرده اليه فامر عليا بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه
ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي
وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان
الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به
او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به و
المخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات
ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين
آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في عهد
الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم

بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله
تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم
انتم واولوا الامر منكم فى شىء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان
ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة
الالتفات فردوه فارجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة
الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف
الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما
يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله
وطاعة الرسول فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت
بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك
ذلك اى الرد خير لكم واحسن تأويلا عاقبة واحسن تأويلا من تأويلكم بالرد الم تر
الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا
الى الطاغوت عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله
عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى الرسول فحكم
لليهودى فلم يرض المنافق بقضائه وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض المنافق بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق
اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق
حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر
فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفى معناه
من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمى بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان
التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به
ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت
جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير
رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر او اسم للمصدر الذى هو الصد

والفرق

والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون فى موضع
الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق والنقمة من الله بما
قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون
للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله
حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن
والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا
ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين
يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب
فاعرض عنهم اى عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم
بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم فى انفسهم اى فى معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح
فى السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافى عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة
فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى
بليغا فى انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول
البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع
باذن الله بسبب اذنه فى طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك
على ان الذى لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقديره
ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته
ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او
التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا
الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت
لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب ولم يقل واستغفرت لهم لان القياس يقتضى هذا
لقوله جاؤك تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب
وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع فى كباير الذنوب لوجدوا الله توابا
رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان
توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اى فوربك ولا مزيدة لتاكيد

اى فى شان انفسهم بالامر باصلاح انفسهم الخبيثة
وتطهير قلوبهم المطوية على النفاق وهدايتها
عن مرض الشرك المبطن   من خط الحكبرى ادام

القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها لا تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى فلا اقسم
بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان
الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل
وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا
من عبادة العجل قرأ ابن عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا
بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما على
الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس
وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن
اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب
على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول
وطاعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد
لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا مما نزلت
في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم
زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء
الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم
احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لآتيناهم من لدنا
اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لآتيناهم
لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس
ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة
اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين
حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس
على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال

الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج
والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على
الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة
والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجتهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم
في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء
اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون
اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا
فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين
القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات
واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معنى
التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق
او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فساله عن حاله فقال ما بي من وجع غير
اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت
الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت
الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك
اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء
المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبره من الله حال والعامل
فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله
يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر
كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات
جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تثبيتا اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع
ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والآية
وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها
كيف ما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن لتحطب لعسكر رسول الله المؤمنين

منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى
ابطأ وهو لازم او يبطئون غيرهم كما بطأ ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من
بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب
محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم
لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم
اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن
اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كان لم تكن بينكم وبينه
مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف
عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال
او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين
وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم تكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم حيث
لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف
اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسمها
ضمير الشان وهو محذوف وقراءة ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب
تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق
للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك
الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا
بالآخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون
الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم
المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب
فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا
لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد
ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان
لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر
لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين

عطف

عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن
العدو او على سبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على
الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار
اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون
الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان
مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان ادعيتهم
اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع
البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه
القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب
الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح
مكة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد
فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما
اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر
ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله
والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغون به الى الشيطان
فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء
الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة
الى كيد الله تعالى للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف
شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله
يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه اذا للمفاجاة جواب لما
وفريق منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر
او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل الخشية الله منه او اشد خشية
عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب
ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى اي كخشية الله او اشد خشية

في الخشية ينبغي ان يكون مصدر يخشون الناس
باعتبار تعلقه بمفعوله والا فلا معنى لتشبيه
المخالفة بالمخوفية م حط طاشكبري زاده

وان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك
الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام
وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع
الله لانه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي انه عليه السلام قال من احبني فقد
احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول
هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى
فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها
انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة
اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات
فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي زورت خلاف
ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان
الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة
بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة
او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم
وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شأنهم وكفى بالله وكيلا يكفيك مضرتهم وينتقم لك
منهم افلا يتدبرون القرآن يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في
ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله اي لو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا
وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع
دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان
القوة البشرية ولعل ذكره هاهنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس
لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف
مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كما يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم
خبر عن سرايا رسول الله او اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما اوحي اليه من وعد بالظفر
او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة

منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون
الناس خشية مثل خشية الله او اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا
عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا
قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم
فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون
لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت قرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل
الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج
مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من
تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة
شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند
الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة
والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اي وان تصبهم بلية كقحط اضافوها
اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها
وغلت اسعارها قل كل من عند الله يقبض ويبسط حسب ارادته فما لهؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه
لعلموا ان الكل من عند الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان
فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله ما اصابك يا انسان من حسنة
من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود
فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت
قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها
بالمعاصي وهو لا ينافي قوله قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة
احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله عنها ما من مسلم
يصيبه وصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان
كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التأكيد

ان

او لتضمين الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه اى ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول
والى اولى الامر منهم الى رأيه ورأى كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء لعلمه
لعلم تدبير ما اخبروا به على اى وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره
بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا
على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم وتعرفوا انه هل يذاع ام لا لعلم
ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اى يستخرجون علمه
من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما تحفر ولولا
فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان
بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق و
الصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل
او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل فى سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك
لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد
وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روى انه عليه السلام دعا الناس
فى بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما تبعه الا سبعون لم يلو احد
وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون وكسر اللام على بناء الفاعل اى لا نكلفك الا فعل
نفسك لا يضرك مخالفتهم لا انا لا نكلف احدا الا نفسك وحرض المؤمنين على القتال
اذ ما عليك فى شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا يعنى قريشا
وقد فعل بان القى فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد بأسا من قريش واشد
تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها
حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم
قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك
مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها
ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو
لها فى القدر وكان الله على كل شىء مقيتا مقتدرا من اقات على الشىء اذا قدر
قال وذى ضغن كففت الضغن عنه • وكنت على اساءته مقيتا • او شهيدا او حافظا

واشتقاقه

واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن
منها او ردوها الجمهور على انه فى السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه
وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهى النهاية واما برد مثله
لما روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك
السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة
الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل
نقصتنى فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله و
ذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها
ومنه ما قيل او للترديد بين ان يحيى المسلم ببعض التحية وبين ان يحيى بتمامها وهذا الوجوب
على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد فى الخطبة وقراءة القرآن وفى الحمام وعند
قضاء الحاجة والتحية فى الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم
والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب
الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعى ان الله كان على كل شىء حسيبا
يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر ليجمعنكم الى يوم
القيمة اى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه او فى يوم القيمة
ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهى قيام الناس
من القبور او للحساب لا ريب فيه فى اليوم او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر
ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب
الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم فى المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم فى امر
المنافقين فئتين اى فريقين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول
الله فى الخروج الى البدو واجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى
لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم وقيل نزلت فى المتخلفين يوم احد او فى قوم
هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او فى قوم اظهروا الاسلام
وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او عاملها ما كقولك ما لك قائما وفى المنافقين
حال من فئتين اى متفرقين فيهم او من الضمير اى فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق

مستفاد من فئتين وقرأ حمزة والكسائي باشمام الصاد الزاء والله اركسهم بما كسبوا
ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشئ مقلوبا
اتريدون ان تهدوا من اضل الله اي تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد
له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون
سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب
التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا
ويحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ولرسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان
تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث
وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم رأسا ولا تقبلوا
منهم ولاية ونصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله
فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم
والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة
هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل
ماله وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي والذين جاؤكم كافين
عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المأمور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق
بالمعاهدين واتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين
يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان
اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف
حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه ان قرئ حصرة صدورهم وحصرات
وحاصرات صدورهم او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت
صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم
او يقاتلوا قومهم اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان
قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم
فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله
لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم

ويامنوا

ويأمنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام
ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر والى قتال المسلمين
اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم
وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث
تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا
حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او
تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شأنه ان
يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ لانه على عرضته ونصبه على الحال والمفعول له اي لا يقتله
في شئ من الاحوال الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا الخطأ او على انه صفة مصدر محذوف
اي الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ
فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او ما لا يقصد به زهوق
الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه
او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية
نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق
وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي
فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشئ ومنه حر
الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة
كما عبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة
الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي
كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي
من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان
يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله
وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي
يجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب
على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير

رقبة مؤمنة اي ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم
ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون وان
كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم
كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا
كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به
اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب
على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي
وتاب عليكم توبة او على حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله
صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم
قال ابن عباس لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه
والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا
اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة
وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود
المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها
الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته
ولا تعجلوا فيه وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين من التثبت هنا وفي الحجرات ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
السلم بغير الالف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت
ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا
تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل
لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك
كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمة الشهادة فحصنت بها دماؤكم
واموالكم من غير ان تعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان

قوله او كان له وارث مسلم بان يكون المقتول
مسلما له وارث مسلم اذ كفر الوارث يمنع الارث
والدية بمعناه او اما المقتول المحارب فلا ارث
المسلم فتامل مرحوم عسكري زاده

والاستقامة

والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا
تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند
الله من قتل امرئ مسلم وتكرير الامر بالتبين تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم
ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه
روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس
ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا
ونزل وكبر وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق
غنمه فنزلت وقيل في المقداد مر برجل في غنمه فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر
باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاءه مغتفر لا يستوي
القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القاعدين ومن الضمير الذي
فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا
نافع وابن عامر بالنصب على الحال والاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او
بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم
كيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس الوحي فوقعت فخذه على
فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين
غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين
من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد
في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم
على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي من الاستواء فيه والقاعدون على التقييد
السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او نصب على المصدر لانه تضمن
معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين و
المجاهدين وعد الله الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت
في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما
نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء
وكانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة

كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته
اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر
باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا
فيه وقيل الاول ما جعل لهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم
في الآخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم في الجنة
وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف
اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه
وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا
لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفيهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع
وقرئ توفتهم وتوفيهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها
اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك
الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين
كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين
في الارض اعتذارا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته
قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم وتبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اي قطر آخر
كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم
الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة
باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة
منها وساءت مصيرا مصيرهم جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن
الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض
الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم
ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان
استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان
ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم
على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم

يجب

يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا
صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة
الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق
بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا
بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق
بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا
متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم
انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته
مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع
اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره
عند الله ثبوت الامر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير
متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم
هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض
سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه
دليل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر وان عايشة رضي الله
عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت واتممت
وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشة واوجبه ابو حنيفة رحمه الله لقول عمر رضي الله
عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عايشة رضي الله عنها
اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر
فظاهرهما يخالف الآية فان صحا فالاول مأول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني
لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم
ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بها قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب
انفسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر
بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا

بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا
مبينا شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر
في قوله ان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت
السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى
كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق
بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى
علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده وانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره
فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك يصلون وتقوم الطائفة
الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى
وذكر الطائفة الاولى يدل عليه فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين
من ورائكم يحرسونكم يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومن يصلي فغلب المخاطب على الغائب
ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهر هذه الآية
يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام ببطن النخل وان
اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر
قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية
ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات
الرقاع وقال ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتي
الاخرى فيصلي معهم ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة
الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تعود وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها
وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة
في وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان ود الذين كفروا
لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في
صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح
عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا
ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون

الاستحباب

الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك بأخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان
الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم
وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور
على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا
الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال واذا اردتم اداء الصلوة
واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم
مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها
وشرائطها واتوا بها تامة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا موقتا
الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر
الصلوة فانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان
بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء
القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله
ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه فان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص
بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجوه عدوهم
فينبغي ان تكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان
تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت
في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من
جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد
بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم
فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد
له ناس من اليهود فقال بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فسألوه ان يجادل عن
صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل بما اراك
الله بما عرفك الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة
مفاعيل ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبرآء واستغفر الله مما هممت به

ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها
والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته و
خاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا اثيما منهمكا فيه
روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله
يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله ولا يستحيون
من الله وهو احق بان يستحيى منه ويخاف عنه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا
ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي
البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء
ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة
عنده من جعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم
من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل
المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة
يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار
ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وان اسأتم فلها وكان الله
عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة
او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى به طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا
واثما مبينا بسبب رمي البريء وتنزيه النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف
الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي والضمير للرسول وجمعه للتعظيم
اوله ولامته فان عصمة الرسول واطلاعه على الاحوال لطف في حقهم لهمت طائفة منهم
اي من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد
فيه الى نفي همهم بل الى نفي تاثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازالك عن الحق وعاد وباله
عليهم وما يضرونك من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك
على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور

قوله ولولا فضل الله عليك ورحمته وقع في اكثر
النسخ والضمير للرسول وجمعه للتعظيم او له ولامته
فان عصمة الرسول واطلاعه على الاحوال لطف
في حقهم انتهى اقول الآن هذه النسخة ليس لها
وجه صحة فانه ليس في النظم ضمير الجمع حتى يحتاج
الى التوجيه المذكور م حط حاسكري اده

قوله وجمعه للتعظيم هو اول كانه ظن ان القرآن
عليكم ورحمته وهو سهو ظاهر شيخ الاسلام الهروي

الدين

الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير
من نجويهم من متناجيهم لقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة
او معروف على حذف مضاف اي الا نجوى من امر وعلى الانقطاع بمعنى لكن من امر
بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل ويندرج فيه
القرض وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح
بين الناس واصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا
عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين
كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة
اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا
رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظيم تنبيها على حقارة ما فات
في جنبه من اغراض الدنيا ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين
في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع
غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من
الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه
وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد
الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما
او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد
وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم
محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير
سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد ولقصة طعمة
وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب
الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي
جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله
فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة

وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها
متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله تعالى
ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه
ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها كما قال وما ذكر فان يسمى فاني شئت
شديد اللزام ليس له ضروس فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر
سمي حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث
لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل
ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم
وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد
وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد
واثنا بهما على قلب الواو لضمتها همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا
مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد
والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة
مرداء التي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك
نصيبا مفروضا عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال
على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل
التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة
فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهو
افظع الضلال لثلثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى
فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته
سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا
شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض
من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول البقاء
وان لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يشقونها لتحريم ما احله الله
وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحاير والسوايب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص

كل ما خلق كاملا بالفعل والقوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج
فيه ما قيل من فقوء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك
وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى
فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن
الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا
او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما يدعوه اليه على ما امره به
ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه
من الجنة بمكان من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا
وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك
مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال
منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين آمنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا
اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي
قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله
بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله
قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه
بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم
ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني
اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب
وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب فتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم
وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم
اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء
لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل

سوءًا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزل قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله
فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك
ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من
يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشيئا منها
فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن
في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن
حال شرط اقتران العمل به في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه
فيه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب
المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر
على ذكره عقيب الثواب قرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون هنا وفي مريم وغافر بضم
الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله
اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام
تنبيه على ان ذلك منتهى ما يبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات
واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان
الى دين الاسلام وهو حال من المتبع او الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه
وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمره تفخيما له وتنصيصا
على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد
من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يتوافقان في الطريقة
او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب
في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابراهيم عليه
السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان
ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريده للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس
فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه
الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت
فاستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت من عند خليلك

المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال
مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال
وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة وكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها
ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما
كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك امرت قل الله
يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم
الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن
من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره
اغناني زيد وعطاؤه او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب
خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم
كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى
في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شأنهن والا فبدل
من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول
كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على انه
ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون
ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان
كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال
والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان
العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا
يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اي
ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعل في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه
عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب ان تقوموا باضمار فعل اي ويأمركم ان تقوموا
وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شأنهم

وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة خافت
من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا
عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها
فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط بعض المهر او القسم او تهب
له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان
ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى
والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة
وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان
الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر
عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى
احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها
والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب
غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون
من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم
مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر
ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي
فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا
كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها
كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له
امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون
من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان
يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر
ببدل او سلو من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله
واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا

الذين

الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن
متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين
ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول
وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم ان
تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم
وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم
حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه
غنيا حميدا فان جميع المخلوقات يدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود
وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا
من سعته فانه تعالى توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس
يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم
او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة
لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو
خطاب لمن عادى رسول الله من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم لما روي انه لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر
سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد للغنيمة فعند الله
ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة
وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله
من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض
فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل
مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال
ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان
الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن
اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة

او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فان الله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة
عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما
دل عليه المذكور وهو جنس الغني والفقير لا اليه والا لوحّد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم
فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل والعدل
وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة
الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين
آمنوا خطاب للمسلمين او المنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه
قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله
ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان
بذلك وداوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بالسنتكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل
فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثاني الجنس ومن يكفر بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا
عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا
حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده ثم كفروا بعيسى عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بمحمد
عليه السلام او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن
الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان
فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم
ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم
بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا
في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع
بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب
او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم
فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه الله وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب
يعني في القرآن وقرئ نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة والمعنى انه

اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة
في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من
يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ليؤيده الغاية وهذا تذكار ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا
رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها
ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر
ان رضيتم بذلك ولان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين
ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم
واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر
او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني مثل ما انكم تنطقون
الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين
والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدا خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن
معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال
قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ
الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل
ونمنعكم من المؤمنين بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا
فيما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر
دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية
على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الاسلام
قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه اول سورة
البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى
بالفتح وهما جمع كسلان يراؤن الناس ليخيلوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم
وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله
الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان
قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون

فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال عن واو يراؤن كقوله ولا يذكرون
الله اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى
مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى
الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى
تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذ تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة
لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين ولا صائرين الى احد
الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء
من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله
عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك
لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله
عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت
طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون
بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه جمع على ادراك ولن تجد لهم
نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم
في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون
بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت
الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم أيتشفى به
غيظا او يدفع به ضرا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب
المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر
ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر
شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير
ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر

من ظلم

من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم
فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي
ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا
طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر
ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا
اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث للمظلوم
على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله
ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف
فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا و
والكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
اولئك هم الكافرون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر
الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل
بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك سوف
يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على انه كائن
لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله
غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم
كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فائتنا بكتاب من السماء
جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التورية او كتابا نعاينه
حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب
شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال
وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لدينهم والمعنى ان عرقهم
راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة

عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت
من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك
الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد
ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات
ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا
تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور
بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى
والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل ان يراد على
لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ
به في زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا وعلى ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء
في الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم
اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل
المحذوف ويجوز ان تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف
عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا
غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله
بالقران او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة
مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق
للتدبر في الآيات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام
او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب
الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر
كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها
الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اي بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه او وضعا
للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا
من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله

فاخبره

فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل
ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان
رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطايوس
اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب
وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه
الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم
هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه
بين عيسى والمقتول او الى الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع
بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم مقتولا وان الذين اختلفوا
فيه في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه
كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني
الى السماء رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه
لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل
العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي ولكنهم
يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما
كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح
او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت
بعلمي ذلكم جزما يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه
الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما
فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب
احد الا ليؤمنن به فجملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى
والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان
يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ الا ليؤمنن به قبل
موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به

قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من
السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه
ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع
الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان
بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه
ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه
ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اناسا
كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا
وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر
الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون
في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين والانصار
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين الصلوة نصب على
المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء
اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون
او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الوجوه المذكورة
والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من
الشرائع لانه المقصود بالآية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح
والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب
لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي
كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى
وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا خصهم بالذكر مع اشتمال
النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين
اشراف الانبياء ومشاهيرهم وقرئ زبورا بالضم جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب
بمضمر دل عليه اوحينا اليك كما ارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل

اي من

اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى
تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلوات الله
عليه بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح
او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت
بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا
رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورية
لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة
بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر
حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب
فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله
يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم
من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد
او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك
روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا
بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة و
يستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم
والجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير
لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى
النبوة على وجه يستغني عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل
للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا
نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام
من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق
في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا بانكار نبوته او الناس
بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او بما هو اعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون

بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان
من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا
لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر
امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة
والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا
امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف
مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله
ما في السموات والارض يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه
على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان
الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين
غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه
الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه
عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها
اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل
والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات والقلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا
ثلثة اي الالهة ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب
والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة
انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه كما سبق انما الله اله واحد اي واحد بالذات
لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد
فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا
لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة
اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن
عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك

كيلا

كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته
شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران
قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول
قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى
فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون
ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى
في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة
منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية للرد
على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد
بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس
وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش
او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد
الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع عنها
والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق
بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا
فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة
المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة
فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان
من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اي جاءكم دلائل
العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله او القرآن
فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب منه ثواب قدره
بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى الله
وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة
يستفتونك اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله كان

مريضا فعاده رسول الله فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل
في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اوايل السورة ان امرؤ هلك ليس
له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد
صفة له او حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت
الاخت بالابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على
ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها
لا ترث النصف وهو يرثها اي والمرء يرث اختها ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها
ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت
لا تحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به
وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله تعالى قل الله يفتيكم في
الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة
وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون
الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان
كانوا اخوة واخوات فغلب الذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم الذي من
شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة
ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح
العباد في المحيا والممات وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء
فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثا واعطي من الاجر كمن
اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء
والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا
فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود
التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات

والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين
الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز
وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة
من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة
ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه
الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلي
الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل
المصدر والمفعول وانتم حرم حال عما استكن في محلي الصيد والحرم جمع حرام وهو المحرم
ان الله يحكم ما يريد من تحليل او تحريم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله مناسك
الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات
الحاج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه
التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة
جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها
على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة
في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به
الهدي من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام
بالقتال قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة
في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل
الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه
يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الآية نزلت عام القضية
في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم بن شريح بن
ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على
خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم
من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا
وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال

حل المحرم واحل ولا يجرمنكم ولا يحملنكم ولا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم
وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عباس
عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان
في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقرا ابن كثير
وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام
ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرا يجرمنكم بضم الياء
جعله منقولا من المتعدي الى مفعول واحد بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى
على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم
الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح
لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقوله باسم اللات والعزى عند ذبحه
والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت
من وقذته اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي
نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع وما اكل منه السبع فمات
وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم تحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم
ذكاته وفيه حيوة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكوة
في الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد وما ذبح على النصب واحد الانصاب وهي احجار
كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام
وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد
نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك
انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الاخر نهاني
ربي والثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان
خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لا يقسم
بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام

رلم

150

زلم كجبل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب
وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي الله وجهالة وشرك
ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر
وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة
حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث
وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي
اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد
والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق
او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا
من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض
بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة
التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة
مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة
كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسئلونك ماذا احل لهم لما تضمن
السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على
الحكاية لان يسئلونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين شائع في امثاله والمسؤول ما احل لهم
من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه
الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص
ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على
تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطية وجوابها فكلوا والجوارح كواسب
الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب
مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه
واثر ولان كل سبع يسمى كلبا كقوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه
على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف
مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله او مكتسب بالعقل

في دلالته على تسمية الطيور بذلك كلام لان دعاءه صلى الله عليه وسلم انما استجيب بالاسد فوطا عصري

الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر
بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو
مالم ياكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك
على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان
تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه
الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم
ذكوته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم
الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا
الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال
ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق
بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم
ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك
والمحصنات من المؤمنات الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات
اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى
وقيل المراد بايتائها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي
اخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط
عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره و
الامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام كقوله فاذا قرات
القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه
على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا
قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء
على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه عليه السلام
صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته
فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب

وقيل

وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام المائدة من آخر
القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة
الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق للجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك
قيل الى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة
الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد
يشتمل لها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها منه فلا دلالة لها عليه
وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا
وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة
وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية هاهنا عن ذي الغاية وجب ادخالها
احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت
المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا
المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه
كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه
الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ربع الرأس لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب
من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر
وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة
وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن
والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب
خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها
وتغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ
بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء
احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن
يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب

ا قبله ولحم طير مما يشتهون الا ان المصنف قد ذكر
في سورة الواقعة لجرها وجوها اخر ولم يذكر الجوار
ام مرحط ص سكري زاده

اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة
والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو
ضعيف لان ان لا تقدر بعد لام المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم
ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته
والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب
وغير مستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما
مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض وسفر وان
الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم
المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي
اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط
والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمته ونقض ميثاقه
ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم
يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط لا يجرمنكم شنآن قوم على ان
لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك
العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض
عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى صرح
لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى
واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله
خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت
في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء ثائرة الغيظ وعد
الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد
استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان
الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء
بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم

روى

روى ان المشركين راوا رسول الله واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا
ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل
صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روى انه عليه السلام اتى قريظة
ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما
مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك واجلسوه في صفة
وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل
جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس
عنه فجاءه اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده
فاخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط
اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم
ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع
الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط
ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روى ان
بني اسرائيل لما فرغوا عن فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام
وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها
وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء
بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنى من ارض كنعان
بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظاما وباسا
شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن
نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة وآتيتم
الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير
واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول
لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط
ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد

المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف
من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم
طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات
والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم
قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية
باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه
لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من
القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به من التورية او من اتباع
محمد والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوه فزلت
بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية
وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة
والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم
لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل استثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف
عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله
يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان
فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى
ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا ميثاقهم
وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا
مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم
القيمة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف
ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد
الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد
وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر
اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يواخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن
فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا

عليه

عليه السلام يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما في الحكم كواحد من اتبع
رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبل
الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او توفيقه
ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح بن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن
لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم
قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته و
ارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا احتج بذلك
على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان
كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله
على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق
يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس
من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحواء او من انثى وحدها
كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده
قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل
فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب
لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه يعذبكم
بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن به
وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس
لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له
واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر
مفعول على معنى يبين لكم البيان والجملة في موقع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة
من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي

او يتبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك
وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم والله
على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام
اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل
بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة
انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان
عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى
لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث
في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر
فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين
في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت
احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم
وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس
سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله
وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب
في اللوح انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم
ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء
بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في
دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في
فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين
متغلبين لا يتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر
الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون
اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله
ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل
والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ

الذين

الذين يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من
الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم بالوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت
وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم
وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر
عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون
علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته في نصرة رسله
وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين
ومصدقين بوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد
ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت
وربك معينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله
لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون والرجلان المذكوران
وان كانا موافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يؤاخيني
في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي وعلى اسم ان ورفعه عطفا على
الضمير في لا املك او على محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او
بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم
لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل
الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله
لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى سار بعده بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام
فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده
نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله
لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا
وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل
الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح

الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من وعمود من نور يطلع بالليل
فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى
وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم
وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات
النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تاس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم
على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبا ابني آدم قابيل وهابيل اوحى
الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأم الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل
فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل يزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته
فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وانما رجلان من بني اسرائيل
ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق
او حال من الضمير في اتل او من نبا اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا
قربانا ظرف لنبا او حال منه او بدل على حذف مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبا ذلك
الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم
ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما
قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقربت
جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه
وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه
ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك
التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره
ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه
وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي
اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج
عن قتله واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه
الصلوة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط
في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف

ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب
النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى
انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك
الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك
الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما
ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة
واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز
ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل
اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى
فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك
حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا
محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد
الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه
لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين
فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه
لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة مفعول يريه والمراد بسوءة اخيه
جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتا كلمة جزع وتحسر والالف فيها
بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت
ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله
فاواري عطف على ان اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت
لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح
من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل
وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبرئ ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده
فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك
وتبرأ عنه ومكث آدم بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله

من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل فى الاصل مصدر
اجل شرا اذا جناه استعمل فى تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اى من ان
جررته اى جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اى
ابتدا الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب
القصاص او فساد فى الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس
جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان
قتل الواحد والجميع سواء فى استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما
احيا الناس جميعا اى ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ
عن بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها
فى القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا فى المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون اى بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم
من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تاكيدا للامر
وتجديدا للعهد كى يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون فى الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا
اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال فى الامر انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله اى يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما
تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية
وان كانت فى مصر ويسعون فى الارض فسادا اى مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر
لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون فى الارض فسادا ان يقتلوا اى قصاصا
من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اى يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا
المال وللفقهاء خلاف فى انه يقتل ويصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف اى تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال
ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار فى موضع
ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفى بالحبس واو فى الآية على هذا التفصيل وقيل
انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق ذلك لهم خزى فى الدنيا
ذل وفضيحة ولهم فى الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا

وانما وقعت الجزاء بقطع الايدى والارجل من خلاف
لا من طرف الواحد لئلا يفوت جنس المنفعة
مهما امكن قال فى الهداية فى كفارة الظهار يجوز
مقطوعة احدى اليدين واحدى الرجلين
من خلاف لانه ما فات جنس المنفعة بل اختلت
بخلاف ما اذا كانتا مقطوعتين من جانب واحد
حيث لا يجوز لفوات جنس منفعة المشى اذ هو
عليه متعذر قال فى بعض الشروح والفائت
جنس المنفعة هالك حكما اقول اذا تقرر هذا فقد
ظهر لك فائدة التقييد بالخلاف لانه قطع الايدى
والارجل من طرف واحد اهلاك لاحد والغرض
منه الانزجار لا الاهلاك مدبر فانه نفيس سكت
عنه المفسرون والله الموفق للمولى الفاضل
عاسكرى زاده

عليهم

عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور
رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة
بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب
وان الآية فى قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ العقوبة قبل القدرة وبعدها
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اى ما تتوسلون به الى ثوابه
والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه
وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة وجاهدوا فى سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة
والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما
فى الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم
من عذاب يوم القيمة واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان
لهم ما فى الارض وتوحيد الضمير فى به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة
فى نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو فى ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو
ولو فى حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم
عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين
بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه
اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية
دخلت الخبر لتضمنها معنى الشرط اذ المعنى والذى سرق والتى سرقت وقرئ بالنصب
وهو المختار فى امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال
الغير خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار او ما يساويه
لقوله عليه السلام القطع فى ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف فى ذلك لاحاديث
وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه فى شرح المصابيح والمراد بالايدى الايمان
ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله
فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك
ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام

قوله مع تاكيد له لكن العامل فى المفعول معه ان
ان كان الثبوت المستفاد من قولهم يكون من قبيل
لزيد وعمرو بالجود قد نص النحاة على انه يتعين
العطف فى مثله وان كان الثبوت المفهوم من
كلمة لو يلزم اختلاف عامل المصاحب والمصاحب
فتامل
من خط عاسكرى زاده

اى يسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له
او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد
ظلمه اى سرقته واصلح امره بالتفصى عن التبعات والعزم ان لا يعود اليها
فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة اما القطع
فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك
السموات والارض الخطاب للنبى او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء
والله على كل شئ قدير قدم التعذيب على المغفرة على ترتيب ما سبق او لان استحقاق
التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو فى الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك
الذين يسارعون فى الكفر اى صنيع الذين يقعون فى الكفر سريعا اى فى اظهاره اذا
وجدوا منه فرصة من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اى من المنافقين
والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو تحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف
على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر مبتدا محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين
او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدا ومن الذين خبره اى ومن اليهود قوم سماعون
واللام فى للكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما يفتريه
الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه
سماعون لقوم آخرين لم ياتوك اى لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك
تكبرا او افراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين اى مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون
منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى مكرر للتاكيد
اى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اى يميلونه عن مواضعه
التى وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير
مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استئناف
لا موضع له او فى موضع الرفع خبر لمحذوف اى هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا
فخذوه اى ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه
فاحذروه اى فاحذروا قبول ما افتاكم به روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين
فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله عنه

وقالوا

وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه
فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر
لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله
وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان
ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب
المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع
من الله شيئا فى دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى
نص على فساد قول المعتزلة لهم فى الدنيا خزى هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم
فى الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود فى النار والضمير للذين هادوا ان استأنفت بقوله
ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت اى الحرام
كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى
ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان
جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين
الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعى
والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم
منهم والآية ليست فى اهل الذمة وعند ابى حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك
شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم
بينهم بالقسط بالعدل الذى امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف
يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم
منصوص عليه فى الكتاب الذى هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق
واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله فى زعمهم وفيها حكم الله
حال من التورية ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه
وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك
ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم
التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه

انا انزلنا التورية فيها هدى يهدى الى الحق ونور يكشف ما اشتبه من الاحكام
يحكم بها النبيون يعنى انبياء بنى اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا
ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين
مدحا لهم وتنويها لشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء
هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اى يحكمون بها فى تحاكمهم وهو يدل على ان النبيون
انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف
على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من
التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون
ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون
نهى للحكام ان يخشوا غير الله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا
باياتى ولا تستبدلوا باحكامى التى انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم
بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان
حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره
وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات
الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه
فى المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون فى اليهود والفاسقون فى النصارى
وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها فى التورية ان النفس بالنفس اى ان النفس تقتل بالنفس
والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائى على انها
جمل معطوفة على ان وما فى حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين
بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل او جمل مستأنفة ومعناها وكذلك العين
مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة
بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن فى قوله بالنفس وانما ساغ لانه فى
الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص اى ذات
قصاص وقراءة الكسائى ايضا بالرفع ووافقه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال
للحكم بعد التفصيل فمن تصدق به من المستحقين بالقصاص اى فمن عفا عنه فهو فالتصدق

والاشتراك فى مطلق الكون بالشئ لا فى خصوص
الكون بالنفس على اسلوب نظيره فى قولهم كان
زيد قائما وعمرو قاعدا ا ه مرحط طاسكرزاده

كفارة له للمتصدق فيكفر الله به ذنوبه وقيل للجانى يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته
له اى فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شئ ومن لم يحكم
بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم اى اتبعناهم
على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون بعيسى بن مريم
مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل
وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور فى موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التورية
عطف عليه وكذلك قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا
على محذوف او تعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه فى قراءة حمزة
وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اى وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة
بالامر كقوله امرتك بان قم وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون
عن حكمه وعن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام
وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها
على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا
اليك الكتاب بالحق اى القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة
واللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير
ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اى هومن عليه وحوفظ من التحريف
والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ فى كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل اليك
ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمينه
معنى لا تنحرف او حال من فاعله اى لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها
الناس شرعة شريعة وهى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب
الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا
وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف
دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما
آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين

قوله عطف على محذوف مثل ارشادا واصلاحا
مرحط طاسكرى زاده

بتقدير فعل هو معطوف على الفعل السابق
وهى مفعول له لذلك الفعل المحذوف
مرحط طاسكرى زاده

ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل
فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم
الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد
للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل
والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب
والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم
ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي ان يضلوك
ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذرهم فتنتهم او مفعول له
اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا
نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود
كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك
ونصدقك فابى ذلك رسول الله فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره
فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك
تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة
على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا
من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذي
هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل
نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من
التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف
حذفه في الصلة في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير
الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية بحسب شهيتهم وقرا ابن عامر
تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
اي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون
فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن
حكما من الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم

اي لطلبه لا لزومه لظهور ان ليس المعنى امركم باستباق الخيرات لاجل ان مرجعكم الى الله بل اي آمركم به او انه واجب عليكم لهذه العلة سعد رحمه الله

ولا تعاشروهم

ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء على علة النهي اي فانهم
متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم
منكم فانه منهم اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا للتشديد في وجوب مجانبتهم كما قال
عليه السلام لا تتراءى ناراهما او لان الموالي لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدي القوم
الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين
في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون
نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان
بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار روي ان عبادة ابن الصامت قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم
واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي فنزلت
فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع
شافة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي هؤلاء
المنافقون على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول
فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي
على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو وعلى انه جواب
قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابي عمرو ويعقوب عطفا
على ان يأتي باعتبار المعنى كانه قال عسى الله ان يأتي بالفتح ويقول الذين آمنوا او يجعله بدلا
من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى
عسى الله ان يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء
الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقول المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين
وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة
كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه
على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه
ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا
خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب

او ذلك لاشتماله على المسند والمسند اليه وهو المقصود بهذه الافعال فاستغني عن الخبر كاستغنائه في ظننت ان يقوم زيد عن المفعول الثاني لان معنى ظننت ان يقوم زيد ظننت زيدا يقوم كما ان معنى عسى ان يقوم زيد عسى زيد ان يقوم [illegible]

كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قرأه
على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات
التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلث فرق بنو مذحج وكان رئيسهم الحمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى
على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله من غدها واخبر الرسول في تلك الليلة
فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب
الى رسول الله من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي
ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله وحشي
قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله خالدا فهرب
بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة
بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع
قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة
قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يده
وفي امارة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف يأتي الله بقوم
يحبهم ويحبونه قيل هم اليمن لما روي انه عليه السلام اشار الى ابي موسى وقال هم قوم هذا
وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه
وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة
وثلاثة الاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله
بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب
في الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين
عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمنه معنى العطف
والحنو او التنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة
على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون
في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف

على

160

١٦٠

على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه
او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون من جيش
المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم
واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف
فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم
الله ورسوله والذين آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال
وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله والمؤمنين على التبع
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه
ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة
بيؤتون اي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه
وانها نزلت في علي رضي الله عنه وكرم وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له
خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق
للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان
صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا
يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة
ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم
الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه
قيل من يتول هؤلاء فهو حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم
وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب
قوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد
بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب
النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا
شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة والبغضاء وفصل المستهزئين باهل الكتاب
والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب

يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا
على ان النهى عن موالاة من ليس على الحق رأسا سوآء من كان ذا دين تبع فيه الهوى
وحرّفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهى ان
كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضى ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده
واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اى اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل
على ان الاذان مشروع للصلوة روى ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار
واهله نيام فتطايرت شرارة فى البيت فاحرقته واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان
السفه يؤدى الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا
هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح
القاف وهو لغة الا ان آمنا بالله وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان
اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اى ما تنكرون
منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان
اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اى ما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل
وبان اكثركم فاسقون او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم
وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه تنقمون اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع
على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال
يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله عمن يؤمن به فقال اومن
بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا
من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اى من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء كائنا عند الله
والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل
من شر على حذف مضاف اى بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين
من لعنه الله او خبر محذوف اى هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم من رحمته وسخط
عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب

واهل المنقوم المسلمون فافعل التفصيل باعتبار
زعمهم على معنى ان حال اليهود فى نفس الامر
اسوء من حال اهل المنقوم فى زعمهم ودعواهم
ويحتمل ان يكون من قبيل الشتاء ابرد من الصيف
وفيه بعد لا يخفى ولو جعل ذلك اشارة الى طريقة
الالتفات الى المنقوم منه لم يحتج لا فى البدل
ولا فى الخبر الى الحذف فتامل من خط حاكمزاده
ولولا حذف المضاف لكان من قبيل اعجبنى
الحسن زيد وهو بدل غلط لا يقع فى فصيح
الكلام اذ لا اشتمال بل هو فى العكس
ولا يخفى ان حذف المضاف مما لا بد منه على
تقدير جعله خبر محذوف ايضا لان الضمير المبتدا
راجع الى شر فتامل من خط حاكمزاده

السبت

السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين فى اصحاب
السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف
على صلة من وكذا عُبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد صار
معبودا فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت او عبد على انه
نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت
التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطف على من والمراد
بالطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه فى معصية الله وقرأ حمزة وعبد الطاغوت
بضم الباء وجر التاء والباقون بفتح الباء ونصب التاء اولئك اى الملعونون
شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل
عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من
صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلال
واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت فى يهود نافقوا رسول الله او فى عامة المنافقين وقد
دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك
والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد
وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها
من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال
والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اى من اليهود والمنافقين
يسارعون فى الاثم اى الحرام وقيل الكذب بقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم
ومجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم
السحت اى الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم
الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك
فان لولا اذا دخل الماضى افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا
يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد
تدرب فيه وترو وتحرى اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من
مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان

جديدا بالغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد
وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل وبسط ولذلك تستعمل
حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده
ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله قد سمع الله قول

ذ جعله من المجازات المركبة محتاج الى نوع تأويل وتوجيه من خط طاشكبرزاده

الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد
او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار في
الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره
بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباته لغاية الجود فان
غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة او على ما يعطي
للاستدراج وعلى ما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تأكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه
يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق
في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانه مضاف اليه ولا من
اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضمير هما لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازورا
فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلوات
الله عليه واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون
من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم
العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان
اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا
حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا
فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة
نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب
والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب
آمنوا بمحمد وما جاء به واتقوا مع ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم

الت

التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين
فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان
جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما
من نعت الرسول والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة
فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض ويكثر ثمرة الاشجار
وغلة الزروع ويرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط
على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم لشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا
واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين ومنهم امة مقتصدة عادلة غير غالية
ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته
وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوء عملهم وهو المعاندة
وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان
لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع
ما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك
ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء
في الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع
وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض

لا يخفى ان الامر في الصلوة لكونها عبادة واحدة اعتبرها الشارع امرا واحدا مركبا من امور مخصوصة وليس الامر في جملة التبليغات كذلك فتأمل من خط طاشكبرى زاده

الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك
وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي
ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله
يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة آدم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله
من الناس وظاهر الآية توجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد
وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب
لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل

وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية
باسرها آمرة بالايمان بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة
اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم
فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين آمنوا والذين
هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع
على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا
والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب
وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما
كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم
الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون النصارى معطوفا عليه
ومن آمن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك
راض والرأي مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ اذ لو
عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في
هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم و
ما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل والصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز
بالياء جوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف اي من
آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو
الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة
الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا
ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم
رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا
كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي
رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء بيقتلون

موضع

قوله اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ
وخبر ان معا فيه بحث لجواز العطف على نية
التأخير وتقدير الخبر للمعطوف مثل قولك
ان زيدا قائم وعمرو على ان يحمل على عطف عمرو
على محل اسم ان ولا يتعين ما ذكره حتى يكون
من قبيل ان زيدا وعمروا قائمان منه خط
طاشكبري زاده

موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها
على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الآي وحسبوا الا تكون
فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ
ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب ان لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة
واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه
في قلوبهم وان او ان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين وعن الدلائل والهدى
وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب
الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اي رماهم
بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل الضمير او فاعل والواو
علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف اي العمى والصم كثير منهم وقيل
مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون
فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل
اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك
بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع
من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة
للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع
المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام
عيسى وان يكون من كلام الله تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو
معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة
اي احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلثة
وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات
واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية
متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين
كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان

قالوا لا يجوز تقديم الخبر فيما يصلح المبتدأ ان يكون
تأكيدا لفاعله نحو انا قمت فان انا لو اخر لالتبس
بتأكيد الفاعل وانت تعلم ان ما نحن فيه مثله
في الالتباس الا ان الالتباس بتابع اخر اعني
البدل الا ان النحاة صرحوا بجواز التقديم في
مثل الزيدان قاما قالوا ولا يمنع التأخير احتمال
كونه على لغة اكلوني البراغيث لان تأخير المبتدأ
اكثر في الكلام من تلك اللغة والحمل على الاكثر
اولى لكن الجواز لا ينافي الضعف وامتناع
المثل يثبت وجها للضعف منه خط
طاشكبري زاده

العذاب على من داوم على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد والاقوال
الزايغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التكرير والتهديد
والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم
ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل
قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية
تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام
وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق ويصدقن الانبياء
كانا يأكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين او لا اقصى لهما من الكمال
ودل على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه
على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة
ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين
لهم الآيات ثم انظر اني يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت
ما بين العجبين اي ان بياننا الآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون
الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه
لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة
وانما قال نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا
الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر
لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقايد فيجازي عليها
ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا
عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب
للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين
ضلوا من قبل مبعث محمد عليه الصلوة والسلام في شريعتهم واضلوا كثيرا ممن شايعهم
على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه
وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم

عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن
مريم اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت
لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا
خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن
الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم فيما حرم عليهم كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه اي لا ينهي بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او
عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه
اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من
اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وللمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم
القيمة ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب
سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك
لان كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الآية
في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا
منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع
الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم
ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلبهم
وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم
قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون و
لا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض
عن الشهوات محمود وان كان في كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم
تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم
ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع
الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق

من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى
انهم عرفوا بعض الحق وابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد
فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء
على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا
مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي
وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم او جواب سؤال سائل قال
لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين
بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة
وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع
والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك
هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء
المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل والذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات
الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر
جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلثين
او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة
يس فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب
بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض
المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر
النفس ورفض الشهوات عقبه بالنهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال
حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل
الله لكم الى ما حرم عليكم فيكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم
فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان

لا يناموا

لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا
ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله فقال لهم
اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام
واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول
كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز
ان يكون مفعولا وحلالا حال من الموصول والعائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف
وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به
مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله
وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب
ابو حنيفة وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم
او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم
بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته اي فكفارة نكثه اي الفعلة
التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا
خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه
وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده
في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب
لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون
او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة
من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في
جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهي ثوب
يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة
في قدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان
لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة

فيه بحث لان دلالة الفاء الجزائية على التعقيب
مع عدم تراخ ممنوعة وبعد التسليم الواقع في حيز
الفاء مجموع التكفير والاتيان ولا دلالة على
الترتيب بينهما الا يرى ان قوله تعالى اذا نودي
للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله الآية
لا يقتضي تقديم السعي على ترك البيع بالاتفاق
وقد روي هذا الحديث برواية اخرى هكذا
فليكفر عن يمينه ثم ليأت بالذي هو خير وظاهر
دليل لهم والجواب ان الرواية المشهورة
فليأت بالذي هو خير ثم ليكفر فرجحنا هذه بالشهرة
وجعلنا كلمة ثم في الاخرى مجازا عن الواو
منه حفظه طاشكبري زاده

حاصل الكلام ان الاسوة بمعنى المثل والكاف
زائدة وفي الكلام حذف مضاف اي طعام
مثل طعام اهليكم فعلى هذا الوجه الكاف في محل
النصب عطفا على من اوسط على انه صفة مفعول
محذوف لم يبعد والله اعلم منه حفظه طاشكبري زاده

او اعتاق انسان وشرط الشافعي الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او لايجاب
احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام
ثلثة ايام فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات
والشواذ ليس بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك اي المذكور كفارة
ايمانكم اذا حلفتم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان
تبروا منها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اي مثل ذلك
البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرايعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب
شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب
اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر
تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوفة او المضاف محذوف
كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه
فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم
انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالانصاب
والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما
شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر
ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد
الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود
بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله
عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة بالذكر بالافراد للتعظيم والاشعار
بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر
ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف
وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد
انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه او مخالفتهما
فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول

بتوليكم

بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات
اي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر
وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال
الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف
باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا
التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى
والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدل
الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه السلام في تفسيره او باعتبار
المراتب الثلث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات
توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا
للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يواخذهم بشيء
وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين
آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم
الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا
بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظايم
التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف
يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو
غايب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع
المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب
اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه
فكيف به فيما يكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة
للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه السلام خمس
يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية

اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز ان تقتل كل مؤذ واختلف
في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون
كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه
حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف
العامد والمخطي واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية
نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه
فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه
او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان
متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون
على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان
يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل وقرئ بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء
يماثل ما قتل فجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي
والقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين ان
يهدي ما قيمته قيمة صيد وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف
صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان
لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ الاول وفق يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء
ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته او رفعته بخبر مقدر
لمن ولما كان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد ويحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان
الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء
في به او من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن
نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم
والتصدق به ثمة وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف
على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه
او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك
خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام مساكين يساوي قيمة الهدي

من عالب

من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه
من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ
بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدلي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما
تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم
ليذوق ثقل فعله او سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله
اصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية
او قبل التحريم او في هذه المسئلة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس
فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن
اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله
لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك
وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد
وطعامه اكله متاعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا
وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده
الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه
او لم يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه
تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان
على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ
به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به
امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعلت
في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها
والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس
ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم
ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع
المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص مبالغة
بعد اطلاقه اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك

كأنه اخذ الشدة من اضافته الى امر مضاف الى الله الذي بطشه شديد حط كمال پاشازاده

اي يقوم فيها او قيا وكذلك على تقدير كون البيت الحرام المفعول الثاني لكنه حينئذ يجعل الدليه وصفا ما بالجار والمجرور حط عاشق چلبي زاده

محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليها ولمن انقلع عنها ما على الرسول الا البلاغ
تشديد في ايجاب القيام بما امر به اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر
في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي
الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردي من الاشخاص والاعمال
والاحوال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان
العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب
لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر
وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج
اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا
لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القران تبد لكم الشرطية
وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم
تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو
انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت
لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع شيء على ان اصله شيّئ كهيّن او شيء كصديق
فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة
اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس
حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله حتى اعاد ثلثا فقال لا ولو قلت
نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استيناف اي عفا الله
عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم
ويعفو عن كثير وعن ابن عباس انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة
ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار
وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسئلة التي
دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها
وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالا منها ولا خبرا ثم اصبحوا
بها كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا وجحدوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة

ولا

قوله من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان صفة الجثة الخ فيه بحث فان الصفة هو كائن المتعلق بالظرف في بحث المبتدأ والخبر في شرح الرضي واعلم ان ظرف الزمان لا يكون خبرا عن اسم عين ولا حالا منه ولا صفة له لعدم الفائدة الا في موضعين احدهما ان تشبه العين المعنى ... وقتا دون وقت نحو الليلة الهلال الثاني ان يعلم اضافة معنى اليه

ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة
ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل
منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت
الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها
فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء
ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد
وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته
اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الآمر ولكنهم يقلدون
كبارهم وفيه اشارة الى ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة
والتقليد لآبائهم ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه
اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار
الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى
ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد
يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما
لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال
عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون
ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع
على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء
اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وينصره قراءة من قرأ لا يضركم
بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم
بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين
آمنوا شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة شهادة على الوصية واضافتها

قد سبق من المص في آية الوضوء ان القول بالنسخ في هذه السورة ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها كذا

الى الظرف على الاتساع وقرئ بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت
اذا شارفه وظهرت اماراته وهو الظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله
تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز
ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اي من اقاربكم او من المسلمين
وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله
منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها
فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة آخران
والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة
على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف
نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت
اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلوة فيقسمان بالله ان
ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد
اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا
اي لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا
محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي
انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف
الاستفهام منه وروي عنه بغيره كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمنا
وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر
فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران
يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص
استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما
ومعرفتهما وهو خبر مبتدأ محذوف اي هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران
او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين
على انه صفة للذين او بدل منه اي من الذين الاولين استحق عليهم وقرئ الاولين
على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله

لشهادتنا

لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا
فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم
ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من
ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان
في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ
في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت
والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه
بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة
الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميم الداري
وعدي بن يزيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى
عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة
وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه
واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب
اهله الصحيفة فطلبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
يا ايها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عند
المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه
منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقربه فرفعوهما الى رسول فنزلت فان
عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي رفاعة السهميان فحلفا ولعل تخصيص
العدد فيهما لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان
يأتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان
ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة
واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون
به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما
فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله
يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول

واسمعوا على حذف المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر فيقول
اى للرسل ماذا اجبتم اى اجابة اجبتم على ان ماذا فى موضع المصدر او باى شئ اجبتم فحذف
الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم
لنا اى لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم مما اجابونا واظهروا
لنا وما لم نعلم مما اضمروا فى قلوبهم وفيه التشكى عنهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل
المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام
بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك انت الموصوف بصفاتك
المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر وحمزة الغيوب
بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك بدل
من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ
بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة
وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف
لنعمتى او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس بجبرئيل عليه السلام او بالكلام الذى
يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس فى المهد
وكهلا اى كائنا فى المهد وكهلا والمعنى تكلمهم فى الطفولية والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله
فى الطفولية بحاله فى الكهولة فى كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل
ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير
باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى
سبق تفسيره فى آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر
واذ كففت بنى اسرائيل عنك يعنى اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف
لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اى ما هذا الذى جئت به الا سحر
وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين
اى امرتهم على السنة رسلى ان آمنوا بى وبرسولى يجوز ان تكون ان مصدرية وان
تكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى بن
مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم

لعل قوله واشهد بالواو دون الفاء كما فى
قوله تعالى ربنا فاكتبنا مع الشاهدين لعطفه
على مقدر اى فاشهد باننا مؤمنون واشهد
باننا مخلصون
مرحوم عسكرى زاده

هل

هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام
معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما يقتضيه الحكمة والارادة لا على ما يقتضيه القدرة
وقيل المعنى هل يطيع ربك اى يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب
وقرأ الكسائى هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف
والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه
كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال
ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتى او صدقتم فى ادعاء الايمان قالوا نريد ان
نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن
قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا
فى ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا
او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى بن مريم لما راى ان لهم غرضا
صحيحا فى ذلك او انهم لا يقلعون عنه اراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة
من السماء تكون لنا عيدا اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك
سمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل
اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى
عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة وآية
منك عطف على عيدا منك صفة لها اى آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة
نبوتى وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق
الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله انى منزلها عليكم اجابة لسؤالكم فمن يكفر بعد منكم فانى
اعذبه عذابا اى تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب
ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اى من عالمى زمانهم
او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روى انها
نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه
السلام وقال اللهم اجعلنا من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة
ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية

بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان
البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل و
على الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله
أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بقدرته
كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه
الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت
فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم المائدة اربعين
يوما غبا يجتمع عليه الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت
وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض
ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء
فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها
بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله
لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف
فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقايق
لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى
حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين
الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشفت له
ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى
بن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة
وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون
فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده
او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما
توصل الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله تعالى
قال سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول
ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم

ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه
من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت
علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به
بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان
في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء
الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان
المصدر لا يكون مقولا للقول ولا ان تكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو
لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول
بالامر فكان قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان
فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت
نوع منه قال الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب
عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من القول به من اردت عصمته بالارشاد الى الدلائل
والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه
مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك
ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم
عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح
فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة
وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم
غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق بان قال الله
هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم قرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف
او ظرف مستقر وقع خبرا لهذا والمعنى هذا الذي ذكر من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل
انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد
بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع

وانت خبير بان لا اعلم ما في ذاتك ليس
بكلام مرضي ومع ذلك لا يخرج به عن المشاكلة
اذ لا يطلق النفس بمعنى الذات عليه تعالى
الا مشاكلة صرح به السيد في شرح المفتاح
من خط طاشكري زاده

قال ابن هشام في اثناء الكلام على ان من
معنى التبيان عطف البيان في الجوامد
بمنزلة النعت في المشتقات فكان الضمير
لا ينعت كذا لا يعطف عليه عطف بيان
من خط طاشكري زاده

لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شىء قدير تنبيه على كذب النصارى
وفساد دعويهم فى المسيح وأمه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا
لهم غير اولى العقل فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة المعبودية واهانة
بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى
بارادة العموم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات
ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الدنيا

سورة الانعام مكية وهى مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له
على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات
دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات
وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق
بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين
ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت
الثنوية وافرد النور للقصد الى الجنس وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة
لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد
وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه
الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة
على العباد ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه
الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على
معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شىء منه ومعنى ثم
استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون
محذوفة اى يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثانى متعلقة بيعدلون
والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اى يسوونها به هو الذى خلقكم من طين

ء فيه بحث لان الاجسام متماثلة عند اهل السنة م حط طاشكبرى زاده

ء لان الظاهر ان المراد بهذه المثلية المثلية فى العدد وقد اختار فيما سبق ان قوله تعالى ومن الارض بعد ذلك وجها محمول على ظاهره م حط طاشكبرى زاده

ء اذ ما من شىء الا وله ظل والظل ظلمة م حط طاشكبرى زاده

فيكون صلة والعطف عليها كما قال التفتازانى ليس على قصد انه صلة واحدة ليتوجه الاعتراض بانه لا معنى لقولك الحمد لله الذى عدلوا به بل هو داخل تحت الصلة بحيث كون المجموع صلة واحدة كانه قيل الحمد لله الذى بحال مثله النعم العظام ثم الكفرة الكفران وانما لم يحمل ثم على التراخى مع استقامته لكون الاستبعاد اوفق بالمقام م حط طاشكبرى زاده

اى ابتداء خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذى هو اصل البشر خلق منه
او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة
وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق
لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن
بقى ولمن يأتى واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف
به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اى مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه
بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون
استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان
من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر
على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث
والامتراء الشك واصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله
والله خبره فى السموات وفى الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما
لا غيره كقوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم
والجملة خبر ثان او هى الخبر والله بدل ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك
رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى
انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلقا
بالمصدر لان صلته لا تتقدم عليه ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه
ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال
الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية
للتبعيض اى ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن
الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
يعنى القرآن وهو كاللازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها
كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو
اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف
يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول

قوله ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما ء فى فتاوى التمرتاشى قبل باب مسائل متفرقة من كتاب الايمان قال لاخوان ضربتك فى المسجد فعبدى حر فاليمين على كون المضروب فى المسجد لان للضرب اثرا فى المحل فيعتبر مكان المحل حتى لو قال ان شتمتك فاليمين على كون الحالف فى المسجد لان الشتم لا اثر له فى المحل فيعتبر مكان الشاتم انتهى ومنه يظهر انه لا يصح قياس النظم بالمثال لان الرمى له اثر فى المحل دون العلم م حط طاشكبرى زاده

العذاب بهم في الدنيا او الآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا
كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي
سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة
او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم
فيها او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم
ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال
والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب
او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا
في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا
وانشأنا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان اهلك
من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قادر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في الورق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان
التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار
حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء
لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك
هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا
ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان
الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك
فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا
عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح
ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة
والمعنى لو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل
في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما رآهم
كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي لو جعلناه
رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا

بلا لام

بلا لام وللبسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون
فاحاط بهم الذين كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم
قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب
الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا
ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها
وايجاب النظر في آثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال
تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا
غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن
ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال
على الكفرة ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر
اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في يوم القيامة والى بمعنى
في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه
في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل
السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتداء
والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان
ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم
الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار
من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما اشتمل
عليه او من السكون اي ما سكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع
لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم و
افعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم
واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض
مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر
فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ

بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام
لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى
كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبناءهما
للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله
يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الدين
ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون
للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف
عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم
يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف
المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اي الصرف او الرحمة
وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو
وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته
فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه
بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء
اكبر شهادة نزل حين قالت قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا
ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء
يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اكبر شهادة ثم ابتدأ
شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان
هو الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القرآن لانذركم به اي بالقرآن واكتفى
بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به
يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون
ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله
ومن بعده وانه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه اينكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير
لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اي بل اشهد

ان

ذا الاطعام اياه لا ينافي الحيوانية وكذا عدم
اطعامه لان كثيرا من الحيوانات لا دخل له
في الاطعام ففهم وصف النزول عن رتبة الحيوانية
من لفظ الآية محل تامل حالي رحمه الله

فان قلت كيف يطعم وهو
نازل عن رتبة اعني الاصنام
قلت ورد الكلام على طبق فهم
في اطعام الاصنام
طاشكري زاده رحمه

ويجوز ان يكون المعنى يصرف عنه القتال
ويجوز ان يكون يومئذ في موضع رفع بيصرف
وهو مبني لاضافته الى اذ وضمير عنه لمن
ابو حيان

من مفعول مقدم وضمير عنه للعذاب ويجوز
ان يكون من مبتدأ وضمير عنه له ومفعول
يصرف محذوف اختصارا اذ قد تقدم في
الآية او يومئذ ابو حيان

وقيل ان الجواب محذوف غير الثاني لدلالة
الاول عليه لكان وجها حسنا وتقديره
فلا يوصل له اليك الا هو والاحسن تقديره
فلا راد له للتصريح بالشبهه في قوله وان
يردك بخير فلا راد لفضله ثم اتى بعد بما هو
شامل للخير والشر وهو قدرته على كل شيء قدير
رحمه طاشكري زاده

هذا بناء اما على مفهوم المخالفة كما يقوله الحنفية
واما على ان السكوت عند الحاجة الى البيان
بيان حالي رحمه الله

ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون يعني الاصنام الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم
بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به
يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء
شفعاؤنا عند الله او كذب باياته كان كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر
او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم
على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم
جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها
شركاء لله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف
المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها
في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم
غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون
ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب
او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها
الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر
كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون
ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا
منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله
انظر كيف كذبوا على انفسهم اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف
يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة
والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء
ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة
وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال
والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم
وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه

فعلى هذا المحمد هذا القيل مع قيل المعذرة تامل
حالي رحمه الله

ابا عث على هذا الحمل هو انهم يعلمون انه غير نافع
فلا يتصور عن العاقل لكن بعض المشركين يعرفون
الحق ثم ينكرونه استكبارا وعتوا فلا يصح هذا
التوجيه اللهم الا ان يخص هذا الكلام لمن عدا هم
حالي رحمه الله

وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول البقرة وان يروا
كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك
اي بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي يقع بعدها الجمل ولا عمل
لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فان جعل
اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز
ان تكون الجارة واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك حال ويقول تفسير له والاساطير
الاباطيل جمع اسطورة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه
اي ينهون الناس عن القرآن او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون
عن التعرض لرسول الله وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون
بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار
جوابه محذوف اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها
او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل
من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات
ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود
اي انا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم
التمني وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب
وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع
الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب
عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح
اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا اي الى الدنيا بعد الوقوف
والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم
وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه
في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم
مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم وجزائه او عرفوه حق التعريف
قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب

أرب او الجزاء قال القطب الضمير في عرفوه راجع الى جزاء ربهم ح ط طاشكبري زاده

والاشارة

ان يكون الباء للسببية والمصدرية ح ط طاشكبري زاده

والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد
باليمين لانجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث
وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجأة
ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اي تعالي فهذا اوانك
على ما فرطنا قصرنا فيها في الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة
يعني في شأنها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار
الآثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو
اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية
وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها و
خلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب
ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة افلا تعقلون اي الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب
بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك
الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء
في انه للشأن وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي
لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات
الله يجحدون ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة
على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روي
ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت
ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل
على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم
واذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات
الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك
من نبأ المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق
اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض

على ان يكون الباء للمقابلة وهو الاوفق لمذهب اهل السنة م ح ط طاشكبري زاده

البغتة ورود الشيء على صاحبه من غير علمه بوقته مدارك

قوله وان لم يجر ذكرها عدم الذكر في كلامهم شركت بينها وبين الساعة وعدمه في كلامه تعالى ممنوع لسبق انما جوابه في حواشي الكشاف التام في حواشي القطب وحاصله انها مذكورة في قصة اخرى وقوله تعالى قد خسر الى افلا تعقلون اعتراضية للتاكيد فلا يرجع منها ضمير اليها م ح ط طاشكبري زاده

وكثرة العلم بكثرة المعلوم فان فيحزنك ويقولون دلالة على الاستمرار التجددي م ح ط طاشكبري زاده

الاظهر ويكذبون بها الا يرى الى قوله والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب م ح ط طاشكبري زاده

او سلما فی السماء فتأتیهم بآیة منفذا تنفذ فیه الی جوف الارض فتطلع لهم آیة او مصعدا
تصعد به الی السماء فتنزل منها آیة وفی الارض صفة لنفقا وفی السماء صفة لسلما ویجوز
ان یکونا متعلقین بتبتغی او حالین من المستکن وجواب الشرط الثانی محذوف تقدیره
فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بیان حرصه البالغ علی اسلام قومه وانه لو قدر
ان یأتیهم بآیة من تحت الارض ومن فوق السماء لأتی بها رجاء ایمانهم ولو شاء
الله لجمعهم علی الهدی ای لو شاء الله جمعهم علی الهدی لوفقهم للایمان حتی یؤمنوا ولکن
لم یتعلق به مشیئته فلا تتهالک علیه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء الله لجمعهم علی الهدی
بان یأتیهم بآیة ملجئة ولکن لم یفعل لخروجه عن الحکمة فلا تکونن من الجاهلین بالحرص علی ما
لا یکون والجزع فی مواطن الصبر فان ذلک من دأب الجهلة انما یستجیب الذین یسمعون
انما یجیب الذین یسمعون بفهم وتأمل کقوله او القی السمع وهو شهید وهؤلاء کالموتی الذین
لا یسمعون والموتی یبعثهم الله فیعلمهم حین لا ینفعهم الایمان ثم الیه یرجعون للجزاء وقالوا
لولا نزل علیه آیة من ربه ای آیة مما اقترحوه او آیة اخری سوی ما انزل من الآیات
المتکاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر علی ان ینزل آیة مما اقترحوه
او آیة تضطرهم الی الایمان کنتق الجبل او آیة ان جحدوها هلکوا ولکن اکثرهم لا یعلمون
ان الله قادر علی انزالها وان انزالها یستجلب علیهم البلاء وان لهم فیما انزل
مندوحة عن غیره وقرأ ابن کثیر ینزل بالتخفیف والمعنی واحد وما من دابة فی الارض
تدب علی وجهها ولا طائر یطیر بجناحیه فی الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها
وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا علی المحل الا امم امثالکم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها
وآجالها والمقصود من ذلک الدلالة علی کمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبیره لیکون
کالدلیل علی انه قادر علی ان ینزل آیة وجمع الامم للحمل علی المعنی ما فرطنا فی الکتاب
من شیء یعنی اللوح المحفوظ فانه مشتمل علی ما یجری فی العالم من جلیل ودقیق لم یهمل
امر حیوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فیه ما یحتاج الیه من امر الدین مفصلا
او مجملا ومن مزیدة وشیء فی موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا یتعدی بنفسه
وقد عدی بفی الی الکتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفیف ثم الی ربهم یحشرون یعنی الامم کلها
فینصف بعضها من بعض کما روی انه یأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها

قال القاضی فی الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها ای کالعمل فان الطائر یستعار له قال الله تعالی وکل انسان الزمناه طائره فی عنقه ویقال طار لفلان طائر کذا ای القسمة ای سهمه وطائر للسعد والنحس قال تعالی طائرکم معکم م حط طاشکبری زاده

لکن یجوز تضمینه معنی ما یتعدی بنفسه ای ما اغفلنا وما ترکنا من شیء مفرطین فی الکتاب علی ما اشیر الیه فی الکشاف م حط طاشکبری زاده

موتها والذین کذبوا بآیاتنا صم لا یسمعون مثل هذه الآیات الدالة علی ربوبیته
وکمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبکم لا ینطقون بالحق فی الظلمات
خبر ثالث ای خابطون فی ظلمات الکفر او فی ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقلید
ویجوز ان یکون حالا من المستکن فی الخبر من یشاء الله یضلله من یشأ الله اضلاله
یضلله وهو دلیل واضح لنا علی المعتزلة ومن یشأ یجعله علی صراط مستقیم بان یرشده
الی الهدی ویحمله علیه قل ارأیتکم استفهام تعجیب والکاف حرف خطاب اکد به الضمیر
للتأکید لا محل له من الاعراب لا محل له من الاعراب لانک تقول ارأیتک زیدا
ما شأنه فلو جعلت الکاف مفعولا کما قاله الکوفیون لعدیت الفعل الی ثلثة مفاعیل
وللزم فی الآیة ان یقال ارأیتموکم بل الفعل معلق والمفعول محذوف تقدیره ارأیتکم
آلهتکم تنفعکم اذ تدعونها ان اتاکم عذاب الله کما اتی من قبلکم او اتتکم الساعة وهولها
ویدل علیه اغیر الله تدعون وهو تبکیت لهم ان کنتم صادقین ان الاصنام آلهة وجوابه
محذوف ای فادعوه بل ایاه تدعون بل تخصونه بالدعاء کما حکی عنهم فی مواضع و
تقدیم المفعول لافادة التخصیص فیکشف ما تدعون الیه ای ما تدعونه الی کشفه ان شاء
ان یتفضل علیکم ولا یشاء فی الآخرة وتنسون ما تشرکون وتترکون آلهتکم فی ذلک الوقت
لما رکز فی العقول انه القادر علی کشف الضر دون غیره او تنسونه من شدة الامر
وهوله ولقد ارسلنا الی امم من قبلک ای قبلک ومن زائدة فاخذناهم ای فکفروا
وکذبوا المرسلین فاخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء ای الآفات وهما
صیغتا تأنیث لا مذکر لهما لعلهم یتضرعون یتذللون لنا ویتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ
جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفی تضرعهم فی ذلک الوقت مع قیام ما یدعوهم ولکن قست
قلوبهم وزین لهم الشیطان ما کانوا یعملون استدراک علی المعنی وبیان للصارف
لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التی زینها الشیطان
لهم فلما نسوا ما ذکروا به من البأساء والضراء ولم یتعظوا به فتحنا علیهم ابواب کل شیء
من انواع النعم مراوحة علیهم بین نوبتی الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء
الزاما للحجة وازاحة للعلة او مکرا بهم لما روی انه علیه السلام قال مکر بالقوم ورب الکعبة
وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشدید فی جمیع القرآن ووافقه یعقوب فیما عدا هذا والذی فی الاعراف

وقد مر هذا المعنی فی الفاتحة فی تفسیر ایاک نعبد وایاک نستعین م حط طاشکبری زاده

زیادة من فی الاثبات مذهب الکوفیین ولم یرتض القاضی فی مواضع من هذا الکتاب والکوفیة جوزوا ابتداء العام فی الزمان فی مثل نمت من اول اللیل الی آخره وصمت من اول الشهر الی آخره قال شارح الکوفیة هنا هو الصحیح م حط طاشکبری زاده

فان لولا یفید اللوم والتندیم وذلک عند قیام الداعی الی الفعل وانتفاء العذر فی ترکه م حط طاشکبری زاده

حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم
والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين
ظلموا اى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب
العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض
من شؤم عقايدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم
وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطى عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله
غير الله يأتيكم به اى بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف
نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب
والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها
وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة
من غير مقدمة او جهرة بتقدم امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة
هل يهلك اى ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء
المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة
ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب
اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب
والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كأنه الطالب للوصول
اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق
والطاعة قل لا اقول لكم عندى خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب
ما لم يوح الى ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم انى ملك اى من جنس
الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الى تبرأ عن دعوى الالوهية
والملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر رد الاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد
مدعاه قل هل يستوى الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدى والجاهل والعالم او مدعى المستحيل
كالالوهية والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء
الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحى مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الى الذين
يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون فى العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان

او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته
ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع فى موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر
على هذه الحال لعلهم يتقون لكى يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى
بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم
ترضية لقريش روى انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين
كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد
المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم وروى ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر
الى ما ذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلى ليكتب فنزلت
والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل صلوة الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة
هنا وفى الكهف يريدون وجهه حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد
الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى
اكرامهم وينافى ابعادهم ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ
اى ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم
طمعا فى ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة
المتقين وان كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم
لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب
رزقهم اى فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى
يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفى فتكون
من الظالمين جواب النهى وجوز صاحب الكشاف عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك
فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس فى امور الدنيا فتنا
اى ابتلينا بعضهم ببعض فى امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش
بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اى هؤلاء من انعم الله
عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين
والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم
لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا

لعل وجه النظر ان الاشتراك فى العطف بالنصب
يقتضى الاشتراك فى سبب النصب وهو توقف
الثانى على الاول بحيث يلزم من انتفاء الاول
انتفاؤه وانه منتف لكونه من الظالمين سواء
لوحظ ابتداء او بعد ترتبه على الطرد واما جعله
مترتبا على نفس الطرد بلا اعتبار كونه مترتبا
على النفى ومنتفيا بانتفائه فيفوت وجود سبب
النصب هذا هو اللائح الوقت فتأمل
وحط طاشكبرى زاده

اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقران واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا وبالرحمة في الآخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيأ فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوأ استيناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما اشار اليه او متلبسا بفعل الجهلة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من اعمال السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتستبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه تذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الآيات ليظهر الحق ولتستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون او ما تدعونها آلهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل

جار لفظ الشاكرين هنا في غاية من الحسن اذ تقدم من قولهم اهؤلاء من الله عليهم اي انعم عليهم فناسب ذكر الانعام لفظ الشكر والمعنى ان الله تعالى عالم بهؤلاء المنعم عليهم الشاكرين لنعمائه ابو حيان

فيه بحث فان العزم المذكور داخل في مفهوم التوبة والاصلاح هو ان لا يعود ولا يفسد لا العزم عليه فتامل مرحط طاشكبري زاده

قل اني على بينة على حجة واضحة تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القران والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتأخيره يقص الحق اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين اي القاضين قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او للابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى

المفتاح آلة الفتح كالمفتح ويسكن الخزانة والكنز والمخزن وانت خبير بان المناسب للمقام حمله على معنى الكنز وجعل مفاتيح الغيب من قبيل لجين الماء فتامل مرحط طاشكبري زاده

اجل مسمى ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له فى الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم
بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف
بالليل وكاسبون الآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى
شان ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى
الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ
اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض
على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده
واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء
احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة
وهم لا يفرطون بالتوانى والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة
او نقصان ثم ردوا الى الله اى حكمه وجزائه مولاهم الذى يتولى امرهم الحق
العدل الذى لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره
فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة لا يشغله
حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعير
الظلمة للشدة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار وقيل لليوم الشديد يوم مظلم
ويوم ذو كواكب او من الخسف فى البر والغرق فى البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف
والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية
بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اى يقولون لئن انجيتنا
وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم
منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون
تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها
على ان من اشرك فى عبادة الله فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر على ان يبعث
عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما
اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم

وعبيدكم

وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال
بينكم قال
وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدى ويذيق
بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد
لعلهم يفقهون وكذب به قومك اى بالعذاب او بالقران وهو الحق الواقع لا محالة
او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم
انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبأ خبر يريد انباء العذاب او الايعاد به مستقر وقت
استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه فى الدنيا او فى الآخرة واذا رأيت
الذين يخوضون فى آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم
فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها
القران واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى وقرأ
ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين
اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع
التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم
واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شئ شئ مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى
ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها
وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من
شئ لان من حسابهم يأباه ولا على شئ لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات لعلهم
يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون
والمعنى لعلهم يثبتون على تقويهم ولا ينثلم بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم
كلما استهزؤا بالقران لم نستطع ان نجلس فى المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين
اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى بنوا امر دينهم على التشهى وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا
واجلا كعبادة الصنم وتحريم البحاير والسوايب او اتخذوا دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا
حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى
اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرنى ومن خلقت
وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم

وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقران ان تبسل نفس بما كسبت
مخافة ان تسلم الى الهلاك وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه
اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه
وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها
العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل
المفدي وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها
لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين
ابسلوا بما كسبوا اي اسلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين
ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون
الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى
الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته
الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال من هوى يهوي
هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال
من فاعل نرد اي مشبهين بالذي استهوته او على المصدر اي ردا مثل رد الذي
استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى
رفقة يدعونه الى الهدى اي الى ان يهدوه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم
وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ايتنا يقولون له ايتنا قل ان هدى الله الذي
هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين
من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اي امرنا بذلك لنسلم
وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم
اي للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روي
ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر
الرسول بهذا القول اجابة عن الصديق وتعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذي
كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي خلق السموات والارض

بالحق

بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها
الخبر اي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات
والارض قوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات
او الهاء في اتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون
على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء
ويحدثها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك
يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة
اي هو عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للآية واذ قال ابرهيم لابيه
آزر هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ وقيل هما علمان له
كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل
منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر والاقرب انه علم اعجمي
على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق
عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده
اي اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ
ازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على
النداء وهو يدل على انه علم اني اريك وقومك في ضلال عن الحق مبين اي
ظاهر الضلالة وكذلك نري ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال
ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت
السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم
الملك والتاء للمبالغة وليكون من الموقنين اي ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك
ليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك وقيل
عطف على واذ قال ابرهيم وكذلك نري اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون
الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق
النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة
او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه

على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالابطال او على وجه النظر والاستدلال
وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اى غاب قال لا
احب الآفلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستار
يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية فلما راى القمر بازغا مبتدأ
فى الطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين
استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه
ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية فان من
اتخذه الها فهو ضال فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة
لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا او
اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام
المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما يختص به ثم لما تبرأ
عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال
انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما
احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى
الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه
قومه وخاصموه فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله فى وحدانيته وقرأ نافع
وابن عامر بتخفيف النون وقد هدانى الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به
اى ولا اخاف معبوداتكم فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان
يشاء ربى شيئا ان يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن
آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربى كل شئ علما كانه علة الاستثناء
اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها افلا
تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف
ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف
منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور والعاجز
والقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا

اولم

اولم ينصب عليه دليلا فاى الفريقين احق بالامن اى الموحدون او المشركون
وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا عن تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان
يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون
استيناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك
لما روى ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال
عليه السلام ليس ما تظنون وانما هو ما قال لقمن لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان
الشرك لظلم عظيم ولبس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط
بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم
عليه السلام على قومه من قوله فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجونى اليه
حجتنا آتيناها ابرهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان
جعل خبر تلك او بمحذوف ان جعل بدله اى آتيناها ابرهيم حجة على قومه نرفع درجات
من نشاء فى العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم فى رفعه
وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب
كلا هدينا اى كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابرهيم عد هداه نعمة
على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير
لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية
ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين فى تلك الآية والتى بعدها
والمذكورون فى الآية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب
ايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون
وكذلك نجزى المحسنين اى ونجزى المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته
وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفى ذكره دليل على
ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون
البيان مخصوصا بمن فى الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخى موسى
كل من الصالحين الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما
لا ينبغى واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائى والليسع

بتشديد اللام وعلى القرائتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد في قوله
رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس وهو
يونس بن متى ولوطا هو هاران بن اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين
بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم
عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هولاء وبعض اباءهم وذرياتهم واخوانهم
فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم
الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا
به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا
اي لو اشرك هولاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون
لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب
يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة
فان يكفر بها اي بهذه الثلثة هولاء يعني قريش فقد وكلنا بها اي بمراعاتها
قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار
او اصحاب النبي وكل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى
الله يريد الانبياء الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء
والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف
فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه
دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن
اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى
الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر قل لا اسئلكم عليه اي على
التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسئل من قبلي من النبيين وهذا من جملة
ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ او القران او الغرض الا ذكرى للعالمين
الا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة
والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي
وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار

وشده

وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا
ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراء الجمهور تجعلونه قراطيس
تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا
وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتورية وذمهم على تجزئتها بابداء
بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان
مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي انزل التورية
على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين وانت الحبر السمين وقيل هم المشركون
والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك
كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد صلى الله
عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم
وعلى اباءكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر
الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اي انزله الله
او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها
على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك
بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون
او حال من المفعول او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا
كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية
او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات
ولتنذر او علة لمحذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة
بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض
دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء
اي لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالاخرة
يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون فان من صدق بالاخرة خاف العاقبة
ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما

ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعث نبيا كمسيلمة والاسود العنسي
او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه
شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه
خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق
الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله
وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد
قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا
مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي
ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه
والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ او بالعذاب
اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم
او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة
او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي
الهوان يريد به العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون لعراقته
وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى
النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون
ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر
ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع
فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى
كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال
ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء
خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا اياكم وتركتم
ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم

ما قدمتم

ما قدمتم لانفسكم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم
انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع
بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل
والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم
ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل
لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به
وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء
ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشق الذي في
الحنطة والنواة يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله
من الميت مما لا ينمو كالنطفة والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك
من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع
موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي والمميت هو الذي يحق له العبادة فانى
تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة
الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح
في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع
وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب
بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه
الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى
الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان
فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد به جعل مستمر في الازمنة
المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد
له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرأهما بالرفع على الابتداء
والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بها
الاوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان
بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة

اى جعلهما حسبانا اى ذلك السير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذى
قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير
الممكنة لهما وهو الذى جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها فى ظلمات البر
والبحر فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او فى مشتبهات
الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر
بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون
فانهم المنتفعون به وهو الذى انشاكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام
فمستقر ومستودع اى فلكم استقرار فى الاصلاب او فوق الارض واستيداع
فى الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرا ابن كثير والبصريان
بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اى فمنكم قار ومنكم مستودع
لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون
ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان
انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى
استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذى انزل من السماء ماء من السحاب
او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شئ
نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المفتننة
بماء واحد كما فى قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فاخرجنا
منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور
وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل
ومن النخل من طلعها قنوان اى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من
النخل شئ من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل
منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان
جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع وليس
فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها
من بعض وانما اقتصر على ذكرها من مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها

وجنات من اعناب عطف على نبات كل شئ وقرئ بالرفع على الابتداء
اى ولكم او وثمة جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل
والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة
هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع
اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة والقدر واللون والطعم
انظروا الى ثمره اى ثمر كل واحد من ذلك وقرا حمزة والكسائى بضم الثاء والميم
وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف
يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه كيف يعود الى نضيجه
كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت
وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان فى ذلكم لآيات
لقوم يؤمنون اى لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث
الاجناس المختلفة والانواع المفتننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال
لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من
احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ
من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اى الملائكة بان عبدوهم
وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين
لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله
خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى الثنوية ومفعولا
جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه
وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال
بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق
وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا
له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ
نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اى وزوروا له بنين وبنات فقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة

بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويردوا عليه دليلا
وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى
عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من
اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى
انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر
والمبتدا محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اي من اين
او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء
للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء
عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية
استدلال على نفي الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارضون
وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول
مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر
وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفؤ الوالد
ولا كفؤ له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه الثاني انه لذاته
عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف
بما سبق من الصفات وهو مبتدا الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار
مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم
مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة
وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه
وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه
لا تحيط به الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها
محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك
مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات
ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع
وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه

الابصار

الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار
لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من
مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم
البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي
لها الحق وتبصرها فمن ابصر اي ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان
نفعه لها ومن عمي اي عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ
وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد
على لسان الرسول عليه السلام وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك
التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف
وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اي وليقولوا صرفنا واللام
لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي
دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس
اي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم
الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست
بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة
ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد صلى الله عليه وسلم ودارسات
اي قديمات او ذوات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله
لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان
لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي
اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع
او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا
تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض
على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيده وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو
دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك
عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين

يدعون من دون الله اي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبايح
فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب
ان يذكر به وقرأ يعقوب عُدُوًّا يقال عدا فلان عدوا وعُدُوًّا وعِدَاءً وعدوانا
روي انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا
او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون
سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية
راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من
الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه وحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل
بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم
ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا
بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد
فيه التحكم على الرسول صلى الله عليه وسلم في طلب الآيات واستحقار ما
رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله
هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم
وما يدريكم استفهام انكار انها اي الآية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون
اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه
تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان
بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها
بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين
فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة
لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم
اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره
من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون
اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه
فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم

في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب
ويذرهم على الغيبة وتُقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو
اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا
لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع
قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى
جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقِبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه
حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء
بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال
الا حال مشيئة الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون
انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك
اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون
انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا عدوا لكل نبي سبقك وهو دليل على
ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله تعالى وخلقه شياطين الانس والجن
مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني
ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن
الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض
زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر
في موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة
الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور
وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة
الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف
اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام
لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه
اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا

وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام أفغير الله أبتغي حكما على إرادة
القول أي قل لهم يا محمد أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق
منا من المبطل وغير مفعول أبتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما أبلغ من حاكم
ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي أنزل إليكم الكتاب القرآن
المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه
تنبيه على أن القرآن بإعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين
آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق تأكيد لدلالة الإعجاز على أن
القرآن حق منزل من عند الله تعالى يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم
مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وإنما وصف جميعهم
بالعلم لأن أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل وقيل المراد مؤمنو أهل
وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في أنهم يعلمون
ذلك أو في أنه منزل لجحود أكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن
من المشركين أو خطاب الرسول لخطاب الأمة وقيل الخطاب لكل أحد على معنى أن
الأدلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه وتمت كلمات
ربك بلغت الغاية أحكامه وأخباره ومواعيده صدقا في الأخبار والمواعيد
وعدلا في الأقضية والأحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل
لكلماته لا أحد يبدل شيئا منها بما هو أصدق وأعدل ولا أحد يقدر أن
يحرفها شائعا كما فعل بالتوراة على أن المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله
بالحفظ كقوله وإنا له لحافظون أو لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل أحكامها
وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك أي ما تكلم به أو القرآن وهو السميع لما
يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وإن تطع أكثر من في الأرض أي أكثر
الناس يريد الكفار أو الجهال أو أتباع الهوى وقيل الأرض أرض مكة يضلوك
عن سبيل الله عن الطريق الموصل إليه فإن الضال في غالب الأمر لا يأمر
إلا بما فيه ضلال إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق وجهالتهم
وآراءهم الفاسدة فإن الظن يطلق على ما يقابل العلم وإن هم إلا يخرصون

يكذبون

يكذبون على الله فيما ينسبون إليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الأوثان وصلة
إليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر أو يقدرون أنهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن
وتخمين إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أي أعلم
بالفريقين ومن موصولة أو موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه أعلم لا به فإن
أفعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر
يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل أي يضله الله فيكون من منصوبة
بالفعل المقدر أو مجرورة بإضافة أعلم إليه أي أعلم المضلين من قوله من يضلل الله
أو من أضللته إذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي
يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا
مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره أو مات حتف أنفه إن كنتم بآياته
مؤمنين فإن الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحله الله واجتناب ما حرمه
وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وأي غرض لكم في أن تتحرجوا عن أكله وما يمنعكم عنه
وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل
إلا ما اضطررتم إليه مما حرم عليكم فإنه أيضا حلال حال الضرورة وإن كثيرا
ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح
بأهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم إن ربك هو أعلم بالمعتدين
المتجاوزين الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام وذروا ظاهر الإثم وباطنه
ما يعلن وما يسر أو ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الأخدان
إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تأكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا أو نسيانا وإليه ذهب
داود وعن أحمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم
حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه وفرق أبو حنيفة بين العمد والنسيان وأوله بالميتة
أو بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وإنه لفسق فإن الفسق ما أهل لغير الله به والضمير

لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تأكلوا وان الشياطين ليوحون
ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم
وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال
ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه
فقد اشرك به وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي اومن
كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله و
انقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الاشياء فيميز بين
الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله اي
صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن
في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة ولا يفارقها
بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية نزلت
في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر
مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل
قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم
المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان
فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك
قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم
وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم
آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان
ابا جهل قال تزاحمنا بني عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي
يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الله اعلم حيث
يجعل رسالاته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما
هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم
انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم
رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله

يوم

يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون
بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه
للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن
جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار
عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح
فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن
دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف
ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا
بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول
ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على
ان الايمان يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق
وتباعدا في الهرب عنه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد
وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد
قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان
عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به
القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك
الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج
فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل
فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله
تعالى وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد
حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما
لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه
او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا
يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم

جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرا حفص
عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد
استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم
فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس
الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان
دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا
مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند
المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا
اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من اطاعة الشيطان
واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثويكم منزلكم او
ذات مثويكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثويكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة
ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى
الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل النار مثويكم ابدا الا ما امهلكم ان
ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم
في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر
الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن
في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يخرج من المالح دون
العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل
الرسل من الجن رسل الرسل اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم
اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا
بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة
الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رايهم
فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الاخرة بالكلية
حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام

للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال
الرسل وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى
بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر
ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى
بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول
او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم
او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر
ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرا ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب
على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف
تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس
لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله ان يشا يذهبكم اي
ما به اليكم حاجة ان يشا يذهبكم اي العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء
من الخلق كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما
عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة وما انتم
بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال
تمكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان
ومكانة كمقام ومقامة وقرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القران وهو امر
تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ما كنت عليه من المصابرة
والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان
المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل بان المهدد
لا ياتي منه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان يتفصى عنه فسوف تعلمون
من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة
الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان
خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون الذي تكون له العاقبة وفيه مع
الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق

وقرأ حمزة والكسائي منا وفي القصص يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير
حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر
فائدة وجعلوا اي مشركوا العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا
فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله
فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله
ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منها لالهتهم وينفقونها على
سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لالهتهم وان
رأوا ما لالهتهم ازكى تركوه لها حبا لالهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم
فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي
له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي
بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود ساء ما يحكمون
حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربات زين لكثير من المشركين
قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لالهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو
فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد
وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية
معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزادة
وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين
ليردوهم بالاغواء ليهلكوهم وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه
من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين
من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه اي
ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم
وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل
لالهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد
والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء
يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم بغير حجة وانعام حرمت

ظهورها

ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها
في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء
عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او
بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف
سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او ببدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام
يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال
للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه
شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى لان ما في معنى
الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه
هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر
او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد
والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا و
لا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوي وعلى صاحبها المجرور وقرئ
خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل
من ما او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه لان المراد بالميتة
ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب
على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم
قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون مخافة
السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة
عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر
وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة
في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشأ
جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات
ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير
معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي

يوكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل
في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال
مقدرة لانه لم يكن كذلك حال الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير
متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره
من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة
المالك في الاكل قبل اداء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق
به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكوة
والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء
وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي
حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل
البسط انه لا يحب المسرفين لا يرضى فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف
على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش
المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية
من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه
ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو
مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا
معترض بينهما او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه
آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين
اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن
اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة
فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب او حارس وحرس وقرئ معزى قل آالذكرين
ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين
بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان
او انثى نبؤني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم

صادقين

صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آالذكرين
حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار
ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل الاناث ردا عليهم فانهم
كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة
زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم
الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة
امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب
اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس
لذلك ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد
فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم
بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان
يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرأ ابن عامر
بالياء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا عطف على
ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق
لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل
النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض
للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله
في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن
فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى
تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان
ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى
تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح
الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا
مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل
والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل

المسبب عن الظلم لعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب
وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما
او الحوايا او ما اشتملت على الامعاء جمع حاوية او حاويا كقاصعاء وقواصع
او حوية كسفينة وسفاين وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط
بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم
ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار او الوعد والوعيد فان
كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه
لا يهمل ولا يرد باسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين
وذو باس شديد على المجرمين فاقام مقامه ولا يرد باسه لتضمنه التنبيه على انزال
الباس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين
اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا و
لا اباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشية ارتضاء كقوله
فلو شاء لهديكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا اباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع
المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبايح بارادة الله تعالى اياها
منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين
من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم
ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف اباؤنا على الضمير في اشركنا من غير
تاكيد للفصل بلا حتى ذاقوا باسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم
من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا
ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون
تكذبون على الله وفيه دليل على المنع عن اتباع الظن سيما في الاصول ولعل
ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الاية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة
التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه
وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهديكم
اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال اخرين

قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث
ويجمع عند بني تميم واصله عند البصرية ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير
السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء
حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الاية ولازما
كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم
ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك
قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد
معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة
ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان
مكذب الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها
والذين لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون
له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان
في سفل فاتسع فيه للتعميم اتل اقرأ ما حرم ربكم منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية
ويجوز ان يكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل
اي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم او اتل ان لا تشركوا به اي لا تشركوا به ليصح
عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر
يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء
او بالبدل من ما او من عايده المحذوف على ان لا زايدة او الجر بتقدير اللام
او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر و
المفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهما احسانا ووضعه موضع النهي
عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ان ترك الاساءة في شانهما غير
كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته
كقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يقتلون لاجله
واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها و
ما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم

الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا
وصيكم به اى بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن الا بالفعلة التى هى احسن ما يفعل بماله
كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد
كصر واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية
لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه
ان ايفاء الحق عسير فعليكم بما فى وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم فى حكومة
ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوى
قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعنى ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع
ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وان هذا صراطى مستقيما الاشاره
فيه الى ما ذكر فى السورة فانها باسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة
وقرا حمزة والكسائى وان بالكسر على الاستيناف وابن عامر صراطى بالفتح والتخفيف
والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرا ابن عامر صراطى
بفتح الياء وقرئ وهذا صراطى وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل
الاديان المختلفة والطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى
متعدد لاختلاف الطبايع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله
الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون
الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصيكم به قديما و
حديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذى
احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا وعلى الذى
احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اى اجاده من العلم والشرايع اى
زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى على الذى
هو احسن او على الوجه الذى هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شئ
وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه فى الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة
والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بنى اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون

اى

اى بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعنى القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه
واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا
علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى
ولعل الاختصاص فى انما لان الباقى المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن
غير كتبهم وان كنا ان هى المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اى
وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندرى ما هى او لا نعرف مثلها
او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة
اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار
والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى
ورحمة لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف
صحتها او تمكن من معرفتها وصدف عرض او صد عنها فضل واضل سنجزى
الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم
او صدهم هل ينظرون اى ما ينتظرون يعنى اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك
ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة
الموت او العذاب وقرا حمزة والكسائى بالياء او يأتى ربك اى امره بالعذاب
او كل آية يعنى آيات القيامة والهلاك الكلى لقوله او يأتى بعض آيات ربك
يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ
اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر
الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض
وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع
الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم
يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا كان الامر عيانا والايمان
برهانى وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل
صفة نفسا او كسبت فى ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان
حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو

دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذاك اليوم وحمل
الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها
والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى احدثته حينئذ وان كسبت
فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اى انتظروا اتيان احد الثلثة فانا منتظرون
له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض
وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة
كلها فى الهاوية الا واحدة وتفترق امتى على ثلث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية
الا واحدة وقرا حمزة والكسائى فارقوا اى باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع
كل فرقة اماما لست منهم فى شئ اى من السؤال عنهم وعن تفرقهم او عن عقابهم او
انت برئ منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم
الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله
عشر امثالها اى عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرا يعقوب عشر
بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء
الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون
العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون
بنقص الثواب وزيادة العقاب قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم بالوحى
والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هدانى صراطا
كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام
كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة
وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما
كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابرهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال
من ابرهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلوتى ونسكى عبادتى كلها
او قربانى او حجى ومحياى ومماتى وما انا عليه فى حيوتى واموت عليه من الايمان
والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير

او الحيوة

او الحيوة والممات انفسهما وقرا نافع محياى باسكان الياء اجراء للوصل مجرى
الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره
وبذلك القول والاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل
نبى متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغى ربا فاشركه فى عبادته وهو جواب
عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وهو رب كل شئ حال فى موقع العلة للانكار
والدليل له اى كل ما سواه مربوب مثلى لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس
الا عليها فلا ينفعنى فى ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة
وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم
يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغى وتمييز المحق من المبطل
وهو الذى جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله فى ارضه تتصرفون
فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين
ورفع بعضكم فوق بعض درجات فى الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتيكم من الجاه
والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده
وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه
الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور
بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة
يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه
واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية وهى مائتان وست آية

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام فى مثله كتاب خبر مبتدا محذوف اى هو كتاب او خبر المص
والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن فى صدرك حرج منه
اى شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب
فيه او تقصر فى القيام بحقه وتوجيه النهى اليه للمبالغة كقولهم لا اريتك ههنا والفاء

يحتمل العطف والجواب وكأنه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك
لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا
اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار
فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع
عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة
لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم
من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله
دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون
حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية
لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف
التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي عليه السلام وكم من قرية
وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء
اهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم
قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو
الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا
اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير مبالغة في غفلتهم وامنهم عن العذاب
ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجئ العذاب فيه افظع
فما كان دعويهم اي دعاءهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم
بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه
وتحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن
المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السوال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله
ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سوال الاستعلام او الاول في موقف الحساب
وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك
انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم
وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شئ من احوالهم والوزن

اى

اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف
الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة
وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم
ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل
سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة
والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص
لما روي عنه عليه السلام انه قال ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله
جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف
ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته
وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها
للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض
اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا
تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف
قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم
آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره
او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم وقيل ثم لتاخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد
لآدم قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة
معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع
عن الشئ مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على
ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف
به استبعادا لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع اني خير منه ولا يحسن
للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال

بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه
وقد غلط في ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار
الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة
وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين و
باعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم
وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين
اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشياطين الى النار
باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فانها مكان
الخاشع المطيع وفيه دليل على ان التكبر لا يليق لاهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبط
لكبره لا لمجرد عصيانه فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله فاخرج انك
من الصاغرين ممن اهانه الله لكبره قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم
القيامة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما سأله
ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى
او وقت يعلمه الله تعالى انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء للعباد وتعريضهم
للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي
طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي وتكليفا بما غويت
لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل
الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم
طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره
على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن
خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات مثل قصده اياهم بالتسويل
والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك
لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه
ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس رضي الله عنه من بين

ايديهم

ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة
حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون
التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن
شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم
وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف
المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست
عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه
من الملائكة قال اخرج منها مذؤما مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما
كمسول في مسؤول ومكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا
لمن تبعك منهم اللام لتوطئة القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو
ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن
تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم
منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اي وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي الشجرة وهو
الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا
من الذين ظلموا انفسهم وفتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب
فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت
الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية
وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا
بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل
على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في
الطباع ما وري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها
من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور
كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف

الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الاولى فيها
وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون فى الجنة واستدل به
على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقايق لا تنقلب
وانما كانت رغبتهما فى ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء
عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما انى لكما
لمن الناصحين اى اقسم لهما على ذلك وانما اخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة و
قيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل
ذلك مقاسمة فدليهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك
من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من
اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا
او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما فلما وجدا طعمها آخذين
فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت
لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان
اللباس كان نورا وحلة او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان
ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان
من اخصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان واصله
يختصفان وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان
لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه
دليل على ان مطلق النهى للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية
والتعريض للاخراج عن الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
دليل على ان الصغاير معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز
المعاقبة عليها مع اجتناب الكباير ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة
المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات
قال اهبطوا الخطاب لآدم وحوا وذريتهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم

انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم مفرقا بعضكم لبعض عدو فى موضع الحال
اى متعادين ولكم فى الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع
وتمتع الى حين الى تقضى آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
للجزاء قرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون وفى الزخرف وكذلك
يخرجون بفتح الياء وضم الراء يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه
لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام
وقوله وانزلنا الحديد يوارى سوآتكم التى قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم
عن خصف الورق روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون
لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة
لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من
الشيطان وانه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون
به والريش الجمال وقيل المال ومنه ترّيش الرجل اذا تموّل وقرئ رياشا وهو
جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل
السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير
او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن
عامر والكسائى ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اى انزال اللباس
من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون
فيتورعون عن القبايح يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمتحننكم بان يمنعكم دخول
الجنة باغوائكم والنهى فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به
كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما ليريهما
سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه
يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهى وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله
جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة لا تقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم
لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب
او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة

وفذلكة الحكاية وإذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم
وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها اعتذروا
واحتجوا بأمرين تقليد الآباء والافتراء على الله فأعرض عن الأول لظهور فساده
ورد الثاني بقوله قل إن الله لا يأمر بالفحشاء لأن عادته جرت على الأمر
بمحاسن الأفعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل
بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي فإن المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم
ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها
لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن أين أخذ آباؤكم فقالوا الله أمرنا بها
وعلى الوجهين يمنع التقليد إذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا أتقولون
على الله ما لا تعلمون إنكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله قل أمر ربي بالقسط
بالعدل وهو الوسط من كل أمر المتجافي عن طرفي الإفراط والتفريط وأقيموا
وجوهكم وتوجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها أو أقيموها نحو القبلة
عند كل مسجد في كل وقت سجود أو مكانه وهو الصلوة أو في أي مسجد حضرتكم الصلوة
ولا تؤخروها حتى تعودوا إلى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين
أي الطاعة فإن إليه مصيركم كما بدأكم كما أنشأكم ابتداء تعودون بإعادته فيجازيكم
على أعمالكم وإنما شبه الإعادة بالإبداء تقريرا لإمكانها والقدرة عليها وقيل
كما بدأكم من التراب تعودون إليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل
كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بأن وفقهم للإيمان وفريقا حق عليهم
الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده أي وخذل
فريقا إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله تعليل لخذلانهم أو تحقيق
لضلالتهم ويحسبون أنهم مهتدون يدل على أن الكافر المخطئ والمعاند سواء في
استحقاق الذم وللفارق أن يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم
ثيابكم لمواراة عوراتكم عند كل مسجد لطواف أو صلوة ومن السنة أن يأخذ الرجل
أحسن هيئته في الصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا
واشربوا ما طاب لكم روي أن بني عامر في أيام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام إلا قوتا

ولا

ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا
بتحريم الحلال أو بالتعدي إلى الحرام أو بإفراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس
رضي الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف
ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا
واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين أي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة
الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي أخرج لعباده من النبات كالقطن
والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات
من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على أن الأصل في المطاعم
والملابس وأنواع التجملات الإباحة لأن الاستفهام من الإنكار قل هي
للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالأصالة والكفرة وإن شاركوهم فيها فتبع
خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع
بالرفع على أنها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون أي كتفصيلنا هذا
الحكم نفصل سائر الأحكام لهم قل إنما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق
بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والإثم وما يوجب الإثم تعميم بعد تخصيص
وقيل شرب الخمر والبغي الظلم أو الكبر أفرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي
مؤكد له معنى وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه
على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون بالإلحاد
في صفاته والافتراء عليه كقولهم الله أمرنا بها ولكل أمة أجل مدة أو وقت لنزول
العذاب بهم وهو وعيد لأهل مكة فإذا جاء أجلهم انقضت مدتهم أو حان وقتهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون أي لا يتأخرون ولا يتقدمون و
التقدم لشدة الهول يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط
ذكره بحرف الشك للتنبيه على أن إتيان الرسل أمر جائز غير واجب كما ظنه أهل
التعليم وضمت إليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك أكد فعلها بالنون وجوابه
فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون المعنى فمن اتقى التكذيب وأصلح

عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء في الجزاء في الاول دون الثاني
للمبالغة والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته
ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى
اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى
غاية لنيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون
من دون الله اين الآلهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف
وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين بما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم
ادخلوا يوم القيامة او احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين
في جملة امم مصاحبين لهم يوم القيمة من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية
من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها
التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا
واجتمعوا في النار قالت اخريهم اي دخولا او منزلة وهم الاتباع لاوليهم اي لاجل
اوليهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال
فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال
لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن
لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم برواية ابي بكر بالياء على الانفصال
وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله تعالى
لاخريهم ورتبوا عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون
في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من
قول القادة او من قول الله للفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها
اي عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم او لارواحهم كما تفتح
لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في لا تفتح لتانيث الابواب والتشديد
لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التانيث غير حقيقي والفعل

مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات
وبالياء على ان الفعل لله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى
يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة
وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل
والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم
بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو الخياط وما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك
ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم
غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف
عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين
عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا
بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب
بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف
نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه
وتعالى في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ
وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف
نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها
منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد
لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا
هداية الله تعالى وتوفيقه واللام لتأكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله
وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق
فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا
صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا رأوها من بعيد او بعد
دخولها والمنادي له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب
اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم

وان في المواضع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة التاذين من القول
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم
وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره
مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم قرأ الكسائي حيث
وقع بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين
ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي ان
لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن
مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله مقدرة او ذم مرفوع او منصوب
ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم
تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب
اي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر
احدهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو
السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما
ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين
قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم
علت درجاتهم كالانبياء او الشهداء او اخيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون
في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم
الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة
او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة
ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها
وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجه الثاني
واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا
مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم
بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون

ع

عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم
الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت
الكفرة تحتقرونهم ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم
ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق
للوجه الاخير او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا
حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار
اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او بعض الملائكة
اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا وادخلوا على الاستيناف وتقديره ادخلوا
الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا
علينا اي صبوا وهو دليل على ان الجنة فوق النار من الماء او مما رزقكم الله
من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء
باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين
اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف
الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به
وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار
كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا
يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله تعالى ولقد جئناهم بكتاب
فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين
بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون
حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك
هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تأويله
الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم
يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا
بالحق اي قد تبين انهم جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد
او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان

فعلى الاول المسؤول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد
الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام
الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر
وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره
او في مقدار ستة ايام فان المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم
يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار
واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش استوى
امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش على الوجه الذي عناه
منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه
او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي
الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك
قرئ يغشي الليلَ النهارُ بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا
يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما بشيء والحثيث فعيل من الحث وهو
صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف
على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر
الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى
بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة
كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي
له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك
ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضيهن سبع سموات في يومين وعمد الى
ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة
ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض

في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها
اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين
لقوله في سورة السجدة الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
ثم لما تم عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر
الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي
والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك
الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم
تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب
المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان
لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في
الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي عليه السلام سيكون قوم يعتدون في
الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول
وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب
المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء
وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا اي ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم
وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله
قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب
لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل
الذي بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب
والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث
وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال
بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا
حيث وقع وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى

بشرا اي باشرات او للبشارة وبُشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان
الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت
اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشي يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه
لان السحاب جمع بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ
لبلد ميت اي لاجله ولاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او
بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى
الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان
لغيره فهي للسببية فيهما من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة
فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية
فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد
النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون
فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة
التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه
وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة والذي خبث كالحرة والسبخة لا يخرج الا
نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج
نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا
وقرئ يُخرج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا منصوب على المصدر اي
ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها
لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر
الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا
الى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة
التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لملك بن
متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين
فقال يا قوم اعبدوا الله اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرا الكسائي
غيره بالكسر على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من التي تخفض وقرئ بالنصب

على

على الاستئناف اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد
وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه
اي الاشراف فانهم يملؤون العيون رواء انا لنريك في ضلال في زوال عن
الحق مبين بيّن قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي
كما بالغوا في الاثبات وعرّض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك
باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول
من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات
لرسول او استيناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرا ابو عمرو
ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد
والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث
وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله
تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي
اشياء لا علم لكم بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي
اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على
على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر
ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة
الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة
حرف الترجي للتنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقي
ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه
وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام
ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجينا او حال من الموصول
او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين
عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين مخفف وقرئ عامين والاول ابلغ
لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف
بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن رباح بن

الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالح بن
ارفخشذ بن سام ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله
في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استئناف به ولم يعطف
كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب
الله وكان قومه كانوا اقرب من نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا
من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنريك في سفاهة
متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك
من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين
ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل
منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا
والاعراض عن مقابلتهم بكمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة
وهكذا ينبغي كل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم
عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم من رمل
عالج الى شحر عمان او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة
الارض خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة
وهو تعميم بعد تخصيص فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون كي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها
المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا
اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا
لما الفوه ومعنى المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد
على المجاز كقولهم ذهب يشتمني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله
افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع قد وجب وحق عليكم
او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو
الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم
ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى
الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان

استحقاقها

استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم
ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى
من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم
هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال
بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح
الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه
والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي
استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض لمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق
بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث
الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلث سنين
حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت
الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين
من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح
وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله
واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما راى
ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم
فعلم القينتين • الا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يسقينا غماما • فيسقي ارض عاد
ان عادا • قد امسوا لا يبينون الكلاما • حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله
لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه
عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال
قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء
ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء
فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا
عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا
الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود

بن عابر بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرى مصروفاً
بتاويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى
اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة
الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استيناف لبيانها وآية نصب
على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة
الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها
ولانها جاءت من عنده بلا وسايط واسباب معهودة ولذلك كانت آية
فذروها تاكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة
الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم
عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض
ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض
بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرى تنحتون بالفتح وتنحاتون
بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا
من الجبال وتنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين
قال الملأ الذين استكبروا من قومه عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين
استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل
ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين اتعلمون ان صالحا مرسل
من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب
السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على
ذوي رأي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر به فلذلك قال قال الذين استكبروا
انا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا
لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة
او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم
صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين

فاخذتهم

فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم جاثمين خامدين ميتين روي انهم
بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا
البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا
الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية
تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب
له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى
صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة
جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك
لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت
عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم
فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب
صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد
الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى
تملأ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم
الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها
لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها
جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يدفع عنكم العذاب
فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا
مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات
طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا
وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال
يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان
توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا

لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه اتاتون
الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد
من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي
والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار كانه وبخهم
اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ اينكم لتاتون الرجال شهوة من
دون النساء بيان لقوله اتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ
نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع
الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان
يكون الداعي له الى المباشرة تطلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم
قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب
امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع
معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا من قريتكم اي ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه
ولكنهم قابلوا النصح بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء
بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من امن به
الا امراته استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر انها كانت من الغابرين
من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا
اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر
كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوطا بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه
ابرهيم عليه السلام الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم
الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة
فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم
شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكيل بن
يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له

وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين وولادة
الغنم التي دفعها الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا
آدم على يده في المرات السبع متاخرة عن هذه المقاولة يحتمل ان يكون كرامة
لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق
الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود
اوفوا الكيل وزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم
كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون
شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما
اصلح امرها او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرايع او اصلحوا فيها والاضافة اليها
كالاضافة في مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مومنين اشارة الى العمل بما
امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن
الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق
الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف
وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون
على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون
لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي
قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع الضمير بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون
عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على
الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال
وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها
عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة
واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة في النسل او المال وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة
منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يومنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله

بينا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد
للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين
استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن
في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية او عودكم في الكفر وشعيب
لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن لما غلبوا الجماعة على
الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله قال
اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في
حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد
اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل
لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد
افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه
قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم محذوف
وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان
يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل
اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما احاط
علمه بكل شيء مما كان ومما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان
ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح
القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق عن
المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ
الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم
ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب
الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم
الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين في مدينتهم
الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا كأن
لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا

لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا
والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى
عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة
حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم
ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت
في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا
قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف إيسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي
الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي
يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه
من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا
وعددا يقال عفى النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء
والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر
يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه شيء مثل ما مسنا
فاخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى
يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها
آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر
لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر
والمعاصي افأمن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا
تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء
بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز
او المستتر في بياتا او أمن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون
على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا
ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افأمنوا

مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد
واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا
بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها
اى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدى يهد باللام لانه بمعنى يبين
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله

ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم صح

مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اى يغفلون عن الهداية
او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا
لانه فى سياق جواب لو لافضائه الى نفى الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع
تفهم واعتبار تلك القرى يعنى قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها
حال ان جعلت القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة
ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اى نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها
بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما
كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم
المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتاكيد النفى والدلالة على انهم ما صلحوا
للايمان لمنافاته لحالهم فى التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله
على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم
لاكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء عهد
فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم فى الايمان والتقوى بانزال الآيات
ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا فى ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اى علمناهم لفاسقين من وجدت
زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا فى المبتدأ
والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفى واللام بمعنى الا ثم بعثنا
من بعدهم موسى الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعنى
المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذى هو

من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك
مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن
الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون انى رسول
من رب العالمين اليك قوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب
لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان
اصله حقيق على ان لا اقول كما قرأه نافع فقلب من الالباس كقوله وتشقى
الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق فى وصف نفسه
بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثله
ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم
رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابى بالباء وقرئ
حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا
معى الى الارض المقدسة التى هى وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى
الاعمال قال ان كنت جئت بآية من عند من ارسلك فأت بها فاحضرها
عندى ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين فى الدعوى فالقى عصاه
فاذا هى ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك فى انه ثعبان وهو الحية العظيمة
روى انه لما القاها صارت ثعبانا اشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا
وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه
واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح
فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك
بنى اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هى
بيضاء للناظرين اى بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليها النظارة
او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء فى جبلتها روى ان موسى كان آدم
شديد الادمة فادخل يده فى جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية
غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم
قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور فى امره فحكى عنه فى سورة

الشعرآء وعنهم مهنا يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون تشيرون في
ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم
كانه اتفقت عليه اراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التاخير اي اخر امره
واصله ارجئه كما قرا ابو بكر وابو عمرو ويعقوب من ارجات وكذلك ارجئهو
على قرآءة ابن كثير على الاصل في الضمير او ارجهي من ارجيت كما قرا نافع في رواية
ورش واسمعيل والكسائي واما قرائته في رواية قالون ارجه بحذف اليآء فللاكتفاء
بالكسرة عنها وقرا حمزه وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه
كابل في اسكان وسطه واما قرآءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه
النحاة فان الهاء لا يكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة
لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرا حمزه والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس
ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعرآء وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل الشرط في طلبهم
قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استانف به كانه جواب سائل
قال ما قالوا اذ جاؤا وقرا ابن كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار وايجاب
الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم ان لكم لاجرا وانكم اذا لمن
المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى
اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للادب واظهارا
للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو
ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك
قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين
الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم ارهابا شديدا كانهم
طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا
طوالا كانها حيات ملات الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى
ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يزورونه
من الافك وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه ويجوز ان تكون مصدرية وهي
مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت

على الحاضرين

على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت
عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا
وقرا حفص عن عاصم تلقف هنا وفي طه والشعرآء وقرا الاخرون بفتح اللام و
تشديد القاف فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر
والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا
الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين
جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث
لم يبق لهم تمالك وان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد
بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا امنا
برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم
ارادوا به فرعون قال فرعون امنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار
وقرا حمزه والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل
وقرا حفص امنتم به على الاخبار قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع
لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها
اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد
مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم
اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى
للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب
لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او
انا لمنقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على
لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان
امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتاتى
لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض
علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على
وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهما اوعدهم

به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من
قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم
الى مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا او جواب للاستفهام بالواو
كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون
منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او
استيناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فاصدق
واكن والهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما
وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك
اى عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل
من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم
المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرا ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف
وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا
بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقريرا للامر بالاستعانة بالله والتثبت
في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط
وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام
في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا
بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك
ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد
روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما
تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم
ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت
على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا
قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك

بشوم

بشوم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا به او ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا
فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن
مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا
بهم ويقولون ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة
فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرايك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة
الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة
وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر
السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع
الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمته ومشيته او
سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم
وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله
تعالى او من شوم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة
للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت
به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا
به اي اي شيء تحضرنا تاتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية لزعم موسى لا لاعتقادهم
ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا
والضمير في به وبها لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانثه بعده باعتبار المعنى
فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر وسيل و
قيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان و
قيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية
ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا
فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة
وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا
فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم
ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد

فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب
ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب
فرجعت الى النواحي التي جاءت منها ولم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه
وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا
قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب
ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم
وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف
الله عنهم ثم نقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى
كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص
الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات
نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على العاقل انها آيات الله
ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان
امتداد كل واحد اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين
سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين
ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون ارسل الله عليهم بعد
ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة
او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك موصلة
لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق
بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا اي ما نطلب منك بحق ما عهد عندك
او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل
اي اقسمنا بعهد الله تعالى عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه
او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون
جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم
فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته

بانهم

210

بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات
وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها
بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح
الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض ومغاربها ارض الشام ملكها بنو اسرائيل
بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش
وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته
اياهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله كانوا يحذرون وقرئ كلمات
ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا
ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من
الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون
بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده
ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام
واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله مما راى منهم وايقاظا للمؤمنين
حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه السلام
عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا
عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك
اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من
لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده
كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق
واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من الآيات الكبرى عن العقل ان هؤلاء
اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه
ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها
وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء
اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين
في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان التبار لاحق بما هم فيه لا محالة

وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تعبيرا وتحذيرا عما طلبوا قال أغير
الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم
بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم
من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء
من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت
وقرأ ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استيناف لبيان ما انجاهم او
حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم
بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة
عظيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا
واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين وروي
انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد هلاك فرعون بكتاب من الله
فيه بيان ما يأتون به ويذرون فلما هلك سأل ربه فامره بصوم ثلثين فلما
اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته
بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة
ثم انزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني
في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع
سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء
موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا
وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى عليه السلام كان
يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس
سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من
رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة
في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك
رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر
عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت

قوله

قوله الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب
ان يجهلهم ويزيل شبههم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم
كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها
اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان
لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة
فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقها وفي تعليق
الرؤية بالاستقرار ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن
والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره
وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق
اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه
ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا ودكا جمع دكاء وخر موسى
صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال تعظيما لما رأى سبحانك
تبت اليك من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين
مر تفسيره وقيل معناه اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني
اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهرون وان
كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي اسفار
التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك
من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية كان
يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون
اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا
كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة
وسبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله
لموسى فقطعها بيده او شققها باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فخذها على
اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح او

لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك
ياخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار
والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل
اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ
في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر من الشتاء
ساريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل
عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ
ساوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وساورثكم ويؤيده قوله واورثنا
القوم ساصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس الذين يتكبرون
في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم
عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير
الحق صلة يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا
كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او لاختلال عقلهم بسبب انهماكهم في
الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثتها
لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك
بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم
تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي ساصرف ذلك الصرف
بسببهما والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او ما وعدهم
الله في الآخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء
اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا
من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم
وملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع
كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا روح ولحم ودم او جسدا من
الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان

السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا
وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم
وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح
الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر و
المعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل
كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم
اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير موضعها فلم يكن
اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم
المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع
العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم وراوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ
العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا اي بالتجاوز عن الخطيئة
لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما
رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني
من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا
العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في
بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه و
الحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى
سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من
الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح
طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي ان التورية كانت
سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها
وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس
اخيه بشعر رأسه يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه بثلث سنين
وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه

عليه وكانا من اب وام وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم يا ابن ام
بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف
الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان
القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى
بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء
فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في
عدادهم بالمواخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي
ان فرط في كفهم ضم اليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا
في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا
ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم
وذلة في الحيوة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين
على الله ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم
ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد
السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة
ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة
العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار
هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب
الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ
سكت واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح
التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل
فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح
والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف
المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه
اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم
الرجفة روي انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل

بسيط

بسيط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن
قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل
غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم
كشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة
اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل
واياي تمنى هلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت
عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا
بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم
وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة
عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على
الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك
ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا
فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي
من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما
فارطنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب
لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا
اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا امال
ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا وامِلنا اليك ويجوز
ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال
عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن
والكافر بل المكلف وغيره فساكتبها فساثبتها في الآخرة او فاكتبها كتبة خاصة
منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر
لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء
منها الذين يتبعون الرسول النبي الامي مبتدا خبره يامرهم او خبر مبتدا تقديره
هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلوات

عليه و انما سماه رسولا بالاضافة الى الله و نبيا بالاضافة الى العباد و الامي الذي
لا يكتب و لا يقرأ و صفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احد معجزاته الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التورية و الانجيل اسما و صفة يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر
و يحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم و يحرم عليهم الخبائث كالدم و لحم الخنزير
او كالربوا و الرشوة و يضع عنهم اصرهم و الاغلال التي كانت عليهم و يخفف عليهم
ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد و الخطاء و قطع الاعضاء
الخاطئة و قرض موضع النجاسة و اصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه
من الحراك لثقله فالذين آمنوا به و عزروه و عظموه بالتقوية و قرئ بالتخفيف و اصله
المنع و منه التعزير و نصروه و اتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن
و انما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها
و يجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي و اتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي عليه
السلام فيكون اشارة الى اتباع الكتاب و السنة اولئك هم المفلحون الفائزون
بالرحمة الابدية و مضمون الآية جواب دعاء موسى قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم الخطاب عام و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم مبعوثا الى كافة
الثقلين و سائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات
و الارض صفة لله و ان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه
او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو و هو على الوجوه الاول بيان
لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره و في يحيي و يميت مزيد تقرير لاختصاصه
بالالوهية فآمنوا بالله و رسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله و كلماته ما انزل
عليه و على سائر الرسل من كتبه و وحيه و قرئ و كلمته على ارادة الجنس او القرآن
او عيسى تعريضا لليهود و تنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه و انما عدل عن
التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان و الاتباع له و اتبعوه
لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه و لم يتابعه
فهو بعد في خطط الضلالة و من قوم موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق
يهدون الناس محقين او بكلمة الحق و به و بالحق يعدلون بينهم في الحكم و المراد بها

الثابتون

الثابتون على الايمان القائلون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم
على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير و الشر و تزاحم اهل الحق و الباطل
امر مستمر و قيل مؤمنوا اهل الكتاب و قيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله
ليلة المعراج فآمنوا به و قطعناهم و صيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة
مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال و تأنيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا
بدل منه و لذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل
اثنتي عشرة قبيلة و قرئ بكسر الشين و اسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت
لاسباطا و على الثاني بدل من اسباطا و اوحينا الى موسى اذ استسقيه قومه
ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست و حذفه للايماء على
ان موسى لم يتوقف في الامتثال و ان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في
ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم و ظللنا عليهم الغمام
ليقيهم حر الشمس و انزلنا عليهم المن و السلوى كلوا اي و قلنا لهم كلوا من طيبات
ما رزقناكم و ما ظلمونا و لكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة
و اذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر و القرية بيت المقدس و كلوا منها حيث
شئتم و قولوا حطة و ادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا
فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها و لم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره
ثم او بدلالة الحال عليه اما تقديم قولوا على و ادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب
الترتيب و كذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران
و الزيادة عليه بالاثابة و انما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه
تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به و قرأ نافع و ابن عامر و يعقوب تغفر بالتاء
و البناء للمفعول و خطيئاتكم بالرفع و الجمع غير ابن عامر فانه وحد و قرأ ابو عمرو خطاياكم
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما
كانوا يظلمون مضى تفسيره في سورة البقرة و اسألهم للتقرير و التقريع بقديم كفرهم
و عصيانهم و الاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون لك معجزة
عليهم عن القرية عن خبرها و ما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه و هي ايلة

قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون
في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت
او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تأتيهم حيتانهم
ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدّون واصله يعتدون ويُعِدّون من
الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة
يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه
ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ لا
يُسبتون من اسبت ولا يُسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت
وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا و
اشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب
فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت واذ قالت
عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا
في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا
شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم
او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه كانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن
لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما
بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب
الى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي
اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا
بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا
الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب
بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على فيعل
كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر فخفف عينه بنقل
حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه

فعل

فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيّس كريّس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها
وبيْس على التخفيف كهيْن وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا
عن ما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا
قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون و
الظاهر يقتضي ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز
ان يكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن
اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا
يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة
فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تأتي انسباءهم وتشم ثيابهم
وتدور حولهم باكية ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن
ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم
على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك
اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى واذ اوجب ربك على
نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية
بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلهم
وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى
المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية
فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا
وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث
لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال
منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون
ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم
وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون
عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت
به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير

والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب
التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى
حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون
من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا
لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى
الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير
في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه
الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق
عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة
مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا
ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض
والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا ذلك
ولا يستبدلوا الادنى الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر
وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة
عطف على الذين يتقون وقوله افلا يعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر
المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع
من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع
التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه واصل النتق الجذب
كانه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان
الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه
وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان
قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اي وقلنا خذوا او قائلين
خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو
واذكروا ما فيه من العمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال ورذائل
الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم

على

على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع
وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي
ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا
بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد
والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة
اي كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف
على ان تقولوا وقرأ ابو بكر كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا
من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن
من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتأسيس
الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل
والنطق والهمهم ذلك بحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه
في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى
الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية
ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات
ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي
آتيناه آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم
ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد عليه السلام
حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها
من الآيات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه
فكان من الغاوين فصار من الضالين روي ان قومه سألوه ان يدعو على موسى
ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه
ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات
وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هويه
في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه
بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله

الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه
وان السبب الحقيقي هو المشية وان ما نشاهده من الاسباب وسايط معتبرة
في حصول المسبب من حيث ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه
ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة و
تنبيها على ان ما حمله عليه هواه وان حب الدنيا راس كل خطيئة فمثله فصفته
التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث
او تتركه يلهث اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض
له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فواده واللهث ادلاع اللسان من التنفس
الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع
لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على
موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين
كذبوا باياتنا فاقصص القصص المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون
تفكرا يؤديهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم
على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا باياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها
وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين
جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب
الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي
ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان
هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع
في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف
الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء
وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم
للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرانا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة
الحق والنظر في دلايله ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر

اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر اولئك
كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم
وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك
من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك
بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ
وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون
في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم
معنى فاسدا كقولهم يا اب المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به
نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على
الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا
توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون
وقرا حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طايفة ضالين ملحدين
عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر و
استدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة
لقوله عليه السلام لا يزال من امتي طائفة على الحق الى ان ياتي امر الله اذ لو اختص
بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم
سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال
درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا
انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب
واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما
سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا
عليه السلام من جنة جنون روي انه عليه السلام علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا
يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت

ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظره اولم ينظروا نظر استدلال
في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه الشيء من الاجناس
التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها
ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا
اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب
الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فباي حديث بعده
بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كانه اخبار عنهم بالطبع
والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان
يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون
بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به
وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم بالرفع
على الاستيناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة
والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم
يعمهون حال من هم يسئلونك عن الساعة اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة
واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله
كساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اي اثباتها واستقرارها ورسو الشيء ثباته
واستقراره ومنه رسي الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه
اي وقت وهو من اويت لان البعض آو الى الكل قل انما علمها عند ربي استاثر به
لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو
والمعنى ان خفاءها مستمر على غيره الى وقت وقوعها بغتة واللام للتاقيت كاللام
في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت على اهلها
من الملائكة والثقلين لهولها فكانه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تاتيكم الا بغتة
فجاة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل
يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسئلونك

كانك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك
عدي بعن وقيل هي صلة يسالونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا
له ان بيننا وبينكم قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسالونك عنها كانك حفي
تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفي بالسؤال عنها تحبه
اي تكرره لانه من الغيب الذي استاثره الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره
لتكرير يسئلونك لما نيط به من هذه الزيادة والمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع
ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله
من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني
السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب
المضار حتى لا يمسني السوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار
والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير
ومتعلق النذير محذوف هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من
جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها
حواء ليسكن اليها ليانس بها ويطمئن اليها اطمينان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر
الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشيها اي جامعها حملت حملا خفيفا خف
عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا هو النطفة فمرت به
فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت به بالتخفيف وفاستمرت وفمارت
من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت
صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا
الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك
على هذه النعمة المجددة فلما آتيهما صالحا جعلا له شركا فيما آتيهما اي جعل اولادهما له
شركا فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا
وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حوا اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها

ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهمّا منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهّل عليك خروجه فسميته عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمّياه عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبيا ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصي من قريش فانه خلقوا من نفس قصي وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقا المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جي به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مستوي بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلوني فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين

اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكرة والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم يقدر ان يؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيّف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطاء ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهولاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما

قوله واذا لم تأتهم بآية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا
من نفسك كسائر ما تقرأه او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي
لست بمختلق للآيات اولست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر
للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره
واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا
يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي
وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج
به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في
الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن
قراءته كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون
الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر دون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص
بالغدو والآصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر
آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين
عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه
وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن
عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود
فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف
جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وهي خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية
من الله وفضل كما سمي به ما يشترطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل
الانفال لله والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به و
سبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون

منهم

منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء
ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم
وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا
لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم
على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رحمه الله
وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت
سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته
منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله
من قتل اخي واخذ سلبه فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد
صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اي يسألك الشبان
ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم
الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول
واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان
كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء
عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون
في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له
وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من
عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم آياته
زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة
او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء
على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون و
لا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا
لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص

والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي العيار عليها الصلوة والصدقة حقا
منصوب صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله وعد الله حقا لهم درجات
عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط
منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها
كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر للفعل المقدر في قوله لله
وللرسول اي الانفال تثبت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج
ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم
وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم
وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون
راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر
جبرائيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال
وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا
على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رات
قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة
من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس
وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع
اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان
رسول الله بوادي ذفران فنزل عليه جبرئيل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما
قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب
له انا خرجنا للعير فرد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل
فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله فقام ابو بكر وعمر
فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن
ابين ما تخلف عنك رجل الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله
فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك

فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم
رسول الله ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم
وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف
ان لا يروا النصرة الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك
تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت
به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول
الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك ما تخلف رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق
عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله
ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله
لكأني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر قيل له عليك
بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك
احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق
في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون
اينما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون
القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة
عددهم وعدم تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء
الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على
اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل منها انها لكم بدل الاشتمال
وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون
فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة
الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه
بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر
الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله
يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم به فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل

اى فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت
والثانى لبيان الداعى الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها
ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق
الحق او على اضمار اذكروا واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا
يقولون اى رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عليه
السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد
يديه يدعو اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض
فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك
فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم انى ممدكم بانى ممدكم فحذف الجار وسلط
عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان
الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا
من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين
من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اى متبعين
او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها
واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء فى الدال فالتقى ساكنان فحركت
الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما فى سورة آل عمران
ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة والساقة
او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف فى مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل
عليها وما جعله الله اى الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم
فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم وامداد
الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها
ولا تيأسوا منه لفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة
ثالثة او متعلق بالنصر او بما فى عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ
نافع بالتخفيف من اغشيته الشئ اذا غشيته اياه والفاعل على القرائتين هو الله تعالى
وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له

باعتبار

باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه و
الامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشى وان يجعل على القرائة
الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان يغشاهم
لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله
يهاب النوم ان يغشى عيونا • تهابك فهو نفار شرود • وقرئ امنة كرحمة وهى
لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم
رجز الشيطان يعنى الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من
العطش روى انهم نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم
اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون
وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم
رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذوا الحياض على
عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذى بينهم وبين العدو حتى ثبتت
عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم
ويثبت به الاقدام اى بالمطر حتى لا تسوخ فى الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت
فى المعركة اذ يوحى ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة انى معكم فى اعانتهم
وتثبيتهم وهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحى مجراه فثبتوا
الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقى
فى قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله انى معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم
قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان
قوله سالقى الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا
قولى هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التى هى المذابح او الرؤوس واضربوا منهم
كل بنان اصابع اى حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب
او الامر به والخطاب للرسول او لكل واحد من المخاطبين بانهم شاقوا الله ورسوله
ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم فى الآخرة
بعد ما حاق بهم فى الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله

بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين فى شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله
صح

الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا
او عليكم ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب
على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه
موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان
بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا
بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده
قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بانهزام
فضلا ان يكونوا امثالكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المومنين الآية ويجوز
ان ينتصب زحفا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم و
تدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم
حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال
يريد به الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا
الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى
ابن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول الله ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على
الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن
متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله
وماويه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله
عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بيته والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم
بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه
لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها
يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من
تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم
وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المومنون
يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت

فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم وما رميت يا محمد رميا يوصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت
بصورة الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا
وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود
منه وقيل معناه وما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب
في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل
يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم حنين نحو الحصن فاصاب لبابة بن الحقيق
على فراشه والجمهور على الاول وقرا ابن وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده
في الموضعين وليبلي المومنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة
ومشاهدة الآيات فعل ما فعل ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم و
احوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل والرمي ومحله الرفع اي المقصود ذلكم او الامر
ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المومنين
وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد
وحفص موهن بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الخطاب لاهل
مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا
اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة
الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته
نعد لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار
ولو كثرت فئتكم وان الله مع المومنين بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر وحفص
وان بالفتح على ولان الله مع المومنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمومنين والمعنى
ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما
يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو
ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤيد
ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن
الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة

الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول كقوله ومن يطع
الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم
تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة
والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون
راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن
الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به
وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم
سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد
التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي احي لنا قصيا
فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي
يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه
لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي انه عليه السلام مر على ابي وهو
يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال
الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته
لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاء كان لامر لا يحتمل التاخير
وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم
الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت
وثوبه كفن او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من
الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى
بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد
كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب
ما عسى يغفل عنها صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها
قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه
فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين
الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها

على الراء

على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم
باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار
المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع و
التكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب
الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن
معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه
شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله
حتى اذا جن الظلام واختلط • جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط • واما جواب قسم
محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد
الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه
ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان
الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل
مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين
وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم
الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآواكم
الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به عن اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة
الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون
هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن
او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم وروي انه عليه السلام
حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على
ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم
سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت
الله ورسوله فنزل فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما
ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم
تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى

يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاء فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار
قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث
ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد
الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب
على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة
من الله تعالى ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن
آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين
آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او
نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المومنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات
او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت
افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز
والعفو عنه وقيل السيئات الصغاير والذنوب الكباير وقيل المراد ما تقدم وما
تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان
ما وعده على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقويهم عليه كالسيد
اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به
حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى
واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق والحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه
حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات
وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام
الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل
عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم
ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا منافذه
غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من
يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه

من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال
ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة
فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل
عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل النبي عليه السلام واخبره
الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا كرم الله وجهه على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله
عنه الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين
معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير
الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز
اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء
لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس
القوم اليهم فانه كان قاصهم او قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية
مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا شيئا من ذلك فما منعهم ان يشاؤوا وقد
تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم
وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين
ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القايل
ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي عليه
السلام ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا منزلا
فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم
واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير
فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه
النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير
الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي
والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته

غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين
او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع
تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم
ذلك من صدهم عنه الجاء رسول الله والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام
الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا
يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه
الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او
اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او
ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر
وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال
احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق
الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه
صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون
فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ان يصلي يخلطون عليه يرون
انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب
الاخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا
وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين
يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في
ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب
وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل
لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل
الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم
في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق

احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق
ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها
من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون
آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين
ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث
من الطيب الكافرين من المؤمنين او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بقوله
ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث
بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم
او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين فيجعله في جهنم كله اولئك
اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون
في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه
والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم
ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل
وهو الله وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على
الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا
عن الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب
تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام و
الاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة
على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا
فاعلموا ان الله موليكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من
تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من
الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف
اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله
والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول

ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وكأنه قال فان لله خمسه يصرف
الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلوات الله عليه
يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى
الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رحمه الله سقط سهمه وسهم ذوي
القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلثة الباقية وعن الامر فيه مفوض
الى رأي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال
يقسم على ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه عليه السلام
كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال
وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذوي القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه
عليه السلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك
بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت اخواننا من بني المطلب
اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية
ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني
والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد
باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت
ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من
شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل
عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقنعوا
بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود
بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الآيات والملائكة
والنصر وقرئ عبدنا بالضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه
فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء
قدير فيقدر على نصر القليل والكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل
من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور
الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى

البعدى

البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا
تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا
والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو
منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها
الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين
نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث
امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا
كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشي فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف
العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم
وهم للقتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم
ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا
ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا
حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت
عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان
وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح
بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي
المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك
بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل
وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين
الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك
قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح
اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهي ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا
على عدوهم ولو اريكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت
آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع

انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم
اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم
في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم
مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان
محمدا واصحابه اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترءوا عليهم ولا يستعدوا
لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم
آيات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن
لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن
ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان مفعولا
كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا
اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها
الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون
الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن
الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون
بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر
الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان
لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه
ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها
في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان
النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا
واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما
بلغوا الجحفة فاتاهم رسول ابي سفيان فقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال

ابوجهل

ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان
ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم
النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل
تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله
معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا لكن
على تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان
مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم وقال
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في
روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم
ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين
وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب
كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان
نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب
هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم و
خاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت
قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل
لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم
من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام
فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر
الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك
فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان
وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني بمكروه من
الملائكة ويهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم ير قبله والاول
ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه
وان يكون مستأنفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين

لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون
والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حين تعرضوا
لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل
على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل
حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رايت
فان لو يجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ
ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة
فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله
عز وجل وهو مبتدا خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني
فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله
على الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي
يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار
القول اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع
من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله
ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي
وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على ان سببيته
مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم
فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم
سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كداب آل فرعون اي داب هؤلاء
مثل داب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دابوا فيه اي داموا عليه والذين
من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدابهم فاخذهم الله بذنوبهم
كما اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة
الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا
اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوء كتغيير قريش
حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن

بتعه

تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير
ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا
حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره حتى يغيروا حالهم واصل
يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه
بالحروف اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كداب
آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل
فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم
وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه
التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط
وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله
اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على
ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم
ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص
وهم يهود قريظة لما عاهدهم رسول الله ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح
وقالوا نسيناه ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن
الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة
او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصرة
للمؤمنين وتسليطهم عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب
فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من
وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه
مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل
التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم
معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم
على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة

منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستيناف ولا تحسبن خطاب للنبي عليه السلام وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او للكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعله عليه السلام خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل ونقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به

والحرب

والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيق بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير انى وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد ياتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلوات الله عليه وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما في محل النصب على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر يكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في وان يكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله

واليوم الآخر ولا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات
قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم
الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات
لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا
بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة
على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة
وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة
الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ
للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر
القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه
المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا
حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل
الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ يريد الآخرة على اضمار المضاف كقوله
اكل امرئ تحسبين امرأ • ونار توقد بالليل نارا • والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه
حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت
الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين
روي انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب
فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم
فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر فان الله اغناك
عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب
اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون
الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك
يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك
يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا

الفدا

الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر
يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابك
على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة
قريبة والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون
عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان
لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح بالنهي عنه
او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء
عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد
بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها
من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبيب والسبب
محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر
الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا
وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على
الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم
ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو
من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم
من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله ان يفدي نفسه
وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف
قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك
وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي فان حدث بي حدث فهو لك
ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي تعالى
قال اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسول الله والله لم يطلع
عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل فقال العباس فابدلني الله خيرا
من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني
زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود

بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض
ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فأمكن
منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فيمكنك منهم
والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا
لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على
المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم
الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء
بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون
الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة
والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم
في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة
والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم
النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا
بعضهم اولياء بعض في الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث
او الموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم به من تواصل بينكم
وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلايق بينكم وبين الكفار تكن فتنة
في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهو ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير
في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا
ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلثة اقسام بين ان الكاملين
في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال
ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له
ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون
والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب

في

في كتاب الله في حكمه او في اللوح او القرآن واستدل به على توريث ذوي
الارحام ان الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام
والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال
وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بري من النفاق واعطي عشر حسنات
بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته

سورة التوبة مدنية وهي مائة وتسع وعشرون اية

وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة
والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين
والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها
والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلثون
وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله
امان وقيل كان النبي عليه السلام اذا نزلت سورة او آية بين موضعها وتوفي
ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان
في الانفال ذكر العهود وفي البراءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما
سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله
براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره
واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها
والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى
ان الله ورسوله بريئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله
ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهد المشركين اليهم
وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريئا منها وذلك
انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا ناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ
العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا فقال فسيحوا
في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في

شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع
الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليا راكبا العضباء ليقراها على اهل الموسم وكان قد بعث
ابا بكر اميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابي بكر فقال عليه السلام لا يؤدي عني
الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله
فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم
عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني
رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال
امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت
عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل
قوله لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان يؤدي
عنه كثير لم يكونوا عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد
ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد
ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم
وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان
من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء
ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم
افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر
عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام
الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع
في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه
المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين
وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهودهم ورسوله
عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء
للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع

ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب
الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم
من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي
عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه
هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم
من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان
امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا
من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم
احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين
ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ
انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم
التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة و
المحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس
فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم
وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد
الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف
فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم
وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان
تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي
فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة وان
احد من المشركين المامور بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب
منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر
ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء
لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان
وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون

للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد
لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد
وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على
الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد
وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام المستثنون
قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء
منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم اى فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله
فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله
يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع
التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله • وخبرتماني انما الموت بالقرى
فكيف وهاتا هضبة وقليب • اى فكيف مات وان يظهروا عليكم اى وحالهم انهم
ان ظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان • لعمرك
ان الك من قريش • كال السقب من رال النعام • وقيل ربوبية ولعله اشتق
للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم
استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية
وقيل اشتقاقه من ال الشئ اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى
الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبريل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم
بافواههم استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم
عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد
اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان
الكفر والمعاداة بحيث انهم ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم
ما تتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم
وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة
السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع

الاهواء

الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر
الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء
ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة تفسير
لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود
او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة
فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم
ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام
المعاهدين وخصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا
عليه من الايمان والوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بتصريح التكذيب وتقبيح الاحكام
فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا
بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء
المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر
وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح
باظهار الياء لحن انهم لا ايمان لهم اى لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم
ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد
به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها
لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرا ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او
لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا
يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون
متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية
بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت
على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول
والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول
حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا
وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم اول مرة

في المعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب
والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم
وتصادموهم أتخشونهم أتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق
ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مومنين فان قضية الايمان
ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه وتوبيخ على تركه والتوعد عليه
يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من
قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مومنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن
وسبأ قدموا مكة واسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم
لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء
ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب
بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب
لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل
ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمومنين حين كره بعضهم القتال وقيل
للمنافقين وام منقطعة ومعنى همزتها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد
نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه
ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المومنين
وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على
ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم
من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا
من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها
فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين
على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما
استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي

انه

انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي
الله عنه في القول فقال ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد
الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم
التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر
مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة واتى الزكوة انما تستقيم
عمارتها لهولاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش
وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها عما لم تبن
له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في
ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في
بيتي فحق على المزور ان يكرم زايره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان
بالله قرينته وتمام الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه
ولم يخش الا الله اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلي لا يكاد
العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع
قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم
مهتدون فان هولاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك
باضدادهم ومنعا للمومنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله
السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره
اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويويد الاول
قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم
المحبطة بالمومنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين
عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك
ومعاداة الرسول منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله
ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المومنين
الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله

عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية
والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ
حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف
خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله
عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا
بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا
ضايعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى
لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا
الكفر على الايمان ان اختاروه وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم
الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشيرة فان العشيرة جماعة ترجع الى
عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشايركم واموال اقترفتموها
اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي
فانه لا يدخل تحت التكليف التحفظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله بامره جواب ووعيد
والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين
لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة
يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر
في ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم
كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف
اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين
مكة والطايف حارب فيه رسول الله والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة
الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا

اربعة

اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي عليه السلام او ابو بكر رضي الله عنه او غيره
من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك
المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله
في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث
وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح
بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا
واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه السلام
هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من التراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا
فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض
بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة
الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين
والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا
بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف
حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني
الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب
الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم
في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام
والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول
الله واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا
واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم
ما لا يحصى فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب
شيئا فقام رسول الله وقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري
والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا
فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم
قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب

ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن
النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته
نجس وعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر
النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم
وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج
والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد
على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا
يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب
منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارزاق فسوف
يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل
السماء مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد
والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية
او حال ان شاء قيده بالمشية لتنقطع الآمال الى الله تعالى ولينبه على انه متفضل
في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم
باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر اي لا
يومنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون
اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين
الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب
بيان للذين لا يومنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى
دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مواتية بمعنى منقادين
او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل
فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يوخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين
اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا
مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس يوخذ الجزية من الذمي

ويوجاء

ويوجاء عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويويده ان عمر رضي
الله عنه لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه عليه
السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك
لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا توخذ منهم الجزية
عندنا وعند ابي حنيفة توخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه
عليه السلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك
توخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال
ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب
ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت اليهود عزير بن الله انما قاله بعضهم
من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة
بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التورية
حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول
كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم و
الكسائي ويعقوب عزيرٌ بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه
في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها
للنون بحرف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا
وهو مزيف لانه يودي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى
المسيح بن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد
بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن
الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار
بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه
في الاعيان يضاهؤن قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم
على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود
على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم

ومنه قولهم امرأة ضهياء على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله
دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم
انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم او بالسجود لهم
والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله تعالى وما امروا اي وما امر المتخذون
اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا
وهو الله تعالى واما طاعة الرسل وسائر من امر الله بطاعته فهي في الحقيقة
طاعة الله تعالى لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه
عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا نور
الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد عليه السلام
بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويأبى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز
الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد بالتكذيب بحال من
يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح
الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف
الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون
غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى
بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر
الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار
والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشى في الاحكام سمي
اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من
الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على الاموال والضن بها
وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه
بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر

عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها
ما بقي من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه
فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله عليه السلام
من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها حقها لقوله عليه السلام
فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريره ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي
منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جبينه وجنبه
وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار
ذات حمي شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت
النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث
الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم
كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا
قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر
لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب
اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان
لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا
عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة
فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها
اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه هذا ما كنزتم
على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها
فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان
عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا
في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله يوم خلق السموات
والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان
هذا امر ثابت في نفس الامر مذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد
فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريمها

الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابرهيم و اسمعيل عليهما السلام والعرب
ورثوا منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور
على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم
وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا
في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه السلام حاصر
الطايف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما
يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع
موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب
تقويهم انما النسيء اي تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون
احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد
وعن نافع انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي والنسي
والنساء والنسيء وثلثتها مصادر نساه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما
احل الله تعالى وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا
زايدا وقرا حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان
الفعل لله تعالى يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه
شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن
عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم
فاحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتك قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان
تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة
واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة
وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله
تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم
الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في
سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام
للتوبيخ الى الارض متعلق به وكانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان

ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطايف في وقت عسرة
وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها
من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة
في جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا اي ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه
يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما
غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيا
اذ لا يقدح تثاقلكم اذا تثاقلتم في نصرة دينه شيا فانه الغني عن كل شيء وفي كل
امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله وعده بالعصمة والنصرة ووعده
حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد
كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره اذ ا
خرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو
كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصر حتى نصره في مثل
ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه
او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من
يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل
من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو
في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه
وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين
طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال عليه السلام ما ظنك
باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل
لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه
فانزل الله سكينته امنته التي يسكن عندها القلوب عليه على النبي او على صاحبه
وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه
في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فيكون الجملة معطوفة على
قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة

الله هو العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك تخليص
الرسول عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتاييده اياه بالملائكة في
هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب
عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها
وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله
عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم
او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا
ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل
ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما
او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير لكم او ان كنتم تعلمون
انه اذا اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا
اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك
ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين
وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا
يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو
تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جواب
القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم
بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس
في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين
الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه
لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم
في القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك
الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله شيئين
لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستأذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة

المؤمنين

المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه
ولا يتوقفون على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوك في التخلف عنه او ان يستأذنوك
في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة
لهم بثوابه انما يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد
والرادع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون
يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عده بحذف
التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين
باضافة وغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا
الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم
فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في
قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن
الرسول لهم والقاعدون يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم
لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك
ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع
منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه
لا يكون مفرغا ولا اوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب
او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون
ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير
في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون حديثكم
للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يأتي منهم لقد ابتغوا الفتنة
تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما
تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا
يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال
امرك حتى جاء الحق النصر والتأييد الالهي وظهر امر الله علا دينه وهم كارهون

اي على رغم منهم والآيات لتسلية الرسول على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره
انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما
فوّت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن
لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تأذن
لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع
المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد
بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني
اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها
وهي فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين
جامعة لهم يوم القيمة او الآن لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك في بعض
غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة
كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم
واستحمدوا آرائهم في التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن
الرسول عليه السلام وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح
لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيّبنا وهو من فيعل لا فعّل لانه
من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء
فيما قصد به وقيل من الصواب هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل
المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى
الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة
ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة
من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا
انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى
الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي
الامرين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو

جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم
وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف
وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله
اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تأنيث
النفقات غير حقيقي وقرئ نقبل على ان الفعل لله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى
متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على
تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال
لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها و
حفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم
كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا
لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم
منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين
فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤن اليه او مغارات غيرانا
او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ
مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا
نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه
الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك ابن كثير يلامزك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم
في الصدقات في قسمتها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم
في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول
الله يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل
يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة نائب مناب
الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتيهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة
او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا
حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله

فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والآية باسرها
خبر الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات
تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اي
الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في
قسمة الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من
حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه
من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين
وانه عليه السلام يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا
ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم
اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فتستألف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم
اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس
بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه عليه السلام
كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم
من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير
سواد الاسلام فلما اعزه الله وكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك
الرقاب بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب
فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في
للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين
المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان
كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله
او لغارم او لرجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى
المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد والانفاق
على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل في بناء القناطر والمصانع وابن
السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اي فرض
لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك

فريضة

فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص
استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد
منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة
وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه
قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله
على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمتها عليهم ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة
كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او
اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة
نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن
لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك يؤمن بالله
يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم
واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان
ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره
وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة
بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اي يأذن
لكم رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف فيهما وقرئ واذن خير على ان خير صفة له او خبر
ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم
فيما قالوا وتخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق
ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين
او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه
والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان الشان وقرئ
بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق يفاعل من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها
على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون الجواب
محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي

العظيم يعني الاهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة
تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين فان
النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرؤ ومحتج به عليهم وذلك يدل على
ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر في
معنى الامر وقيل كانوا يقولون فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا ان الله مخرج
مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون
اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان
ركب المنافقين مروا على رسول الله عليه السلام في غزوة تبوك فقالوا انظروا
الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله
نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك
ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله وآياته ورسوله
كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم
ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة
الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم
الايمان ان يعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم ولتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء
وقرا نافع بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء
والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد
وقيل انه تكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل
عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يامرون بالمنكر بالكفر
والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن
المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم
فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق
عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها

مقدرين

مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها ولعنهم الله
ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه ويقال انه
من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل ما فعل الذين
من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم
بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير
فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم
الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر
في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم
واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج
الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا
والآخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين
خسروا في الدنيا والآخرة الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان
وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك
اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة
والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت فصار عاليها سافلها
وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب
احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم
اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في سائر
الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز
غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة تستطيبها النفس ويطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ

والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه السلام
عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون
والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها
يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير
وصفه فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه
طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب
الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وخلود وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها
عفاء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ
لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه السلام
ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم
تعطه احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل
من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان
او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي
جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم
في ذلك ولا تحابهم ومأويهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي
انه عليه السلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المتخلفين
فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا فنحن شر من الحمير فبلغ
ذلك رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت
توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام
وهموا بما لم ينالوا من فتك الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من
تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن
ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما كذلك اذ سمع حذيفة
بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او هموا
واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله

وما

وما نقموا وما انكروا وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله
فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله اثروا
بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف
درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك
خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا
بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة بالقتل والنار
وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن اتانا
من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني
الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت
بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة فسال عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى
لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما
الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض
فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء
ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على راسه
فقال هذا عملك فقد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها
ثم جاء بها عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان فلما اتيهم من فضله بخلوا به
منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض
عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد
في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم
يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله
ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون
وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال
مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء

على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على
الاخلاف ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية
وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب
او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين
في الصدقات روي انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف
باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت
لعيالي اربعة فقال رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم
وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر
فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع
فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن
وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب
ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا
طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم
سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم
استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة بهم
كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله
بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في
مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه السلام لازيدن على السبعين
فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من
السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه
فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين
والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد
باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم
قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر

الصارف

الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل
على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك
في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره
وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار
بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي
قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة
فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها
تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم لبعض
او قالوا للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا
يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا
والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك
والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة
منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم
يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك
للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار
في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان
الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين
اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر
الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله في مرضه
فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه
فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت
وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان

محلًا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من
الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب
النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع
فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او للزيارة انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم
واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون
تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس
مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القرآن
ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله بان آمنوا بالله ويجوز ان تكون المفسرة
وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم ذووا الفضل والسعة وقالوا ذرنا
نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء
جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في
الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول
والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد
جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا
والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف
خيّرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية
وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا
في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا
معك اغارت طيّ على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذّر في الامر اذا قصّر
فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في
الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع
لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب مُعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ
معذّرون بتشديد العين والذال على انه من تعذّر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء

لانه عم

لانه عم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون
قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا
الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار
سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر
لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى
والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة
حرج اثم في التأخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية
كما يفعل المولى الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين
بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل
وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين
غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما
اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار
معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة
وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد اتوا رسول الله وقالوا نذرنا الخروج معك
فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزوا معك فقال لا اجد فتولوا
وهم يبكون وقيل هم بنو مقرّن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت
لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم
تفيض تسيل من الدمع اي دمعها فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب
على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا
حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا
متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنوك
وهم اغنياء واجدون الاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف
لبيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام
في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة
فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة

قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبانا
الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمايركم من الشر والفساد
وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال
للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير
للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شي من ضمايرهم واعمالهم
فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم
لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التانيب
فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة
الاعراض وترك المعاتبة ومأويهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من
اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم
عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون
علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا
عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم لا يستلزم رضا الله
ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان
يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود
من الآية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم
الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم
وقساوتهم وعدم مخالطتهم اهل العلم وقلة استماعهم الكتاب والسنة واجدر
الا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرايع فرايضها
وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به
مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في
سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجوا
عليه ثوابه وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدواير دواير الزمان ونوبه
لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دايرة السوء اعتراض بالدعاء
عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدايرة في الاصل

مصدر

مصدرا او اسم فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر
اضيف اليه للمبالغة كقوله رجل صدق والله سميع لما يقولون عند الانفاق
عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات
عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ
وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر
ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان
يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل
به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على
الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم سيدخلهم
الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم
لتقريره وقيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين
وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين
شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا
سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة
مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على السابقون والذين اتبعوهم باحسان
اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة
رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية
والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في
ساير المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم اي ممن حول بلدكم
يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار
كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته
مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن
جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على
الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير
لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد خفي عليك حالهم مع كمال فطنتك

وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك
لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب
القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم اى عذاب النار
وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة
من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين فقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم
فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى
اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذى
هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق
والواو اما بمعنى الباء كما فى قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل
واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهى مدلول عليها
بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ
من اموالهم صدقة روى انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا
فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن
الذنوب او حب المال المؤدى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم
بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمى بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل
عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها
نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتوحيد
والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن
فى قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان
الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ
الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدى بدله وان الله هو التواب الرحيم
وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله
عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم كما
رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون

بالمجازاه

بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون اى موقوف امرهم من ارجأته
اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله فى
شانهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد
وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل
بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة
بن الربيع امر رسول الله عليه السلام اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا
ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا
عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اى وفيمن وصفنا الذين
اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة
للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله ان يأتيهم
فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه
ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله فقالوا انا قد
بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه
مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر
بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه
ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذى يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين
يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة فى مسجد قباء وارصادا وترقبا لمن حارب
الله ورسوله من قبل يعنى الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين وانهزم
مع هوازن وهرب الى الشام ليأتى من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ومات
بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام
ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء
بالتخلف لما روى انه بنى قبل غزوة تبوك فسألوا رسول الله ان يأتيه فقال انا
على جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت
وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة

الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم انهم لكاذبون
في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه
رسول الله وصلى فيها ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة
او مسجد رسول الله لقول ابي سعيد سألت رسول الله عنه فقال هو مسجدكم
هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن تعم الزمان والمكان كقوله
لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن شهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه
فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله
وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المتطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من
جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون
انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام أترضون
بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء
قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله
عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول
الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا
افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان على قاعدة محكمة هي التقوى
من الله وطلب مرضاته بالطاعة خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار
على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة
استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا جرف وهو ما جرفه الوادي الهائر
في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه
بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان الله ومقتضياته التي الجنة
الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة
ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ
اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس واساس واساس بالكسر
وثلثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرئ

ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه
صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول
وليس بجمع ولذلك قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة
في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم
فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول
وسمه على قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك
والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع
ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب
الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع
بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب وقطعت
على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة تمثيل لاثابة
الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون استيناف لبيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة
والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض
قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في الوعد
في التورية والانجيل والقرآن مذكور فيهما كما اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده
من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به
فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظايم المطالب كما قال وذلك هو الفوز
العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون
ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا
كقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم
الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء من التائبون الى والحافظون نصبا على المدح
او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمائه
او لما نابهم في السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة

انتهى الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية تتوصل بها
الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت والسائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون
الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر
عن الشرك والمعاصي العاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة
كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه
وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه
للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن
ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هولاء
الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم
الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم
بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك
بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما فتح مكة
خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة
قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل علي الآيتين
ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه
دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب لتوفيقهم للايمان وبه دفع النقض
باستغفار ابرهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه وعدها ابرهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق
للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه او وعدها ابرهيم ابوه وهي
الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن
تبرأ منه قطع استغفاره ان ابرهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة
قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه
وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هديهم للاسلام
حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكأنه بيان عذر الرسول في

قوله

قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر
الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله
بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا
اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود
ومتولي امره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه
بشراشرهم ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه لقد
تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن للمنافقين في التخلف او برأهم
عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث
على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرون والانصار
كقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه
والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء
والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة
تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا
يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات
على الايمان او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في
منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما
زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على انه
يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم
رؤف رحيم وعلى الثلثة وتاب على الثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة
بن الربيع الذين خلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم
انفسهم عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل
لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها
انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم بالتوفيق بالتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا في جملة التوابين

او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب
لمن تاب وان عاد في اليوم مائة مرة الرحيم متفضل عليه بالنعم يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله
نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة
واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم
عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ
بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت
اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء
ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته ثم اخذ سيفه ورمحه ومر
كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن
ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم
ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة
بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ شيء من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة
في سبيل الله ولا يطؤن ولا يدوسون موطئا مكانا يغيظ الكفار يغضبهم
وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح
الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين
على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه
سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة
لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة
مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منفرج
ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم
اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله به احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم
او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا
جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش

فلولا

فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة
ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم
وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكر من فروض الكفاية وانه
ينبغي ان يكون غرض المتعلم ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد
لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار
الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بفرقة طائفة الى التفقه
لينذروا فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبارهم ما لم يتواتر لم يفد ذلك
وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتاب المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر
وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه
فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه
الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في
ليتفقهوا ولينذروا للبواقي من الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف
اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب
كما امر الرسول عليه السلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح
وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون
الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ
بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة
واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته
هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين آمنوا
فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها
الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع
درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما
الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون

يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد
مع رسول الله فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون
لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت
سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من
عيوبهم هل يريكم من احد اي يقولون هل يريكم من احد ان قمتم من حضرة الرسول
فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة
صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون
لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من
انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص
عليكم اي على ايمانكم وصلاح شأنكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ
منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن
الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو
كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم
الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم
بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي
الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس عليه السلام مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة
من الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي
والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم
آياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه
ان اوحينا وقرئ بالرفع على الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا
واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهوا نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل
منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله تعالى

لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور
نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام
لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا
الباب ولذلك كان اكثر الانبياء كذلك قبله وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا
كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس هي ان المفسرة او المخففة من
الثقيلة فيكون في موضع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الانذار اذ قلما من
احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا
به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان
السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها
والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون
الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة
الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة
اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر
يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها
وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع الا
من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله
وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية
للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحده
بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة
لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه
وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر آخر
مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه
ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم
على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو

الا وجه لمقابلته قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا
يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب
كفرهم لكنه غيّر النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات
من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين
بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعيّنه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم
سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان
المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه
لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا
بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو
مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير
ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور
وسمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض
نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيّرة في ذاتها والقمر نيّرا بعرض
مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر
مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة
سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد
السنين والحساب اي حساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم
ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل
الآيات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص
يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض
من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا
لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة
الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على
لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا

غافلون

غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين
والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في
الشهوات بحيث لا يخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين
من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن
التأمل في الآجل والاعداد له اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا
عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم
بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال
عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم
الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق
قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح بالتتمة والرديف له
تجري من تحتها الانهار استيناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على
المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق
بتجري او بيهدي دعويهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اي اللهم انا نسبحك تسبيحا
وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر دعويهم وآخر دعائهم
ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا
عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة
عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات
الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس
الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته
لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر
علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله الخير حين
استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه
لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل
وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون
عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم

امهالا لهم واستدراجا واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه
لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع
الاحوال والاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر
على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف
وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان الى ضر مسه
الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك
في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة
لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف
على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم
وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك
الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة
في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة
على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم
فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا
او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام
يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال
وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقران غير هذا
بكتاب آخر نقراه ليس فيه ما نستبعده من البعث والعقاب بعد الموت او ما نكرهه
من معائب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك اية اخرى
ولعلهم سالوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله
من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن
التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي
تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب

للنقص

للنقص بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القران
كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف
ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب
بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادريكم به ولا اعلمكم به
على لساني وقرا ابن كثير برواية قنبل والبزي مع خلاف عنه ولادريكم بلام التاكيد
اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي
لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراكم ولا ادراتكم بالهمزة
فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى
الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشية الله
لا بمشيتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا
مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القران لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة
الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس
فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرا عليهم كتابا بذت فصاحته
فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع
واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به
من الله افلا تعقلون اي افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه
ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفادى مما اضافوا اليه كناية
او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب باياته
فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه
جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته
بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا
فيما يهمنا من امور الدنيا او في الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا
من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا
انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عند الله قل اتنبئون الله اتخبرونه
بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما لا يعلم

العالم بجميع المعلومات لايكون له تحقق ما في السموات ولا في الارض حال من العايد
المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي او
ارضي ولا شئ من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان
يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم
به وقرا حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في اول النحل والروم بالياء وما كان
الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك
في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال
في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعهم طائفة
واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم عنهم او العذاب
الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون
باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات
التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم ان في انزال الآيات
المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحوه اني معكم
من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم ما نزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره
واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم
مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله
اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل
عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى
اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه
على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون
بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرا ابن عامر ينشركم بالنون
والشين من النشر في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها
عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم
بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك

او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم
الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا وسدت عليهم مسالك
الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع
الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال
لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة
القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون
في الارض فاجؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو
احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها
افساد بالحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم
وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه
على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا
وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا
او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم
متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر بغيكم
ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها
العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء
انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه
بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت
الارض زخرفها وازينت تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة
كعروس اخذت من الوان الثياب والزينة فتزينت بها وازينت اصله تزينت
فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى
صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها
متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا
فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن
زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء

على الاصل بالامس فيما قبله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية
وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض
حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه
من التشبيه المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به
والله يدعوا الى دار السلام دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص
هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد
الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام
والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان
الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى
المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل
الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة
مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم
لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار
او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى
على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على
تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان تجازى سيئة بسيئة
مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كأنما اغشيت
اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اي
فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة
وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله
او من عنده كما يكون للمؤمنين كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما
لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل
في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة

او معنى

او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون
وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا عنه اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات
على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة
فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم
عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصلة
التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه
من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا
به وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين وقيل ينطق الله الاصنام
فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه
العالم بكيفية الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من
عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت
او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل
وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر بحالها المعترف بسعادتها وشقاوتها
بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس
عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله
الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى
وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا
يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء
والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية
او من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف
اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار امن يستطيع خلقهما
وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء

ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشي الحيوان
من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد
تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه
فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم
الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته
لانه الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام
انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في
الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت
الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله
وحكمه وقرا نافع وابن عامر كلمات هنا وفي آخر السورة وفي غافر على الذين فسقوا
تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل
لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدا الخلق ثم يعيده
جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها
ولذلك امر الرسول عليه السلام بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدا
الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد
السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق
للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على
ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى
بها ما اسنده الى الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن
لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا
اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة
والمسيح وعزير وقرا ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد
الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء
وكسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرا ابو عمرو
بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع

برواية

برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي
صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات
فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغايب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى
مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد
الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء
ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول
واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم
للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القران ان يفترى افتراء من دون الله من
الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهودة
على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها
ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق
الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق
واثبت من العقايد والشرايع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل
في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان
يكون استينافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق
بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا
من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع من اتباع الظن لبيان ما يجب
اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار
قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي
في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم
ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه
وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى
التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقران اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا
بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف
دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم

بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان
القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا
معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدى فرازوا
قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره
مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم
ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من
سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به فى نفسه لفرط غباوته وقلة
تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او
بالمصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لى عملى ولكم
عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم
بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون لا تؤاخذون بعملى ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من
ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون
اليك اذا قرأت القران وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذى لا يسمع اصلا
افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم
وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف
به البهايم وهو لا يتاتى الا باستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت
مأوفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامها الحكم والمعانى
الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهايم من كلام الناعق ومنهم
من ينظر اليك ويعاينون دلايل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدى
العمى تقدر هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة
فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك
البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق
والاية كالتعليل للامر بالتبرى والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا
بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها

عليها

عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت
المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل
من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وقرأ حمزة والكسائى
بالتخفيف ورفع الناس ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون
مدة لبثهم فى الدنيا او فى القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية فى موضع الحال اى يحشرهم
مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعايد محذوف تقديره كان
لم يلبثوا قبله او مصدر محذوف اى حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف
بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف
لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق
الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة
على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى يتعارفون على ارادة
القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون فى تحصيل المعارف
فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدايم واما نرينك
نبصرنك بعض الذى نعدهم من العذاب فى حيوتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك
قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه فى الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب
نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجازيهم عليه ذكر الشهادة
واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على
افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى
الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضى بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط
بالعدل فانجى الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم
القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان
قضى بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر كقوله وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم
ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب
منهم للنبى والمؤمنين قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل
فى جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن

لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
لا يتاخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحيء وقتكم وينجز وعدكم قل ارايتم
ان اتيكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا
حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب
يستعجلونه وكله مكروه لا يلايم الاستعجال وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني
والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا اليه من مجيء
العذاب لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال
او تعرفوا اخطاءه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني
ويكون الجملة متعلقة بارايتم او قوله اثم اذا ما وقع امنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم
به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف
الاستفهام على ثم لانكار التاخير الان على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا
بعد وقوع العذاب الان امنتم به وعن نافع الان بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف
على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد
او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر
ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده
انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد
مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه
لحق ان العذاب لكائن او ما ادعاه لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واي
بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك توصل بواوه في التصديق فيقال اي
والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب ولو ان لكل
نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به
لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما
راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله

فلم يقدروا

فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها
او لانه يقال سر الشيء لخالصه من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من
قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا
لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة
بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات
والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده
من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعقلون
لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما
في العقبى لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت
قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت والنشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب
جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن
والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك
وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزل عليهم فنجوا بها
من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران
بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال
القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة
الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك وفائدة ذلك
التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء
بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما فليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على
ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله
واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض
وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها
الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون

هو خير مما يجمعونه ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق
منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او
بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض
فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون
ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة
بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها تقريرا لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اي شيء
ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه
انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل
على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن
اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في امر واصله الهمزة من
شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلوا منه له لان تلاوة
القران معظم شان الرسول عليه السلام او لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير
من اجله ومفعول تتلوا من قران على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقران
واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد
تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم
ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون
فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب
عن علمه وقرا الكسائي بكسر الزاء هنا وفي سبا من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة
او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف
ممكنا غير هما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها
والمقصود منه هو البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا
في كتاب مبين كلام براسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب
خبرها وقرا حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال

ذرة

ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء
منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مامول
والاية كمجمل فسره قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون
بيان لتوليهم له لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى
لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى
الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة
بيان لتوليته لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء
او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف
لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة
والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده
كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرا نافع يحزنك
من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استيناف بمعنى التعليل ويدل عليه
القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك
غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم
عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين واذا كان
هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها
احق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون
شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما
يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة
بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اي شيء يتبع الذين
تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره
فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون
الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشاهم

وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون
انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق
العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف
الذي هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار
قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور
الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب
عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان
بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم
وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا من سلطان
اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان
كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقايد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها
غير سايغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك
اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف
اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حيوتهم او تقلبهم متاع
او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء
المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ
نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي
نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي
على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم
فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركايكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل
وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي
وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركائكم وقد قرئ
به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في
اهلاكه على وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة

مستورا

مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا
اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ادوا الى ذلك الامر الذي
تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الى بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا
خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما
سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم
ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم
او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره
فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم
لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا
ثمانين وجعلناهم خلايف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول
وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول
الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المبينة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا
فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا
به من قبل اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك
نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال
ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد عرفت تحقيق
ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملايه
بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعهما وكانوا قوما مجرمين معتادين
الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واصروا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا
وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين
ظاهر انه سحر او فايق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم
انه لسحر فحذف المحكي القول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم
بتوا القول بل هذا استيناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام
فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم

فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المقول ولا يفلح الساحرون
من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل
سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل السحر
هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا
اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة
الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك
بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به
وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه
فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان
ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها وآلسحر بدل منه او خبر مبتدأ
محذوف تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اي آلسحر هو ويجوز ان ينتصب
ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر
بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر
افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه و
قرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه
الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة
من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمنوا
آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون
وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء
او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان
يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف
من الملأ كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين
في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما
رأى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا

عليه

عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق
الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط
بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان
قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم
ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل
على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى
موسى واخيه ان تبوآ ان اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون
اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد
متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا
بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين
بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ
المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة
مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة
وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب
ونحوهما واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك
دعاء عليهم بلفظ الامر لما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله
ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم
على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكانهم
اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم
وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس
بالضم واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا
وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن
فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما

كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد
الله وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين
ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي وجاوزناهم
في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقري جوّزنا وهو من فعّل المرادف لفاعل كضعّف
وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا
باغين وعادين او للبغي والعدو وقري وعدوّا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت
انه اي بانه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي
انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسير الآمنت فكب عن الايمان
اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل الآن أتؤمن الآن وقد ايست من نفسك
ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين
الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر
البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرأ يعقوب
ننجيك من انجى وقري بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال
اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك
وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم
هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بها لتكون لمن خلفك آية لمن
وراءك علامة وهم بنوا اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيّل اليهم انه لا يهلك
حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من
الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة و
نكالا عن الطغيان وحجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان
وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك اي لخالقك
آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف
تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته
وهذا الوجه محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون

فيها

فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا انزلنا بني اسرائيل مبوّأ صدق منزلا صالحا
مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا
حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرأوا التورية وعلموا احكامها او
في امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك
يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق عن المبطل بالانجاء والاهلاك
فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير
فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على
نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان
القرآن مصدق لما فيه او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل
اليه او تهييج الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك
له ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي عليه السلام
والمراد به امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما نزلنا على لسان
نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها
بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات
القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن
من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت
وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت كلمة
ربك بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه
ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة
الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت
قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب
ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب
عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما راوا امارة العذاب
ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الجملة
في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد

من القرى ها ليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا
قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روى
ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم
بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنى الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا
دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه
فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل
والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة
واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة
ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على
الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية فى انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين
وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر افانت
تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء
وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف
المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روى
انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله
وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد
نفسك فى هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ
بالزاء وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج
والآيات او لا يعقلون دلايله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله
قل انظروا اى تفكروا ماذا فى السموات والارض من عجايب صنعه ليدلكم على وحدته
وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغنى الآيات
والنذر عن قوم لا يؤمنون فى علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية فى موضع
النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم ونزول
بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا
انى معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجى

رسلنا

رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه
قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا ومن آمن منهم على حكاية الحال الماضية كذلك
حقا علينا ننجى المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجى محمدا وصحبه حين نهلك
المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ
الكسائى وحفص ننجى مخففا قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم فى شك
من دينى وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى
يتوفيكم هذا خلاصة دينى اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها
بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو انى لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم
الذى هو يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من
المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحى وحذف الجار من ان يجوز ان يكون
المطرد مع ان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد
تركتك ذا مال وذا نسب وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة
ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما فى الغرض لان المقصود وصلها بما تضمن معنى
المصدر ليدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى
وامرت بالاستقامة فى الدين والاستبداد فيه باداء الفرايض والانتهاء عن
القبايح او فى الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن
من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته
فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب للسؤال
المقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصيبك به فلا كاشف له
يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذى ارادك به ولعله
ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات
وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه
متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن
رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته
بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم

رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه
لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا
عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال
والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو
خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما
لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى ومنعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات
السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلايل او جعلت حكيمة منقول من حكم
بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت
بالفوايد من العقايد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما
نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرى ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل
واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار
من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت
وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا
الا الله لان لا تعبدوا الا الله وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول
ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه
قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه من الله تعالى
نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم
عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن
طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا اليه بالطاعة ويجوز
ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة

الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق
والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل واحد فلا تتغير
ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة
وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم
عذاب يوم كبير يوم القيمة وقيل يوم الشدايد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف
وقرى وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاهد على التقييس
وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون
صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي عليه
السلام او يولون ظهورهم وقرى يثنوني بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء المبالغة
وتثنوي وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلام الضعيف اراد به ضعف
قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمزة ليستخفوا
منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمومنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من
المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة
محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث
بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين ياوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم
يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف
يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور باسرار ذات الصدور او بالقلوب
واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه
تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها
ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات والاصلاب والارحام او مساكنها من
الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة
كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ فكانه
اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على
الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف

او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات
بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن بينهما
حايل لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء
اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله
اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم
معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم
وما تحتاج اليه اعمالكم ودلايل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما
جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع
وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض
على احسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد
بالعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال عليه السلام ايكم احسن
عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن
قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي
ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان
وقرا حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن
قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى عل اي لعل قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا
بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعده من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا
عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء
ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب
مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل جواز تقديم خبرها عليها
وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد
ما كانوا به يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن
موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان
منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة
منه انه ليؤس قطوع رجاؤه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور

مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة
بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات
عني اي المصايب التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول
عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان
في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران والبطر
بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدا الوصول الا الذين صبروا
على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها
ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان
لان المراد به الجنس واذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافرين
لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف راي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم
به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه
وهو عصمة الرسول عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ههنا وضايق به صدرك
وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه
كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به
مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك
ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل
فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام
منقطعة والهاء لما يوحى قل فاتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم
اولا بعشر سور لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار
كل واحد مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي
فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص
والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة
على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم
اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان

امر الرسول منا ولا الهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل
وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك
رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر
عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما
لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه
باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل انتم مسلمون
ثابتون على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذ تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز
ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لكم لمن استطعتم اي فان لم
يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا
انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم
داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب
بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم
في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء
اي يوف الله ويوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض
كقوله وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غايب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون
لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة
وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم
استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزايم السيئة وحبط
ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله
والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير
للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي فكان كل واحدة من
الجملتين علة فيما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى
المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على بينة
من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار

ان

ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب
بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر تقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد
الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي عليه السلام وقيل مؤمنوا
اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد
من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى يعني
التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق او البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة
والشاهد جبريل او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه
والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة
وقرئ كتابا بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القرآن شاهد ممن كان
على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرا من قبل القرآن
التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز
بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر
به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده
يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم مما
للشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال
فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله
اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا ويعرض اعمالهم ويقول الاشهاد
من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ
لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها
عوجا يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة
وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم واختصاصهم
به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم
وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا
اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف وقرأ ابن كثير

وابن عامر ويعقوب يضعّف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامّهم
عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة
العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون
الله من أولياء فإن ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب
اعتراض أولئك الذين خسروا أنفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى
وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها أو خسروا ما بذلوا وضل عنهم
ما حصّلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون
لا أحد أبين وأكثر خسرانا منهم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم اطمأنوا
إليه وخشعوا له من الخبت وهي الأرض المطمئنة أولئك أصحاب الجنة هم فيها
خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالأعمى والأصم والبصير والسميع يجوز
أن يراد به تشبيه الكافر بالأعمى لتعاميه عن آيات الله وبالأصم لتصامّه عن استماع
كلام الله تعالى وتأبّيه عن تدبّر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لأن أمره
بالضد فيكون كل منهما مشبّها باثنين باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين
العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة
كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل
يستوي الفريقان مثلا تمثيلا أو صفة أو حالا أفلا تذكرون بضرب الأمثال
والتأمل فيها ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم بأني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر
وحمزة بالكسر على إرادة القول نذير مبين أبيّن لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص
ألا تعبدوا إلا الله بدل من إني لكم أو مفعول مبين ويجوز أن تكون أن مفسّرة متعلقة
بأرسلنا أو بنذير إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة
المعذَّب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جدّ جدّه ونهارك صائم
للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا لا مزية لك
علينا تخصّك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا
أخسّاؤنا جمع أرذل فإنه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكابر أو أرذل جمع رذل بادي
الرأي ظاهر الرأي من غير تعمّق من البدوّ أو أول الرأي من البدء والياء مبدلة

من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف
المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وإنما استرذلوهم
لذلك أو لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الأحظّ بها
أشرف عندهم والمحروم منها أرذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل
يؤهّلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين إياك في دعوة النبوة وإياهم
في دعوى العلم بصدقك فغلّب المخاطب على الغائبين قال يا قوم أرأيتم أخبروني
إن كنت على بيّنة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده
بإيتاء البينة أو النبوة فعمّيت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لأن البينة
في نفسها هي الرحمة لأن خفاء النبوة أو على تقدير فعمّيت عليكم البينة بعد البينة
وحذفها للاختصار أو لأنه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعُمّيت
أي فأخفيت وقرئ فعماها على أن الفعل لله أنلزمكموها أنكرهكم على الاهتداء بها وأنتم
لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس أحدهما
مرفوعا وقدّم الأعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا أسألكم
عليه على التبليغ وهو وإن لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا إن أجري إلا على الله فإنه
المأمول منه وما أنا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم إنهم ملاقوا
ربهم فيخاصمون طاردهم عنده أو أنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم
ولكني أراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم أو بأقدارهم أو في التماس طردهم أو تسفهون عليهم
بأن تدعوهم أراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه إن طردتهم وهم
بتلك الصفة والمثابة أفلا تذكرون لتعرفوا أن التماس طردهم وتوقيف الإيمان
عليه ليس بصواب ولا أقول لكم عندي خزائن الله رزقه وأمواله حتى جحدتم فضلي
ولا أعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله أي ولا أقول أنا أعلم الغيب حتى
تكذبوني استبعادا أو حتى أعلم أن هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد
قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على أقول ولا أقول إني ملك حتى تقولوا ما أنت إلا
بشر مثلنا ولا أقول للذين تزدري أعينكم ولا أقول في شأن من استرذلتموه
لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فإن ما أعد الله لهم في الآخرة خير مما آتيكم في الدنيا

الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء
افتعال من زرى اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاى فى الجهر واسناده
الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادى الرؤية من غير روية بما عاينوا
من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل فى معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا
خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فأتنا بما تعدنا من العذاب
ان كنت من الصادقين فى الدعوى والوعيد فان مناظرتكم لا تؤثر فينا قال
انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب
منه ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب
قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان
اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى ولذلك تقول لو قال الرجل انت طالق ان
دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا
من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان
وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم
وهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على
اعمالكم ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلى اجرامى وباله وقرئ اجرامى على الجمع وانا
برئ مما تجرمون من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك
الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه
من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذى
به يحفظ الشئ ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريق
التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ولا تراجعنى فيهم
ولا تدعنى باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل
الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا
به لعمله السفينة فانه كان يعملها فى برية بعيدة من الماء اوان عزته وكانوا يضحكون
منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما
تسخرون اذا اخذكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال

فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعنى به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه
وينزل ويحل عليه حلول الدين الذى لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب
النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى
هى التى يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور
تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان فى الكوفة فى موضع مسجدها
او فى الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف
موضع فيها قلنا احمل فيها فى السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها
زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين
من كل زوجين اى من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين
او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين
يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم
وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة
سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روى
انه عليه السلام اتخذ السفينة فى سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة
ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل فى اسفلها الدواب
والوحش وفى اوسطها الانس وفى اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اى صيروا فيها
وجعل ذلك ركوبا لانها فى الماء كالمركوب فى الارض بسم الله مجريها ومرسيها
متصل باركبوا حال من الواو اى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت
اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر
والمضاف محذوف كقولهم اتيتك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز
رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اى اجراؤها بسم الله
على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهى اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها
او حال مقدرة من الواو والهاء وروى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله
فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله
ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائى وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جرى

وقرئ مُرسَاها ايضا من رَسَا وكلا مما يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ
الفاعل صفتين لله ان ربّي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم
لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمّين وهي تجري بهم
وهم فيها في موج الجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند
اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق
ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور
انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح
ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه
وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطا اذ الانبياء عصمت من ذلك
والمراد من الخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ
حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من
عزله عنه اذا ابعده يا بنيّ اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء لتدل على
ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان
في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثاني في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا
اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواية عنه
في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن
مع الكافرين في الدين والانعزال قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني
قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان
من رحمهم الله تعالى وهم المؤمنون ردّ بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه
يعصم اللائذ به لا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله
في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وحال
بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين
بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نودي بما ينادى به اولو العلم وامرا
بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع
الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم

عقابه

عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز
ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة
على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب
ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين
هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير
للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها
والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول
دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغني عن ذكره اذ لا يذهب الوهم
الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى
نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان
وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق عليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي
فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك
اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من
الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار
اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد
فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادركت
فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين
وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب
انه عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب
هو ام ليس كذلك وانما سمي نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجازه
في شان ولده واستفسارا لمانع الانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه لقوله
اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله
قد دل على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه
وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون
على ان اصله تسألنني فحذف نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة

لليائي ثم حذفت اكتفاء بالكسرة واثبتها نافع برواية ورش في الوصل قال رب
اني اعوذ بك ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا
تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من
الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره
من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك مباركا عليك او زيادات في
نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي
وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم
او على امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك
امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية
من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة
الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها
خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك وحال من الانباء وهو الخبر ومن انباء
متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر
اي مجهول عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها
او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه
اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف برجل منهم فاصبر على مشاق
الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز
للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه
وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر
حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله تعالى باتخاذ الاوثان شركاء
وجعلها شفعاء قال يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب
كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة
بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب
من الخطاء ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله تعالى بالايمان
ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى

والرغبة

والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف
قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات
وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم هود
عليه السلام على الايمان والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل
ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا
ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم
من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن
قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق
ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك قولنا من عراه
يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك
تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال
اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه
من اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان
يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن
آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه ولم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي
جماد لا يضر ولا ينفع ولا يتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة
الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس
الا للثقة بالله تعالى وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله
اني توكلت على الله ربي وربكم تقرير له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لن تضروني
فاني متوكل على الله تعالى وواثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون
على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك
لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي
على صراط مستقيم اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم
فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ.

والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف
ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم ويستخلف قوما اخرين
في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع
كانه قيل وان تتولوا يعذرني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر
ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى
عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء
فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا
وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو
السموم وكانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد
به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم
فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار
القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله
لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد
من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم
واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة
اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا
ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك
والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر
الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان
لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد
بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره هو انشأكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم عليه السلام ومواد
النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها واستبقاكم من العمر
او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها
منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم

فاستغفروه

فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح
قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا
سيدا او مستشارا في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول
منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال
الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان
مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب
في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف
الشك باعتبار المخاطبين وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن
يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني
اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به
والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران
ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم
حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تأكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب
ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها
بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او
في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب
اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما
وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له اني بك فان وفى به صدقه
والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا
صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ
وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وقرأ نافع والكسائي هنا وفي المعارج
في قوله من عذاب يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه
ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسيره لك في سورة الاعراف
كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم نونه ابو بكر هنا وفي النجم والكسائي في جميع

القران وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي
او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل
ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا
سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام
اي امركم او جوابي سلام او عليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة
والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والجار
في ان مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت
الفرس اذا عرقته بالجلال كقوله بعجل سمين فلما راى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون
ايديهم اليه نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها
ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا
منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب
وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او
على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة
رأيها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل
بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ولم تعد
حقا ثديها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل
عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع
باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف
عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اي ويعقوب مولود
من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته
الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابرهيم من جهته
وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان
ولدا فتسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها

ولانها

ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتي يا عجبا واصله في الشر فاطلق
في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل ءألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين
وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه
على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد
من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا
اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات
باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببديع
ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الايات
واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها
العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب
عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى
بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شانهم ومجادلته اياهم قوله ان
فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال الماضية او لانه
في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا
او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او قبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم
غير عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على
الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة
وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابرهيم
اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم
وهو اعلم بحالهم وانهم اتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير
ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان
فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر
والكسائي سيء وسيئت باشمام السين الضم وفي العنكبوت والملك ابن ذكوان
باختلاس حركة السين وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية

عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب
شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون
دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا
يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون
لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء
بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات
على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي خبث ما يرمونه حتى ان ذلك اهون
منه او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم
فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه
امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا كقولك الميتة اطيب
من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك هذا
اخي هو فانه فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش
او ايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى
الحياء في ضيفي في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد
يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة
وانك لتعلم ما نريد هو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على
دفعكم او آوي الى ركن شديد الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ
او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف
تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب
فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك
لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم
فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبرئيل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا
يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء
وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاءت من القرآن من السري بقطع من الليل

بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ
لاحد وفي المعنى للوط الا امراتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه
قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف
فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع
على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين فانه لوط خلفها مع قومها او اخرجها
فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان
القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين
عن قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا بعد ان يكون اكثر القراء على غير
الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا و
لذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل
الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء
اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء
امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا
عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون
به فاسند الى نفسه من حيث المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبرئيل عليه ادخل
جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلب وصياح
الديك ثم قلبها عليهم وامطرنا عليهم على مدن او على سوادها حجارة من سجيل من
طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله
او ادر عطيته والمعنى من الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل
اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا
منضود نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال بتتابع بعضه على بعض كقطار
الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة
ببياض وحمرة او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك
في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد
لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سال جبرئيل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم

منهم الا وهو يعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى
قريبة ممن ظالمى مكة يمرون بها فى اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر
او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابرهيم عليه السلام واهل
مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال
والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافى
للعدل المخل بحكمة التعاوض انى اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان
تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم
عليه وهو فى الجملة علة النهى وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم
وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب
الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهى عن ضده مبالغة و
تنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعى بالايفاء ولو بزيادة
لا يتأتى دونها بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد
ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم
تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون فى المقدار او فى غيره وكذا قوله ولا تعثوا فى
الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد
بالبخس المكس كاخذ العشور فى المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة
وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصطلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه
ولا تعثوا فى الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من
الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط
ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان
او ان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم وقيل البقية الطاعة لقوله تعالى والباقيات
الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهى تقواه التى تكف عن المعاصى وما انا عليكم
بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ
وقد اعذرت حين انذرت ولست بحافظ عليكم نعمة الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم

قالوا

قالوا يا شعيب اصلوتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاصنام اجابوا به
بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته والاشعار بان مثله لا يدعو
اليه داع عقلى وانما دعاك خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان
كثير الصلوات فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائى وحفص على الافراد
والمعنى اصلوتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر
بفعل غيره او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء[٧] فى اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان
العطف على ان نترك وهو جواب النهى عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان
ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد
تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعدوه
بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارأيتم
ان كنت على بينة من ربى اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقنى منه رزقا
حسنا اشارة الى ما آتاه من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع
لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون فى وحيه
واخالفه فى امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهى عن دين
الآباء والضمير فى منه لله اى من عنده وباعانته بلا كد منى فى تحصيله وما اريد ان
اخالفكم الى ما انهيكم عنه اى وما اريد ان اتى ما انهيكم عنه لاستبد به فلو كان
صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا
اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت اى ما اريد الا ان اصلحكم بامر المعروف ونهى المنكر ما دمت استطيع
الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلثة
على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعى فى كل ما يأتيه ويذره
احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس
وكل ذلك يقتضى ان امركم بما امرتكم به وانهيكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع
الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته فحذف المضاف
وما توفيقى الا بالله اى ما توفيقى لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه

[٧] عطف على ما اى وان نترك فعلنا صح

توكلت فانه القادر المتمكن من كل شئ وما عداه عاجز فى حد ذاته بل معدوم ساقط
عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو اقصى مراتب
العلم بالمبدأ واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم
الصلة على الفعل وفى هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتى ويذره
من الله والاستعانة به فى مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار
واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله تعالى
للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقى معاداتى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم
نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان يصيبكم ثانى
مفعولى جرم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو
منقول عن المتعدى الى مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة
الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبنى كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت
حمامة فى غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان تعتبروا بمن
قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم فى الكفر والمساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافرد
البعيد مع تذكيره لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوى فى امثاله
بين المذكر والمؤنث لانه على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم
ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربى رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم
من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد
الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة
البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك
استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنريك فينا ضعيفا
لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع
عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا
على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم
على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة
لرجمناك لقتلناك برمى الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك

٦

عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفى ايلاء
ضميره حرف النفى تنبيه على ان الكلام فيه لا فى ثبوت العزة فان المانع لهم عن ايذائه
عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا
واجعلتموه كالمنسى المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون على
رهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهرى منسوب الى الظهر والكسر
من تغيير النسب ان ربى بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شئ منها فيجازى عليها ويا قوم
اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله فى سورة
الانعام والفاء فى سوف تعلمون ثمه للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما عليه
سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو
ابلغ فى التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقوله ستعلم الكاذب
والصادق بل لانه لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب
منى ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثانى اليه
لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما
اقول لكم انى معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب
كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما
فى قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجرى مجرى السبب له بخلاف قصتى صالح
ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح
فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبرئيل فهلكوا
فاصبحوا فى ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم فى المكان كان لم يغنوا فيها
كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان
ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ
بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون سبب الهلاك
والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتورية
او المعجزات وسلطان مبين المعجزات القاهرة او العصا وافرادها لانها ابهرها
ويجوز ان يراد بهما واحد اى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا

له على نبوته واضح في نفسه او موضح اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق
بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين
يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى عليه السلام
او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة
فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى
مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد
او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما
كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ
الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال
وبئس الورد المورود اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد
وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد
فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشد ما يكون
مأمون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا
والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد
ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في
الدارين ذلك اي ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك
منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع
المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو
ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب
ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون
الله من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب
هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى
هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى
على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه
اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره

من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في
التهديد والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم
لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عظمته لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما
اعده الله للمجرمين في الآخرة او ينزجر به عن موجبه لعلمه بانه من اله مختار يعذب
من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل
المختار وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب
المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له
الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه
لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع
له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات
والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود
اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه
فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة
معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لا منتهاها
فانه غير معدود يوم يأت اي الجزاء او اليوم لقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى
حين او الله تعالى لقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم
وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من
جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء
المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في
موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر او المأذون
فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار
بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف
وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا
ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في
اول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن

استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير
وقرئ شُقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط
دوامهم في النار بدوامها فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامها
بل للتعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبّرون به عنه على سبيل
التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم
ولا من دوامهما دوامه الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت
ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه
قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لا بد لهم من
مُظِلّ ومُقِلّ وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه
فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء
ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها
وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض
وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التأبيد
من مبدأ معيّن ينتقص باعتبار الابتداء كما ينتقص باعتبار الانتهاء وهولاء وان
شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا التقسيم لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد
تقسيما صحيحا لان من شرطه ان تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك
الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف
لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع
اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير و
غيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال
بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان
توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين يأتي اليوم
او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا
التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم
فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك على الالف الا الفان

القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء
السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا
في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ
غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء
في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد وقرأ حمزة
والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب
على المصدر المؤكد اي أعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك مما انزل
عليك من مآل الناس مما يعبد هولاء من عبادة هولاء المشركين في انها ضلال
مؤدّ الى مثل ما حلّ بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال
ما يعبدونه في انه يضرّ ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل استيناف
معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة
الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك
ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات
ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من
العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه
غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه
ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف
هولاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى القيامة لقضي
بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك
منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين
والتنوين بدل المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا
للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد او بالعكس
وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم لمّا بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت
النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين
يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لمًّا بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لمًّا وان كل لما على ان

ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما تعملون خبير فلا يفوت شيء منه وان خفي
فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح
الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة
في العقايد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال
من تبليغ الوحي وبيان الشرايع كما انزل والقيام بوظايف العبادات من غير تفريط
وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتني
سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف
على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا
عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية
دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان
ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي
بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى
من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم
ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي
عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت
على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط
فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وركنوا
على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب
عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي
عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد وعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان
يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره
لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة
وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات
منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة
الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية صلوة العصر وقيل

الظهر

الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا
بضمتين وضمة وسكون اللام كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات
يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما
اجتنبت الكباير وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اني اصبت من امرأة غير اني لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده
وقيل القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي
فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا
على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان
فهلا كان من القرون من قبلكم اولو بقية من الراي والعقل او اولو فضل وانما سمي بقية
لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم
ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب
ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد
في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح
اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا
فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك
وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة
وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف
على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين
عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو
للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك
لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق
العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة
واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد
الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق

وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا
هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم
ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه او الى الرحمة
وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين اى من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل
نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او
بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة
قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب
على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك
من انباء الرسل وجاءك فى هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق
وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون
اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون
ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه
خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص
يرجع على البناء للمفعول فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفى تقديم الامر بالعبادة
على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازى
ما يستحقه وقرأ نافع وحفص وابن عامر بالياء ههنا وفى آخر النمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب
ولوط وابرهيم وموسى عليهم السلام وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى

سورة يوسف عليه السلام مكية وهى مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهى المراد بالكتاب
اى تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها فى الاعجاز او الواضحة معانيها
او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود وما سألوا اذ روى ان علماءهم
قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة

يوسف فنزلت انا انزلناه اى الكتاب قرآنا عربيا سمى البعض قرآنا لانه فى
الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو
فى نفسه اما توطئة للحال التى هى عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له
او حال بعد حال وفى كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اى
انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كى تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا
ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص
عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن
ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض
والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا بايحائنا اليك هذا القرآن
يعنى السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان
كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو
تعليل لكونه موحى وان هى المخففة واللام هى الفارقة اذ قال يوسف بدل من
احسن القصص ان جعل مفعول بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف
عبرى ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه
مضارع بنى للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب
بن اسحق بن ابرهيم وعنه عليه السلام الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اصله يا ابى فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما
فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها
عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر فى كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان
يا ابتا فحذف الالف وبقى الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض
والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض
وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف
الخطاب انى رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تأويل
رؤياى احد عشر كوكبا والشمس والقمر روى عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنى يا محمد عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت فنزل

جبرئيل فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك بذلك هل تسلم فقال نعم فقال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة وقرا حفص هنا والصافات بفتح الباء لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث كالقربى والقربة وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما يكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمينه معنى فعل يتعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحوا فلا يالو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك بمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدا خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كالاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم

بضوء

بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله تعالى وحكمته او علامات نبوتك وقرا ابن كثير آية للسائلين لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وريالون ويشجر ودينة من ليا بنت خالته تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق بينه وبين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الآخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده من بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف

فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب اي في قعره سمي بها لغيبوبته عن اعين الناظرين
وقرأ نافع في غيابات في الموضعين على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ
غيبته وغيابات بالتشديد يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون
في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم عازمين على ان تفعلوا ما يفرق بينه
وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون
ونحن نشفق عليه ونريد له الخير اراد وابه استنزاله عن رايه في حفظه منهم بما تنسم
من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ
ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحراء نرتع
نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ونلعب بالاستباق والانتضال
وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب
وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع
من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون
ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه
واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام ان الذئب
قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي
وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت
من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه
قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون
ضعفاء مغبونون او مستحقون بان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا
به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس
او بئر بارض الاردن او بئر بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب
وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى وقد روي انهم لما برزوا به
الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث
فقال يهوذا اما عهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها
فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا

علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك
فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام
عليها يبكي فجاءه جبرئيل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل
كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص
ان ابرهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير
الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها
بيوسف فاخرجه جبرئيل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا
يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى
والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم
له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل
باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء آخر النهار
وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشا بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء
يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا
يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل
كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا
بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على
قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر
للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة
اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق
على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم
ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه واخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم
من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت
وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اي فامري صبر جميل
او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق والله

المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت
قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا
قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد
الماء ويستقي لهم وكان مالك بن دعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب
ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه
او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه
وقرأ غير الكوفيين يا بشراى بالاضافة وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش
بين اللفظين وقرئ يا بشرىّ بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف
واسروه اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه
الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا
كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة
وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة
نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع
من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف
بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن
بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا
يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين
وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في وكانوا
ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه
والملتقط للشيء متهاون به خائف عن انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين
فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل
بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف دل عليه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على
الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه
قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف
ومات في حيوته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد

جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية
من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع
عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وكان
ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو
ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا
وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا
اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا
في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما
تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب
التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف
في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا
عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تأويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف
فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور
الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها ويعبر المنامات المنبهة عن الحوادث
الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه والله غالب
على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف
شيئا واراد الله تعالى غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد
جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب
ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما
يعني علم تأويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه
ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها
عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب
لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير
او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر وهيت والكلمة

على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ
ابن كثير بضم وفتح الهاء تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر برواية ابن ذكوان بفتح
التاء وكسر الهاء من غير همزة كعيط وهي لغة فيه وقرء هشام كذلك الا انه اهمز
وقد روي هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته
قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي
قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله
وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف على قلبه فلا اعصيه انه
لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني
والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم
بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه
ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت
التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند
قيام هذا الهم او مشارفته كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه
في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل
وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب
محذوف يدل عليه وهم بها وقيل راى جبرائيل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله
وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك
اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد
والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم لطاعته وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن اذا كان في اوله الالف واللام
اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف
الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت
وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه
والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها
لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم

ايهاما

ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه
به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني
عن نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب
ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها
صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون
وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها
لتكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه
يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر
بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه
يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او
على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين
ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت
الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمتن علي باحسانك امتن عليك
باحساني اليك وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل
وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما راى قميصه
قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا
الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان
كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن
يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه
حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري
لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب
متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي
ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشاعن الحكاية في مصر
او صفة لنسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب
الدواب امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز

بلسان العرب الملك واصل فتى فتيٌ لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا
شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف
الفعل عنه وقرئ عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه
انا لنراها في ضلال مبين عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن
باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن
يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن
قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد
وآتت كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن
يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فيقع ايديهن بالسكين فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب
يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين نسوة وفي ايديهن الخناجر وقيل متكأ
طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك
نهي عنه قال جميل وظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام
يحز حزا كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع
الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكأ
من تكأ يتكأ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل
كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت
لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له
من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت
في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن
حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا
كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الالف الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى
التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك
سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير اللام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على
تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير

يوسف

يوسف اي صار في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود
للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر
بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين
الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله
فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك
العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه في الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو
صورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رعاية
لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت
لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره
اي ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف
ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا
والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون
كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين
قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي آثر
عندي من مواتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه
واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها
او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل
الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل
الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه
عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن اميل الى جانبهن او الى انفسهن بطبعي او
مقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها
وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء
بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون
فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله
والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن

واثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم
باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد
ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء
ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها
خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم
فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم
او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف واتفق
ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان
ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني اي ارى في المنام وهي حكاية حال
ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني
احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين
من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه في
السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل
ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله اي بتأويل
ما قصصتما علي او بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل
كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الطريق القويم قبل ان يسعف الى
ما سألا منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد
فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير
قبل ان يأتيكما ذلكما اي ذلك التأويل مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل
التكهن والتنجم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما
قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب
او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع
اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه
وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معاشر
الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي

وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثتنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس
المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله
علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون
بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه
فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ءارباب متفرقون شتى
متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب
الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما
من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء
باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون
الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة
ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه
المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره
امر على لسان انبيائه عليهم ان لا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك
الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام
الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان
ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات
واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي
لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون
في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل
ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه فقالا
كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه
وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا
استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك
عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك
اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره

لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف
ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف
لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة
بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبيا
فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع
وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنى فرجه
راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت
المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا
آخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها واستغنى
عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان
التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه
لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفا لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ
افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي
الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهو
المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية
العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمين
تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث
احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط
النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان
كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين
يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل
للمنامات الصادقة فهو كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتاويله وقال الذي
نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة
من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه
بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول

القول انا انبئكم بتاويله فارسلون اي الى من عنده علمه او الى السجن يوسف
ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاء فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق
وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا
صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك
ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك
ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه
ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دأبا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه
على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدأبون دأبا ويكون الجملة حالا
وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه
في صورة الخبر لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا ياكله السوس وهو على الاول
نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد
ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند
اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور
الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون
من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر من العنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل
يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول
من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم
بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه
بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة
والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين
المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على
ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول
بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي
قطعن ايديهن انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وتفحص حاله ليظهر براءة ساحته

ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على
انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت
مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة
اللاتي ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم
يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون
ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد
بعلم الله عليه وعلى انه برئ مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال
الملك لهن ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن
يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله
ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر
من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته
وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه
وقرئ على البناء للمفعول انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني
عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك
التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول
اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء
الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده
او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل
في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي وما انزهها
تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة
والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت
فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات
فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت
رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع
اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى

نفس

نفس يوسف واضرابه وقرأ قالون عن نافع والبزي عن ابن كثير بالسو على قلب
الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة
او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحم ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه
وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به
فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن
على كل شيء روي انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم اني اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم
سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك
يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع
رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه
على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه
راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن الارض
ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف
فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل
عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من
الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن
مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر
يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون
نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم
عاجلا وآجلا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه
ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد
في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر
والشام ونواحيها وتوجه الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق
معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى
استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأي رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم

وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير
بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه
لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ولنسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك
وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب
والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤا لاجله
واصل الجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما يزف
به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا
عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق
نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية وهلك
قال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك
قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا هاهنا من يشهد لنا فقال فدعوا بعضكم عندي رهينة
وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف
وقيل كان يوسف يعطي لكل نفس حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط
عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين
للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تأتوني به فلا كيل
لكم عندي ولا تقربون اي ولا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف
على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك
لا نتواني فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على
جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه
بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا
وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون
به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم
لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا
منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل
نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده

الى الاخ

الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله
مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون
فالله خير حافظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني
بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا قراءة حمزة والكسائي
وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا
متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى
الراء نقلها في قيل وبيع قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا
واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا
نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي
شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت
الينا استئناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت
الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف في
ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية
اما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما
نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل
لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز
ان يكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه
وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال
لن ارسله معكم اذ رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق
به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا
بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا
وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال الا حال
الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني في تأويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان
به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك فلما
آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق وايتائه وكيل رقيب مطلع

وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي
جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا
كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ
او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله
عليه السلام في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات من كل نفس هامة ومن كل عين
لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع
القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك عليه
توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة
للاختصاص كان الواو للعطف والفاء للتسبب فان فعل الانبياء سبب لان
يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان
يغني عنهم رأي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب
فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصداع في رحله وتضاعف المصيبة على يعقوب
الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي لكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم
وحزازته من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي
ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر
الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف اوى اليه
اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى فبقي
بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته
ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب
ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب
ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون
في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت
صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت من فضة وقيل
من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن
مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبية

السقاية

السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه
او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي
تتردد وقيل لاصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها
فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا
عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف
مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك
وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل
بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز
الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من
الباء مختصة باسم الله تعالى لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين
استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك
مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب كيلا
تتناول زرعا وطعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق والسرق او الصواع
على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله
فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع
يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط
او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام
الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة
فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه
بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث
من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف
بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان
دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان الكيد الا ان يشاء
الله الا ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون
منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم

كما رفعنا درجته وقرأ عاصم وحمزه والكسائي باثبات التنوين وفوق كل ذي علم
عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان
فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان
العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين
قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له
من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابرهيم وكانت تحضن
يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه
ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم
وقيل كانت لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق
او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها
لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير
ويفسرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا
اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع بما كنتم عليه وتانيثها باعتبار
الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون
وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا اي في السن
او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان
على اخيه الهالك مستأنس به انا نريك من المحسنين الينا فاتمم احسانك
او من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا
متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون
في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن ان آخذ من وجدنا الصاع في رحله
لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا
من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزي استايسوا
بالالف وفتح الياء من غير همزة واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على الياء على اصله
خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل
هم صديق وجمعه انجية كندي واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الرأي

وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا
وانما جعل حلفهم موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا
ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موضع
النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف
بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل
وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون
موصولة اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح
الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع او يحكم الله لي او يقضي لي
بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه
فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت
شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب
اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد
لبذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم
فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شهدنا من ظاهر الامر وقرئ سُرِّق اي نسب
الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان راينا ان الصواع استخرج من وعائه
وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري انه سرق او سُرِّق ودس الصاع
في رحله او ما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك
تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها يعنون مصر او قرية
بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا
فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد في محل القسم
قال بل سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت
اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك
ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله
ان ياتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم
بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقا

يا اسفى على يوسف اى يا اسفى تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة
والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما
لان رزءه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا
بحيوتهما دون حيوته وفى الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند
المصيبة الا امة محمد الا يرى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى
وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادهما وقيل
ضعف بصره وقيل عمى وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع
ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد
ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين
تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم مملو من الغيظ على
اولاده ممسك له فى قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول لقوله وهو مكظوم من كظم السقاء
اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله
كظم البعير جرته اذا ردها فى جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اى لا تفتؤ ولا تزال تذكره
تفجعا عليه فحذف لا كما فى قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسى لديك
واوصالى لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان
على النفى حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذى اذابه هم او مرض
وهو فى الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف
وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثى وحزنى
همى الذى لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم
فخلونى وشكايتى واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجى اليه
ما لا تعلمون واعلم من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل رأى ملك
الموت فى المنام فسأله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت
حتى يخر له اخوته سجدا يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا
عن حالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرجه
وتنفيسه وقرئ من روح الله اى من رحمته التى يحيى بها العباد انه لا ييأس من روح

الله

الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته
فى شئ من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية
مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع
رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت الدراهم زيوفا وقيل
صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل
فاتم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما
يساويها واختلف فى ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا ان الله يجزى
المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام فى القصر
هذه صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله
قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن
يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه
فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة
عليهم لما راى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب
فى تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم
ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين
قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام
عليه وقرأ ابن كثير وقالون على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل
تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء
وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخى من ابى وامى ذكره تعريفا
لنفسه به وتفخيما لشانه وادخالا له فى قوله قد من الله علينا اى بالسلامة والكرامة
انه من يتق اى يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات او عن المعاصى فان
الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع
بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة
وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك
قال لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذى يغشى الكرش

للازالة كالتجلية فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم
متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبر للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي
هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جرمهم حينئذ واعترفوا
بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغاير والكباير ويتفضل على التائب
ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي
الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون
الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد
شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي
هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه
على وجه ابي يأت بصيرا يرجع بصيرا اي يبصر واتوني انتم وابي باهلكم اجمعين
بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال
ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين
اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو
نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها
ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه لقريب قالوا
اي الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما
بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا
روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه
على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد
بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة
يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله
او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق
المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأله المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه
هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا للوقت لاجابة
او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة

ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما
اذلة خاشعين حتى نزل جبرئيل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد
مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل
استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه
بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه
مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف
وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه
اباه وخالته واعتنقهم نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله
اباءك ابرهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما
وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف المكاره والمشية
متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد
حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود
كان عندهم يجري مجريها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو
لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما
وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل رأيتها ايام الصبى قد جعلها ربي حقا
صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم
وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد
ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة
اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من
صعب الا وينفذ فيه مشيته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير
الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف
بابيه عليهما السلام في خزائنه فلما دخله خزينة القرطاس قال يا بني ما اغفلك
عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبرئيل او ما تسأله
قال انت ابسط مني اليه فسأله قال جبرئيل الله امرني بذلك لقولك واخاف
ان يأكله الذئب قال فلا خفتني رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو

ملك مصر وعلمتني من تأويل الاحاديث الكتب والرؤيا ومن ايضا للتبعيض
لانه لم يؤت كل التأويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة
المنادى او منادى برأسه انت ولي ناصري او متولي امري في الدنيا والآخرة
او الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من آبائي
او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين
سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمه وعاد
وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه
الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق
من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله
موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من
راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب ذلك اشارة
الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه
اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى
ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما
هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم
الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف
هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله وما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم
بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او القرآن من اجر
جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين
من آية وكم من آية والمعنى وكم من عدد تشبث من الدلائل الدالة على وجود الصانع
وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الآيات
ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض
بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤن
الارض وقرئ والارض يمشون عليها ان يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة

وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره
او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر
الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل
الكتاب افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم
او تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير
مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك
فسر السبيل بقوله ادعو الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة
غير عمياء انا تأكيد للمستتر في ادعو وعلى بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على
بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها
عن الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة
وقيل معناه نفي استنباء النساء نوحي اليهم كما اوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم
وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل
القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من
المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال
او الساعة او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون
يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء
حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيئس الرسل غاية
محذوف دل عليه الكلام اي فلا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس
الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه
من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون
او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل
قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان
الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن
عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن

ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي
والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم
قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل وظنوا انهم قد كذبوا
فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء
النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم
لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول
وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المستثنين
لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة
لاولي الالباب لذوي العقول المبرات عن شوائب الالف والركون الى الحس
ما كان حديثا يفترى كان القران حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه
من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو يستند الى القران
بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه
عن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله
وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه من القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وهي ثلث واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك
اشارة الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القران والذي
انزل اليك من ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف
العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع على الابتداء وخبره الحق
والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا
فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع السموات
مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين
جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد

او

او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع
الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها
بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات
على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش
بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من
السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها
ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم
انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير
ذلك يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد
لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر
على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض
بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي
جبالا ثوابت من رسى الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة
اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بها فعلا واحدا من حيث ان
الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين
اي جعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض
والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرأ
حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها
فان تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ
اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها
رخوة وصلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر
موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة
الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث
انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل
وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ

ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات
صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص
بالضم وهو لغة تميم كقنوان جمع قنو تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
اى في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان
اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ
ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء
ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر
وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من
قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة
كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على
كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد
بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه أإنا لفي خلق جديد
اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال
في اعناقهم مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص
الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك
انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات
عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم
والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب ومنه
المثال للقصاص وامتثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات
بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات
بفتح الميم على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه والتقييد به دليل جواز العفو
قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة
لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب

للكفار

للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما
هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا
انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي
موسى وعيسى انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك
الا الاتيان بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد
نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم
الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته
بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه
وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد
دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر
وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل واذا وقف وقف
بالياء في هذه الاحرف الاربعة حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين
ويقفون بغير ياء الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله وانه على اي حال هو من
الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده
في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك
وسنتان عند ابي حنيفة رحمه الله روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان
لاربع سنين واعداده لا حد له وقيل نهايته ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله
وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد
نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى
وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى
الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه
ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت
وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب
عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال
المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم

من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء
في مختبإ بالليل وسارب بالنهار بارز يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز
وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من
يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار
والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله لمن اسر او جهر واستخفى او سرب
معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على
عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب
فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات
وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين
من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله
من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون
احواله من اجل امر الله اياهم وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة
ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في
توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم
من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا راد له
والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم
السوء وفيه دليل على خلاف مراد الله تعالى محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه
وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع
او التاويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او من المخاطبين على اضمار ذوي
او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره
ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة
وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح الرعد
ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيصيحون سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه
على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته
وعن ابن عباس سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب

معه

معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله
واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم
يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة
والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة
من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر
بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله
فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول
وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة
فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت
وهو شديد المحال المماحلة المكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كايده وعرضه
للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف باستعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل
فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة على غير قياس ويعضده
انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار
فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق
الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة
المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل
واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو الحق
وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت
الآية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة
رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة
رسول الله بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم
وفساد رأيهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف
الراجع او المشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه
عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة
من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد

لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك الهتهم
وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغرف الماء ليشربه فبسط
كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال
الا في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها
يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا
حالتي الشدة والرخاء والكفرة له كرها حالتي الشدة والضرورة وظلالهم
بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد
ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله
بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص
الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال
جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال
وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله
اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم
الجواب فيه قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى
العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا
عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم
وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير
المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل
عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد
وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله
خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم
والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا
كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون
على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه
في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عن سواه ليدل

على

على قوله وهو الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء
ماء من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه فسالت
اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل
للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها
الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه
والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب
والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية
طلب حلي او متاع كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك
بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء
او للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به
كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته
بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به
انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في
عروق الارض الى العيون والقني والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ
الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله
بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفاء اي يرمي به السيل والفلز
وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة
الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح
المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة
الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب
المثل لشأن الفريقين كضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة
او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء
الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء ومأواهم
مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل

اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمى القلب لا يستبصر فيستجيب
والهمزة لانكار ان تقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولو الالباب
ذووا العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد
الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في
كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم
بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين
والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة حقوق جميع الناس ويخشون ربهم
وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا
والذين صبروا على ما يكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا فخرا
وسمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي
وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤن
بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة
السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها
وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات
لاولي الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن
بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون
فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على
المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق
بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على
ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض
لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم والتقييد بالصلاح
دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب
المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة
بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بالسلام فان الخبر فاصل
والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل فنعم

فتسكن

فتسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي
الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر
الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة
ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا
بما بسط في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا متعة
لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا منها ولم يصرفوه فيما
يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح
الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو
جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل
من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي
اليه من اناب بما جئت به بل ادنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من او خبر
مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر
رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه
يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين
آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا
لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك
قرئ به وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك
في امة قد خلت من قبلها تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها
لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب وهم يكفرون بالرحمن وحالهم
انهم يكفرون بتبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا
نعمه وخصوصا ما انعم الله عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط
المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا
للرحمن فقالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو

لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم
ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن
او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها
او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا
وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية
في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية
وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى
تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث
لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض
قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير
كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء
وهو اضراب عما تضمنه لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من
الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله
افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه
افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين
وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المأيوس
عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول
متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء
الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر
وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير
اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله فانه
صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى
هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية
حتى يأتي وعد الله اي الموت او القيامة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب

في

300

في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسوله
ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة
وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب
عليه بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من
جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف
او عطف على كسبت ان جعل ما مصدرية او لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون
الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على ان
هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة
ويستأهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ اتنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض
بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها
وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة
واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي
على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم
للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وصدوا
الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد
يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب
ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته
من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ
وخبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها
الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة
تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف
من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا
بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين
النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب
يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن

آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون
بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعنى كفرتهم الذين
تحزبوا على رسول الله بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب
واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرايعهم او ما يوافق ما حرفوه منها قل انما
امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اى قل لهم انى امرت فيما انزل الى
بان اعبد الله واوحده وهو العمدة فى الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه
لما يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع والكتب الالهية فى جزئيات
الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعوا لا الى غيره واليه مآب
واليه مرجعى للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء واما ما عدا ذلك
من التفاريع فيما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك
ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم فى القضايا
والوقايع بما يقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه ونصبه
على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التى يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم
بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولى ولا واق
ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمومنين على الثبات فى الدين
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء
واولادا كما هى لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن فى وسعه ان يأتى باية تقترح
وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المليئ بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم
يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحوا الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب
نسخه ويثبت ما يقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التايب ويثبت الحسنات مكانها
وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده
فى صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكاينات
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل
الكتاب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كاين الا وهو مكتوب فيه وان ما نرينك بعض الذى
نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما اوعدناهم او توفيناك

قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب المجازاة لا عليك فلا تحتفل
باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه اولم يروا انا نأتى الارض
ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه
لا راد له وحقيقته الذى يعقب الشئ بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه
يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك
كاين لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفى النصب على الحال اى يحكم نافذا حكمه وهو سريع
الحساب فيحاسبهم عما قليل فى الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء فى الدنيا
وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمومنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره
فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها
وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم فى غفلة
منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة
مع ما فى الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة
الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اى اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره
ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا
بينى وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتى ما يغنى عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم
الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام
واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اى وكفى بالذى يستحق العبادة وبالذى
لا يعلم ما فى اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزى الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن
عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز
ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم على الحرف
والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات
بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم عليه السلام مكية وهى اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اى هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم

اى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم
بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج
او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل
او استيناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده
وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سائله الله الذى له ما فى
السموات وما فى الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف
والذى صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه
بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج
من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر
الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا
على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب
اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرى
ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان
فى صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا
عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل
الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه وعلى انه مبتدأ خبره اولئك
فى ضلال بعيد اى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضال فوصف
به فعله للمبالغة او للامر الذى به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذى هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به
فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان
يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبى صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته
اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع
من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ
ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما فى اتعاب القرائح وكد النفس من القرب
المقتضية لجزيل الثواب وقرى بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين

وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير فى قومه لمحمد عليه السلام وان الله تعالى
انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبرئيل او كل نبى بلغة المنزل عليهم وذلك يرده
قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب فيضل
الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدى من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب
على مشيته الحكيم الذى لا يضل ولا يهدى الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا
يعنى اليد والعصا وساير معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اخرج
لان فى الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة
على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقايعه التى وقعت
على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان فى ذلك لايات
لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من
البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد
لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال
موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اى اذكروا نعمته وقت
انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا
اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة بدل الاشتمال
يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون
او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به فى سورة البقرة والاعراف
لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمه ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب
او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفى ذلكم من حيث انه باقداره
اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء
والمراد بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم ايضا من كلام موسى وتأذن بمعنى آذن كتوعد
واوعد غير انه ابلغ لما فى التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بنى اسرائيل
ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة
ولئن كفرتم ان عذابى لشديد فلعلى اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة
اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول

تأذن على انه يجرى مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن
فى الارض جميعا من الثقلين فان الله لغنى عن شكركم حميد مستحق للحمد فى ذاته محمود
يحمده الملائكة وينطق بنعمته ذرّ المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حرمتموها
مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود من كلام موسى عليه السلام او كلام مبتدأ من الله تعالى والذين من بعدهم لا يعلمهم
الا الله جملة وقعت اعتراضا والذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض
والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون
جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به
الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء
عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا
بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه
او ردوها فى افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدى
بمعنى الايادى اى ردوا ايادى الانبياء التى هى مواعظهم وما اوحى اليهم من الحكم والشرائع
فى افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا
انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفى شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ
تدعونّا بالادغام فى النون مريب موقع فى الريبة او ذى ريبة وهى قلق النفس
وان لا تطمئن الى الشئ قالت رسلهم أفى الله شك ادخلت همزة الانكار على
الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه لا فى الشك اى انما ندعوكم الى الله وهو لا
يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك بقوله فاطر
السموات والارض صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان
ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرنى على اقامة المفعول له
مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون
المظالم وقيل جئ بمن فى خطاب الكفرة دون المؤمنين فى جميع القرآن تفرقة بين
الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت فى خطاب الكفار مرتبة على الايمان
وحيث جاءت فى خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصى

ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى اى وقت سماه الله
وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا
ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا
عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم
لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤوا به من البينات والحجج واقترحوا
عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من
يشاء من عباده سلموا مشاركتهم فى الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة
فضل الله ومنّه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات
على بعض بمشيئته تعالى وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اى ليس الينا
الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتى بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق
بمشيئة الله فيخص كل نبى بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه فى
الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم
قصدا اوليا الا ترى الى قوله وما لنا ان لا نتوكل على الله اى اى عذر لنا فى ان لا
نتوكل وقد هدانا سبلنا التى بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو
بالتخفيف ههنا وفى العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا
توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت
المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم
للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان
يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم
اى الى الرسل لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه
ولنسكننكم الارض من بعدهم اى ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا
لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين
واسكان المؤمنين لمن خاف مقامى موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد

لمحكوته يوم القيمة او قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اى
وعيدى بالعذاب او عذابى الموعود للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح
على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين
فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن
وخاب كل جبار عنيد اى ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله
معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او القبيلين كان
اوقع من ورائه جهنم اى من بين يديه فانه مترصد بها واقف على شفيرها فى الدنيا
مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من وراء حيوته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء
عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد
عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة
لماء او حال من الضمير فى يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف
يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول
نفس ويأتيه الموت من كل مكان اى اسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجهات
وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت
فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اى يستقبل فى كل وقت عذابا
اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة
عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنتهم التى ارسل
الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاؤهم فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم فى جهنم
بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اى فيما
يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهى على الاول جملة مستأنفة
لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت
الذهاب به وقرأ نافع الرياح فى يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به
زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة
الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها لبنائها

على غير اساس من معرفة الله والتوجيه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته
الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شىء لحبوطه فلا يرون
له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم
محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق الم تر خطاب
للنبى والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات
والارض بالحق بالحكمة والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق
السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب
ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم
وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق
آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر
لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان
يعبد ويؤمن به رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا
اى يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا
يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا
لله تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع
جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل
الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم
انا كنا لكم تبعا فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب
او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا
من عذاب الله من شىء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة
موقع المفعول اى بعض الشىء وهو بعض عذاب الذى هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض
اى بعض الشىء وهو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية
مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اى الذين استكبروا
جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدينا الله للايمان ووفقنا له
لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله

طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناه لكم لكن سد دوننا طريق
الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص
منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون
مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين
ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمس مائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا
نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر
احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان
الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء
ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم
فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان
تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس
من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون
الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من
صرح بالعداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم
ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله
وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب
الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرأ
حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من
اجتماع يائين وثلث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف
فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء
والكاف في ضربه واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتموني
من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل
هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله يوم القيمة يكفرون بشرككم
او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي
كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام

وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم عليه السلام واشرك منقول
من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء
كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا
انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ
ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة
بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة
كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون
كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول
مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض
ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها
على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها
والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين
وقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال
للناس لعلهم يتفكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء
لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة كمثل شجرة خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت
جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار اذ حيف
في الكلمة والشجرة فسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن
والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم
ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان
على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا والشجرة في
الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا
يزلون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون عليهم السلام والذين
فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف

ولا يدهشهم اهوال القيمة روي انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم
يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء
ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله
الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون
في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض
عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا
نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها
كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقهم وشرفهم
بمحمد صلوات الله عليه فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا
اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي هم الافجران من قريش
بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين
واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر
جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين
لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم وجعلوا لله
اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن
يعقوب بفتح الياء وليس الضلال والاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد ولكن لما
كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات
التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه
الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار
وان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من آمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم
بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف
يدل عليه جوابه اي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة
وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك
فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما

وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت
من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو
ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ
الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر
وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي سر وعلانية
والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع
المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك
خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق
لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي
خلق السموات والارض مبتدا وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا
لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان
له وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر
لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيته الى حيث توجهتم
وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية
اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحان
من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتيكم من كل ما
سالتموه اي بعض جميع ما سالتموه اي بعض جميع ما سالتموه يعني من كل شيء سالتموه شيئا
فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سالتموه ما كان
حقيقا بان يسال لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسال وما يحتمل ان تكون موصولة
وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي وآتاكم من
كل شيء ما احتجتم اليه وسالتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية في موضع الحال
اي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تحصروها ولا تطيقوا
عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق
بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها
للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع

وبيع واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق
بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره
آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام
واجعلنا منه في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني
شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول
احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما
كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث
ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سألت
منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار
السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك
عني في امر ديني ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد
التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد
فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي
فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي
زرع يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له
والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول
عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال
ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤل اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها
من ابرهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فغارت عليها فناشدته ان يخرجهما من
عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمه طيورا فقالوا
لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك
نشركك في البانها ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت
اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند
بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم
ثمه والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل اللام لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة

الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها فاجعل افئدة
من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة
الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء
كقولك القلب مني سقيم اي افئدة الناس وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب
افئدة كآدر في ادؤر وان يكون اسم الفاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة
تعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين
ويجوز ان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ تهوى على البناء
للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى من هوي يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمينه
معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون
تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شي حتى يوجد فيه
الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن
تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا
فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك
واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك
والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجاء الى الله تعالى وما يخفى على
الله من شي في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم
ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب لي وانا كبير آيس
عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية اسمعيل
واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة
ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية
المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء
الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله
حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا
لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام
الله او استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء

واستجب دعائي وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولأبوي وقد تقدم
عذر الاستغفار لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب
يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم
اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ما هو عليه
من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله
وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية
للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه
الابصار اي تشخص ابصارهم ولا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين
الى الداعي او مقبلين بابصارهم فلا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال
على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف
او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم كفؤاد
ذي الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء لا رأي فيه ولا قوة قال
زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس
يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول
ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر
العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا
وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب
للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب
على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا
بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون
الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزولون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا
بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم
بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يتعدى بفي كقر وغني واقام وقد استعمل

بمعنى

بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون
في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال
من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا
وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم
لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه
او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظمة والشدة
لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال ومعدا وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها
كقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم على ان الجبال مثل لامر النبي عليه السلام
ونحوه وقيل مخففة من المثقلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا
وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام
هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ
وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله
لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف
الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد فاذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف
رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه
يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر
او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات
عطف على الارض تقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك
بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت
الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات
والآية تحتملهما وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن
ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس
هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال
تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا
واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة

ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تع
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم
لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر
في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد
غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ
مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقايد والاعمال كقوله واذا
النفوس زوجت او قرنوا مع الشيطان او مع ما اكسبوا من العقايد الزايغة و
الملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون
تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من
ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا
يعض بساعد ويعظم ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران
لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته
وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه
لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع
النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل
ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيات الوحشية فتجلب
اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطران والقطر النحاس او الصفر
المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى
وجوههم النار اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم
وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة
بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله يوم يسحبون
في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت
او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان
المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع
الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن او السورة

او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس
كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا
البلاغ فيكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به
انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد
بالنظر والتامل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر
اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر
لهذا البلاغ ثلث فوايد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس
واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي
هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب
هو السورة وكذلك القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا
يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال
المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف
وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف
وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل
الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل
ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل
فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف
وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان كانت منهم افاقة في بعض
الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكايته ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله
ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار
واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا

جزاءه والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان
نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي
اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح
والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون
لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف
ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اي وما يستاخرون عنه وتذكير ضميره
فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي عليه السلام على التهكم
الا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم انك لمجنون ونظيره ذلك قول فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل
عليك الذكر اي القرآن لو ما تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا للمعنيين امتناع الشيء
لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا
انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبا لك كما اتت الامم المكذبة
قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله
وقرئ حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالياء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ
تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته
ولا حكمة في ان تاتيكم بصورة تشاهدونها فانها لا تزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم
بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي والعذاب
وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا
منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره
بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا
لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل الدين او نفى تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان
الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي عليه السلام ولقد
ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة
على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به
النار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا

بہ

به يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عليه السلام وما للحال لا يدخل الا
مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه
ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون
والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان
الضمير الآخر في قوله تعالى لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك
السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة
له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجع اليه ولا يتعين
ان يكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة
للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم
وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا
عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون
عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او يصعد الملائكة وهم يشاهدونهم
لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار
بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه
قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور
غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة
له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة الهيئات
والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات
البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها
وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف
في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق
السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة
في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم
كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله
عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون

لها اسباب آخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه
فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق
للكواكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها
رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض وفيها او في الجبال من كل شيء موزون
مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او
ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعم والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون
بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين
عطف على معايش او على محل لكم والمراد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون
انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل
الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع
النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته
وتناهي حكمته والتفرد في الوهيته والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه
ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء
الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا
لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد
وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص
بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له
من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء
سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب
ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا
الريح على تأويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم
له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران
والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء في بعض
الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور
فوقوفه دون حده لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض اجسام

القابلة

القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة
على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا امات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم
ولقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من
اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة
او تأخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان
ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف
الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت
وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي
لحشرهم لا غيره وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة
على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر
الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال من طين
يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حمإ
طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حمإ مسنون
مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب
من السن وهو الصب كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا
نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من
سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان
ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس
لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه
بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد
النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة
فضلا عن الاجسام المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي
الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب
ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان مبدأ خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة

الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك
واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته
عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في
تجاويف اعضائه فحي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح
يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري
حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة
الروح الى نفسه كما مر في النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد
الملائكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل
للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك
كان الثاني حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل بقوله ابى ان يكون مع الساجدين
اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سائل قال لم لم يسجد
قال يا ابليس ما لك ان لا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لآدم
قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني
كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حماء مسنون وهو اخس العناصر
وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب
عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها اي من السماء او الجنة او زمر الملائكة
فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب
وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد
الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما
في قوله فاذن مؤذن ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد
اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الانسان او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه
فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج
منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت
اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة

الاولى

الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيمة واختلاف
العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا
بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم
لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث
الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصب
ابليس لان خطاب الله على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم
وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم
المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم
بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي والتسبيب
له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن
امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه
وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا
لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب
ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين اخلصتهم لطاعتك
وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل
القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله تعالى قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم
لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخليص المخلصين من اغوائه
او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول اليّ من غير اعوجاج وضلال وقرئ
علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم
وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من
ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى
الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض
الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين والمتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال

والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان
جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات
ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم
الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات
ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع
جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين
وقرأ ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثم الوقف
عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف
لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش
فان غيرهم مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منها كقوله ولمن
خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون
فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون والعيون
بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة
وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفة
والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة تطييب نفوسهم ما في صدورهم
من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال
من ضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه
والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين
لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستتر
في على سرر لا يمسهم فيها نصب استئنافا او حال بعد حال او حال من الضمير في
متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له
وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها

وفي

وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي
عطف ونبئهم عن ضيف ابرهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون
وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب
النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله
بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف
منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحق لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال
ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان
يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون فباي اعجوبة تبشروني او فباي
شيء تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير
بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها
مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية
على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة
هي حق وهو قول الله تعالى وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك
فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان
استعجاب ابرهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة
ربه الا الضالون اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه
وقدرته كما قال تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي
يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم
الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم
كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا
ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود
لابتدؤا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان
استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من
الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين

به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرموا كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل
لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اى مما يعذب به القوم وهو استئناف اذا
اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جرى مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان
يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من
ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم
مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم
قدرنا ها وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى
العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل
الشئ على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب
والاختصاص به فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم
مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله
بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون
فيه وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك
فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من
السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم
كم علينا من قطع الليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على
حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم
او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات
ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه
وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع
وقضينا اليه اى واوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره
ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له
وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد
مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل
على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون

باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء
اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو
الهوان او ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين
عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط عليه
السلام يمنعهم عنه بقدر وسعه وعن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي
يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود ان
كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحيوة المخاطب وهو النبي عليه السلام
وقيل قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار
الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم
التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون
يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة
يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبرئيل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس
فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد سبق مزيد بيان
لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين
الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى
لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها وان ذلك لآية للمؤمنين
بالله ورسوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون
الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم
بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما
فكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم
به فسمي به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين
يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان
يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها
وآتيناهم آياتنا وكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته

كالناقة وسقيها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال
بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب
لفرط غفلتهم وحسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا متلبسا بالحق لا يلايم استمرار
الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة الالهية اهلاك امثال هولاء
وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك
فاصفح الصفح الجميل فلا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ
باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم
العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح
لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير
والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور
وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما
بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحايف وهي
الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك
مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة او الاعجاز
او مثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني
القرآن او كتب الله كلها فيكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الايات
او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن
عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب
الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته
فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله
عنه من اوتي القرآن فراى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا
وروي انه عليه السلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها
انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال

لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير
من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض
جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان
وبرهان ان عذاب الله تعالى نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب
الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنى عشر
الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله
يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل
هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك
والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق
للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير
الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤنه من
كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله ولا تمدن اعتراضا ممدا
لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة
اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضه السحر
وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره
فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه
وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا
تكلم جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة
والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرايع واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون
انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم وقيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد
بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن
المطلب يبالغون في ايذاء النبي فقال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت
ان اكفيكهم فاوما الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه
فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واوما الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة

فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدى فامتخط قيحا
فمات والى اسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة
ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عينى الاسود بن المطلب فعمى الذين يجعلون
مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم فى الدارين ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد
ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه
عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه السلام
انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اى الموت
فانه متيقن لحاقه كل حى مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة
لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مدنية وهى مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة
او اهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله
فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى
المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص
لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد
بهم وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين
الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روى انه لما نزلت اتى امر
الله فوثب النبى عليه السلام ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل
الملائكة بالروح بالوحى او القرآن فانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل او يقوم فى الدين
مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذى به علم الرسول
ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر ينزل

على المضارع المبنى للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله على من يشاء من عباده
ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا اى اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته
انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصى
بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان
الروح بمعنى الوحى الدال على القول او مصدرية فى موضع الجر بدلا من الروح او النصب
بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحى بواسطة الملائكة
وان حاصله التنبيه على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذى
هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التى بعدها دليل وحدانيته
من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة
ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق
اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته
تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر فى وجوده او بقائه اليها ومما لا يقدر على خلقها وفيه
دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس لها
ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مناظر مجادل مبين
للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم روى ان ابى بن خلف
اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله تعالى يحيى هذا بعد ما قد رم
فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف
على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ
به فيقى البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها
ومنها تأكلون اى تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف
للمحافظة على رؤس الآى او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش واما
الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوى والتفكه ولكم فيها جمال زينة
حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى وحين تسرحون تخرجونها بالغداة
الى المراعى فان الافنية تتزين بها فى الوقتين ويجل اهلها فى اعين الناظرين اليها
وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوى

الى الحظاير حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له
بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن
الانعام ولم تخلق فضلا من ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور
بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم
بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها
وزينة اى لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان
الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين
بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موضع
الحال من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا
دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل
عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق
ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري
اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق
في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل
الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه
لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده
السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال
ومنها جائر مائل عن القصد او عن الله تعالى وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله
ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد
والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين اى
ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي
انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم
صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه
ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه

في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت
على الارض شجر قال يعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون
ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة
لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون
والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل
ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو
اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلثة وترتيبها
ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة
تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة
وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام
والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبايع مع اتحاد المواد ونسبة
الطبايع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار
مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اى نفعكم بها
حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف يشاء او لما خلقن له بايجاده
وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى يقال ان المؤثرة في تكوين النبات
حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة
الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار
واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع وقرأ حفص
والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس
والقمر ايضا ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا
من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات
وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات
مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لآيات لقوم يذكرون
ان اختلافها في الطباع والهيآت والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي

سخر لكم البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص
لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد
فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به
مالك والثوري على ان من حلف لا يأكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان
مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا يرى ان الله سمى الكافر دابة
ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ
والمرجان اي تلبسه نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم
وترى الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء
وقيل صوت جرى الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة
ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه
اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش
والقى في الارض رواسي جبالا ثوابت ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك
لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من
حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك وان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما
خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت
كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة
ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان
القى فيه بمعناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله تعالى وعلامات
ومعالم تستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون
في الليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة
وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش
لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مساريهم بالنجوم واخراج
الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا
هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن
يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلايل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته

والتفرد

والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق
شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس
تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن
لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجروها مجرى
اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة
فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون
فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها
اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان
وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن
تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها
والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك
باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله اي والالهة الذين تعبدونهم من دونه
وقرأ عاصم ويعقوب يدعون بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق
ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت
لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود
الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم الحيوة
او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا
بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث
عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب
مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد
تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن
بها يكون طالبا للدلايل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار
قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي

النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو
العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين
فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم
القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما
تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او الغرض اي على تقدير
انه منزل فهو اساطير الاولين لا تحقق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس ليحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم
نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم
وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها
الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء
ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم قد سووا منصوبات ليمكروا
بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان
ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمروذ بن كنعان
بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه
وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار كقوله ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته ويقول اين شركائي اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم
زيادة في توبيخهم وقرأ البزي بخلاف عنه اين شركاي بغير همز والباقون بالهمز الذين كنتم
تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة
المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم
الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب
على الكافرين وفائدة قولهم على الكافرين اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان
يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء
وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد

فالقوا

فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل
من سوء وكفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال
على الاستسلام بلى اي فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه
وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة
وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا
عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم
كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس
مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل
خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال
على خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين
قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الآخرة
خير اي ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما
بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا للخير على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة
فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص
بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات
وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي
الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفيهم الملائكة طيبين
طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين
ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة
القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين
تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ
هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ حمزة
والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيمة او العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك
الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله

بتدبيرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات
ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق
بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما
قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب
وما لم يشاء يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحاير
ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجيا
اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعد تنبيه على الجواب عن الشبهتين
كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسول
الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله هداه
لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل
باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا
لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع
المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا
ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت
فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم
ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على تحقق الضلال
وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الاية
الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد
وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يرد
ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول
وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد
انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال
بلى يبعثهم الله وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله

عليه

عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى
للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة
التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه
تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق
وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي
الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب
والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه
وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد
والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له
تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي ههنا وفي يس عطفا على نقول او جوابا
للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه المهاجرون ظلمهم
قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون
بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار
وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة
مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا
وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه
هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخره لك في الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير
للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين
اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد واذى الكفرة
ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله
مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش
الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة
العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام
فان شككتم فيه فاسألوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون
في الاية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة

رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين
بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه السلام راى جبرئيل على صورته التي هو عليها
مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم
بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق
بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي ما ارسلنا الا رجالا بالبينات
كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا متلبسين بالبينات او بيوحي
على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسألوا اعتراض
او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي
ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك
مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد
الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا
للحقائق افأمن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا
لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف
الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة
من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم
فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب
وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته
اذا تنقصته روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ
من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها
قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته. تخوف الرحل منها تامكا قردا. كما تخوف عود
النبعة السفن. فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية
فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة
اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد راوا امثال هذه الصنائع
فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها
يتفيؤ ظلاله اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرا حمزة والكسائي

تتفيؤ بالتاء وابو عمرو يتفيؤ بالياء عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن
جانبي كل واحد منها استعارة عن يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع
الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون
وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او
الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ راسه
ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال
بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى
من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة
بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال
الله فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف
العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب
تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان
الظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند
الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات
وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد
لتكليفه وامره طوعا فيصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة
بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة
عطف على المبين به عطف جبرئيل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات
وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير
لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما والمراد به ملائكتها من الحفظة وغيرهم
وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى
من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم
يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر
فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف
الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل

على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين
اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان
الاثنينية تنافي الالوهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود
اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي
فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا
ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا
وله الدين الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه
وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما
لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما
قال وما بكم من نعمة فمن الله اي واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة
متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان الاستقرار النعمة بهم يكون
سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون
الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق
منكم بربهم يشركون اي وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان
كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق منهم وهم انتم ويجوز ان يكون
من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف
عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة وانكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف
تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون
اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لالهتهم التي
لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات
مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له
محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزروع والانعام تالله لتسالن عما كنتم
تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات
كانت خزاعة وكنانة يقولون ان الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم
وتعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب

بالعطف

بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل
والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر
بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس
واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشويش وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى
من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا في نفسه متفكرا في ان يتركه
على هون ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ
بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم
للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية
بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق
ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات
المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم
بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس
والدابة عليها من دابة قط بشوم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب
ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس
واضافة الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف
اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من
البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف
السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار
رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته في طلب
الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد
مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعة تالله لقد ارسلنا
الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحهم وكفروا بالمرسلين

فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او هو وليهم حين كان زين لهم يوم
القيمة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان
للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هولاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي هو
ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب
اليم في القيمة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه
من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يومنون
معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا
به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك لآية لقوم
يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم
نسقيكم مما في بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده هنا للفظ وانثه
في سورة المومنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات
المبنية على افعال كاخلاق واكياس ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها
دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب
نسقيكم بالفتح هنا وفي المومنين من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم
المتولد من الاجزاء اللطيفة التي هي في الفرث وهو الاشياء الماكولة المنهضمة
بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف
في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه
يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي هو يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش
بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها
ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاط اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك
المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع
الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان
الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع
الزايد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزايد او بعضه الى الضروع
فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث

الاخلاط

الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى
المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى
تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض
لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدئ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال
من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا لا يستصحب لون الدم
ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سايغا للشاربين
سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب
متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون
منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف
صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على
الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى
الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية
ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل
السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل
ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لآية لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الآيات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف
في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون ان مفسرة لان
في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر
ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل ما يعرشون من كرم او سقف
ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه
من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالآلات
والانظار الدقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء للياء وقرا ابن عامر
وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها
فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من
اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك

به سبل ربك ولا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة
ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلك منقادة لما امرت به
يخرج من بطونها عدل به عن خطاب النحل لانه محل الانعام عليها والمقصود من خلق
النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل
الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في باطنها عسلا ثم تقئ ادخارا للشتاء ومن زعم
انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها
في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه
مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل فيه شفاء
للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قل ما يكون معجون
الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة
ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه
العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق
الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرئ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير
للقرآن او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر
اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له
من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفيكم باجال مختلفة ومنكم
من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة
والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة لكيلا يعلم بعد علم شيئا
ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم
قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس
ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك
مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم
غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف
ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فان
ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء

في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب
كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد
وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم
عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حين يتخذون له شركاء
فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث
انكروا امثال هذه الحجج بعدما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين الجحود معنى الكفر وقرأ
ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من
جنسكم لتانسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم
بنين وحفدة واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات
يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان
يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ
والحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون
وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله
هم يكفرون حيث اضافوا النعمة الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل
اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله
ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته
مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه ولا يستطيعون ان يتملكوه اذ لا استطاعة
لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود
الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد
فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا تشركون به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه
حال بحال ان الله يعلم فساد ما يقولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك
ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه
لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه
نعبه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال وانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون
ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا

مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون
مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي
رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك
والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام
التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول
والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز عن الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة
للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك
لا يملك والاظهار من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنس
فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن
العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها
وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء من الصنائع
والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره اينما يوجهه
حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله
اينما اوجه القى سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية هل يستوي هو
ومن يأمر بالعدل ومن هو منطيق فهم ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل
الشامل للجامع للفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على صراط مستقيم لا يتوجه
الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين
لانهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة
بينه وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره
وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة
فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام القيمة في
سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب
او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي يبتدأ
فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل
معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي يقولون فيه هو

كلمح

كلمح البصر او اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق
كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم
وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة واتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء فيها
مثلها اي اهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها
ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم
البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم
عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء
خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب
المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان
ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك
لآيات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن
الطيران فيها وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون
بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت
المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب
المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من
حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة
يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم اقامتكم ووضعها او ضربها وقت
الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها
واوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى
الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى
مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا
منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر
الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة
فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر

خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين اولان وقاية الحر كانت عندهم اهم وسرابيل تقيكم
باسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعمة
التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمة فتؤمنون به وان
تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون
فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا
ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ
وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف
المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها
بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء
حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا
ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر
الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او للتفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة
لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم
نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين
كفروا اي في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من
شدة المنع من الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنعن من شهادة الانبياء عليهم السلام
ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف
تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا راى الذين ظلموا العذاب
عذاب جهنم فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا راى الذين اشركوا
شركاءهم اوثانهم التي عدوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف
بانهم كانوا مخطئين في ذلك والتماس بان تشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم
لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا
اهواءهم لقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ
او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه لقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان

دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه
بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم
ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوا ايهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم
بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم
يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا
عليك الكتاب استيناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور
الدين على التفصيل والاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما
حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط في
الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين
محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب
وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب
الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون
اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية
كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية
والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى
القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط
احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود هي اجمع آية في القرآن للخير والشر
وصارت سبب اسلام عثمان بن مطعوم ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق
عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك
الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون
واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلايمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل
الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها

بذكر الله ومنه أكّد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان
الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون فى نقض الايمان والعهود
ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت
اى نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه
على الحال من غزلها او المفعول الثانى لنقضت فانه بمعنى صيّرت والمراد به تشبيه الناقض
بمن هذا شانه وقيل بريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك
تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير فى ولا تكونوا او فى الجار
الواقع موقع الخبر اى ولا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها متخذى ايمانكم مفسدة
ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشئ ولم يكن منه ان تكون امة هى اربى من امة بان تكون
جماعة اربى عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة
منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة فى اعادى حلفائهم نقضوا عهدهم
وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم
بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش
وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للربو وقيل للامر بالوفاء وليبيّنن لكم يوم القيمة
ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة
واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدى من يشاء
بالتوفيق ولتسألن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم
تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة فى قبح المنهى فتزل قدم اى عن محجة الاسلام
بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحّد ونكّر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم
فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب فى الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بسبب
صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره
ولكم عذاب عظيم فى الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله
ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم
على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم فى الدنيا والثواب فى الآخرة هو خير لكم
مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد

ينقضى ويفنى وما عند الله من خزائن الرحمة باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق
ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار
او على مشاق التكاليف وقرا ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح
فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا
من ذكر او انثى بيّنه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى
استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حيوة طيبة فى الدنيا
يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة
والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم فى الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر
وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه وقيل فى الآخرة
ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات القران اذا اردت قرائته
كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسال الله ان يعيذك
من وساوسه كيلا يوسوسك فى القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على
ان المصلى يستعيذ فى كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه
لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل
وعن ابن مسعود قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبرئيل عن
القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون
الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر
بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه و
يطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا آية مكان آية
بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح
فلعل ما يكون مصلحة فى وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون
مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اى الكفرة انما انت
مفتر متقول على الله تامر بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل

وهو اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا
بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس
يعني جبرئيل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح
القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي
التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه وانهم
اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقايدهم واطمأنت
قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة
وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان
السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل
عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ
من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي غير بين وهذا اي القرآن
لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره
يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربي تفهمونه
بادنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه
ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو
معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم
فايق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلامين سوقيين سمع منهما
بعض اوقات مروره عليهما كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها فطعنهم في القرآن بامثال
هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون
انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب
اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر
عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم
عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون

على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات
اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون
في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون
وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله
فعليهم غضب من ربهم ويجوز ان ينتصب بالذم وان يكون من شرطية محذوفة الجواب
الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد
كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق
بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله
ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية
على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من
اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه
ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى
قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت
وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين
كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول
الله قال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله
قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ رخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له
ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة
بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه اي ما يوجب ثبات
الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم
الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم
وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا

اى عذبوا الكفار بالولاية والنصرة وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرئ
عامر فتنوا بالفتح اى بعدما عذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما
وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها
من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم منعم عليهم مجازاة على ما صنعوا
يوم تأتى كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى
فى خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسى نفسى وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت
وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اى جعلها مثلا لكل قوم
انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته اولمكة كانت آمنة مطمئنة
لا يزعج اهلها خوف يأتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها
فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس
وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر
الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر
الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا • غلقت لضحكته رقاب المال •
فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه
واضاف اليه الغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له
وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعنى ردائى عبد عمرو • رويدك يا اخا عمرو بن بكر •
الى الشطر الذى ملكت يمينى • ودونك فاعتجر منه بشطر • استعار الرداء لسيفه
ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم
يعنى محمدا صلوات الله عليه والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعدما ذكر مثلهم فكذبوه
فاخذهم العذاب وهم ظالمون اى حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من
الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم
وشكر ما انعم الله عليهم بعدما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب
الذى حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة الله
ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته
انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان

الله

الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم
ثم اكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق
الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل
كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه
او متعلق بتصف على ارادة القول اى ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم فتقولوا
هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى ولا
تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق
به السنتكم من غير دليل ووصف السنتكم الكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب
كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتكم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد
من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا
من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم
الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله
الكذب لا يفلحون لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله
متاع قليل اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب
اليم فى الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اى فى سورة الانعام فى
قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم
فى التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها
او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء
ليعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد
التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه
فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر ان يجمع
العالم فى واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل
مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك

والطعن في النبوة وتحريم ما احل او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا
وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امّه اذا قصده او اقتدى به فان الناس
كانوا يؤمّونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما
قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا
فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابرهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه
على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط
مستقيم في الدعوة الى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان
ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة
والطاعة وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما ساله بقوله والحقني بالصالحين
ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابرهيم اتباع الرسول
ملته او للتراخي ايامه ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل
مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل واحد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان
قدوة للموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا
فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا
الا طائفة منهم وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض
فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ
على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموا اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم
ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق من الآبين
والمعظمين بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة
بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة والخطابات
المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية
لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن
طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي الاشهر
فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله

وهو

وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال
والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك
المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها
تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم
بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام لما رأى حمزة وقد مثّل به فقال والله لئن اظفرني
الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفّر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان
يماثل الجاني وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا
على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين
ثم صرح بالامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه به فقال
واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين
وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق
هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله
مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين
اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان
مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة الاسراء مكية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد
يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره
سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه
عن العجز عما ذكره بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة
بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد
من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه السلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند

البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام
لان كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه كان نائما في بيت ام هاني
بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون
فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن
آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قد قال لقد صدق فقالوا اتصدقه على
ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا
الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب
فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع
الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم
لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان
في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس
ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه
والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي
كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في
اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله
قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي او فيما يحمله
والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد
الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي متعبد الانبياء من لدن موسى
محفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته
بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم
لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد البصير
بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل
الا تتخذوا اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليك ان افعل وقرا ابو عمرو بالياء على ان
لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب
على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا

ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو لا تتخذوا وقرئ ذرية بكسر الذال
وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه
نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه
ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام
وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية
لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى
القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا وثانيتهما قتل زكريا
ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او
لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اوليهما وعد عقاب اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر
عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب من اهل
نينوى اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم
وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا
صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك
اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل
ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله
في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة
عليهم فرد اسراءهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع
بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم
اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب
الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اساتم فلها فان وبالها عليها
وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم
اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه
وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او للبعث او لله ويعضده
قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة وليسوءن

بفتح اللام على الوجوه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق
بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه
او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل
من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم
فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه
الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم
يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك
فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرى
وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله
عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب
الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون الخروج
منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة
او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة
اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين
ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند
غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل
دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد
آدم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا
الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد
ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان
يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن
الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضرب
عنقه صبرا يوم بدر وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على
نسق واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة

فيها

فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة
للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان
الشمس والقمر وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار
ذوي آيتين ومحو آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص
نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع
يبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب
معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين
والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه
تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه
من عش الغيب ووكر القدر ولما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه
استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في
عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال
الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه
مفعول وحال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج
من خرج يخرج وقرئ يخرج اي الله تعالى يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب
او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته
كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك
والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم
وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد
لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تأويل
النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه
غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر
نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع
فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية
واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر

كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة
على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو
الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل
امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة
على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى
بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا
يقال امرت الشيء وآمرته فأمر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة
مأمورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا
ورواية امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء
وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها
القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي
فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون
بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا
يدرك ظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد
العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له
بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر
بالمشية والهم فصل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى
يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الآية في المنافقين
كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا
له جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها
حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بآرائهم
وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب
فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلثة كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا
عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين
بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه هولاء

وهولاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك
محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم
على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات واكبر
تفضيلا اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار
ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول والمراد به امته او لكل احد فتقعد
فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا
عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من
الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به
ان لا تعبدوا الا اياه بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة
ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين
احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود
والتعيش ولا يجوز ان تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك
الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق النون
المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان
الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون
تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر
منهما ويستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر
وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير
وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير
منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل
عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما
ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل
التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع
فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذا اصبحت بيد

الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضهما مبالغة او اراد جناحه
لقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف
حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد
والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر
خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك
الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما
علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر
فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك
وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما
في التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين
الصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او
تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه
جناية اوليا لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر
عليهم وقال ابو حنيفة رحمه الله حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي
القربى اقارب الرسول عليهم السلام والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف
المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف قال او في الوضوء سرف قال نعم
وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة
فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف
في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة
فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه
كفورا مبالغا في الكفر به فينبغي ان لا يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذوي القربى
والمساكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل
الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك

فتعطه

فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع
الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا
ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من
يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل
اغناكم الله ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد
ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا
بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر
فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل
داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروه للصلوة فلم يخرج فانزل
الله تعالى ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه
ويضيقه بمشيته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضافة الا لمصلحتك انه كان
بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط
والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر واما العباد فعليهم ان يقتصدوا وانه تعالى
يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته لا تقبضوا كل القبض وتبسطوا كل البسط وان
يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو
وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان
خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ
خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب
وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر
خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته
وخرطومه في منقطع الماء راسب وهو يبنى عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف
الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه
انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو

الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وتهييج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحد ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا يسرفوا وقرا حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او بما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسؤلا مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسؤلا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير واحسن تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شايع وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة

الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا في ثلثها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورات مناهي وقرا الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائد للشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى افاصفيكم ربكم بالبنين

خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للإنكار والمعنى أفخصكم ربكم بأفضل الأولاد
وهم البنون واتخذ من الملائكة إناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم
إنكم لتقولون قولا عظيما بإضافة الأولاد إليه وهي خاصة بعض الأجسام لسرعة
زوالها ثم بتفضيل أنفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم
من أشرف خلق الله أدونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا
القرآن في مواضع منه ويجوز أن يراد بهذا القرآن إبطال إضافة البنات إليه
بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى وأوقعنا التصرف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف
ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي
هو بمعنى التذكر وما يزيدهم إلا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة إليه قل لو كان معه آلهة
كما تقولون أيها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على أن الكلام
مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب في الثانية على أن
الأولى مما أمر الرسول أن يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم
إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا إلى من
هو مالك الملك سبيلا بالمعاداة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو بالتقرب إليه
والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة
سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون
فإنه في أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من أدنى
مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن
من شيء إلا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الإمكان وتوابع الحدوث بلسان الحال
حيث تدل بإمكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون
تسبيحهم أيها المشركون لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز أن يحمل التسبيح
على المشترك بين اللفظ والدلالة لإسناده إلى ما يتصور منه اللفظ وإلى ما لا يتصور منه
وعليهما عند من جوز إطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر يسبح
بالياء إنه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم
وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا

يحجبهم

يحجبهم عن فهم ما تقرأ عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم أو مستورا
عن الحس أو بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون أنهم لا يفهمون نفى عنهم أن يفهموا ما
أنزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالة المنصوبة في الأنفس والآفاق تقريرا
له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة تكنها
وتحول دونها عن إدراك الحق وقبوله أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه ويجوز أن يكون
مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أي منعناهم أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا
يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى أثبت للمنكرين ما يمنع
عن فهم المعنى وإدراك اللفظ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع
به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال وأصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على أدبارهم
نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة أو تولية ويجوز أن يكون جمع نافر كقاعد وقعود
نحن أعلم بما يستمعون به بسببه ولأجله من الهزء بك وبالقرآن إذ يستمعون إليك
ظرف لأعلم وكذا وإذ هم نجوى أي نحن أعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون إليك
مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل أن يكون جمع نجي
إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا مقدر باذكر أو بدل من إذ هم نجوى على
وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أن تناجيهم بقولهم هذا ظلم والمسحور الذي سحر به
فزال عقله وقيل الذي له سحر وهي الرئة أي إلا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف
ضربوا لك الأمثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في
جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا إلى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في أمره
لا يدري ما يصنع أو إلى الرشاد وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا وحطاما أئنا لمبعوثون
خلقا جديدا على الإنكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة
والمنافاة والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها
وخلقا مصدر أو حال قل جوابا لهم كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم
أي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه أبعد شيء منها فإن قدرته تعالى لا تقصر عن
إحيائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض فكيف إذا كنتم عظاما مرفوتة وقد
كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من

يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك
رؤسهم فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا
فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اى يكون في زمان قريب
وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اى يوم يبعثكم فتنبعثون
استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود
منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اى حامدين لله على كمال قدرته كما قيل
انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين
لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في
القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين
يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ
بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان
الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم
او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة
ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب
لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم وتقسرهم على الايمان
وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روى ان المشركين
افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله عليه السلام فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره
الله بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته
من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع
اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق
الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب
لا بما اوتي من الملك وقيل اشارة الى تفضيل رسول الله وقوله وآتينا داود زبورا تنبيه
على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من
ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره هنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور
لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو

كالعباس او الفضل ولان المراد وآتينا داود بعض الزبور او بعضا من الزبور فيه
ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون
فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويله
منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون
الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اى يبتغي من هو اقرب منهم
الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد
فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد
حتى الرسل والملائكة وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال
او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ
مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحها
قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد
وثمود وانها لو ارسلت لكذبوها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت
به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض
الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم الناقة مبصرة
بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا
بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات اى بالآيات المقترحة الا تخويفا
من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات
القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء
مزيدة او في موضع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك
ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط
بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه في اليقظة
فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا
ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها بمكة في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله
في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه قال لكأني انظر الى مصارع القوم هذا

مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل راى
قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا
يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم
والشجرة الملعونة في القران عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها
قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة ولم يعلموا ان
من قدر ان يحمي وبر السمندر من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع
الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القران
لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان
من الرحمة او بانها مكروهة موذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت
بالشياطين وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف
اي والشجرة الملعونة في القران كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا
كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال
ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا
من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي اسجد له واصله طين وفيه على الوجوه
ايماء لعلة الانكار قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب
لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف
لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي
لئن اخرتني الى يوم القيمة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا
قليلا اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك
الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له
استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه
ذا شهوة ووهم وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما
سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاءك وجزاؤهم فغلب المخاطب
على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا
من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم

من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت
منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم
وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل
والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب
والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار اوقع صوت على قوم
فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا حفص ورجلك بالكسر
وقرئ بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ رجالك
ورجالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف
فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك
فيه بتسميته عبد العزى والتضليل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال
القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير
التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده الباطلة
والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة
والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان اي على
اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم
الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة
التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من
اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم
كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه
الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله فلما نجيكم من الغرق الى البر اعرضتم
عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة ❊ عطاء فتى تمكن في المعالي
فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم
الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض
فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قدر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف
بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة وقرا ابن كثير وابو عمرو

بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل
كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب
الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم
من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواعي تلجئكم
الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته
فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم
نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار منا او بصرف ولقد
كرمنا بني ادم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام
بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما
في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية
الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره
ابن عباس رضي الله عنهما وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه
اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له
ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات
المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة
والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم
من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير
بالكل وهو تعسف يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون
وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو او على الواو علامة
الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة
المبالاة بها لانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن
ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها
فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى
الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك
اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن

اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا
وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة
والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من
اوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة
ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ايضا مشعر
بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر
رشده كان في الاخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال
الاستعداد وفقدان الالة والمهلة وقيل لانه لا اهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار
من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو
ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف
النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث
انها تصير ياء في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما
وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا
نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلوتنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا
وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت
ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا
وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم
ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري
علينا غيره اي غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد
الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب
من الركون فضلا من ان تركن اليهم وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع
قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت
لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف

ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل
الكلام عذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة
مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل
المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك
علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا واي وان كاد اهل مكة ليستفزونك
اي ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك
ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم
اهلكوا ببدر بعد هجرته وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي بالمدينة فقالوا
الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه
فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا
باذن على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن
لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب
وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا
سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة
وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى
الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس
لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلام اتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت
فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك
لا يستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك
من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها
في لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وقرآن الفجر
وصلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب
القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في
صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قرآن الفجر
كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء

واليوم

والنوم الذي هو اخ الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير
والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوة الليل وحدها ان فسر
بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان
لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل
فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة
لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن
كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره ان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذلك
الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك
معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا
مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال
المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين
وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه
منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج
بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله
فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق
الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان
زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة
وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل
فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي
ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم
دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل
للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان

تنزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على
الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه
كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين
وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض
وامال الكسائي وخلف فتحة النون والهمزة في السورتين وامال خلف فتحة الهمزة فيهما فقط
وامال ابو بكر فتحة الهمزة هنا واخلص هناك وورش على اصله في ذوات الياء واذا
مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته
قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله
التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت
الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان
ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من
اصل كاعضاء جسده او وجد بامر ربي وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه
وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب
الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان
اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم
في التورية وقيل الروح جبرئيل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي
معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب
العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات
ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيء من
احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض
تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب
العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون
بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الحق والخير ما يسعه القوة البشرية بل

ينتظم

ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال
بها خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك
اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا
ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل
علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده
عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب
به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال
الكتاب عليه وابقائه في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان
واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة للقسم ولولا هي لكان جواب
الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب
مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة
لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولانهم كانوا وسايط في اتيانه ويجوز ان يكون الآية
تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير
والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا
في الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه
متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعدما لزمتهم
الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر
بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب
من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او بستان
يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم
كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي
ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في
غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول
كالطحن او تأتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه

او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها
عليها كما حذف الخبر في قوله. ومن يك امسى بالمدينة رحله. فاني وقيار بها لغريب
او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد
قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى
تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم
او تنزيها لله من ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر
قال سبحان اي قال الرسول هل كنت الا بشرا رسولا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل
وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم
ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى تتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات
اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان
يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان
قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان
بمحمد والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة
يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف
منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من
رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
على اني رسول الله اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم
وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم
الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن يهد
الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم يسحبون عليها او يمشون عليها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم
على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ اسماعهم ولا ينطقون
ما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق

وابوا

وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار
مؤفي القوى والحواس مأويهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم
زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا
بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله
ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا
لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات
والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه
من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون مع وضوح
الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره
ما بعده كقول حاتم. لو ذات سوار لطمتني. وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز
والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق
اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل
بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب منهم وكان الانسان قتورا
بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم
وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون
ونقص الثمرات مكان الثلثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال النبي عنها فقال
ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة
ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي
يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت
بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة
وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستانف زائد على الجواب ولذلك غير
فيه سياق الكلام فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك
او سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ الماضي

بغير همز وهو لغة قريش وإذ متعلق بقلنا أو سأل على هذه القراءة أو فسأل يا محمد بني
إسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون إذ جاءهم أو عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك
أو لتتسلى نفسك أو لتعلم أنه تعالى لو أتى بما اقترحوا لأصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم
أو ليزداد يقينك لأن تظاهر الأدلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا
كان إذ نصبا بآتينا أو بإضمار يخبروك على أنه جواب الأمر أو بإضمار اذكر على الاستئناف
فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت
يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم على إخباره عن نفسه ما أنزل هؤلاء يعني الآيات إلا رب
السموات والأرض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال
وإني لأظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا
أي ما صرفك أو هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فإن ظن فرعون
كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر أماراته وقرئ وإن إخالك
يا فرعون لمثبورا على إن المخففة واللام الفارقة فأراد فرعون أن يستفزهم أن يستخف
موسى وقومه وينفيهم من الأرض أرض مصر أو الأرض مطلقا بالقتل والاستيصال
فأغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالإغراق وقلنا من بعده
من بعد فرعون وإغراقه لبني إسرائيل اسكنوا الأرض التي أراد أن يستفزكم منها فإذا جاء
وعد الآخرة الكرة أو الحيوة أو الساعة أو الدار الآخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا
مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من أشقيائكم واللفيف الجماعات من
قبائل شتى وبالحق أنزلناه وبالحق نزل أي وما أنزلنا القرآن إلا ملتبسا بالحق المقتضي
لإنزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما أنزلناه من السماء إلا محفوظا
بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله أراد به
نفي اعتراء البطلان له أول الأمر وآخره وما أرسلناك إلا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا
للعاصي من العقاب فلا عليك إلا التبشير والإنذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما
وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد
لكثرة نجومه فإنه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث على مهل
وتؤدة فإنه أيسر للحفظ وأعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا

ع

على حسب الحوادث قل آمنوا به أو لا تؤمنوا فإن إيمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم
عنه لا يورثه نقصانا وقوله إن الذين أوتوا العلم من قبله تعليل له أي إن لم تؤمنوا به
فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي
وأمارة النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل أو رأوا نعتك وصفة ما أنزل إليك
في تلك الكتب ويجوز أن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كأنه قيل تسل بإيمان العلماء
عن إيمان الجهلة ولا تكترث بإيمانهم وإعراضهم إذا يتلى عليهم القرآن يخرون للأذقان سجدا
يسقطون على وجوههم تعظيما لأمر الله أو شكرا لإنجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد
صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وإنزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا
عن خلف الوعد إن كان وعد ربنا لمفعولا إنه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون
للأذقان يبكون كرره لاختلاف الحال أو السبب فإن الأول للشكر عند إنجاز الوعد
والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لأنه
أول ما يلقى الأرض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن
خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون
رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر
وقالت اليهود إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثره الله في التورية فالمراد على الأول هو
التسوية بين اللفظين بأنهما يطلقان على ذات واحدة وإن اختلف اعتبار
إطلاقهما والتوحيد إنما هو باعتبار الذات الذي هو المعبود وعلى الثاني أنهما مستويان
في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود وهو أجوب لقوله أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى
والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى إلى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه
وأو للتخيير والتنوين في أيا عوض عن المضاف إليه وما صلة لتأكيد ما في أي من الإبهام
والضمير في له للمسمى لأن التسمية له لا للاسم وكان أصل الكلام أيا ما تدعوا فهو حسن
فوضع موضعه فله الأسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى
لدلالتها على صفات الجلال والإكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع
المشركين فإن ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك
من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فإن الاقتصاد

في جميع الامور محجوب روي ان ابا بكر كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي
وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك
كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد
لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من
الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من
جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة
على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق
وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه
تنبيه على العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف
بالقصور عن حقه في ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا افصح الغلام من
بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه
عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائة اوقية

سورة الكهف مكية وهي مائة وعشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله
تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به
ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف
في المعنى وانحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما
مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريطا او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل
بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما
او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف
اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك
قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر باسا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء
بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرأ

ابو بكر

ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون
لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا
اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به
استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه
عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا
به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا
نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة تخرج من افواههم
عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى
الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية
والاول ابلغ وادل على المقصود وتخرج من افواههم صفة لها يفيد استعظام اجترائهم
على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف
هو المخصوص بالذم لان كبر هنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون
الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذ ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله
من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ
باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف
عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا
اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن
زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه
بما يزجي به اياته وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا
جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما
عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله صعيدا املس لا نبات فيها ام حسبت
بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا
عجبا قصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على
طبايع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها

ليست بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل
والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت
وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد او لوح رصاصي او حجري
رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلثة
خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه
فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات
يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم
وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء
الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال لي ان لي عندك حقا وذكره حتى
عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع
الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان في فضل فاصابت الناس شدة فجاءتني امرأة
فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلثا
ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك فاتت وسلمت الي نفسها فلما تكشفتها
وهممت بها ارتعدت فقلت مالك قالت اخاف الله فقلت لها خفته في الشدة
ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج
عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همان وكانت لي غنم وكنت
اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارجع حتى امسيت فاتيت
اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فوقفت
جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج
عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعني
فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا
ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ
لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه راشدين
مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت منك اسدا واصل التهيئة احداث
هيئة الشيء فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم

فيها

فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته في الكهف سنين
ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل
فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا
مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة
لبثهم احصى لما لبثوا امدا اضبط امدا لزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه
لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له
وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء
بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه
كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق
انهم فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على
قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجرأة على اظهار الحق والرد على دقيانوس
الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها
لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم
هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون
هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه
دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون
الا الله عطف على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم
كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان يكون ما مصدرية
على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان يكون نافية على انه اخبار
من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فاووا الى الكهف
ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون
به اي ما تنتفعون به وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر
مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح وترى
الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اذا طلعت

تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان
الله زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء فى الزاء وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر
ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة
اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات
الشمال يعنى يمين الكهف وشماله لقوله وهم فى فجوة منه اى وهم فى متسع من الكهف يعنى
فى وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان
باب الكهف فى مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته
مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة
لجانبه الايمن وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه
وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا تقع عليهم فتؤذى اجسادهم وتبلى ثيابهم ذلك من آيات
الله اى شأنهم وايواؤهم الى كهف كذلك واخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها
طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذى اصاب الفلاح والمراد
به اما الثناء عليهم والتنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه
الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا
من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام
ونقلبهم فى رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول
الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه
وتحسبهم اى وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال
انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده
قراءة من قرأ وكالبهم اى وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل
اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم
فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر
لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم
الله تعالى من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية
انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس

رض

رضى الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت
عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ
الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائى ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك
بعثناهم وكما انمناهم آية على كمال قدرتنا بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم
ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله
ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصى مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله
تعالى قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل
انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم فى يومهم او اليوم الذى بعده وقالوا
ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق
لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة الورق الفضة
مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ
بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف مكسور الواو ومدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين
على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأى المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها اى
اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف
اللطف فى المعاملة حتى لا يغبن او فى التخفى حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن
ما يؤدى الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر
فى ايها يرجموكم بالرجم او يعيدوكم فى ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة
وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم فى ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم
وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم
ان وعد الله بالبعث او الموعود الذى هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من
يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب فى امكانها فان
من توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها
اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانهم فيردها اليها
اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان

بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول تبعثان معا او امر الفتية حين
اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة او قالت
طائفة تبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا
يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم
لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين في امرهم
من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول او من المتنازعين للرد
الى الله تعالى بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك
حكي ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان عليه اسم دقيانوس اتهموه بانه
وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم
ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل
المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله
ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف
وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا
فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمه مسجدا سيقولون اي الخائضون في قصتهم في عهد
الرسول عليه السلام من اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة رجال يربعهم
كلبهم في انضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قالته النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب
يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم
بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم
كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبرئيل وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه قوله
قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم
لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل
دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث
وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة
لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه

هم

هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين
الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع
الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلثة لاهل الكتاب
والقليل منهم فلا تمار فيهم فلا تجادل في شان الفتية الا مراء ظاهرا الا جدالا ظاهرا غير
متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم
منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحي اليك لمندوحة
عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده
فانه يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي
تأديب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح و
اصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه
الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن
لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيئته قائلا
ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه ولا يجوز
تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشية بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها
دونه لا يناسب النهي واذكر ربك مشية ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل
قال عليه السلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته
وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء
على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب
وليس في الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر
مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى اذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء
مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك
او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي يدلني لاقرب
من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه
لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة
في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا

فی كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو
بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا
في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرا حمزة والكسائي ثلثمائة
سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد وحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما
حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين
من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال
اهلها فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك
خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف
وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله تعالى ومحله الرفع على الفاعلية والباء
مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء
فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية
عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية
ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي
من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرا ابن عامر
وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال
القران على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول
على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب
ربك من القران ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد
يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت به
واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم
او في طرفي النهار وقرا ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه
على تاويل التنكير يريدون وجهه رضا الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم
نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه
والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة
زي الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل

في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا من جعلنا قلبه غافلا واتبع هواه كامية
بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على
ان الداعي الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى
خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة
والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك
او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في
قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكروا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر
غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا
اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي متقدما على الحق ونابذا له وراء ظهره يقال فرس
فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله تعالى لا ما يقتضيه
الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر لا ابالي بايمان من امن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان
كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته انا اعتدنا للظالمين هيانا نارا احاط بهم سرادقها
فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط
وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من النار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء
كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي
الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير
في الكاف بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكا واصل الارتفاق نصب المرفق
تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في حيزها
والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى
عنه في قولك نعم الرجل زيدا او واقع موقع الظاهر فان من احسن عملا لا يحسن على الحقيقة
اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجري
من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر او خبر ثان
يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور

وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون
ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق
من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها
وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم للكافر والمؤمن مثلا رجلين حال رجلين
مقدرين او موجودين قيل هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا
ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها
المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل لهما اخوان من بني مخزوم
كافر وهو الاسود بن عبد الاشد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة
بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها
كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا
ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات
والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها
ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا
يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا
ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع
من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء
واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك في قوله واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره
يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا
ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد
الجنة لان المراد ما هو جنته وهي ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له
في الجنة التي وعد المتقون ولاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون
في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد هذه ان
تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة

كائنة

كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان
والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم
على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته
وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب
لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا
ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان
منشأه الشك في كمال قدرة الله ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان
من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله
لكن انا فحذف الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان وكان الادغام وقرأ ابن عامر
ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف
وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله
بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله
لكني مؤمن به وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك
قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان
ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما
فيها بمشية الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا
بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها
فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله
لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان
يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله
وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك في الدنيا او في الآخرة
لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع
حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب
حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستيصال
نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق

فلن تستطيع له طلبا للماء الغاير ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله حسبما فرضه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه فاذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية اي ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرا حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك والاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المومنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المومن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرا حمزة والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع او لا يعبد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة وقرا ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرا عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما يشبه الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه

ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارقا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به على الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدا وخير املا لان صاحبه ينال به في الاخرة ما كان يامل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوه ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا يكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحايف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مال هذا الكتاب تعجيبا من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملايم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما تشنع

على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور
بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان
زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها
واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير
في القرآن كان من الجن حال باضمار قد او استيناف للتعليل كانه قيل ماله لم يسجد فقيل كان
من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبيب وفيه دليل على ان
الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة
البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده
او اتباعه وسماهم ذرية مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم
لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق
بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا
اي اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة
من توابع الخالقية والاشراك فيه يستلزم الاشراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير
ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم
بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم
للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على
خطاب الرسول وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع
وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكفار وقرأ حمزة بالنون
نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء
اليه على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة
فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه
وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا
ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل
اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا انهم

مو

مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون
اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان
الانسان اكثر شيء جدلا يتأتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس
ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ويستغفروا
ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار
او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع
قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبيلا
وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين
والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال
عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه
من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله
لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا
به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر
بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها ولم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر
والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم
مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي آذانهم وقرا
يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا
ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير
قوله مالي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة
ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على
ذلك باهمال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم
القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك
القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر يفسره
والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضماير لما ظلموا كقريش

بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم
بفتح الميم واللام اى لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض
واذ قال موسى مقدر باذكر لفتيه يعني يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام فانه كان
يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح اى لا ازال اسير فحذف الخبر
لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه
ويجوز ان يكون اصله لا يبرح سيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه
من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي
المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر
علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع
او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ
الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون
روي ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة
فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله تعالى اليه بل عبدنا الخضر
وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي
الى ايام موسى وقيل سأل موسى ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني
قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي
يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان
كان في عبادك اعلم مني فدلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل
عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه
اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اى مجمع البحرين وبينهما ظرف
اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف
حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حيوته ووقوعه في البحر روي ان موسى عليه السلام
رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع

من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش فوثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون
منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا
من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق
عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ
فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتيه آتنا غداءنا ما نتغذى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه سار الليلة والغد الى الظهر والقي عليه
الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة
قال ارأيت ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى
وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رايت
منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اى وما انساني ذكره الا الشيطان فان
ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له
بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند
موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب
شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان
هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد
من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب واتخاذ عجبا
والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو المصدر فعله المضمر اى قال في آخر كلامه او موسى في جوابه
عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اى اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال
ذلك اى امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا في
الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اى يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين
حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليان بن ملكان
وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما
مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن
على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو
اصابة الخير وقرأ البصري بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني

ومعفول علمت العايد المحذوف وكلاهما منقولان من علم للذي له مفعول واحد ويجوز
ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان
يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل
اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع
والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسأل عنه ان يرشده وينعم
عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه
على وجوه من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر
على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها
لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله
صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا
وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشية اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان
مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف فيه وخلفه ناسيا لا يقدح
في عصمته وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشية الله تعالى قال فان اتبعتني فلا
تسألني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك
منه ذكرا حتى ابتدئ ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا
على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة
بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء
فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على
اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل
انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء
نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه
في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني
بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام فالمراد شيء اخر نسيه
ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان
ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه

اياه

اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعد ما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله
قيل فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه
قتله من غير ترو واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة
من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ
وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول
لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت
نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل
تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستانفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط
واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام
ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وورش
وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه
لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز
والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سألتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني
صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع
صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن النون
الدعامة كقوله • قدني من نصر الخبيبين قدي • وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال
اسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة البصرة
وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه
يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف
السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض مداني ان يسقط فاستعيرت
الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال • يريد الرمح صدر ابي براء • ويعدل
عن دماء بني عقيل • وقال • ان دهرا يلف شملي بجمل • لزمان يهم بالاحسان • وانقض انفعل
من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعل من النقض وقرئ

ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه
بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه
لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل
من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت
اى لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق بيني
وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني والى الاعتراض الثالث او الوقت
اى هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق البين اضافة المصدر
الى الظرف على الاتساع وقرئ على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا
بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت
لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه
وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى
وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك
قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندي كركر وقيل منولة بن خليد الازدي ياخذ
كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله
وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية
او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى
الجزئين وادعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى
عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا
لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان
وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاتهما على طغيانه وكفره حبا له وانما
خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه
كيف قتله وقد نهى النبي عليه السلام عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان
ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته
ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه

ان يرزقهما بدلا ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية
واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت
نبيا هدى الله به امة من الامم وقرأ نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب
رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار
فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور وكان
تحته كنز لهما من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين
يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم
وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن
يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب
كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد
رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما
وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك
ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك
ويجوز ان يكون علة ومصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره
فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب
وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله
وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني
ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت
ما رأيته عن امري عن رايي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض
ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة
ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة
ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لم يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم
على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى
يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسالونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك
فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا

شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اي
صفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش
للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون
هم اليهود سألوه امتحانا او مشركوا مكة قل سأتلوا عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء
لذي القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف
شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه
من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله
اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها
تغرب في عين حمئة ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان يكون العين
جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ما قبلها ولعله بلغ ساحل
المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل
كانت تغرب وقيل ان ابن عباس رضي الله عنهما سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة
فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده
في التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه
البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا
القرنين اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع
وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من
ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته
فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه الذي هو الشرك فاعذبه انا ومن معي في الدنيا
بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا وهو ما
يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلة الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او المصدر لفعله المقدر
حالا اي يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين
ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن

شاكنت معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه
ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول
له من امرنا مما نأمر به يسرا سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا
ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء وكذلك
ما بعده حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض
وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع
على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او
انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان
وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة
مصدر محذوف لوجد او لنجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم
الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب
خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغ مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف
الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب
الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية وآذربيجان
وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع
وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم
لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه
الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي لا يفقهون اي لا يفهمون
السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه لخلطه قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجمهم وفي مصحف
ابن مسعود قال الذين من دونهم ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل
يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج
الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم ومنع الصرف فيهما للتعريف والتأنيث مفسدون
في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون الربيع فلا يتركون
اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا

نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج
على الارض والذمة والخرج مصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد
ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال
والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة لي اليه وقرأ ابن كثير مكنني على الاصل
فاعينوني بقوة اي بقوة فعلة او بما اتقوى به من الالات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا
وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع آتوني زبر الحديد قطعه
والزبر القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة
ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ايتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد
والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج
على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر
والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها
لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا
اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال
آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة
الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى
اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة
الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا
بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه
وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله
من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين
ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض
فصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب
في تجاويفها قال هذا هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي
وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة جعله دكا مدكوكا
مبسوطا مستويا بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء

بالمد

بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين
وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء
السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون
انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء
وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء
عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا
استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به
وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار
ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم
فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب
الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت
اذا اعتمد على الهمزة يساوي الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل
وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقرونه قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم
في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم وآخرتهم
ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل والنصب على الذم
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين
كفروا بآيات ربهم بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث
على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم
القيمة وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن
به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان
يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله
وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي
هزوا اي بسبب ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم
جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات

الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقررة
لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم
ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما
يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته
لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات
ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه وقرأ حمزة والكسائي بالياء ولو جئنا
بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه
بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة
على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد
بالياء ومدادا بكسر الميم وهي ما يستمده الكاتب وقرئ مددا وسبب
نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤن
وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة على كلماته
يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء
ربه او يخاف سوء لقائه او يخاف لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله
تعالى ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا روي
ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل
لله تعالى فاذا اطلع عليه احد سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك
فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك
الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال عليه الصلوة والسلام الرياء والآية
جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأها عند مضجعه كان له نورا في مضجعه
يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه
بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون
عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة الكهف من آخرها
كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجي آيات وابن عامر وحمزة الياء والكسائي
وابو بكر كليهما ذكر رحمة ربك خبر ما قبله ان اول السورة او القرآن فانه مشتمل عليه او خبر
محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدأ حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها و
قرئ ذكّر رحمة ربك على الماضي وذكر على الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة
فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى
ربه نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله تعالى سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا
او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم
اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس
وثمانون قال رب اني وهن العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة
البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به
الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل في الحركات الثلث واشتعل الرأس شيبا
شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم
اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة
وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد
يغني عن التقييد ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف
معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى
عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه واني خفت الموالي يعني
بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي
بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل
الموالي من ورائي او الذين يلون الامر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن اقامة
الدين بعدي او خفوا ودرجوا قداما فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امرأتي عاقرا
لا تلد فهب لي من لدنك فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامرأتي
لا تصلح للولادة وليا من صلبي يرثني ويرث من آل يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو

ظرف للذكر وذكر اسمه عند وقت النداء
عبارة عن اجابة دعوته

في سرعة الانبساط مع تعذر التدارك
فالجامع عقلي والاستعارة تصريحية

والكسائي على انها جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل
يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق وقيل كان يعقوب
اخا زكريا او عمران بن ماثان من نسل سليمان وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من احد
الضميرين واويرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في
علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا
يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له
لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا
شبيها كقوله هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا
فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته قال
رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل
واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء
ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائي وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان
وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته تعالى وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك
قال اي الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الامر كذلك ويجوز ان يكون الكاف
منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ويؤيد الاول قراءة
من قرأ وهو علي هين اي الامر كما قلت او كما وعدت وهو على ذلك يهون علي او كما وعدت وهو
علي هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك
من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء وقرأ حمزة و
الكسائي وقد خلقناك قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال آيتك
الا تكلم الناس ثلث ليال سويا سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام
في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلثة ايام ولياليهن
فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا
وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله
كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة
يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه

الحكم

اقول فيه بحث فان المص ذكر في تفسير سورة يوسف في قوله تع ولم يبدا لهم شركانا الآية ان المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان فيجعل احد الكلامين في احد الموضعين اللهم الا ان يقال الحصر اضافي اي لا يفسر سنانى مرحمه

لان لفظ ذلك مفرد لا يصح ان يكون مفعول قال اذ لم يفسر ذلك حح بالجملة لانه لواد يأتي التفسير سنانى مرحمه

الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله تعالى عقله في صباه واستنبأه و
حنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكوة
وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله تعالى به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق
على الناس وكان تقيا مطيعا مجتنبا عن المعاصي وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا
عاقا او عاصي ربه وسلام عليه من الله تعالى يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال
به بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيمة
واذكر في الكتاب في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم بدل
الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر
الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك
اذ لم تكرمني فيكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك
اتخذت النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت
من دونهم حجابا سترا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرفة للاغتسال
من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت
فبينا هي في مغتسلها اتاها جبرئيل عليه السلام متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه
ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها ان
كنت تقيا تتقي الله تعالى وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني عائذة
به منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ
منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك
غلاما لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله تعالى ويؤيده قراءة
ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من
سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال
فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنى فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف
قوله عليه ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك
لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسبة كطالق قال كذلك قال ربك هو
علي هين ولنجعله اي ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لنهب على طريقة

وفي هذا المعنى نوع ركاكة يظهر اذا لوحظ العطف على المفعول الثاني لاتيناه والمعنى اتينا يحيى كونه زكوة اي صدقة لابويه يعني اعطت له هذه الخصلة سنانى مرحمه

الالتفات آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء الله تعالى في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة الحمل سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله. تدوس بنا الجماجم والتريبا. والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض فالجاها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كاتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت وكنت نسيا ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع فناداها من تحتها عيسى وقيل جبرئيل عليهما السلام كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضميرهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة الا تحزني اي لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وعيسى عليه السلام وهزي اليك بجذع النخلة وأميليه اليك والباء مزيدة للتاكيد او افعلي الهز والامالة به او هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع تساقط عليك تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى سقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر

يعني غير عيسى عليه السلام لان استهلال الصبي وقت الولادة انما كان لمس الشيطان وهو بمعزل عنه

اقول يخالفه قوله تعالى في قصة يحيى عليه السلام وسلام عليه يوم ولد على ما في تفسير هذه الصفحة ... [illegible]

ان

ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه من الطعام والشراب ولذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي اي من الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ وقري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبات بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه قاطع في قطع الطاعن فاتت به قومها مع ولدها راجعة اليهم بعد ما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد يا اخت هرون يعنون هرون النبي وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه الى عيسى اي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني عبد الله انطقه الله تعالى به اولا لانه اول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته آتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا اينما كنت حيث كنت واوصاني وامرني بالصلوة والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني

يعني مع ما بين الفاء الداخلين المعلومتين فيه فالمرتبان اظهرا بان حسنان احسان من حيث انها محتاج الى الطعام والشراب ولما كان الشراب اهم ولكونه مقدمة الطعام قدمه
مرحوم سنبلي

اقول ما دمت حيا انما قدم هذا على قوله وبرا الآية ولم يؤخره ليكون تقييده بالجوع اشعارا بان بر الوالدين لا تقييد بمدة الحيوة بل يحصل بعد الحياة ايضا
مرحوم سنبلي

جبارا شقيا عند الله تعالى من فرط تكبر والسلام علىّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم
ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه
لما جعل جنس السلام على نفسه عرّض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى
فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى بن مريم اى الذى تقدم نعته
هو عيسى بن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق
البرهانى حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اى هو
قول الحق الذى لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة و
قيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله تعالى وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب
قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذى فيه يمترون
فى امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء
على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى
عما بهتوه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده
بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر
فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق
تفسيره فى آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان بالفتح على ولان وقيل انه معطوف
على الصلوة فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية
قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكائية قالوا
عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه و
جزاؤه وهو يوم القيمة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو
ان تشهد الملئكة والانبياء والسنتهم وآرابهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها
وقيل هو ما شهدوا به فى عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم
يوم يأتوننا اى يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا فى الدنيا او تهديد
بما سيسمعون وسيبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم و
ما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول فى موضع الرفع وعلى الثانى فى محل النصب لكن الظالمون
اليوم فى ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا

الاسماع

الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة
يوم يتحسر الناس المسيء على اسائته والمحسن على قلة احسانه اذ قضى الامر فرغ من الحساب
وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم فى غفلة وهم
لا يؤمنون حال متعلقة بقوله تعالى فى ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اى انذرهم
غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى
لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك
توفى الوارث لارثه والينا يرجعون يردون للجزاء واذكر فى الكتاب ابرهيم انه
كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته
وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله تعالى اذ قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض
او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك
لا يقال يا ابتى ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغنى عنك شيئا
فى جلب نفع او دفع ضر دعاه الى الهدى وبيّن ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده
برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التى تدعوه الى عبادة ما يستخف به
العقل الصريح ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التى هى غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له
الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيى المميت المعاقب المثيب
ونبه على ان العاقل ينبغى ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشئ لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا
على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملئكة
والنبيين لما يراه مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع و
لا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم
الالهى مستقلا بالنظر السوى فقال يا ابت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى اهدك
صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له فى مسير
يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه فى الحقيقة
عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان واستهجن ذلك
وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله ان الشيطان

كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن والعذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جنايته لارتقاء همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لادم وذريته منبه عليها قال اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يوذيك ولكن ساستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه كان بي حفيا بليغا بالبر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وادعوا ربي واعبده وحده عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضايع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة وقيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على انفراده وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر به الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان

العرب

العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه وقرا الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانباهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول او بدل هرون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى به وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم عليه السلام كانوا على شريعته وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء اباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتاب ادريس وهو سبط شيث وجد ابي نوح عليهم السلام واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس عليهما السلام الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنياوية من النبيين بيان للموصول من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض

قوله هرون نبيا انما لم يذكر الرسالة فيه وقد ذكر في موسى وذلك لان المقصود الاهم من بعثته توجيه انبائه عن ابيه لما ان موسى طلبه لكونه افصح منه فيكون مؤنة الانباء والله اعلم سيالكوتي رحمه

اقول سيأتيك في سورة الحج ان الرسول من يكون له شريعة مجددة والنبي اعم فلعل المراد بالرسول من ارسله الله الى الخلق وهذا هو المعنى اللغوي الا انه لا فائدة في بيانه في اسمعيل فان جميع الانبياء رسل بالمعنى اللغوي والاولى ان يقال المعنى انه يدل بحسب الظاهر على ان الرسول الخ وذلك لان اكثر ما ذكر الى القرانية انما هو في المعاني الشرعية سيالكوتي رحمه

قوله وعدن علم الخ توضيحه ان عدن علم لان جنات معرفة لانضافها بالموصول الذي موضع المعارف وهو قوله تعالى وعد وليس تعريفها الا باضافتها الى عدن ليس الا لكونه علما اذ لا يصح ان يكون شيئا من اقسام المعارف الا العلم فقوله لانه المضاف اليه في العلم معناه ان عدنا مضاف اليه للجنات التي هي علم اي في حكمه لان تعريفها مسبب بما اضيف اليه ملا كرزى

قوله وعدن علم يعني ان جنة عدن علم لاحدى الجنان الثمان دون عدن والا لكان كاضافة انسان زيد على ما قيل لكن قد يحذف المضاف ويقام المضاف مقام المجموع فيستعمل استعمال الاعلام كما في رمضان وهكذا في عدن والمعنى جنات جنة عدن فلا يتوجه النقض على كلامه بمثل عبد شمس ولا يحتاج الى التأويل بان الشمس لانحصارها في فرد بمنزلة علم سعدي افندي

قوله وعدن علم الخ حل هذه العبارة وتوجيهها ان قوله لانه المضاف اليه في العلم ليس دليلا لكون عدن علما بل علة لثبوت العلمية له في الواقع وبيان ان ...

لان المنعم عليه اعم من الانبياء واخص من الذرية ومن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح عليهم السلام ومن ذرية ابرهيم الباقون واسرائيل عطف على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستيناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى وعن النبي عليه السلام اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقي فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
اي الشر والقوى · اي الفرس لا الحمار · اي الاعرج

او جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الآية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه ان الله كان وعده الذي هو الجنة مأتيا يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول الكلام الا سلاما
حاضرا
ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبرئيل حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجى ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل بيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيته وما كان ربك نسيا تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله تعالى لقولهم اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر مبتدأ محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها واحدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور

اقول مهنا تامل فان التنزل على ما اعترف به المصنف هو النزول على مهل من علو الى سفل فلا يناسب قول الجنة العالية ويمكن ان يقال معنى الآية والله اعلم على هذه الرواية انا لكون التنزل ماخوذا من النزل وهو ما يهيأ للنزيل وهو الضيف كما في قوله تعالى جنات الفردوس نزلا والمعنى وما نفعل ما نزل الا بامر ربك لانه سنانى
مرحلم

احديته وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا صح
ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادة
والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما
بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة
او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ااذا
ما مت لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف
الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد
اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام
في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال اولا يذكر الانسان عطف على يقول
وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمها للدلالة على ان المنكر
بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل انا خلقناه من
قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق و
ايجاد مثل ما كان فيهما من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر
من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم اقسام باسمه مضافا
الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول والشياطين عطف او مفعول معه لما روي ان
الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا
وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين
بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا
غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء
عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع
التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله تعالى وترى
كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون
جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة ثم لننزعن
من كل شيعة من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى
منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص ذلك

بالكفرة

بالكفرة فالمراد به تميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ونطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كلا
طبقتها التي تليق بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات
لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد
الى حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء
على انه استفهام وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين
يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها بننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستأنفة والفعل
واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما شيعة لانها
بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا
اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وبأشدهم
عتيا رؤس الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وان منكم وما منكم التفات
الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضر دونها يمر بها
المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل
اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها
وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز
على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما مقضيا كان ورودها واجبا اوجبه
الله تعالى على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا
فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اي هناك
ونذر الظالمين فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها
وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيأتهم
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول
او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين المؤمنين
والكافرين خير مقاما موضع قيام او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل
واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها
والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها
على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا

اقول حرف الاستقبال يحتمل معنيين احدهما
سوف في لسوف اخرج والثاني يا في يا الله
فان يا حرف استقبال بمعنى طلب الاقبال
فكانه ابهام او جمع بين المعنيين فان الجمع من
معنى المشترك جائز عند المصنف وقد ذكر ذلك
في قوله تعالى في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا
سيالي
مرحمه

فزد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا لقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا
ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم
وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل ما جد منه والخرثي ما رث
والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة
وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة وابو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا بحذف
الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتعهم استدراج وليس باكرام
وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له
الرحمن مدا فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله
مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين
امنوا اي الفريقين خير اي قالوا حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة تفصيل
للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما
يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بان
عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط
والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان
حسن النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم لظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة
الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله تعالى اراد
به ما هو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة
يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية والباقيات الصالحات الطاعات التي
تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية
التي يفتخرون بها سيما ومالها النعيم المقيم ومال هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه
بقوله وخير مردا والخير هنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء
اي ابلغ في حره منه في برده افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزلت في العاص

ويقال له يوم القيمة او لم نعمركم قوله
انما نملي لهم متعلق بالاستدراج
وقوله او لم نعمركم متعلق بالمعاذير
سيالكوتي
م حفظه

بن

بن وائل كان لخباب ابن الارت عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله
لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاذا بعثت جئني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك
ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها
والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد
كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب اقد بلغ من عظم شانه الى ان ارتقى
الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتاه في الآخرة مالا وولدا
وتالى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم
به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب
عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره في نفسه سنكتب ما يقول سنظهر له
انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه
انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتاخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستاهله
او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه على الله تعالى ولذلك اكده بالمصدر دلالة
على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد وياتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه
مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا
عنه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله
تعالى وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم ستجحد الآلهة
عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها
لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول اذا
فسر الضد بضد العز اي ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم بان
توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده
لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه السلام وهم
يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق
في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على معنى كل هذا الراي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره
ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين

قوله ونرثه اي بموته اقول فيه بحث فان سبب النزول
اذا كان ما ذكره لم يكن التقييد بالموت موجها لان
ذلك اللعين انما تالى على حصول المال والولد في
الاخرة فالتفسير الملائم لسبب النزول ان يقال
كما في الكشاف ونرثه اي نزوي عنه ما زعم انه يناله
في الآخرة ونعطيه من يستحقه اللهم الا ان يقال ان
في قوله فيكون لي ثمه مال وولد محذوفا تقديره هكذا
كما كان لي في الدنيا مال وولد ويكون قوله ونرثه
ناظرا الى ما هو له في الدنيا وقوله وياتينا ناظرا الى
ما هو له في الاخرة
سيالكوتي
م حفظه

بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات
وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة و
تماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة
فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم
انما نعد لهم ايام آجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس
معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم
في هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين
لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما تفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم
ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا
لعطش او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد والمدلول عليها بذكر
القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل
ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله اذنا فيها
لقوله لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به
ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على
الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا
لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة
في الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى فالاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة
وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه
يتشققن مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول
ابلغ لان التفعل مطاوع فعّل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول
(مصدر / او حال)
هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت
من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله تعالى بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبددت
قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا

على

وفي الكشاف ويجوز ان يكون علامة كما في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ انتهى وفي هذا الوجه ضعف لان المراد اذا كان علامة وعدا فرد ضمير اتخذ كان اجمالا بعد ايضاح وهو عكس طريق البلاغة التي هي الايضاح بعد الاجمال فالحسن ان لا يراد وان لم يكن ضميرا عائدا الى شيء الا انه يوضح ويكشف عن حال الفاعل ولعل المصنف رحمه الله لهذه النكتة ترك هذا الوجه
سيالى

على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه و
الرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء
الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط
بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي
للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل و
لعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو
مبدأ النعم كلها ومولي اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله ان كل
من في السموات والارض اي ما منهم الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له ياوي اليه
بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم حصرهم واحاط بهم بحيث
لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم
فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة فردا منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه
شيء من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل
لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي
في اهل السماء ان الله تعالى قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض
والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام
او لان الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الاشهاد فينزع ما في صدورهم
من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن
يسرناه معنى انزلناه اي انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به
قوما لدا اشداء الخصومة بالباطل آخذين في كل لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر
وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجسير للرسول عليه السلام على انذارهم هل تحس منهم من احد
هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل
التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز للمال المدفون عن رسول
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به
ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا وبعدد من لم يدع

سورة طه مكية وهي مائة وخمس وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمها ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش
لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح
فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها
في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون
وقرئ طه على انه امر للرسول بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى
رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه
الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طأها والالف مبدلة من الهمزة و
الهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطري
الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه
مأول بالسورة او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى
له ان جعلته نداء او استئناف ان كانت جملة فعلية واسمية باضمار مبتدأ او طائفة
من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش
اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى
التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل
عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا
وان القرآن انزل عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع
ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل
الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موضع الحال من الكاف او القرآن او مفعول له
على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن اي ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه
لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله منه ان يخشى بالتخويف منه فانه
المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا لا
وان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات
العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل لعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله و

صفاته

اي باسم الشطرين والمراد بالاسم اللغوي اعني ما
يكون علامة للشيء [illegible] الى الذهب
في التعبير عن الشطرين بالاسم [illegible]
الى العلة
[illegible]

وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التي هي اصول
العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهي جمع العليا
تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى
منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته
حكمته وتعلقت به مشيئته فقال الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض
وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة
للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها
على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اي وان تجهر بذكر الله تعالى ودعائه فاعلم
انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء
والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره
وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه منفرد بها
والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن خلق صلة لتنزيلا
او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله
الى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه
واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية
كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى
خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح [illegible] الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى
الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها [illegible] والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى
على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان [illegible] المعاني وافضلها وهل اتاك
حديث موسى قفى تمهيد نبوته بقصة موسى عليه ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة
والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل اذ رأى نارا ظرف للحديث
لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه وخرج
باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت
ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا فقال
لاهله امكثوا اقيموا مكانكم اني آنست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس

ابصار ما يونس به لعلي آتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مايلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولها مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم بان ليوطن انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه فلما اتيها اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى اني انا ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسر الباقون باضمار القول واجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام الشيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى فاني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه تعالى تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال انك بالواد المقدس تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين طوى طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتاويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى اليك او للوحي واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل واقم الصلوة لذكري خصصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري ان الساعة آتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره

المذكور في فاخلع نعليك ما الاول فقط واما الثاني فلان الوقوع في المكان المطهر ينافي شغل القلب بالاهل والمال

لتجزى

لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة او عن الصلوة من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لا ارينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها اختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هويه ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك بالانصداد بصده وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريد فيها من العجائب بيمينك حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع واهش بها على غنمي واخبط الورق بها على رؤس غنمي وقرئ واهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها ولي فيها مارب اخرى حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه يعلق بها اداوته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها فاذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا راها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصايص اخرى خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاه بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه قال القها يا موسى فالقيها فاذا هي حية تسعى قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدا وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كانها جان قال خذها ولا تخف فانه لما راها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الاولى هيأتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها بنزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها اي سنعيد

فتعدي الى مفعولين

العصا بعد ذهابها سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك
اطمانت نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت
العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك
لانه يجنحهما عند الطيران تخرج بيضاء كانها مشعة من غير سوء من غير عيب وقبح كني به عن البرص
كما كني بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه آية اخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير
تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك لنريك من آياتنا الكبرى متعلق
بهذا المضمر او بما دل عليه آية اخرى او القصة اي دللنا عليها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة
آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال منها اذهب الى فرعون بهاتين الآيتين وادعه الى
العبادة انه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره الله تعالى
بخطب عظيم وامر جسيم ساله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه
والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام المشروح
والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تاكيدا ومبالغة واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي
فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله
يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت
فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبيض يده كان لذلك وقيل احترقت يده
واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرا ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرا يدي
وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك
ومن لم يقل به احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسال
حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن
لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي
يعينني على ما كلفتني واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو
الملجا لان الامير يعتصم برايه ويلتجئ اليه ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل
بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون
قدم ثانيهما للعناية ولي صلة او حال او لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلي
ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هرون او مبتدا خبره اشدد به

ازرى

متعلق بكني يعني كني عنه ولم يصرح باسمه لان الطباع سعدي

اي تبيض اصبعه يده تكرما له سعدي

واخي هرون موضح

ازري واشركه في امري على لفظ الامر وقراهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر كي
نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده
انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لي فيما
امرتني به قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اي مسؤولك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز
والماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا عليك في وقت آخر اذ اوحينا الى امك
بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى
ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به ان اقذفيه
في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف
يقال للالقاء وللوضع كقوله وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا
فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة
به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضمائر كلها
لموسى عليه السلام مراعاة للنظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت
بالذات فموسى بالعرض ياخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة او لان
الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه
ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة
في البستان وكان فرعون جالسا على راسها مع امراته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح
فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال والقيت عليك محبة مني اي محبة
كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون
ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه
بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة
نهره ولتصنع على عيني لتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة
مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر
اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اي وليكون عملك على عين مني
لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا
على ان المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع

كما في قوله واوحى ربك الى النحل

الذي هو ام اعجاز القران كشاف

اي حصل فيه الحسن او صنعه فيه كشاف

تمامه له سيما لا يشق على البصر

اي استعمل القير وهو الزفت سعدي

وهذا لا يناسب القصة ولذلك قال لكن سعدي

فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم
فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها
بلقائك ولا تحزن هي بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس
القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى
واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك
ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور
في حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن و
مفارقة الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره
فلبثت سنين في اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثماني مراحل
من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر
او على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك
واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه
لنفسه اذهب انت واخوك باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء
في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه طغى
امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحي الى هرون ان يتلقى موسى
وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى
ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احتراما
لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة
وقيل عداه شبابا لا يهرم وملكا لا يزول الا بالموت لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او
قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والايس متكلف
والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه سبحانه بانه لا يؤمن الزام الحجة
وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الايات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم
ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق عنده صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى
قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى تمام الدعوة واظهار
المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته

اذا حملته على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان
انسي او جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية او ان يطغى ان يزداد
طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال
لا تخافا انني معكما بالحفظ والنصرة اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث
في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما معا
مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا
بني اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في ايدي القبط
يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكورا اولادهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان
بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون
للتدريج في الدعوة قد جئناك باية من ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من
دعوى الرسالة وانما وحد الاية وكان معه ايتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها
لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فات باية او لو جئتك
بشيء مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين
او السلامة في الدارين لهم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى ان عذاب
المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اول
الامر اهم وانجع وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى اي بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله
حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء
لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه
ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء
من الانواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون
اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق
والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه والمضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني
محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل الى
بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات
باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى

وان جميع ما عداه مفتقر اليه ومنعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه فلم يرَ الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي اي انه غيب لا يعلمه الا الله تعالى وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون مهدا اي كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا وحصل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء مطرا فاخرجنا به عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اي متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول ابائكم

وبهذا اندفع ما يتوهم من انه لا عدول فيه لان قائل الاول هو موسى وقائل الثاني هو الله

اي انه جواب سؤال مقدر

واول موادّ ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه آياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد بآياتنا آيات معهودة هي الآيات المختصة بموسى عليه السلام او انه اراه آياته وعدّ عليه ما اوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوّه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على كون الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستأصلكم وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة

بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان
المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام
لا يدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق
به الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هى المخففة و
اللام هى الفارقة او النافية واللام بمعنى الا يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها
بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله
لقوله انى اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب
علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث
انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرأ
ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير فى قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا
صفا مصطفين لانه اهيب فى صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا
واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض
قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى اى بعد ما اتوا مراعاة للادب وان بما بعده
منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اى اختر القاءك او القاءنا او الامر القاءك
او القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا
من الميل الى البدء بذكر الاول فى شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا
اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه
من سحرهم انها تسعى اى فالقوا فاذا حبالهم وهى للمفاجأة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعى
متعلقا ينصبها وجملة يضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية
والمعنى فالقوا ففاجأ موسى وقت تخيل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم لطخوها بالزيبق فلما
ضربت عليها الشمس اضطربت فخيلت اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده
الى ضمير الحبال والعصى وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله تعالى
وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس فى نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة
البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت انك انت الاعلى
تعليل للنهى وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر

ولفظ

ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما فى يمينك ابهمه ولم
يقل عصاك تحقيرا لها اى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة التى فى يدك او تعظيما
لها اى لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان فى يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه تلقف
ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذفت احدى التائين وتاء المضارعة
يحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى السبب وقرأ ابن عامر بالرفع على الحال او الاستئناف
وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا ان الذى زوروا وافتعلوا
كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائى سحر بمعنى ذى
سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد
الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر اى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير
المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس ما اعدت فى سعى دنيا طالما قد مدت كانه
قيل انما صنعوا كيد سحرى حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقى السحرة سجدا اى فالقى فتلقفت
فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو آية من آيات الله تعالى ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك
على وجوههم سجدا لله تعالى توبة عما صنعوا واعتبارا وتعظيما لما راوا قالوا آمنا برب هرون
وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروى الآية او لان فرعون ربى موسى فى صغره فلو اقتصر
على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى انهم راوا
فى سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع قبل ان
آذن لكم فى الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم فى فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذى علمكم السحر
وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى
ومن ابتدائية كان القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو وهى مع المجرور بها فى حيز النصب
على الحال اى لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم فى جذوع النخل
شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه
وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان فى كتاب الله لغير الله اراد توضيع موسى والهزء به فانه
لم يكن من التعذيب فى شئ وقيل رب موسى الذى آمنوا به اشد عذابا وابقى وادوم عقابا
قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من البينات
المعجزات الواضحات والذى فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت

فاقضيه اي صانعه او حاكم به انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم ما تراه
في هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه
الحيوة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي
وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجده
تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه (بيان الاكراه) والله
خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه ان الامر من يأت ربه مجرما بان يموت على كفره
وعصيانه فان له نار جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة مهناة ومن يأته مؤمنا
قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة جنات
عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى
الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والآيات
الثلاث يحتمل ان يكون من كلام السحرة (في لهم فانه ظرف مستقر) وان يكون ابتداء كلام الله تعالى ولقد اوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي اي من مصر فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما
او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا
كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث يقال شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما
مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله
كان قتود رحلي حين ضمت (اي شدت) * حوالب غرزا ومعا جياعا * او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم
طريقا لا تخاف دركا حال من المأمور اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد
محذوف وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر ولا تخشى استيناف اي انت لا تخشى او عطف
عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى ولا تخشى الغرق فاتبعهم
فرعون بجنوده وذلك ان موسى عليه السلام خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك
فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم
ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وزادهم خلفهم فغشيهم
من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي غشيهم (اي علاهم) ما سمعت قصته ولا يعرف
كنهه الا الله وقرئ فغشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم او فرعون
لانه الذي ورطهم للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى اي اضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به

من الرأي لا من الرؤية يعني تحكم ما تعتقده رأيا وهذا هو السر في تخصيص ما تراه والتصنع لما تهواه
سناني م حط

قيل عليه هذا المعنى غير مستقيم لان السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين فيفهم منه انهم ما اعتقدوه محقا والا لما عني لطمع الاجر على تقدير الغلبة وجوابه ظاهر فانهم قالوا ذلك لفرعون وقت مجيئهم بدليل قوله فلما جاء السحرة قالوا لفرعون الآية وهذا قولهم بعد ذلك نعم يمكن ان يقال اذا كان السحرة عالمين بان موسى غير ساحر ولا يجوز معارضته فكيف صح منهم ان يقولوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اللهم الا ان يقال انهم انما قالوا ذلك لتظهر للناس عجز فرعون وانه لا عزة له وانما قصدوا به ذلك لا كراهة اياهم على ما لا يقدرونه ويؤدي الى حرجهم
سناني م حط

الواو للحال وفيه اشارة الى ان الباء للمصاحبة
سعدي

اي الثاني في الذكر لان نفسه مفعول اول لا ثان

اي ما هدى اصلا لا نفيه لا هداهم كشف

في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجا يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد
انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
بما فعل بآبائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور الايمن لمناجاة
موسى وانزال التورية عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى وله او للسبعين المختارين للميقات
ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه او حلالاته
وقرأ حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار
مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه
كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا
وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي
يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن بما يجب الايمان
به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال
عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام
التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء
على اثري ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم
بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء
بعهدك يوجب مرضاتك قال فانا قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد
خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم
الا اثنا عشر الفا واضلهم السامري باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم
ضلالة لانه كان ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها
بايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه
اذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان
اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيئته والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل
يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان
منافقا فرجع موسى الى قومه بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية غضبان عليهم
اسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها نور

والتورية انهم كانوا يلقطون المن بكرة والسلوى عشية
كشف

الاستقامة على الهدى متراخ عن اصل الاهتداء باعتبار الانتهاء
سعدي

قريب من مصر وقيل قرية من قرى موصل
كشف

قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن
كشف

وهدى أفطال عليكم العهد أي الزمان يعني زمان مفارقته لهم أم أردتم أن يحل عليكم
يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة فأخلفتم موعدي وعدكم إياي
بالثبات على الإيمان بالله تعالى والقيام على ما أمرتكم به وقيل هو من أخلفت وعده إذا وجدت
الخلف فيه أي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الأربعين وهو لا يناسب الترتيب على
الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا بأن ملكنا أمرنا
إذ لو خلينا وأمرنا ولم يسول لنا السامري لما أخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي
بالضم وثلاثتها في الأصل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم
أحمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا
لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة أن يعلموا به وقيل هي ما ألقى البحر على الساحل بعد إغراقهم
فأخذوه ولعلهم سموها أوزارا لأنها آثام فإن الغنائم لم تكن تحل بعد ولأنهم كانوا مستأمنين
وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي فقذفناها في النار فكذلك ألقى السامري أي ما كان
معه منها روي أنهم لما حسبوا أن العدة قد كملت قال لهم السامري إنما أخلف موسى ميعادكم
لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالرأي أن نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها
ففعلوا وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف فأخرج لهم جسدا
من تلك الحلي المذابة له خوار صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به أول ما رآه
هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي فنسيه موسى عليه السلام وذهب يطلبه عند الطور أو فنسي السامري
أي ترك ما كان عليه من إظهار الإيمان أفلا يرون أفلا يعلمون ألا يرجع إليهم قولا أنه
لا يرجع إليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لأن أن الناصبة لا تقع
بعد أفعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على إنفاعهم وإضرارهم ولقد قال
لهم هارون من قبل من قبل رجوع موسى أو قول السامري كأنه أول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة
توهم ذلك بادر تحذيرهم يا قوم إنما فتنتم به بالعجل وإن ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني وأطيعوا
أمري من الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع
إلينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الأول قال يا هارون أي قال موسى لما رجع ما منعك
إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل أن لا تتبعن أن تتبعني في الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من
كفر أو أن تأتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة كما في قوله ما منعك أن لا تسجد أفعصيت أمري بالصلابة

فيه إشارة إلى أن إضافة المصدر إلى ياء المتكلم من إضافته إلى المفعول سعدي

أي من القول وقال إنكم قد حملتم من زينة القوم كشف الأسرار

أقول هذا المعنى لا يلائم الفاء في قوله فكذلك مرحمه سنانی

في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن أم خص الأم استعطافا وترقيقا وقيل لأنه كان أخاه
من الأم والجمهور على أنهما كانا من أب وأم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي أي بشعر رأسي قبض عليهما يجره
إليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عليه السلام حديدا خشنا متصلبا في
كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل لو قاتلت
أو فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي وأصلح فإن الإصلاح
كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم إلى أن ترجع إليهم فتدارك الأمر برأيك قال فما خطبك
يا سامري أي ثم أقبل إليه وقال له منكرا ما خطبك أي ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر
خطب الشيء إذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب أي
علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو أن الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس أثره شيئا
إلا أحياه أو رأيت ما لم تروه وهو أن جبريل جاء راكبا على فرس الحياة قيل إنما عرفه لأن أمه ألقته
حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من أثر الرسول
من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض وأطلق على المقبوض كضرب الأمير وقرئ بالصاد والأول
للأخذ بجميع الكف والثاني للأخذ بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل عليه السلام
ولعله لم يسمه لأنه لم يعرف أنه جبريل أو أراد أن ينبه على الوقت وهو حين أرسل إليه ليذهب به
إلى الطور فنبذتها في الحلي المذابة أو في جوف العجل حتى حيي وكذلك سولت لي نفسي زينته و
حسنته لي قال فاذهب فإن لك في الحياة عقوبة على ما فعلت أن تقول لا مساس خوفا من
أن يمسك أحد فتأخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس وتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشي
النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وإن لك موعدا في الآخرة لن تخلفه لن يخلفك
الله وينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام أي لن
تخلف الواعد إياه وسيأتيك لا محالة فحذف المفعول الأول لأن المقصود هو الموعد ويجوز أن
يكون من أخلفت الوعد إذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله تعالى وانظر إلى إلهك
الذي ظلت عليه عاكفا ظلت على عبادته مقيما فحذف اللام الأول تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل
حركة اللام إليها لنحرقنه أي بالنار ويؤيده القراءة لنحرقنه أو بالمبرد على أنه مبالغة في حرق إذا برد
بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا أو مبرودا وقرئ بضم السين في اليم نسفا
فلا يصادف منه شيء والمقصود بذلك زيادة عقوبته وإظهار غباوة المفتتنين به لمن له أدنى نظر

أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله

ليس المراد من المراقبة الانتظار بل النظر والالتفات يعني خشيت أن يقول لم لم تلتفت ما قلت لك قبل هذا وهو اخلفني لها سنانی مرحمه

السامري في العبرانية أصله شومر بالميم ومعناه حافظ كشف

أقول هذا الظن يتوقف على ضعف قوله وقيل إنما عرفه والا فلا وجه لهذا الظن بعد ذلك النقل سنانی مرحمه

أي لا يوجد بعده منه شيء

انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذى لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه فى كمال العلم و
القدرة وسع كل شئ علما وسع علمه ما يصح ان يعلم لا العجل الذى يصاغ ويحرق وان كان
حيا فى نفسه كان مثلا فى الغباوة وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب
على التمييز والمشهورة لكنه فاعل فى المعنى فلما عدى الفعل بالتضعيف الى مفعولين صار مفعولا كذلك
مثل ذلك الاقتصاص يعنى اقتصاص موسى عليه السلام نقص عليك من انباء ما قد سبق
من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة فى علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها
وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار
حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه
عن الذكر الذى هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله تعالى فانه يحمل يوم القيمة
وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة
احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما خالدين فيه فى الوزر او فى
حمله والجمع فيه والتوحيد فى اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيمة حملا اى بئس لهم ففيه
ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حملا وزرهم واللام فى لهم للبيان كما فى هيت
لك ولو جعل ساء بمعنى احزن والضمير الذى فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى
يوم ينفخ فى الصور وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء
المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ فى الصور
وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقا زرق
العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا
اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا فى صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين
او عميا فان حدقة الاعمى تزراق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب
والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اى فى الدنيا يستقصرون مدة لبثهم
فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها
على اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات او فى القبر لقوله تعالى ويوم تقوم الساعة
الى آخر الآيات نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا
ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسئلونك عن الجبال عن مآل

امريا

امرها وقد سال عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها ربى نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها
الرياح وتفرقها فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها
كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كان اجزاءها على صف واحد
لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالقياس الهندسى وثلثتها
احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار القياس ولذلك ذكر العوج
بالكسر وهو يخص المعانى والامت هو النتو اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين يومئذ
اى يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة
يتبعون الداعى داعى الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس
فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات
للرحمن خضعت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل
وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
الاستثناء من الشفاعة اى لا شفاعة الا من اذن او من اعم المفاعيل اى الا من اذن فى ان
يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع على البدلية وعلى الثانى منصوب على المفعولية
واذن يحتمل ان يكون من الاذن ومن الاذن ورضى له قولا اى رضى لمكانه عند الله قوله
فى الشفاعة او رضى لاجله قول الشافع فى شأنه او قوله لاجله وفى شأنه يعلم ما بين ايديهم
ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم
بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل
ما علموا منه وعنت الوجوه للحى القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى فى يد
الملك القهار وظاهرها يقتضى العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون بدل الاضافة
ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم
ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط فى صحة الطاعات
وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان
او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرأ ابن كثير فلا يخف على النهى وكذلك
عطف على كذلك نقص اى مثل ذلك الانزال ومثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلناه
قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد لعلهم يتقون

سبب التكرار الذي يأتي [illegible] فيعطون [illegible]

المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم
عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن فتعالى الله في ذاته وصفاته عن
مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده
ويخشى وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن
من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة
حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتي بيانه
وقل رب زدني علما اي سل الله تعالى زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك
تناله لا محالة ولقد عهدنا الى آدم ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه
وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم عليه السلام على قوله وصرفنا
فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل
من قبل هذا الزمان فنسي العهد لم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة
على البناء للمجهول اي لم يهتم سعدي
ولم نجد له عزما تصميم رأي وثباتا على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم
يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم عليه السلام لرجح حلمه قال الله
تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطا ولم يتعمد ولم نجد ان كان من الوجود الذي
بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي و
لم يكن من اولي العزيمة والثبات فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستانفة لبيان
ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله
فسجدوا لان المعنى اظهر الاباء عن المطاوعة فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما
فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة
فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها
من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك
وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان
وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة

ولكن

يعني ان الحق اما من الحق بمعنى الثابت او بمعنى الثبوت

مرحطه سنانی

لانه كان عليه السلام يبادر جبرئيل خوف النسيان

كواشى

لان الكلام كان في ذكر القرآن وانزاله

مرحطه سنانی

واما حصول زيادة العلم فهو مشروط بالسؤال والدعاء

سعدی

اي قال عاطفا على قوله ويحدث لهم ذكرا فيذكروا ما نسوه مما عهدنا اليهم

كشف

وفي الكشاف يقال في اوامر الملوك ووصاياهم وانما ترك المص ذكر الوصية لان الامر يعم الوصية فان الوصية امر من الموصي بالعمل مضافا الى بعد الموت

مرحطه سنانی

فالعطف اما على مقدر اي اذكر هذا واذكر اذ قلنا واما على ما قبله عطف قصة على قصة

سعدی

اي ما فرد آدم عليه السلام في اسناد الشقاء اليه وحده اكتفاء [illegible] ان في ضمن سعادته

ولكن سنغنيكما عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى ان ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها
تعالى عن نقيضه سعديا
ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه
حرف عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه فوسوس
اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة التي من
اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه وملك لا يبلى
لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه باكل الشجرة فغوى
اي شرع اي بعصيان
فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المامور به او عن الرشد حيث
اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية
مع صغر زلته تعظيم الزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة
لانه صفة زعمته خطاء لا عمدا
والتوفيق له من جبى الي فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع فتاب عليه
فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا منها
جميعا الخطاب لآدم وحواء او له ولابليس ولما كانا اصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض
عدو لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كل من النوعين بواسطة
الآخر ويؤيد الاول قوله فاما ياتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا
ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له
معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصفت به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى
وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره تكون الى اغراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا
على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشوم الكفر ويوسع ببركة
المعيشة
الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة الى آخر الآية ولو انهم اقاموا التورية والانجيل ولو
ان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ
بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيمة
اعمى البصر او القلب ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد اما لهما حمزة والكسائي
لان الفهما من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول راس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير قال
كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها

متعلق بقوله بيان وتذكير على التنازع والمراد باكتفاء بعض المتقابلات وبذكرها ذكرا في ضمن السلوب

سعدی

يعني غوى [illegible]

اي الخطاب لآدم وحواء او آدم وابليس

سعدی

قيل سبب العداوة ان آدم كان شابا عالما وابليس كان شيخا جاهلا والشيخ الجاهل عدو للشاب العالم

محصر

حيث لعن ابليس بسبب آدم واهبط آدم بسبب ابليس وسرى ذلك الاختلال في الانسان

سعدی

فان الكسب [illegible]

قيل فيه ضعف لانه لا يقال من كان في القرآن له معيشة حتى يوصف بالضنك

التاويلات

اي مثل هذا العمى الذي فعلنا بك فعلت انت بنفسك فيكون كذلك نصبا على المصدر

وتركتها غير منظور اليها وكذلك مثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي
من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه
بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اي النار بعد ذلك
اشد وابقى من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله
او مما فعله من ترك الآيات والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله تعالى او الرسول او ما دل عليه
كم اهلكنا قبلهم من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجري
مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون آثار هلاكهم ان في ذلك
لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والمعاصي ولولا كلمة سبقت من ربك
وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما
لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم
واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو
يوم القيمة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب
ويجوز عطفه على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له فاصبر على ما
يقولون وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك
وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها
قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما في آخر النهار او العصر وحده ومن آناء
الليل ومن ساعاته جمع اني بكسر الهمزة والقصر وآناء بالفتح والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما
قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة وكانت
العبادة فيه احمز ولذلك قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف
النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله
ظهورهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانها نهاية النصف الاول من النهار وبداية
النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار لعلك
ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله تعالى ما به ترضى
نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر
عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة

ويجوز

اي على تقدير ان يكون المراد من عذاب الآخرة عذاب النار محشي

يعني ان الهداية وان لم يكن من افعال القلوب الا انها اجريت مجريها لتضمنها معنى الاعلام والتبيين سعدي

اي على ان الفعل معلق فتبقى الجملة فاعلة ولا دلالة على الفاعل سعدي

وهي قوله تعالى ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين كشف

يعني العطوف والمعطوف عليه بقوله لكان لزاما

بطريق اطلاق الجزء على الكل

بناء على انهما واقعتان في النصف الاخير من النهار

اي اشد مقالا او اثبت قراءة

يعني به الاشارة الى ان المضاف محذوف

ويجوز ان يكون حالا من ضمير في به والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف
بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى
اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة
والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا
لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في
الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة
خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وأمر اهلك بالصلوة امره بان يأمر اهل بيته او التابعين
له من امته بالصلوة بعد ما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولا يهتموا
بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا
ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة
المحمودة للتقوى لذوي التقوى روي انه عليه السلام اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة
وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه بدل على صدقه في ادعاء النبوة او بآية مقترحة
انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام
المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل
على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان
من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال او لم تأتهم
بينة ما في الصحف الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتمالها على زبدة
ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز
بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجزة وتلك
ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله من قبل محمد صلى الله عليه وسلم او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان والمراد
بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي
في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة وقد قرئ بالبناء للمفعول قل كل كل واحد منا ومنكم
متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب
الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد والسوء والسوأى اي الشر والسوى وهو

النصب على الاختصاص على معنى ... زهرة الحيوة الدنيا ... اي ... النصب

على تقدير ان يكون ازواجا مفعولا به
على تقدير ان يكون حالا من الضمير

اي وصل انت والغرض ان يكون قدامهم باقواله وافعاله كشف

اي المعجزة التي هي من قبيل العلم بالنسبة الى المعجزة الكائنة من قبيل الاعمال سعدي

اقول محصوله والله اعلم لا حاجة الى دليل صدقه على نبوته فان استقامة صحفكم انما تتم اذا كان موجبا وبهذا يظهر كون هذه الآية جوابا عن قولهم لولا يأتينا الآية محشي

اي في التعبير عن القرآن بالبينة واضافتها الى ما في الصحف سعدي

تصغيره ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلهما الرفع بالابتدا
ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العايد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية
المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب وعلى الصراط على ان المراد به النبي صلى
الله عليه وسلم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله تعالى لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا
ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان
كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تاكيد للاضافة واصله
اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس
بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر
فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما ياتيهم من ذكر
ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة لياتيهم محدث تنزيله ليكرر
على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن
ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم
يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي
والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر اخر للضمير واسروا
النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو اسروا للايماء
بانهم ظلموا فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدا والجملة المتقدمة خبره واصله
وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا
الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعول لقول
مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في دعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا
ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقران سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا
في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض
جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به وهو اكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض

ولذلك

وما بعدهما سادا مسد المفعولين خبرهما

بخلاف الثانية لان الضمير في اهتدى

لان الاقتصار على احد مفعوليه لا يجوز بحث

جواب عما يقال كيف الاقتراب في الحال ان القيمة لم تقم بعد نزول هذه الاية والجواب ما ذكره ان لهم وقتا وقف ما مضى

لان ترتيب الحكم على المشتق يفيد علية المأخذ

وفي الكشاف فوضع المظهر موضع المضمر انتهى

اي هذا المجموع باسره وجملته في موضع النصب

سعدي چلبي مرحوم

ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار
عن الرسول عليه السلام وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يعلنون بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام
ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء اخرى
او للاضراب عن تحاورهم في شان الرسول عليه السلام وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم
في امر القران والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات
اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها
ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى
لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيها ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات
كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم نيفا واربعين سنة ما سمعوا منه كذبا وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما
من الخوارق فلياتنا باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا
وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالاية
ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون
لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به لم يؤمنوا
واستوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسالوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسالوا اهل الكتاب
من حال الرسل المتقدمة لتزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا
يشاورونهم في امر النبي عليه السلام ويثقون بقولهم وان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان
كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين
نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل
جواب لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام وما كانوا خالدين تاكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام
من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على
حذف المضاف او تاويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء
ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم

فان فيه مبالغة في الاخفاء فالمطابق ان يكون في الرد ايضا مبالغة

سعدي چلبي مرحوم

وفي الكشاف حيث ذهب الى ان الكل اضرابهم وذلك لانه لو اريد ذلك لقيل قالوا بل اضغاث احلام ليفيد حكاية اضرابهم واما تقديم بل على قالوا فلا يفيد الاضراب ولا حاجة الى تكلف بانه من قبيل العطف فكانه قيل قالوا بل اضغاث احلام الآية

سعدي چلبي مرحوم

انما يحتاج اليه لاعتبار التشبيه بين الاتيان والارسال اما اذا اعتبر التشبيه بين قوله باية وقوله كما ارسل بان يكون ما موصولة عبارة عن الايات المخصوصة للانبياء السالفة كاليد والعصا فيستقيم التشبيه بلا تكلف في المعنى والله اعلم فلياتنا باية شبيهة بايات الانبياء المرسلة بتلك الآيات والعجب من المص انه بعد ما اشار الى ان ما موصولة عبارة عن الآيات والعايد محذوف حيث قال كما ارسل به ارتكب التكلف في التشبيه ويمكن ان يقال لما كان المقصود هو الاتيان كان اعتبار التشبيه فيه اولى

سعدي چلبي مرحوم

قراءة عاصم ههنا بالنون ولا خلاف بين ابي بكر وحفص في هذه القراءة وانما محل الخلاف ما يجيء بعدها والمص رحمه الله فلا اشتبه عليه الاولى بالاخرى

حفيد رحمه الله

فكانهم كانوا معتقدين ان الملائكة لا يموتون

كشاف

الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او احد من ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستئصال واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني القران فيه ذكركم صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنون وكم قصمنا من قرية واردة من غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشانا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما اخرين مكانهم فلما احسوا باسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال والمقال والقائل ملك او من ثمة من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما راوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضورا من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله تعالى عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن

وقيل

اي احسوا فالمراد منه بيان كيفية ظلمهم

والمعنى لعل عبيدكم وحشمكم يسألكم ويقولون لكم بماذا تامرون وكيف ناتي وندبر كما هو عادة المتنعمين

لا كما يفعل الجبابرة بسقوفهم وفرشهم من اللهو واللعب

لانا قادرون على ذلك

وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل من شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق في باب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه والمراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدا وخبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو في يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا الهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم من الارض صفة للالهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاؤهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم والمبالغة في ذلك بزيادة الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما الهة الا الله غير الله وصفت بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الالهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشا المقادير عما يصفون من اتخاذ

بيان لكون الاعم من وجه

ومعنى نسبتها الى الارض الا ان الالهة التي يعبدون في الارض لا ان الالهة على قسمين ارضية وسماوية

الشريك والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالألوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون لأنهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة أو للعباد أم اتخذوا من دونه آلهة كرره استعظاماً لكفرهم واستفظاعاً لأمرهم وتبكيتاً وإظهاراً لجهلهم أو ضماً لإنكار ما يكون لهم سنداً من النقل إلى إنكار ما يكون لهم دليلاً من العقل على معنى أوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الألوهية أو وجدوا في الكتب الإلهية الأمر بإشراكهم فاتخذوهم متابعة للأمر ويعضد ذلك أنه رتب على الأول ما يدل على فساده عقلاً وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلاً قل هاتوا برهانكم على ذلك إما من العقل أو من النقل فإنه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلاً ونقلاً هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وإنزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي أمته ومن قبلي الأمم المتقدمة وإضافة الذكر إليهم لأنه عظتهم وقرئ بالتنوين والإعمال وبه وبمن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعد بل أكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على أنه خبر محذوف وسط للتوكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد واتباع الرسول من أجل ذلك وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فإن ذكر من قبلي من حيث إنه خبر لاسم الإشارة مخصوص بالموجود بين أظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حمزة والكسائي وحفص نوحي بالنون وكسر الحاء وقالوا اتخذ الرحمن ولداً نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث إنهم مخلوقون وليسوا بأولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئاً حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين وأصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق إليه وإليهم وجعل القول محله وأداته تنبيهاً على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وأنيب اللام عن الإضافة اختصاراً وتجافياً عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته أسبقه وهم بأمره يعملون لا يعملون قط ما لم يأمرهم به يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا وأخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فإنهم لإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراقبون أحوالهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى أن يشفع له مهابة منه وهم من خشيته

عظمته

عظمته ومهابته مشفقون مرتعدون وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والإشفاق خوف مع اعتناء فإن عدي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر وإن عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة أو من الخلائق إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالإشراك وادعاء الربوبية أولم ير الذين كفروا أولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو أن السموات والأرض كانتا رتقاً ذات رتق أو مرتوقتين وهو الضم والالتحام أي كانتا شيئاً واحداً وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز أو كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكاً وكانت الأرضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها وأحوالها طبقات أو أقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقاً لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق أو السموات بأسرها على أن لها مدخلاً ما في الأمطار والكفرة وإن لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظراً فإن الفتق عارض مفتقر إلى مؤثر واجب ابتداء أو بوسط أو استفساراً من العلماء ومطالعة الكتب وإنما قال كانتا ولم يقل كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض وقرئ رتقاً بالفتح على تقدير شيئاً رتقاً أي مرتوقاً كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لأنه من أعظم مواده أو لفرط احتياجه إليه وانتفاعه به بعينه أو صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيا دونه وقرئ حياً على أنه صفة كل أو مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان أفلا يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الأرض رواسي ثابتات من رسا إذا ثبت أن تميد بهم كراهة أن تميل بهم وتضطرب وقيل لأن لا تميد فحذف لا لأمن الإلباس وجعلنا فيها في الأرض أو الرواسي فجاجاً سبلاً مسالك واسعة وإنما قدم فجاجاً وهو وصف له ليصير حالاً فيدل على أنه حين خلقها خلقها كذلك أو ليبدل منها سبلاً فيدل ضمناً على أنه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون إلى مصالحهم وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً عن الوقوع بقدرته أو الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيئته أو استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها أحوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين وهو

الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات كل في فلك اي
كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الامير حلة يسبحون
يسرعون على الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز
انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة
فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص
به ريب المنون وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت
ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر
بالشر والخير بالبلاء والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم
على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض
للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك
الا مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان
ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال
الكتب رحمة عليهم او بالقران هم كافرون فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص
ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه منه خلق لفرط استعجاله وقلة
ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له و
لذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته على الكفر واستعجال الوعد روي انها نزلت
في النضر بن الحرث حين استعجل ساريكم اياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب
النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها
ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب والقيمة ان كنتم صادقين يعنون النبي
واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون
محذوف الجواب وحين مفعول به اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا
الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا
يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول العلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا
يعلمون بطلان ما هم عليه حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم

ذلك

وانما اول هذا الوجه لان الله تعالى عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم سنان چلبي رحمه

ذلك بل تأتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجأة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين
فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او للحين وكذا في قوله فلا يستطيعون
ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او البغتة ولا هم
ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون وعده بان يفعلوا
بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه قل من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار
من الرحمن من باسه ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالي غير رحمته العامة وان اندفاعه
بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا كلؤا منه
عرفوا الكالي وصلحوا للسؤال عنه ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب
تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه
عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم
منا يصحبون استيناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله
تعالى كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو
الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان
ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا
كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا نأتي
الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه
على ايدي المسلمين فهم الغالبون رسول الله والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي
ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر ولا تسمع على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء
على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم
بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار او
للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة
من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك
من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها
بالظلم ونضع الموازين القسط العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الميزان

جواب سؤال مقدر تقريره ان الآتي لهم اذا كان الوعد او الحين كيف يستقيم ارجاع الضمير المونث اليه

تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل او افراد القسط لانه مصدر
وصف به للمبالغة ليوم القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون
من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقه او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي وان
كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا بها احضرناها وقرى
آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم آتوه بالاعمال
وآتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتانيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين
اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي
الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة
وذكرى يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصرة وقيل فلق البحر
وقرى ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم وصفة للمتقين او مدح
لهم منصوب او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون
خائفون في تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القرآن مبارك
كثير خيره انزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم افانتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد آتينا
ابراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شانا
وقرى رشده وهو لغة من قبل موسى وهرون او محمد عليه السلام وقيل من قبل استنبائه
او بلوغه حيث قال اني وجهت وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن
الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات
اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقير لشانها وتوبيخ على اجلالها فان
التمثال صورة لا روح فيها لا يضر ولا ينفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية
العكوف بعلى والمعنى وانتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يأول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة
قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما
اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون في سلك
ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم
في الجملة انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين فانهم لاستبعادهم تضليل اباءهم
ظنوا ان ما قاله انما قاله على وجه الملاعبة فقالوا الجد تقوله ام اللعب تقوله قال بل ربكم رب

السموات

خبر عن مبتدا محذوف عايد الى المتقين

اي رشد ابرهيم على ما يليق بالنبوة كما في قوله اغفر لنا ربنا اي مغفرة تليق بربوبيتك ٢

380

السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه
وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم
المذكور من التوحيد من الشاهدين من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشيء
وحققه وتالله وقرى بالباء وهي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب
لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه
على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا
قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ
كخفاف وخفيف وقرى بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره
فاستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه
لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه
عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون
الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته
على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه في حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى
يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى لصحة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في
نسبة الذكر اليه يقال له ابرهيم هو ابرهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم قالوا
فأتوا به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم
يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا أانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم حين
احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه
من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب
تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق انت كتبت هذا فقلت بل كتبته انت او حكاية
لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى
ضمير فتى او ابرهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدا وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي انه عليه السلام
قال لابرهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم
وراجعوا عقولهم فقالوا بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال وبعبادة ما لا ينطق
ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة

اي الشيء كان متحقق له او الشاهد على ذلك الشيء

بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء مستعليا على اعلاه
وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا
بسؤالها وهو على ارادة القول قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار
لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية اف لكم ولما تعبدون
من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا
واللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذوا في المضارة لما عجزوا
عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم
فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون خسف
به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار
وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام
ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي
وسلمنا سلاما عليه روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق
مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك
فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركته قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه
الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة
وكف عن ابرهيم وكان ابرهيم عليه السلام اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب
النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت
النار بحالها لكنه تع دفع عنه اذيتها كما ترى في السمندل ويشعر به قوله على ابرهيم وارادوا
به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا
على انهم على الباطل وابرهيم عليه السلام على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد
العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام
وبركاته العامة ان اكثر الانبيا بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي
الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه نزل بفلسطين
ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما
او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتخص بيعقوب ولا بأس للقرينة وكلا جعلنا

ولان الذي يكفر بالآلهة يستحق النار كشف

قيل فعلى هذا لم يكن بردا مخصوصا بابرهيم ولا يكون للتخصيص بقوله على ابرهيم وجه

اي تخصيصه بقوله على ابرهيم دليل على ان النار كانت باقية على صفتها الاصلية

فان ابرهيم عليه السلام سأل من الله اسحق ولم يسأل يعقوب والله اعطى اسحق واعطى يعقوب زيادة على ما سأل فهذا كان الغرض مطابقة النافلة بالزيادة فالعبد

صالحين

صالحين يعني الاربعة بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم
ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا
مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله
ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة
وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين
لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين في العبادة ولذلك
قدم الصلة ولوطا آتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه
للانبياء ونجيناه من القرية قرية سدوم التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها
بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه يدل عليه انهم كانوا
قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من
الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى ربه اذ دعا الله على قومه
بالهلاك من قبل من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم
من الطوفان واذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه مطاوع انتصر اي جعلناه منتصرا
من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب
الحق والانهماك في الشر ولم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان
في الحرث في الزرع وقيل في الكرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا
وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى
وقرئ فافهمناها روي ان داود عليه السلام حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عليه
السلام وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون
بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان
ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة رحمه الله في العبد الجاني والثاني مثل قول
الشافعي رحمه الله بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب
ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما
دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية
حفظها بالليل وعند ابي حنيفة رحمه الله لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام

كشف النجاة لان الاولى نجاة لهما من قوم ابرهيم والثانية تخليص للوط من قريته كشف

في ذكر الاهل هنا وتركه في لوط مع ان بعض اهل لوط ونوح كامراة لوط وابن نوح لم يكونا من الناجين نكتة لا بد من التأمل ويمكن ان يقال ان نوحا عليه السلام استجاب من الله نجاة نفسه واهله فاجابه الله في بعض اهله واما لوط فلم يدع الله نجاة نفسه واهله وانما نجاه الله تفضلا فلذلك لم يذكر الاهل هناك

قوله ففهمناها الآية يدل على ان قوله عن اجتهاد لا عن وحي والهام

ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث كشاف

وقيل حكما بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان كشاف

جرح العجماء جبار وكلا آتينا حكما وعلما دليل على ان خطاء المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان
كل مجتهد مصيب وهو اي يخالف مفهوم قوله تعالى ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله
ففهمناها لاظهار ما يفضل عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله
تعالى معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة
وهو حال او استيناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا او يسبحن والطير عطف
على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا
فاعلين لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع
وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفايح فحلقها فسردها لكم متعلق
بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من بأسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود
عليه السلام او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصيغة او للبوس على تأويل الدرع
وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله تعالى فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في صورة
الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان
الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالاضافة
اليه الريح عاصفة شديدة الهبوب من حيث انه تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها
شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى
حسب ارادته تجري بامره بمشيته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض
التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعد ما سارت به بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما
تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفايسها ومن عطف
على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون
ذلك الى اعمال اخر كبناء المدائن والقصور واختراع الصنايع الغريبة لقوله يعملون له ما يشاء
من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم
وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر
مفعول نادى
بالفتح شايع في كل ضرر وبالضم خاص لما في النفس كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين
وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب
لطفا في السؤال وكان روميا من اولاد عيص بن اسحق استنبأه الله تعالى وكثر اهله

ومآله

جواب عما يقال من انه وصفت هذه الريح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى حالكونها فيها

ومحصول الكلام ان الريح كانت رخاء في نفسها وعاصفة في عملها كشاف

التفريح ومن يغوصون لهم من الشياطين

قيل ان الحمام والنورة والطاحون والقوارير من اعمالهم

ومآله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني
عشرة سنة او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امرأته
ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرايم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله
فقال كم كانت مدة الرخاء قالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله تعالى ان ادعوه
وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه
اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد منه نوافل رحمة من عندنا
وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب
او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واسمعيل وادريس وذا الكفل يعني
الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى او تكفل منه او ضعف
عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل كل هؤلاء من الصابرين
على مشاق التكاليف وشدائد النبوة وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الآخرة انهم
من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء عليهم السلام فان صلاحهم معصوم
عن كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا
لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم فهاجر عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب
اي امل
فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو بناء المغاضبة
متعلق بهم بتكليم
للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر
عليه لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه
قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا
او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمي ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء
للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن
الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك اني كنت
شيء اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من
مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت
الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة
وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص وفي الامام نجي فلذلك

والمراد من امثاله ذكر المغفرة من الرب لا ذكر الذنب من العبد كشف

فيه اشارة الى ان رحمة وذكرى تنازعا في العابدين سعدي

قوله فاستجبنا له ونجيناه فان قلت ما السبب في انه تعالى
ذكر قبل في حكاية كلام نوح بالفاء حيث قال فاستجبنا
له فنجيناه وقال هنا وفي قصة ايوب وفي قصة زكريا
بالواو قلت والله اعلم ان دعاء نوح لم يكن نجاة نفسه
واهله بل هلاك قومه فاستجاب الله دعاءه بهلاك
قومه ورتب عليه نجاة نفسه واهله من الكرب العظيم
واما في هذه القصص فالدعاء كان لاجل النجاة من الغم
كما في قصة يونس هنا او لاجل كشف الضر كما في قصة
ايوب او للموهبة او كما في قصة زكريا فالاستجابة
هي النفس لا حاجة في الحقيقة لا امر مترتب عليه
في الوجود فلم يكن محلا للفاء فتأمل والله الموفق
سيالي
رحمه

وهذا انتشار غلط من روى انه ماض مجهول وذلك
لانه التبس عليه الاخفاء بالادغام فظن انه
ادغام ويدل عليه اسكان الاخر فان الماضي
لا يسكن آخره وهذا مبني على ان القراءات
السبع متواترة فيما لم يكن من قبيل الاداء
ما هو من قبيل الاداء كالمد والامالة وتخفيف
الهمزة والادغام والاخفاء فغير متواتر ذكره
ابن الحاجب في اصوله والا فلا معنى لتغليط
الراوي المعصوم ٢

اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم
على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت
فاء فحذفها اوقع من حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان
الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف
اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر
والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا
بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به وانت خير وارث
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين
خلقها وكانت حردة انهم يعني المتوالدين او المذكورين من الانبياء كانوا يسارعون في الخيرات
يبادرون الى ابواب الخير ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب او راغبين في الثواب
راجين للاجابة او في الطاعة وخائفين العقاب او المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين
او دائمين الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بهذه الخصال والتي احصنت فرجها
من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى فيها اي احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ
فيها من روحنا من الروح الذي هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبرئيل عليه السلام
وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما (بلا واسطة اب) ولذلك وحد قوله آية للعالمين فان من تأمل
حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه امتكم ان ملة التوحيد او الاسلام ملتكم التي يجب
ان تكونوا عليها فكونوا عليها امة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء او لا مشاركة لغيرها في
صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران
وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون لا غير وتقطعوا امرهم بينهم صرف الى الغيبة التفاتا لينعى
على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بتقبيح فعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة
الينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه
فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفي الجنس للمبالغة وانا له
لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير
متصور منهم وقرئ حرم اهلكناها حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم
الى التوبة او الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره

والاصلاح للولادة واصلاح زكريا بان يعيدها
تعودا اليه وقد جعل في الكشاف قسما له
ستاتي
مرحلة

او دليل

والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون
ك ف

او دليل عليه وتقديره توبتهم او حيوتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام
خبر محذوف اي وحرام عليها ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر
وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج متعلق بحرام او
بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام
الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وهي حتى التي يحكى الكلام بعدها والمحكي
الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعني يأجوج ومأجوج او الناس
كلهم من حدب ينسلون نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون اي يسرعون من
نسلان الذئب وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيمة فاذا هي شاخصة ابصار
الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة وتسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون
فاذا جاءت الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم يفسره
الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا لم نعلم
انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون
من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي انه عليه السلام
لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى
عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام بل عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك
فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن
او بما يعمه ويدل عليه ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لالهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله
فقال عليه السلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص
تأخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ
بسكون الصاد وصفا بالمصدر (فيكون بمعنى المحصوب) انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم
واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء آلهة
ما وردوها لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها
لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما
تعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما
يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة او التوفيق بالطاعة

اي للكفرة العابدين
للاصنام

اي من الكلمات الدالة على حسن حالهم ومآلهم

او البشرى من الجنة اولئك عنها مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان
عليا رضى الله عنه خطب وقرأ هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر
رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة فى
ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دايمون
فى غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة
لقوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض او الانصراف الى النار
حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقاهم الملائكة تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم
وهو مقدر بالقول الذى كنتم توعدون فى الدنيا يوم نطوى السماء مقدر باذكر او ظرف
لا يحزنهم او تتلقاهم او حال مقدرة من العايد المحذوف من توعدون والمراد بالطى ضد
النشر او المحو من قولك اطو عنى هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبنى آدم فاذا انتقلوا
قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كطى السجل للكتب طيا كطى الطومار لاجل الكتابة
او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة وحفص والكسائى على الجمع اى للمعانى الكثيرة المكتوبة
فيه وقيل السجل ملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان كما بدأنا اول خلق نعيده اى نعيد ما خلقناه
مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه فى كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود
بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتى المصحح للمقدورية وتناول القدرة
القديمة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او مفعول فعل يفسره نعيده
او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد مثل الذى بدأناه واول خلق
ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر بفعله تاكيد لنعيده او منتصب
لانه عدة بالاعادة علينا اى علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا
فى الزبور كتاب داود من بعد الذكر اى التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر
اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادى الصالحون يعنى
عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها او امة محمد صلى الله عليه
وسلم ان فى هذا اى فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ

الى

اى مبعدون حال كونهم غير سامعين

اقول الظاهر ان المراد من النفخة الاخيرة ههنا النفخة الواقعة فى آخر الدنيا والا فالنفخة الاخيرة على ما يأتى فى سورة يس هى نفخة الاحضار

يعنى فزع اهل النار حين يذبح الموت لانهم يتمنون الموت فيها وقد فنى الموت

او المراد بالطى السابق على النشر حفظا عن كونه ردياً فتحا عقبه ثم نشر للكتابة اذا كانت الصحيفة طويلة تطوى ليتيسر الكتابة

هذا الكلام مستانف اى نعيد الخلق يوم القيمة كما خلقناهم اول مرة

اى واعدناه ذلك وعدا

والمعنى اى بعد الكتابة فى اللوح

الى بغيته لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة
للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد
اى ما يوحى الى الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلى من البعثة مقصور على
التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشئ والثانية على العكس فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة
لله تعالى على مقتضى الوحى المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان
تولوا عن التوحيد فقل آذنتكم اعلمتكم ما امرت به او حربى لكم على سواء مستوين فى الاعلام
او مستوين انا وانتم فى العلم بما اعلمتكم به او فى المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم انى على سواء
اى عدل واستقامة راى بالبرهان النير وان ادرى وما ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون
من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به فى الطعن فى
الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادرى لعله
فتنة لكم ومتاع الى حين وتمتع الى اجل مقدر تقتضيه مشيته قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين
اهل مكة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم ورب احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام
وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون
من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد به لو كان
حقا لنزل بهم فاجاب الله تعالى دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر رسوله عليهم وعن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

سورة الحج مدنية وهى ثمان وسبعون اية نزلت

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد المجازى
او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير فى او اضافة المصدر الى الظرف
على اجرائه مجرى المفعول به وقيل زلزلة تكون قبل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة
لانها من اشراطها شئ عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم
ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة

خسف المكان ذهب فى الارض مختصر

اى مثل ما اخبرت به عن ربى من غير زيادة ونقصان كشف

جمع احنة وهى الحقد

اى امتحان لكم لينظر كيف تعملون

وانما عدل عن قراءة الجمهور لانه يرد عليه انه لا يحكم الا بالحق واما قول الجمهور فهو ان الانبياء امروا بان يقولوا مثل هذه المقالة الا ترى ان شعيب قال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق

يعنى ان محرك الاشياء فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى الا ان تحركه سبحانه لما كان فى الساعة صار اضافة الزلزلة اليها كاضافة حركة الماء الى الانهار

التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم
منصوب بتذهل وقرئ وتُذهل مجهولا او معروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر
بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته
عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى
الناس سكارى كانهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد
فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ تُرى من اريتك قائما او رايتك
قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب مناب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده بعد
جمعه لان الزلزلة يريها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرا حمزة والكسائي
سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر
بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين ولا بعث بعد
الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله كل شيطان مريد متجرد للفساد
والغوي كتب عليه على الشيطان انه من تولاه والضمير للشان فانه يضله خبر لمن
او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل وقرئ بالفتح على تقدير فشانه انه يضله
لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار
القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس
ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فانا
خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم من تراب اذ خلق آدم عليه السلام
منه او الاغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من علقة
قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة
لا نقص فيه ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا التدريج
قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره
وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء على ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته
وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره الى اجل مسمى هو وقت الوضع و
ادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ نقره بالنصب كذا قوله ثم نخرجكم طفلا
عطفا على لنبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا

وينشئوا

سكارى جمع سكران وفي المفصل فعلان صفة يجمع على فعالى وفعال نحو سكارى وعطاش ويقول بعض العرب كسالى وسكارى
سنانی
مرحظ

وينشئوا ويبلغوا اوان التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء
اذا صببته وطفلا حال اجريت على تاويل كل واحد او الدلالة على الجنس او لانه في الاصل
مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة في الامور
ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد
الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته
الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه والاية استدلال
ثان على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة
فان من قدر على ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت
النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت
وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج بهيج من كل صنف رائق وهذه دلالة ثالثة
كررها لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار
مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدا خبره بان الله هو الحق
اي بسبب انه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الاشياء وانه يحيي الموتى والا لما احيى النطفة
والارض الميتة وانه على كل شيء قدير لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما
دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة
آتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث من في القبور
بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتاكيد و
لما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال او وحي
او الاولى في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب
عليه ثاني عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به
وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس
بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى
الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له له في الدنيا خزي وهو ما اصابه يوم بدر
ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات
او ارادة القول اي يقال له يوم القيمة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي

فان قلت كيف صح عطف ثم لتبلغوا اشدكم على لنبين ولا تطابق قلت بل تطابق حاصل لان قوله ونقر من التعليل فهو راجع الى مشابهة القراءة بالنصب ٢/

كالنطفة والارض الميتة
سنانی
مرحظ

كما كرر سائر الاقاصيص

ط وهذا التقرير اندفع ما يقال ما كان غرضه من جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا حتى لو جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال ٢/

وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازلهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس
من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لاثبات له فيه كالذي يكون على طرف
الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه
روى انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه
مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني
هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد رضي الله عنه
ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اقلني فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والآخرة بذهاب عصمته
وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسرا بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر
موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله
يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال
البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا يدعو لمن ضره بكونه معبودا
لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة
والتوسل بها الى الله تعالى واللام معلقة ليدعوا من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد
او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين
يرى استضراره به او مستانفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ خبره لبئس المولى الناصر
ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع ولا مانع
من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله تعالى
ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر
الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان
يفعل كل ما يفعله الممتلئ غيظا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق
فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ
عنانه فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله
ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله

وقيل

اي في انقلب فان فيه ضميرا مرفوعا راجعا
الى ان من فاذا جعل خاسر الدنيا فاعلا انقلب
المستتر بارزا ووضع الظاهر موضع
المضمر لجه ستبالي
مرحظه

انما اختار ما في الاول ومن في الثاني من حيث
ان الحكم الاول من حيث كونه جمادا والحكم
الثاني من حيث كونه معبودا والمعبودية
من اوصاف اولي العلم
ستبالي
مرحظه

جواب عما يقال ان اللام لام الابتداء
وهي لا تدخل على المفعول لانك لا تقول
دعوت لزيد

وقوله خبره اقرب من نفعه صلة لمن لكونها موصولة
ستبالي
مرحظه

وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين و
كذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا القران كله آيات بينات واضحات
وان الله يهدي ولان الله يهدي او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله
كذلك مبينات ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا
ان الله يفصل بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به
ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد ان الله
على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن
في الارض يتسخر لقدرته ولا يتابى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم
اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف
او الجمع بين الساكنين وكثير من الناس عطف عليها ان جوزنا اعمال اللفظ الواحد في كل
واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير
يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدا خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب
او فاعل فعل مضمر اي يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره و
ابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف
به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ومن
يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل
ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان اي فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا
حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته
وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم
وقال المؤمنون نحن احق بالله امنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا
ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله ان الله
يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم قدرت على مقادير جثتهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار
نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير في لهم او خبر
ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تاثيره

فی ظهورهم فیذاب به احشاؤهم کما یذاب به جلودهم والجملة حال من الحمیم او ضمیرهم وقری
بالتشدید للتکثیر ولهم فیها مقامع من حدید سیاط منه یجلدون بها جمع مقمعة وحقیقتها
ما یقمع به ای یکف بعنف کلما ارادوا ان یخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل
من الهاء باعادة الجار اعیدوا فیها ای فخرجوا اعیدوا لان الاعادة لا یکون الا بعد
الخروج وقیل تضربهم لهب النار فیرمیهم الی اعلاها فیضربون بالمقامع فیهوون وذوقوا
ای قیل لهم ذوقوا عذاب الحریق النار البالغة فی الاحراق ان الله یدخل الذین
آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجری من تحتها الانهار غیر الاسلوب فیه واسند
الادخال الی الله تعالی واکده احمادا لحال المؤمنین وتعظیما لشانهم یحلون فیها من حلیت
المراة اذا البست الحلی وقری بالتخفیف والمعنی واحد من اساور صفة مفعول محذوف واساور
جمع اسورة وهی جمع سوار من ذهب بیان له ولؤلؤا عطف علیها لا علی ذهب لانه
لم یعهد السوار منه الا ان یراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا علی محلها او اضمار الناصب
مثل ویؤتون وترک ابو بکر والسوسی عن ابی عمرو الهمزة الاولی وروی حفص بهمزتین وقری لؤلوا
بقلب الثانیة واوا ولولیا بقلبهما واوین ثم قلبت الثانیة یاء ولیلیا بقلبهما یائین ولول
کادل ولباسهم فیها حریر غیر اسلوب الکلام فیه للدلالة علی ان الحریر ثیابهم المعتادة
او للمحافظة علی هیئة الفواصل وهدوا الی الطیب من القول وهو قولهم الحمد لله الذی صدقنا
وعده او کلمة التوحید وهدوا الی صراط الحمید المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق
او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالی وصراطه الاسلام ان الذین کفروا ویصدون عن
سبیل الله لا یرید به حالا ولا استقبالا وانما یرید استمرار الصد منهم کقولهم فلان
یعطی ویمنع ولذلک حسن عطفه علی الماضی وقیل هو حال من فاعل کفروا وخبر ان محذوف
دل علیه آخر الآیة ای یعذبون والمسجد الحرام عطف علی اسم الله تعالی واوله الحنفیة بمکة
واستشهدوا بقوله الذی جعلناه للناس سواء العاکف فیه والباد ای المقیم والطاری
علی عدم جواز بیع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالی الذین اخرجوا من
دارهم وشری عمر رضی الله عنه دار السجن فیها من غیر نکیر وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان
لجعلناه ویکون للناس حالا والا فحال من المستکن فیه ونصبه حفص علی انه المفعول او الحال
والعاکف مرتفع به وقری العاکف بالجر علی انه بدل من الناس ومن یرد فیه مما ترک مفعوله

فان قلت قد ذکر فی الم السجدة ان هذا عبارة
عن خلودهم فیها فح لا حاجة الی ارتکاب
الخروج لتصحیح الاعادة قلت تقدیر الخروج
انما هو لاجل ان الاعادة لا یترتب علی مجرد
ارادة خروجهم والکنایة انما هی عن هذا المجموع
سنان
م حط

اجیب عن المعارضة بان الاضافة لادنی
ملابسة فیجوز ان یکون الدیار لسبب الیهم
لکونهم ساکنین فیها وبان عمر رضی الله عنه
اشتری البناء دون الارض واعطی
بالثمن صاحب البناء لحاجة العامة
الیه وللامام من ذلک لیس
لغیره ح

لیتناول کل متناول وقری بالفتح من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغیر حق هما
حالان مترادفان والثانی بدل من الاول باعادة الجار او صلة له ای ملحدا بسبب الظلم
کالاشراک واقتراف الآثام نذقه من عذاب الیم جواب لمن واذ بوانا لابرهیم مکان البیت
واذکر اذ عیناه وجعلناه له مباءة وقیل اللام زائدة ومکان ظرف ای واذ انزلناه فیه قیل
رفع البیت الی السماء وانطمس ایام الطوفان فاعلم الله مکانه بریح ارسلها فکنست ما حوله فبناه
علی بنائه القدیم ان لا تشرک بی شیئا وطهر بیتی للطائفین والقائمین والرکع السجود ان مفسرة
لبوانا من حیث انه تضمن معنی تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدریة موصولة بالنهی
ای فعلنا ذلک لئلا تشرک بعبادتی وتطهر بیتی من الاوثان والاقذار لمن یطوف به ویصلی فیه
ولعله عبر عن الصلوة بارکانها للدلالة علی ان کل واحد منها مستقل باقتضاء ذلک کیف
وقد اجتمعت وقری ویشرک بالیاء واذن فی الناس ناد فیهم وقری وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به
روی انه صعد ابا قبیس فقال یا ایها الناس حجوا بیت ربکم فاسمعه الله تعالی من
فی اصلاب الرجال وارحام النساء فیما بین المشرق والمغرب ممن سبق فی علمه ان یحج وقیل
الخطاب لرسول الله صلی الله علیه وسلم امر بذلک فی حجة الوداع یاتوک رجالا مشاة
جمع راجل کقائم وقیام وقری بضم الراء مخفف الجیم ومثقله ورجالی کعجالی وعلی کل ضامر
ای ورکبانا علی کل بعیر مهزول اتعبه بعد السفر فهزله یاتین صفة لضامر محمولة علی معناه
وقری یاتون صفة للرجال والرکبان او استیناف فیکون الضمیر للناس من کل فج طریق
عمیق بعید وقری معیق یقال بئر بعیدة العمق والمعق لیشهدوا لیحضروا منافع لهم دینیة
ودنیویة وتنکیرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ویذکروا اسم الله
عند اعداد الهدایا والضحایا وذبحها وقیل کنی بالذکر عن النحر لان ذبح المسلمین لا ینفک عنه
تنبیها علی انه المقصود ومما یتقرب به الی الله تعالی فی ایام معلومات هی عشر ذی الحجة وقیل
ایام النحر علی ما رزقهم من بهیمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبینه بالبهیمة تحریضا علی التقرب
وتنبیها علی مقتضی الذکر فکلوا منها من لحومها امر بذلک اباحة وازاحة لما علیه اهل الجاهلیة
من التحرج فیه او ندبا الی مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا فی المتطوع به دون الواجب
واطعموا البائس الذی اصابه بؤس ای شدة الفقیر المحتاج والامر فیه للوجوب وقد قیل به
فی الاول ثم لیقضوا تفثهم ثم لیزیلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد

قوله والرکع السجود انما ذکر السجود لان السجود لهم
رکوع لما سجود والرکع یجوز ان یکون مضافا
الی السجود یجوز اضافة المعرف باللام الی المضاف
اللفظیة ویجوز ان یکون السجود جمع ساجد
کشهود فی جمع شاهد وصفا للرکع ولم یعطف
علی الرکع لانهما معا بمنزلة وصف واحد
سنان
م حط

والاولی ان یقول ولتراثب النساء سنان
م حط

لفظ کل فی هذه وفیما قبلها للتکثیر لا للتحقیق
علی نحو خطاب العرب کشف

الاستحداد حلق شعر العانة
ش

عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وليطوفوا
طواف الركن الذي به تمام التحليل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق
القديم لانه اول بيت وضع للناس والمعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه
فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف
اي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه
وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد
الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الا
ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا
منها غير ما حرمه الله تعالى كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان فاجتنبوا الرجس
الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن
عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور كانه
لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب
وتعظيم الاوثان والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه
عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلثا وتلا هذه الاية والزور
من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف
عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله فكانما
خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية
توزع افكاره او تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة
واو للتخيير كما في او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه
بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد
هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض
الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها
حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل
في انفه برة من ذهب وان عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من
تقوى القلوب فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات

اقول القول الزور لا يتناول الاوثان
فكيف يكون تعميما بعد تخصيص اللهم الا ان
يكون المراد من الاجتناب من الاوثان
الاجتناب من تعظيمها قولا اذ يقال عبادتها
في قوة التعظيم لها قولا ويمكن ان يقال ايضا
الاجتناب عن القول الزور انما هو لكونه زورا
اي انحرافا عن منهج الرشاد وهو متناول لكل
انحراف فعلا او قولا لمنطوقه ومفهومه
ستانى
م حظه

والعايد

والعايد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما لكم فيها منافع الى
اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اي لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان
تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اي ما يليه من الحرم وثم يحتمل التراخي في الوقت والتراخي
في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين
اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها والمراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون
بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي يرفع اليه الاعمال او يكون
فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى
وقت المراجعة ثم وقت الخروج منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ولكل امة
ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي
بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه علل الجعل به تنبيها
على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه
على ان القربان يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا اخلصوا التقرب والذكر
ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما
اصابهم من المصائب والكلف والمقيمي الصلوة في اوقاتها وقرئ المقيمين الصلوة على الاصل
ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ
به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها
في اجزائها عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة
لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتداء
من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا
اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف
قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وعلى طرف
سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وصوافيا بابدال التنوين
حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله تعالى وصوافي على لغة من يسكن
الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو كناية

عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده
انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال والمعتر والمتعرض
بالسؤال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها
قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها
ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله
لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر
من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي
يدعوكم الى تعظيم امر الله تعالى والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين
لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله تعالى فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا
للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره
فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هديكم ارشدكم الى طريق تسخيرها
وكيفية التقرب بها وما يحتمل الخبرية والمصدرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر
المحسنين المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ان الله يدفع عن الذين آمنوا غائلة المشركين وقرأ
نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله
لا يحب كل خوان في امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرضى فعلهم ولا ينصرهم
اذن رخص وقرئ ابن كثير وابن عامر وحمزه والكسائي على البناء للفاعل وهو الله تعالى للذين
يقاتلون المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالة عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء
اي للذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم
اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فنزلت وهي اول آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف
وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين
اخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله على طريقة
قول النابغة ● ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ● بهن فلول من قراع الكتائب ● وقيل منقطع
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لهدمت لخربت
باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ دفاع وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف صوامع

صوامع

صوامع الرهبانية وبيع وبيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود وسميت بها لانها
يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرية فعربت ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا
صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز
وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم
وديارهم ان الله لقوي على نصرهم عزيز لا يمانعه شيء الذين ان مكناهم في الارض اقاموا
الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء
قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين
وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد لما وعده
وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط واصحاب مدين تسلية له
بان قومه وان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه
وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل لم يكذبوه وانما كذبه
القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم
حتى انصرمت آجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة
هلاكا والعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها باهلاك اهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم
وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطلت
بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها
وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها
اي مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على
وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خرابها فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره
اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في
البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد
مرفوع بنيانه او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها خالية
وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان
من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان
يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا ولم يسافروا لذلك

فيكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار
والاستدلال او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا
آثارهم فانها الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم
وانما ايفت قلوبهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتاكيد ونفي التجوز
وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان
في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت
ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم
ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون لتناهي صبره وتانيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه وطول ايامه حقيقة
او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء وكاين من قرية
وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر
والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى
بدل عن قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة
وان تاخره لعادته تعالى وتقدس امليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم اخذتها
بالعذاب والي المصير والى حكمي مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم
ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام و
مساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا
في آياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق
من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المسابقين يطلب اعجاز الآخر عن
اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة اولئك اصحاب الجحيم النار
الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله
تعالى بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بني
اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم

علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف
واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع
الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك
بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اذا زور في نفسه ما يهواه القى
الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان
على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب
به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته ثم يثبت آياته الداعية الى
الاستغراق في امر الآخرة والله عليم باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه
بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به
ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقراها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى
وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى ففرح به المشركون حتى تابعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك
الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين
وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرا كقوله
تمنى كتاب الله اول ليلة تمني داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء الشيطان
فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه قراءة النبي عليه السلام فقد رد بانه
ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه
ايضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة اليهم
ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه
المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين وان
الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد
عن الحق وعن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك ان القرآن
هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله
تعالى لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم عليه السلام فيؤمنوا به بالقرآن
او بالله تعالى فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهادي الذين آمنوا فيما اشكل

اى يحتمل ان يكون ذلك مما يلقى الشيطان

الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا فى مرية فى
شك منه من القرآن او الرسول او مما القى الشيطان فى امنيته يقولون ما باله ذكرها ثم
ثم ارتد منه حتى تأتيهم الساعة القيمة او الموت او اشراطها بغتة فجأة او يأتيهم عذاب يوم
عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمى به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او
لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه
لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة
فيه او يوم القيمة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك
يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التى دلت عليه الغاية اى يوم تزول مريتهم يحكم بينهم
بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين لتفصيله بقوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات
النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال الفاء فى الخبر
الثانى دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب
الكافرين مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم فى عذاب والذين هاجروا
فى سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من
قتل فى الجهاد ومن مات حتف انفه فى الوعد لاستوائهما فى القصد واصل العمل روى ان بعض
الصحابة قالوا يا نبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك
كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب
ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم
لا يعاجل فى العقوبة ذلك اى الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد فى الاقتصاص
وانما سمى الابتداء بالعقاب الذى هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغى عليه بالمعاودة
الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه فى الانتقام و
اعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث
على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك
اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اى
ذلك النصر بان الله يولج النهار فى الليل بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض
جار عادته على المداولة بين النهار بتغيب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع

قول

قول المعاقب والمعاقب عليه بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال العلم
والقدرة بان الله هو الحق الثابت فى نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده
ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت
الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما يدعون من دونه آلهة وقرأ ابن
كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما
فانه فى معنى الالهة هو الباطل المعدوم فى حد ذاته او باطل الالهية وان الله هو العلى
على الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شئ اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان
الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة عطفا على
انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفى الاخضرار كما فى قولك الم تر انى جئتك فتكرمنى والمقصود
اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضى للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله
اى انا نفعله الى قيام الساعة
لطيف يصل علمه ولطفه الى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما فى
السموات وما فى الارض خلقا وملكا ان الله لهو الغنى فى ذاته عن كل شئ الحميد المستوجب
للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك
عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجرى فى البحر بامره حال منها او خبر ويمسك
السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية
الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها
فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية فيكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ان الله بالناس
لرؤف رحيم حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح لهم ابواب المنافع ودفع عنهم
انواع المضار وهو الذى احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم
فى الآخرة ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا
او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك سائر ارباب الملل فى الامر
فى امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع
وقيل المراد نهى الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها
انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربك زيد وهذا انما
فى افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت وقيل نزلت فى كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم

ناظرا الى الحصر المستفاد فى قوله هو العلى كما ان
قوله واكبر سلطانا بالجر اى الكبير
سنان لى
مرحمه

شروع فى المعنى الدال على الرحمة والمغفرة
كشف

والحال ان عطفه على انزل يقتضى ذلك
سنان لى
مرحمه

يريد ان يخرج الرسول وسائر الانبياء واتباعهم
عن قوله ان الانسان لكفور كشف

ياكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول عليه السلام
والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته وادع الى ربك الى توحيده
وعبادته انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت
الحجة فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق
الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا
بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تر ان الله يعلم ما في السموات والارض
فلا يخفى عليه شئ ان ذلك في كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به
وحفظنا له ان ذلك ان الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى
ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل
على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل واستدلاله وما للظالمين
وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم
اياتنا من القران بينات واضحات الدلالة على العقايد الحقة والاحكام الالهية تعرف
في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى
كالمكرم بمعنى الاكرام
الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على
التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار كانه جواب
جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدا خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب
على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة استينافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها
وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك
سماها مثلا او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل او لشانه استماع
تدبر ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام وقرا يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا
للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه
مع صغره لان لن بما فيه من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب
من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له اي للخلق وهو مع الجواب المقدر
في موضع حال جئ بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف

ولا يعجز عن الحكم بينكم فيما فيه الاختلاف
مرحطه

اندفع بهذا التقرير ما يقال الذي جاء به ليس
بمثل فكيف سماه مثلا تقرير الجواب انه انما
سمي مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة
في الحسن والاستغراب

وعلى الغالب لكون المراد من الموصول الاصنام
والضمير في يدعون على القراءة بالمجهول
راجع الى الموصول والنكتة على زعمهم

اذا

اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان
اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز الاشيا
وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة
هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها
بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف
الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الذباب بطلب ما يسلب من الصنم من الطيب
والصنم يطلب منه الذباب السلب والصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه
فلو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق
معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي
على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شئ والهتهم التي يدعونها عجزة عن اقلها مقهورة
من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي ومن الناس
يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية
ونفي ان يشاركه غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم
والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات
لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى و
الملائكة بنات الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها
بالذات لا يسال عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسالون يا ايها الذين امنوا اركعوا
واسجدوا في صلوتكم امرهم بها لانهم ما كانوا يفعلونها اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة
بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بما تعبدكم به
وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما تاتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام
ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له
واثقين على اعمالكم والاية اية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام
فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراهما وجاهدوا في الله لله تعالى ومن اجله
اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع من غزوة

فيه اشارة الى ان الادراك كما هو يكون بهما
لان الدلائل على الوحدانية نوعان مسموعة
او مبصرة فادراكهما منحصر عليهما

ويكون منكم في فعل الخير طلب الفلاح لا الرياء
وغيره كشف

تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اى جهادا فيه حقا خالصا
لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير
اتساعا او لانه مختص بالله تعالى من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله هو اجتباكم اختاركم
لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه وفى قوله وما جعل عليكم فى الدين من
حرج اى ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى
تركه او الى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشئ
فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق
وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق
العباد ملة ابيكم ابرهيم منتصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف
اى وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول
الله عليهما السلام وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه
المعتد به فى الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين
من قبل القران فى الكتب المتقدمة وفى هذا وفى القران والضمير لله تعالى ويدل عليه انه قرئ
الله سماكم او لابرهيم وتسميتهم مسلمين فى القران وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل
فى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين
ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه
اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس
بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة وتقربوا الى الله تعالى بانواع الطاعات
لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة
والنصرة الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولى اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له
فى الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه فى الحقيقة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

سورة المؤمنون مكية وهى مائة وثمان عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون قد فازوا باما نيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا

دخل

وشهادة الرجل على نفسه انما تحسن اذا كان الخصم مسلما منقادا استنالى
م حط

اى اذ خصكم بهذه الكرامة فاعبدوا لله
كشاف

اى المتوقع فان الفعل لما دخل منتظر وقد تثبت... [illegible]

اى لاخبار بثبات الفلاح لا يقال الفلاح حاصل فكيف يتوقع لانا نقول الفلاح المحقق الذى اشير بقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس لا شك انه متوقع
سنان
م حط

[illegible]

دخل على الماضى لذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله
صدرت بها بشارتهم وقرا ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها
وقرى افلحوا على لغة اكلونى البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح
على البناء للمفعول الذين هم فى صلوتهم خاشعون خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم
مساجدهم روى انه عليه السلام كان يصلى رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو
مسجده وانه عليه السلام راى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه
والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو ابلغ
من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم
الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا
وميلا وحضورا فان اصله ان يكون فى عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكوة
فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية فى القيام
على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروة اجتنابه والزكوة
تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذى هو موقعه
او الثانى على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها الا على ازواجهم او
ما ملكت ايمانهم زوجاتهم وسرياتهم وعلى صلة لحافظون من قولك احفظ على عنان فرسى او
حال اى حفظوها فى كافة الاحوال الا فى حال التزوج او التسرى وانما قال ما اجراء للمماليك
مجرى غير العقلاء او الملك اصل شايع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو
معرضون لان المباشرة اشهى الملاهى الى النفس واعظمها خطرا فانهم غير ملومين الضمير
لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اى فان بذلوها لازواجهم واماءهم فانهم غير ملومين
على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون فى العدوان
والذين هم لاماناتهم وعهدهم اى ما يؤتمنون ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون
قائمون بحفظها واصلاحها وقرا ابن كثير لامانتهم على الافراد لا من الالباس او لانها فى
الاصل مصدر والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها فى اوقاتها
ولفظ الفعل فيه لما فى الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائى وليس
ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع فى الصلوة غير المحافظة عليها وفى تصدير الاوصاف

ولم يمتنع الزكوة الدالة على العتق ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا فاعليها
كشاف

اقول الظاهر ان الغرض من كلامه دفع هذا فتأمل
سنان
م حط

كالدية وكما يورث من الميت ما كان مملوكا له
كذلك يورث عنه ما تقدم فيه كونه مملوكا
له وان لم يدخل في ملكه فانها مورثة
مع انها لم يدخل في ملك المقتول اذ به وجه
آخر في كونه ميراثا وهو انهم ما كانوا غافلين
في الدنيا بحكمة منافعها اشبه ذلك
انتقال المال الى الوارث من حيث انه
لا يعلم كيفية مال مورثه
سنانى
مرحطه

وعلى هذا لا يكون من الاولى للابتداء وقد
مر وجهه في النصب من فوق رؤسهم الحميم
سنانى
مرحطه

فالمراد بالانسان ح اولاد آدم سنانى
مرحطه

وختمها بامر الصلوة تعظيما لشانها أولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون
الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد
للوراثة بعد اطلاقها تفخيما وتاكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان
كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم
لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير
لانه اسم للجنة او لطبقتها الاعلى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت من
بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية او بمعنى سلالة لانها
في معنى مسلولة فيكون ابتدائية والانسان آدم عليه السلام خلق من صفوة سلت من الطين
او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق
منه والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها
او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تاويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار مكين مستقر
حصين يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا
النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة
لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا
عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة
والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما
وجمع الآخر ثم انشاناه خلقا آخر هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع
وثم لما بين الخلقين من التفاوت فاحتج ابو حنيفة رحمه الله على ان من غصب بيضة فافرخت
عنده لزم ضمانها لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شانه في قدرته وحكمته احسن
الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون
لصايرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد
قرئ به ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات
لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة
او الكواكب سيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات وعن جميع المخلوقات
غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى يبلغ منتهى ما قدر لها

من الكمال

وهي ما ذكره بقوله ما لا فساد الخ سنانى
مرحطه

لان هذا طريق واحد للذهاب سنانى
مرحطه

الواو في ومنها بعضهم بها ان في الفاكهة منافع
للتشم والمداواة والنزهة وغير ذلك ويأكل
منها ايضا وبين هذا بقوله في الانعام
ومنها فاكهة وعطف على جنات
كشف

ولما ذكر الاكل بقوله وصبغ للآكلين ذكر شربا
هو من جنس الاكل ايضا فقال ان
لكم في الانعام الخ كشف الاسرار

من الكمال حسب ما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير
يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض
وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون
كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك
جعل ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به بالماء
جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات
ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من
حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتها انواع من الفواكه الرطب
والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة عطف على جنات
وقرئ بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى عليه
السلام بين ايلة ومصر وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون
الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها والمركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه
للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد
وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث
بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء
لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له
ويجوز ان يكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
في رواية تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير • رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم
قطينا لهم حتى اذا انبت البقل • او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول
وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن
جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به
ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للايتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ
وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه
فمن للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها واصوافها وشعورها ومنها تاكلون
فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل

لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة
سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير كالضمير في دعولتهن احق بردهن وعلى الفلك
تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص
مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله
غيره استيناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون
ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها
فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل
عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا
ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون نوحا عليه السلام اي ما سمعنا به انه نبي او ما كلمهم به
من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم او
لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به
فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعد ما ايس من ايمانهم رب انصرني
باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياي وبسببه فاوحينا
اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد ووحينا
وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روي
انه قيل لنوح عليه السلام اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته
امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام
وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيها اي دخل وسلك
غيره قال الله تعالى ما سلككم في سقر من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحد
مزدوجين وقرأ حفص من كلٍّ بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين تأكيد واهلك واهل
بيتك او ومن آمن معك الا من سبق عليه القول منهم اي القول من الله تعالى باهلاكه
الكفرة وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم
بالاشراك والمعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم
باهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم

الظالمين

يعني النصر في مجاز عن اهلاكهم لان في نصر
اهلاكهم اطلاقا لسبب على المسبب

الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني
في السفينة او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا
او موضع وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة وتوسلا به
الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا
بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات
يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح
ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام هي الفارقة ثم انشأنا من
بعدهم قرنا آخرين هم عاد وثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما جعل القرن
موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم
ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول ان اعبدوا
الله افلا تتقون عذاب الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم
لم يتصل بكلام الرسول بخلاف كلام قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير السؤال وكذبوا
بل اراي فلم يكن موضع الفاء
بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث
واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة
والحال يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني
منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما
يأمركم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من
قومه ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون
من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل
بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المتقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط
اي انكم مخرجون
والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول
محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات هيهات
بعد التصديق او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت
لك كانهم لما صوتوا بالكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل
هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا

قدم من قومه على الذين كفروا هنا واخر في قصة
نوح اشارة الى ان جميع هؤلاء كفروا واختلف
قوم نوح وذلك لانه وصف ثمة الملأ بالكفر
دون القوم كلهم وفي الثاني وصف القوم كلهم
بالكفر والملأ منهم دال على بعضهم كفار وهؤلاء
كلهم كفار واذا ثبت فقصة نوح دون الاولى
فهمت ان بعض قومه آمن واما من بعدهم فكلهم
كفار كشف الاسرار

[illegible]

على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف
وبابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير
مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح
بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان نافية دخلت على هي
التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا
يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو ما هو الا رجل افترى
على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين
قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان
قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب
فاخذتهم الصيحة صيحة جبرئيل عليه السلام صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم
فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دفع له او بالعدل
من الله تعالى كقولك فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في
دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين
يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك بعدا من المصادر التي تنصب بافعال
لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل
ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة
اجلها الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون الاجل
ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو
كتولج وتيقور والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرأ ابو عمرو بالتنوين على ان اصله مصدر
بمعنى المتواترة وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسل مع الارسال الى
المرسل ومع المجئ الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبدأ الامر منه والمجئ الذي هو
منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات
يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم
ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة
للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى

كانقلابها

اقول في الاستدلال بحث فانه قال تعالى في الاعراف وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين لا يقال كما جاء الرجفة ههنا فقد جاء الصيحة ايضا صريحا في سورة الحجر لانا نقول ذلك لا يدل على الاختصاص لانها جاءت في هود في قوم شعيب وهو قوله تعالى واخذت الذين ظلموا الصيحة
بستاني مرحطه

ويمكن ان يقال الكلام فيمن انشأ بعد قوم نوح الا ان الكلام المعنى حيث قال ... يعني قوم صالح ... الا ولى ترك ذكر قوم صالح ... ح

كانقلابها حية وتلقفها افكة السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها
ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد
بها المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي عليه السلام الى فرعون وملائه
فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين
مثلنا ثني البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا
ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبهة المنكرين
للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى
تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام
فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم التفكر برادة يمكن ان يكون في طرف
الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر في اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك
غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم
اله واحد وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما
فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بني اسرائيل
ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التورية نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف
والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه آية بولادتها اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف
اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت
غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس
فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربا وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح
الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار
وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من
معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول
من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماءها بذلك لانه الجامع لاسباب
التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء عليهم
السلام لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم
خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء الكلام ذكر تنبيها على ان تهيئة

منهيه في ان التورية نزلت بعد هلاك فرعون وملائه

قال عمرو بن شرحبيل كان عيسى عليه السلام يأكل من غزل امه تفسير ثعلبي

اسباب التنعم بل يكون له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا
على الرهبانية فى رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عليهما السلام عند ايوائهما الى
الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات
ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافى القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافى
ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود
منكم والنافع عند ربكم انى بما تعملون عليم فاجازيكم عليه وان هذه اى ولان هذه
والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرا ابن عامر بالتخفيف
والكوفيون بالكسر على الاستيناف امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اى متحدة فى
العقايد واصول الشرايع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة
ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون فى شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم
فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض
او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها زبرا قطعا جمع زبور الذى بمعنى الفرقة
ويؤيده القراءة بفتح الباء فانها جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه
يتضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل
كتب وقرى بتخفيف الباء كرسل ورسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون
معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم فى غمرتهم فى جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم
مغمورون فيها او لاعبون بها وقرى فى غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون
انما نمدهم ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير
معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم فى الخيرات والراجع
محذوف والمعنى ايحسبون ان الذى نمدهم به نسارع لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون
بل هم كالبهايم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة
فى الخير وقرى يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد ويسارع
مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون
والذين هم بايات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم
لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات

وقرى

وقرى يأتون ما اتوا اى يفعلون ما فعلوا من الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة ان لا
يقبل منهم ولا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او
من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون فى الخيرات يرغبون فى
الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها او يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على
صالح الاعمال بالمبادرة اليها لقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفى
عن اضدادهم وهم لها سابقون لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى
الطاعات او الثواب والجنة او سابقونها اى ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم فى
الدنيا كقوله هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض
على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب يعنى اللوح او صحيفة الاعمال
ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب
او نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة فى غمرة فى غفلة غامرة لها من هذا من
الذى وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة
لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها حتى
اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعنى القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول
فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعل عليهم سنين كسنى يوسف عليه السلام فقحطوا
حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة اذا هم يجارون فاجاوا الصراخ بالاستغاثة
وهو جواب الشرط والجملة مبتداة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجاروا اليوم فانه مقدر
بالقول اى قيل لهم لا تجاروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهى اى لا تجاروا فانه لا ينفعكم اذ لا
تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت اياتى تتلى عليكم يعنى القران
فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص
الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه
اغنت عن ذكره او لاياتى فانها بمعنى كتابى والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين او
لان استكبارهم على حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا اى تسمرون بذكر القران
والطعن فيه وهو فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرى سمرا جمع سامر تهجرون
من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اى تعرضون عن القران او تهذون فى شانه

والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجّرون على المبالغة
افلم يدبروا القول اى القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله
ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله
فيكون ام منقطعة حرره سره فيكون ام متصلة سره
فلم يخافوا كما خاف اباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه
ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك
مما هو صفة الانبياء فهم له منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار
الشئ قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص وبحث عما يدل عليه اقصى
ما يمكن فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم
نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه
وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته
وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان في الواقع آلهة شتى لفسدت
السموات والارض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذي
جاء به محمد اهواءهم فانقلب شركا لجاء الله بالقيمة واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع
الله اهواءهم بان انزل ما يشتهون من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان
يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم
اى وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكريهم
فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه ام تسئلهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا
على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه
ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب
في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله
تعالى اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج ربك وحمزة والكسائى خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير
الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على
استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم ان الله سبحانه وتعالى الزمهم الحجة وازاح
العلة في هذه الآية بان حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة

وكأن تشنيعا لان الامر بالشر هو لا غير
وهذا على اصل الاعتزال
سيالى
رحمه

الحق

الحق وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط عن الصراط السوى
لناكبون لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعنى القحط للجّوا لثبتوا واللجاج التمادي في الشئ في طغيانهم
افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى
روى انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء
بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعنى القتل يوم بدر فما
استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل
من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من
عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعنى الجوع
فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك
اعتاهم يستعطفك وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الآيات
والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنياوية قليلا
ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان
لمانحها من غير اشراك وما صلة للتاكيد وهو الذي ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم فيها
بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي يحيى ويميت وله اختلاف
الليل والنهار ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الى الشمس حقيقة
او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد الآخر افلا تعقلون بالنظر و
التأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء
على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اى كفار مكة مثل ما قال الاولون
آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون استبعادا
ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان
هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى كالاعاجيب
والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون
ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى

نظر من نسخ التوجيه فائدة ايراد الماضي
في فما استكانوا والمضارع في
وما يتضرعون

اى فتحة بحيث يتولد منها الف
فقال استكن

في بعض النسخ كتب هنا قوله تعالى وما يتضرعون
وهو الظاهر

جعلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم
قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها
قل اى بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها
ثانيا فان بدأ الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله لان العقل الصريح
قد اضطرهم قرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا
تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده
ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه
ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله
قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم
بالحق من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد
لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه فى الالوهية اذا لذهب كل اله
بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اى لو كان
مع الهة كما يقولون لذهب كل واحد بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الاخرين
ولظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء
واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب
الوجود سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده
عالم الغيب والشهادة خبر مبتدا محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب
وحفص على الصفة وهو دليل اخر على نفى الشريك بناء على توافقهم فى انه المنفرد بذلك ولهذا
رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني ان كان لا بد من ان تريني لان ما
والنون للتاكيد ما يوعدون من العذاب فى الدنيا والاخرة رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين
قرينا لهم فى العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شوم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا خاصة وعن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له فى امته نقمة ولم يطلعه
على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار
وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون

اولانا

اذ لو امكن الانكار لما جاز الاخبار والا لزم الكذب من القادر المختار
سنانى
م حط

فكيف لا يتذكرون باحياء الارض بعد موتها انه سبحانه يجمع الموتى احياء منها كشف

ويجوز باللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو فى معنى واحد وعلى هذا يجوز ان يقرأ الاول بغير لام لكنها لم تثبت فى الرواية كشاف

يتعلق بكل من يغاث ويمنع على التنازع
سنانى
م حط

اولانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء وقيل
قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتى هى احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان
فى مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن فى الدين وقيل هى كلمة التوحيد والسيئة الشرك
وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص
على التفضيل نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك
واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم
واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصى بهمز الرائض الدواب على المشى والجمع
للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون
يحوموا حولى فى شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها
احرى الاحوال ان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض
لتاكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله تعالى عن الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على
الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على
الامر رب ارجعون ردونى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى
كما قيل فى قفا واطرقا لعلى اعمل صالحا فيما تركت فى الايمان الذى تركته اى لعلى اتى
بالايمان واعمل فيه وقيل فى المال او فى الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة
قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر
فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعنى
قوله تعالى رب ارجعون الخ والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها
لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين
الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيامة وهو اقناط كلى عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم
البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون فى الاخرة فاذا نفخ فى الصور لقيام الساعة
والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيد ان الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب
بينهم تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء
من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون
ولا يسال بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا ينافى قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون

الهمز شدة الدفع ومنه قيل للحرف الذى يخرج من هواء الفم بدفع همزة
ثعلبى

وبهذا اندفع ما يقال انه لا معنى للقول مع التيقن بعدم الرجوع ٢

فيه اشارة الى انه من الاضداد

وهو ما بين الدنيا والآخرة

اى ظهر ان المراد يوم يمكن فيه البعث والا فالبعث يقتضى حيوة الاخرة فلا معنى للرجوع الى الحيوة بعد الحيوة
سنانى
م حط

لان كل شخص يعلم بما نصيبه خيرا كان او شرا وبعد هذا يندفع عنه الحيرة والدهشة ولهذا اقبل بعضهم على بعض

لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة والنار النار فمن ثقلت
موازينه موزونات عقائده واعماله اي فمن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون لها
وزن عند الله تعالى وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات
ومن خفت موازينه ومن لم يكن له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها
لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار
تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص
الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال
لهم الم تكن وكنتم بها تكذبون تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا
غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت مجامع احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة
والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا
اخرجنا منها من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا
فيها اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ
ولا تكلمون في رفع العذاب او لا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا
ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا
دعي الله فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرجنا
فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من قبل فيقولون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون
الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها ولا تكلمون ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق وعواء انه
اي الشأن وقرئ بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل
الصفة يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا
وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند
المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط
تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم
اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين ثاني مفعولي
جزيتهم وقرأ حمزة والكسائي بالكسر استئنافا قال اي الله تعالى او الملك المأمور بسؤالهم وقرأ

كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ثعلبي

ضمير الجمع عائد الى فريق من عبادي ومعنى انسائهم اياكم انهم اسباب لاشتغال الكفار باستهزائهم فاسند لهذه الملابسة شنبانى

ابن

ابن كثير وحمزة والكسائي على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض احيا
او امواتا في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصار لمدة لبثهم
فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها
منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فاسأل العادين الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت
تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين
يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون ما
نقول والعادين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال تصديق لهم في مقالهم
ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون وفي قراءة الكوفيين قل افحسبتم انما خلقناكم عبثا
توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم
لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف
على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم فتعالى الله الملك
الحق الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه
دون وجه وفي حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه عبيده رب العرش الكريم الذي
يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصف بالكرم او لنسبته
الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها آخر يعبده
لا برهان له به صفة لغوى لآله لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء به للتأكيد وبناء الحكم
عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض
بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجازيه مقدار ما يستحقه انه
لا يفلح الكافرون ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدأ السورة
بفلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال
وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين
بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه صلى الله عليه
وسلم قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح الى الآيات العشر وروي ان اولها
وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها او اتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح

سورة النور مدنية وهي اربع وستون آية

ان نخلق شيئا عبثا كما يزعم في معتقدكم كشف

فيه اشارة الى انه فعيل بمعنى مفعول حا

لما فتح السورة بقوله قد افلح المؤمنون قال آخرا لا يفلح الكافرون ثم ختم بالمغفرة والرحمة اعلاما بان هذا لا يكون لمن لا يفلح وتعليما للعام بلسان الخاص من افلح كشف الاسرار

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة أي هذه سورة أو فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا
لناصبها فلا يكون له محل إلا إذا قدر اتل أو دونك ونحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من
الأحكام وشدده ابن كثير وأبو عمرو لكثرة فرائضها أو المفروض عليهم أو للمبالغة في إيجابها
وأنزلنا فيها آيات بينات واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ
بتخفيف الذال الزانية والزاني أي فيما فرضنا أو أنزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز أن يرفعا
بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنها معنى الشرط إذ اللام بمعنى
الذي وقرئا بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من نصب سورة والزان
بلا ياء وإنما قدم الزانية لأن الزنا في الأغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولأن
مفسدته تتحقق بالإضافة إليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على أن
حد المحصنين هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة
وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه لينسخ أحدهما بالآخر نسخا مقبولا أو مردودا وله في العبد
ثلاثة أقوال والإحصان بالحرية والبلوغ والعقل والإصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية
الإسلام أيضا وهو مردود لرجمه عليه السلام يهوديين ولا يعارضه من أشرك بالله فليس بمحصن
إذ المراد بالمحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة رحمة في دين الله في طاعته
وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه ولذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد
لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة إن كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر فإن الإيمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في إقامة أحكامه وهو من باب التهييج
وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب
والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول الشيء من الطوف وأقلها ثلاثة وقيل واحد أو اثنان
والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك
إذ الغالب أن المائل إلى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء
فإن المشاكلة علة الألفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وكان حق المقابلة
أن يقال والزانية لا تنكح إلا من زان أو مشرك لكن المراد بيان أحوال الرجال في الرغبة فيهن
لأن الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا أن يتزوجوا بغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهم

من

يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة ... قال أبو حنيفة لا يغرب

أقول قد تقرر في الأصول أن السكوت في موضع الحاجة بيان ولما سلب عن الحر وهو محتاج البيح كان بيانا أنه ليس من الحد ... حط

من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين فإنه
تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من
المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها
والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه أو منسوخ بقوله وأنكحوا الأيامى منكم فإنه يتناول
المسافحات ويؤيده أنه عليه السلام سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح
والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول إلى نهي الزاني عن الزنا إلا بزانية والزانية
أن يزني بها إلا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف
المقذوفات بالإحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار أربعة شهداء بقوله ثم لم
يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب
الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والإحصان ههنا بالحرية والبلوغ والإسلام والعفة
عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والأنثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة أو لأن
قذف النساء أغلب وأشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الأداء ولا يعتبر شهادة زوج
المقذوفة خلافا لأبي حنيفة ولكن ضربه أخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله و
لذلك نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة أي شهادة كانت لأنه مفتر وقيل شهادتهم في
القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لأبي حنيفة رحمه الله فإن الأمر بالجلد
والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة
كيف وحاله قبل الجلد أسوأ مما بعده أبدا ما لم يتب وعند أبي حنيفة رحمه الله إلى آخر عمره
وأولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم إلا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف
وأصلحوا أعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال عن المقذوف والاستثناء
راجع إلى أصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الأمور ولا يلزم سقوط الحد به كما قيل لأن من تمام
التوبة الاستسلام له والاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل إلى النهي
ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل إلى الأخيرة ومحله النصب لأنه عن موجب وقيل منقطع
متصل بما بعده فإن الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين يرمون أزواجهم ولم يكن
لهم شهداء إلا أنفسهم نزلت في هلال بن أمية رأى رجلا على فراشه وأنفسهم بدل أو
شهداء أو صفة لهم على أن إلا بمعنى غير فشهادة أحدهم أربع شهادات فالواجب شهادة

وفي الكشاف أن نسخ قوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم وقيل بالإجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب كشاف

وفيه نظر لأن الإجماع لا يكون ناسخا ...

احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص
على انه خبر شهادة ◦ بالله ◦ متعلق بالشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها ◦ انه لمن
الصادقين ◦ اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق
العامل عنه باللام تاكيدا ◦ والخامسة ◦ والشهادة الخامسة ◦ ان لعنة الله عليه ان
كان من الكاذبين ◦ في الرمي وقرا نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين ثم لعان الرجل
وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه
السلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند الامام ابي حنيفة
رحمه الله ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المراة لقوله ◦ ويدرؤا عنها العذاب
اي الحد ◦ ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ◦ فيما رماني به ◦ والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ◦ في ذلك رفع الخامسة بالابتداء و
ما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرا نافع ان لعنة الله
ان غضب الله بتخفيف النون فيهما ورفع التاء وكسر الضاد من غضب ورفع الهاء من اسم الله
والباقون بتشديد النون ونصب التاء وفتح الضاد وجر الهاء ◦ ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله تواب حكيم ◦ متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ◦ ان
الذين جاءوا بالافك ◦ بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول
مافوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها وذلك انه عليه السلام
استصحبها في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء الحاجة ثم عادت
الى الرحل فلمست صدرها فاذن عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي
كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمه
احدا فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش
فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتى الجيش فاتهمت به
عصبة منكم ◦ جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله
بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم
وهي خبر ان وقوله ◦ لا تحسبوه شرا لكم ◦ مستانف والخطاب للرسول وابي بكر وعائشة
وصفوان والهاء للافك ◦ بل هو خير لكم ◦ لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله

فانه يفهم انها لو لم تشهد لم يدرا عنها العذاب الذي هو الحد

هذه الغزوة هي غزوة بني المصطلق سنة ٢

مانزال

بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن
خيرا ◦ لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ◦ لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به ◦
والذي تولى كبره ◦ معظمه وقرا يعقوب بالضم وهو لغة فيه ◦ منهم ◦ من الخائضين وهو ابن
ابي فانه بدا به واذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم او هو حسان ومسطح فانهما
شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين ◦ له عذاب عظيم ◦ في الاخرة او في الدنيا بان
جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف
البصر ◦ لولا ◦ هلا ◦ اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا ◦ بالذين منهم من المؤمنين
والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ
واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين
عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث
انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان
التخصيص على ان لا يخلوا باوله ◦ وقالوا هذا افك مبين ◦ كما يقول المستيقن المطلع على الحال
لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون
من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه مكذب عند الله تعالى اي في حكمه ولذلك
رتب الحد عليه ◦ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة ◦ لولا هذه لامتناع الشيء
لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة
ورحمته بالاخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم ◦ لمسكم ◦ عاجلا ◦ فيما افضتم فيه ◦ عذاب عظيم
يستحقر دونه ✓ تلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه
بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الالق والولق
وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه ◦ وتقولون بافواهكم
ما ليس لكم به علم ◦ اي وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا
عن علم به في قلوبكم لقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم ◦ وتحسبونه هينا ◦ سهلا لا تبعة له
وهو عند الله عظيم ◦ في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مرتبة علق بها مس
العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك
وهو عند الله عظيم ◦ ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ◦ ما ينبغي وما يصح لنا ◦ ان نتكلم بهذا ◦

[illegible] بصفوان

✓ اللوم والجلد ◦ اذ ◦ ظرف لمسكم او افضتم ◦ تلقونه بالسنتكم ◦ ياخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول صح

يجوز ان يكون الاشارة الى القول المخصوص وان الى انواعه فان قذف احاد الناس
محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عمرته الطاهرين • سبحانك • تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب
تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله تعالى من ان يكون
حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما
قبله وتمهيدا لقوله • هذا بهتان عظيم • لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باختلاف
متعلقاتها • يعظكم الله ان تعودوا لمثله • كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا • ابدا • ما دمتم
احياء مكلفين • ان كنتم مومنين • فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع • ويبين
الله لكم الآيات • الدالة على الشرايع ومحاسن الآداب لتتعظوا وتتأدبوا • والله عليم
بالاحوال كلها • حكيم • في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا تقريره عليها • ان الذين
يحبون • يريدون • ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة
بالحد والسعير الى غير ذلك • والله يعلم • ما في الضماير • وانتم لا تعلمون • فعاقبوا في الدنيا
على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه وتعالى يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة
ولولا فضل الله عليكم ورحمته • تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذلك
عطف قوله • وان الله رؤف رحيم • على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب
وهو مستغنى عنه بذكره مرة • يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان • باشاعة
الفاحشة وقرأ نافع والبزي وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها وقرئ بفتح الطاء • ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر • بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط
قبحه والمنكر ما انكره الشرع • ولولا فضل الله عليكم ورحمته • بتوفيق التوبة الماحية للذنوب
وشرع الحدود المكفرة • ما زكى • ما طهر من دنسها • منكم من احد ابدا • آخر الدهر • ولكن الله يزكي
من يشاء • بحمله على التوبة وقبولها • والله سميع • لمقالهم • عليم • بنياتهم • ولا يأتل • ولا يحلف
افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل في ابي بكر
رضي الله عنه وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين
اولوا الفضل منكم • في الدين • والسعة • في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه • ان يؤتوا
على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات • اولي القربى والمساكين والمهاجرين

في

[1] وقع هذا القول في بعض النسخ بعد قوله سبحانك هذا ولا وجه له سناني رحمه

[2] في بعض النسخ قوله تعجب بعد قوله بهتان عظيم ولا وجه له ايضا سناني رحمه

[3] اي لعظمة الشخص الذي بهت عليه اي قيل عليه ما لم يفعل وفي بعض النسخ وقع هذا الكلام بعد قوله يعظكم الله وينبغي ان يكون سهوا من الكاتب سناني رحمه

[4] اشارة الى الواقعة السابقة وامثالها وفيه اشارة الى ان المومن ينبغي ان لا يحب اشاعة الفاحشة كشف

في سبيل الله • صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان
كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود • وليعفوا • لما فرط منهم
وليصفحوا • بالاغماض عنه • الا تحبون ان يغفر الله لكم • على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء
اليكم • والله غفور رحيم • مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه عليه السلام قرأها على ابي بكر
فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته • ان الذين يرمون المحصنات • العفايف • الغافلات
مما قذفن به • المؤمنات • بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم استباحة لعرضهن
وطعنا في الرسول والمؤمنين كابن ابي رئيس المنافقين • لعنوا في الدنيا والآخرة • لما طعنوا
فيهن • ولهم عذاب عظيم • لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن
قذف ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه لا توبة
له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل في افك عايشة رضي الله عنها •
يوم تشهد عليهم • ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة
والكسائي بالياء لتقدم الفعل • السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون • يعترفون بها
بانطاق الله تعالى اياها بغير اختيارهم او بظهور آثارهم عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب
يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق • جزاءهم المستحق • ويعلمون • لمعاينتهم الامر • ان الله هو الحق
المبين • الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب
والعقاب سواه او ذو الحق المبين اي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من
الظالم للمظلوم لا محالة • الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون
للطيبات • اي الخبايث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل
على قوله • اولئك • يعني اهل بيت النبي او الرسول وعايشة وصفوان • مبرؤن مما يقولون •
اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة
الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرؤن مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات
اي مبرؤن من ان يقولوا مثل قولهم • لهم مغفرة ورزق كريم • ولقد برأ الله تعالى اربعة
باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي
ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعايشة رضي الله عنها بهذه الآيات مع هذه المبالغة
وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول عليه السلام واعلاء منزلته • يا ايها الذين امنوا

[1] ولم يذكر من عن ذكر المحصنين ودل على ذلك بقوله بعد اولئك مبرؤن كشف

لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم • التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلون الا باذن •
حتى تستانسوا • تستاذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصر
فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستيناس
الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستاذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا
اذن استانس او بتعرفوا هل ثم انسان من الانس • وتسلموا على اهلها • بان يقولوا السلام
عليكم اادخل وعنه عليه السلام التسليم ان يقول السلام عليكم اادخل ثلث مرآت فان اذن
له دخل والا رجع • ذلكم خير لكم • اي الاستيذان والتسليم خير لكم من ان يدخلوا بغتة او من تحية
الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب
الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن امي
قال نعم قال لا خادم لها غيري استاذن كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال عليه
السلام فاستاذن • لعلكم تذكرون • متعلق بمحذوف اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة
ان تذكروا وتعلموا بما هو اصلح لكم • فان لم تجدوا فيها احدا • ياذن لكم • فلا تدخلوها حتى ياذن لكم
حتى ياتي من ياذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه
الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما عرض حرقا او غرقا
او كان فيه منكر ونحوها • وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا • ولا تلحوا • هو ازكى لكم • الرجوع اطهر لكم
عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروة او انفع لدينكم ودنياكم
والله بما تعملون عليم • فيعلم ما تاتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه • ليس عليكم جناح
ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة • كالربط والحانات والحوانيت • فيها متاع لكم • استمتاع
لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم
السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها • والله يعلم ما تبدون وما تكتمون • وعيد لمن دخل
مدخلا لفساد او قطع على عورات • قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم • اي ما يكون نحو محرم
ويحفظوا فروجهم • الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر
بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها
ذلك ازكى لهم • انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة • ان الله خبير بما يصنعون • لا يخفى
عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها

فليكونوا

ههنا فرض السلام من المؤمن ان يسلم على المؤمن والكافر في هذه الصورة وهو حسن مفاجاة احد اهل البيوت كشف

انكم لا تحبون ان يهجم احد على بيوتكم فلا تهجموا على احد كشف

فيه اشارة الى انه تعالى عليم ولكنه ستار فيفعلوا مع الناس ما فعله معكم كشف

وفيه اشارة الى ارباب البيوت العصاة ان الله مطلع عليكم ان كنتم على فاحشة فاستحيوا منه قبل الناس كشف

فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون • وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن • فلا ينظرن
الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال • ويحفظن فروجهن • بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم
الغض لان النظر بريد الزنا • ولا يبدين زينتهن • كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها
لمن لا يحل ان تبدى له • الا ما ظهر منها • عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في
سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف وما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية
والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر
فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة
وتحمل الشهادة • وليضربن بخمرهن على جيوبهن • سترا لاعناقهن • ولا يبدين زينتهن • كرره
لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له • الا لبعولتهن • فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا
الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره • او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او
اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن • لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم
وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرايب ولهم ان ينظروا
منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان
او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم • او نسائهن • يعني المؤمنات
فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال والنساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف
او ما ملكت ايمانهن • يعم الاماء والعبيد لما انه عليه السلام اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد
وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجلها واذا غطت رجلها لم يبلغ
راسها فقال عليه السلام انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء
وعبد المرأة كالاجنبي • او التابعين غير اولي الاربة من الرجال • اي اولي الحاجة الى النساء
وهم الشيوخ الهرم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس
لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرا ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على
النصب على الحال • او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء • لعدم تمييزهم من الظهور
بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع
الجمع اكتفاء بدلالة الوصف • ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن • ليتقعقع
خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار

وانما قال غير اولي اربة وكانت التابعات اعني غير المسلمات ولا الجواري ليس لهما اربة الرجل لم يحتج ان يذكر من فيهن كالجواري كشف

وقوله اربة يدل على رتب ما يطلبه الرجل من المراة كالنكاح وما يتعلق به مما دونه كانها ما كان ولهذا لم يقل رتب بل ربة واحدة كشف

كما في قوله تعالى فاصبحوا ظاهرين ولم يقل والطفل الذي لم يظهر اشارة الى غير اولي الاربة من الرجال او الطفل وحده حد الفهم به النهي فمتى جاز ان يظهر لهما لا جاز ان يظهر له كشف

الزينة واول على المنع من رفع الصوت • وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون • اذ لا يكاد يخلو
احدكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه
وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف كلما يتذكر • لعلكم تفلحون بسعادة
الدارين • وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم • لما نهى عما عسى ان يفضي الى
السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد
الزجر عنه مبالغة فيه امر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادات وفيه دليل على
وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبهما واشعار بان المراة والعبد لا يستبدان به
اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب ايايم كيتامى جمع ايم وهو العزب
ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان تتايمي • وان كنت افتى منكم اتايم • وتخصيص
الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اتم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام
بحقوقه • ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله • رد لما عسى ان يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن
فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح او وعد
من الله بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى في هذه الآية لكن مشروطة بالمشية لقوله
تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء • والله واسع • ذو سعة لا ينفد نعمته
اذ لا تنتهي قدرته • عليم • يبسط الرزق ويقدر على ما يقتضيه حكمته • وليستعفف الذين •
وليجتهد في العفة وقمع الشهوة • لا يجدون نكاحا • اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به
او بالوجدان التمكن منه • حتى يغنيهم الله من فضله • فيجدون ما يتزوجون به • والذين يبتغون
الكتاب • المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد
كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتاجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان
العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض • مما ملكت ايمانكم • عبدا كان او امة والموصول
بصلته مبتدا خبره • فكاتبوهم • او مفعول مضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر
فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتج
الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء في
الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل • ان علمتم فيهم خيرا • امانة وقدرة على اداء
المال بالاحتراف وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا

لا يقال التوسط غير خارج لان حصول الاكرنية بان التكسب والانتفاع من المماليك قد تكون قد تكون بالنكاح بسبب حصول المهر والولد وقد تكون بالكتابة لحصول مال الكتابة واما التكسب بالزنا فحرام لانا نقول هذا انما يستقيم في الاماء دون العبيد وايضا التكسب بطريق النكاح لا ينحصر في الكتابة بل الكتابة ليست بكسب في الحقيقة وانما التكسب هو الانتفاع مع بقاء العين من كل وجه سنان حلبي رحمه الله

ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز • واتوهم من مال الله الذي اتيكم •
امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو
للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس
رضي الله عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر
لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه
لا ياخذه صدقة كالداين والمشتري ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها
صدقة ولنا هدية • ولا تكرهوا فتياتكم • امائكم • على البغاء • على الزنا كانت لعبد الله بن
ابي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت • ان اردن تحصنا • تعففا شرط الاكراه فانه لا يوجد دونه بالزوج
وان جعل شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع
المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر • لتبتغوا عرض
الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم • اي لهن او له ان تاب
والاول وفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه من بعد اكراههن لهن غفور
رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة
بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص • ولقد انزلنا اليكم آيات
مبينات • يعني الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول
المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود • ومثلا من الذين خلوا
من قبلكم • ومثلا من امثال من قبلكم او قصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عايشة رضي الله
عنها فانها كقصة يوسف ومريم • وموعظة للمتقين • يعني ما وعظ به في تلك الآيات
وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة
صفاته • الله نور السموات والارض • النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا
وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية
لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم
بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورها

تقييد لتعنيهم لا انه شرط لئلا يلزم عنه انهم اذا لم يبتغوا عرض الحيوة الدنيا يجوز لهم اكراه الفتيات على البغاء كشف

هذا غير محتاج اليه لان النص قد من ذلك فيما هو اعظم منه وهو قوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان كشف

ولما ذكر الآيات والمثل ذكر مثلا آخر فقال الله

ومعنى مثل نوره مثل تدبيره في كثرة ما يمده مثل المصباح في كثره ما يمد اضائته

ومعنى مثل نوره مثل الجاده في القوه مثل المصباح في قوة الاضائة

بالاخراج من الوجود الى العدم

والغرض بيان كون سبب الادراك وتشبيه بالمصباح يفيد كمال السببية والمعنى مثل كونه سببا للادراك

لانهم كالانوار في كونهم سببا للادراك

بالكواكب ما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة والانبياء او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدها فان ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم فالله سبحانه موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله تعالى ابتداء او بتوسط الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس رضي الله عنه معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما • مثل نوره • صفة نوره العجيب الشان واضافته الى ضميره سبحانه دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره • كمشكاة • كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة • فيها مصباح • سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة • المصباح في زجاجة • في قنديل من الزجاج • الزجاجة كانها كوكب دري • مضيء متلالئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلب همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا • توقد من شجرة مباركة زيتونة • اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشانها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع الزيادتين وهو غريب • لا شرقية ولا غربية • تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها يكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او في مقناة

تغرب

اي استعير للهدى

مستفاد من ذكر المشكاة في المشبه به

الذي بها نور السموات والارض بازالة ظلمة الجهل

التي مع اشراقها السموات والارض

تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا في نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى • يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار • اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه • نور على نور • نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات البينات في جلاء مدلولها وظهور ما ضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه بها اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي نوط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعقلية التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم يعلم والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا يدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتاديها الى ثمرات لا نهاية له والزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصباح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلتين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلالئة في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد

فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالذي
يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من
حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها
متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره لهذا
النور الثاقب • من يشاء • فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها • ويضرب
الله الامثال للناس • ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا • والله بكل شيء عليم •
معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث
بها • في بيوت • متعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت او توقد في بيوت فيكون
تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلوة
المؤمنين او بدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ماله
هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر
لانه في صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد
لان الصفة تلايمها وقيل المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم • اذن الله ان ترفع • بالبناء او التعظيم
ويذكر فيها اسمه • عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه •
يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال • ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات
والعشيات مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالاصال وهو جمع اصيل وقرئ
والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرا ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد
الظروف الثلثة ورفع رجال بما دل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا
على اسناده الى اوقات الغدو • ولا تلهيهم تجارة • لا تشغلهم معاملة رابحة • ولا بيع عن ذكر
الله • مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهم من قسمي التجارة
فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبداها وقيل
الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار • واقام الصلوة •
عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله •
واخلفوك عد الامر الذي وعدوا • وايتاء الزكوة • ما يجب اخراجه من المال للمستحقين •
يخافون يوما • مع ما هم عليه من الذكر والطاعة • تتقلب فيه القلوب والابصار • تضطرب

كما يقال احرم الرجل اذا دخل في الاحرام

وتتغير

وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار
ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية
تؤخذ بهم ويؤتى كتابهم • ليجزيهم الله • متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون • احسن ما عملوا •
احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة • ويزيدهم من فضله • اشياء لم يعدهم على اعمالهم
ولم تخطر ببالهم • والله يرزق من يشاء بغير حساب • تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة
ونفاذ المشية وسعة الاحسان • والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة • والذين
كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله تعالى يجدونها
لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت
الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل
جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة • يحسبه الظمآن ماء • اي العطشان
وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة • حتى اذا جاءه • جاء ما توهمه
ماء او موضعه • لم يجده شيئا • مما ظنه • ووجد الله عنده • عقابه او زبانيته محاسبا
اياه • فوفاه حسابه • استعراضا او مجازاة • والله سريع الحساب • لا يشغله حساب عن
حساب روي انها نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاءه
الاسلام كفر • او كظلمات • عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة
لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب
او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم
باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا والسراب في الاخرة • في بحر لجي • عميق منسوب
الى اللج وهو معظم الماء • يغشيه • يغشى البحر • موج من فوقه موج • اي امواج مترادفة متراكمة
من فوقه • من فوق الموج الثاني • سحاب • غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى
للبحر • ظلمات • اي هذه ظلمات • بعضها فوق بعض • وقرا ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها
من الاولى او باضافة السحاب اليها • اذا اخرج يده • وهي اقرب ما يرى اليه • لم يكد يراها •
لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد • رسيس الهوى من حب مية يبرح
والضمائر للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه • ومن لم يجعل الله له نورا • ومن لم يقدر
الله له الهداية ولم يوفقه لاسبابها • فما له من نور • خلاف الموفق الذي له نور على نور

شروع في وصف اضداد المذكورين اولا

اقول والله اعلم لما ذكر الله تعالى قبل تسبيح الرجال وصلوتهم اكد امر ذلك وحرضهم عليه بان ذلك طريقة مسلوكة لاهل السموات والارض والطيور التي بين السموات والارض فلا بد للعاقل ان يخالف الجمهور بل يخالف المشهور ستاني رحمه

الم تر • الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال • ان الله
يسبح له من في السموات والارض • ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض
ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال • والطير على الاول
تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله • صافات •
فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به يقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها
من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره • كل • كل واحد مما ذكر
او من الطير • قد علم صلوته وتسبيحه • اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله
والله عليم بما يفعلون • او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه
يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة
في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء • ولله ملك السموات والارض • فانه الخالق لهما
ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب •
والى الله المصير • مرجع الجميع • الم تر ان الله يزجي سحابا • يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها
كل احد • ثم يؤلف بينه • بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين
اجزائه • ثم يجعله ركاما • متراكما بعضه فوق بعض • فترى الودق • المطر • يخرج من خلاله •
من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرى من خلله • وينزل من السماء • من الغمام وكل ما علاك
فهو سماء • من جبال فيها • من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها • من برد • بيان
للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز
ان يكون من الثانية للتبعيض واقعة مع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد
كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت
ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا
فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل
ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج و
كل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص
الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله • فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء • والضمير
للبرد • يكاد سنا برقه • ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه

بضم

بضم الباء وفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع • يذهب
بالابصار • بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال
القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء • يقلب الله
الليل والنهار • بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما او زيادة الاخر او بتغير احوالهما بالحر والبرد
والظلمة والنور او بما يعم ذلك • ان في ذلك • فيما تقدم ذكره • لعبرة • لدلالة على وجود
الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها
لاولي الابصار • لمن يرجع الى بصيرة • والله خلق كل دابة • حيوان يدب على الارض وقرأ
حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة • من ماء • هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون
تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق
فمنهم من يمشي على بطنه • كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة للمشاكلة • ومنهم من
يمشي على رجلين • كالانس والطير • ومنهم من يمشي على اربع • كالنعم والوحش ويندرج فيه ماله
اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير
بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرب في القدرة • يخلق
الله ما يشاء • مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والحركات
والهيئات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيته • ان الله على كل شيء
قدير • فيفعل ما يشاء • لقد انزلنا آيات مبينات • للحقائق بانواع الدلائل • والله يهدي من
يشاء • بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها • الى صراط مستقيم • هو دين الاسلام الموصل الى
ادراك الحق والفوز بالجنة • ويقولون آمنا بالله وبالرسول • نزلت في بشر المنافق خاصم
يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في مغيرة ابن
وائل خاصم عليا في ارض فابى ان يحاكمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • واطعنا • اي
واطعنا لهما • ثم يتولى • بالامتناع عن قبول حكمه • فريق منهم من بعد ذلك • بعد قولهم هذا
وما اولئك بالمؤمنين • اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله تعالى بان جميعهم
وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه
للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون عليه
واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم • اي ليحكم النبي عليه السلام فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه

فالاولى حمل التقليب على المعاقبة لان التقليب تبديل الماهية بالماهية الاخرى فهو انما يوجد في المعاقبة

لان المذكورات انما يكون باحاطة علمه تعالى باصول الاشياء وماهياتها

التعبير عن الدابة به للايذان بان الهاء فيها ليست للتانيث بل انما هي للنقل من الوصفية الى الاسمية كما في الكلمة

فانه اعتبر في الجملة تغليب العقلاء لقولهم فمنهم

فيه اشارة الى ان اللام للعهد

وذكر الله تعالى لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله تعالى • اذا فريق منهم معرضون •
فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة
فيه • وان يكن لهم الحق • اي الحكم لا عليهم • يأتوا اليه مذعنين • منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى
صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص • افي قلوبهم مرض • كفر او ميل الى الظلم •
ام ارتابوا • بان راوا منك تهمة فزال يقينهم وثقتهم بك • ام يخافون ان يحيف الله عليهم
ورسوله • في الحكومة • بل اولئك هم الظالمون • اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم
الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او
متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم
وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه • انما كان قول
المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون
على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول
بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم • ومن يطع
الله ورسوله • فيما يأمرانه او في الفرائض والسنن • ويخش الله • على ما صدر عنه من الذنوب •
ويتقه • فيما بقي من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو بكر وابو عمرو بسكون الهاء وحفص
بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف • فاولئك هم الفائزون • بالنعيم المقيم • واقسموا
بالله جهد ايمانهم • انكار للامتناع عن حكمه • لئن امرتهم • بالخروج عن ديارهم واموالهم • ليخرجن جواب
لاقسموا على الحكاية • قل لا تقسموا • على الكذب • طاعة معروفة • اي المطلوب منكم طاعة معروفة
لا اليمين الكاذبة المنكرة او طاعة معروفة امثل منها او لتكن طاعة وقرئت بالنصب
على اطيعوا طاعة • ان الله خبير بما تعملون • فلا يخفى عليه سرائركم • قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم • فان تولوا فانما عليه • على محمد صلى الله عليه
وسلم • ما حمل • من التبليغ • وعليكم ما حملتم • من الامتثال • وان تطيعوه • في حكمه • تهتدوا • الى الحق
وما على الرسول الا البلاغ المبين • التبليغ الموضح لما كلفتم وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان
توليتم فعليكم • وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات • خطاب للرسول والامة او له ولمن
معه ومن للبيان • ليستخلفنهم في الارض • ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف
الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في

الا ظهر ان يقول على الرسول

نزل منزلة القسم • كما استخلف الذين من قبلهم • يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد
الجبابرة • وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم • وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت • وليبدلنهم
من بعد خوفهم • من الاعداء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف • امنا • منهم فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون
في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب
وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع
الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة •
يعبدونني • حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي
للاستخلاف والامن • لا يشركون بي شيئا • حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين • ومن
كفر • ومن ارتد او كفر هذه النعمة • بعد ذلك • بعد الوعد او حصول الخلافة • فاولئك هم
الفاسقون • الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك
النعمة العظيمة • واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول • في سائر ما امركم به ولا يبعد
عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول
للتأكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه بقوله • لعلكم ترحمون • كما علق به الهدى •
لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض • لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم و
اهلاكهم وفي الارض صلة معجزين او لا يحسبن الكفار في الارض احدا يعجز الله فيكون معجزين
في الارض مفعوليه او لا يحسبوا انفسهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشيء
واحد فاكتفى بذكر الاثنين عن الثالث وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول في الاحتمالات
ومأويهم النار • عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأويهم النار لان
المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز • ولبئس المصير • المأوى الذي يصيرون اليه
يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم • رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد
الفراغ عن التمثيلات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد
عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال
لما روي ان غلام اسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة

ليبد عوه عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عن ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله تعالى
نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعة علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي
صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية • والذين لم يبلغوا الحلم منكم • والصبيان
الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله • ثلث مرات • في اليوم
والليلة مرة • من قبل صلوة الفجر • لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس
ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبر المحذوف اي هي من قبل •
وحين تضعون ثيابكم • اي ثيابكم لليقظة للقيلولة • من الظهيرة • بيان للحين • ومن بعد صلوة
العشاء • لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف • ثلث عورات لكم • اي هي
ثلث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنها
اعور المكان ورجل اعور وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلث مرات •
ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن • بعد هذه الاوقات في ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافي
آية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين •
طوافون عليكم • اي هم طوافون استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان
وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات
الثلث وغيرها بانها عورات • بعضكم على بعض • بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على
بعض • كذلك • مثل ذلك التبيين • يبين الله لكم الآيات • اي الاحكام • والله عليم باحوالكم
حكيم • فيما يشرع لكم • واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم •
اي الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان العبد البالغ
على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم •
كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم • كرره تأكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان • والقواعد
من النساء • العجائز • اللاتي • قعدن عن الحيض والحمل • اللاتي لا يرجون نكاحا • لا يطمعن فيه
لكبرهن • فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن • اي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه
لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها • غير متبرجات بزينة • غير مظهرات زينة مما
امرت باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة
بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب

وذل على ان الذين لم يبلغوا الحلم مما ملكت ايمانكم ايضا يجب ان يستأذنوا لانه لا ازم من حج له منكم فكيف لا يكون من غيرنا كشف الاسرار

اول ويؤيده التعليل بالطواف ايضا كشاف

ونبه في ذكر هذه الاوقات على انه لا يحسن ان يكون الخلوة بالنساء في غير هذه الاوقات المذكورة وان جاز كشف الاسرار

وليس المراد ثلث مرات في كل وقت لانه بين بعده بقوله من قبل صلوة الفجر كشف

ودل على ان ان ناظر والمنظور في الجناح واحد

وقال من قبل كذلك يبين الله لكم الآيات لانه يريد مطلق الآيات في كل كتاب انزله كشف

منه

منه شيء الا انه خص كشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال • وان يستعففن خير لهن •
من الوضع لانه ابعد من التهمة • والله سميع لمقالتهن للرجال • عليم بمقصودهن • ليس على
الاعمى حرج ولا على المريض حرج • نفي لما كانوا يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم
او اكلهم من بيت يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل
مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم واولادهم
واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت
باذن او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن
لكم الى طعام وقيل نفي الحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده • ولا على
انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم • من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد
لان بيوت الاولاد كبيوته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما يأكل المرء
من كسبه وان ولده من كسبه • او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت
اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه •
وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك
والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه • او صديقكم • او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط
في اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب
البيت باذن او قرينة ولذلك خص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان في اول الاسلام
فنسخ فلا احتجاج للحنفية على ان لا قطع بسرقة مال المحرم • ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا •
مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده
او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع
على الطعام لاختلاف الناس في الغزارة والنهمة • فاذا دخلتم بيوتا • من هذه البيوت • فسلموا
على انفسكم • على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة • تحية من عند الله • ثابتة بامره مشروعة
من لدنه ويجوز ان تكون صلة للتحية فانه طلب الحيوة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر
لانها بمعنى التسليم • مباركة • لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب • طيبة • تطيب بها نفس
المستمع وعن انس رضي الله عنه انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل
عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار

التغزارة اتباعه من الناس الغزر اوسنح في الكو جامع اللغة

الاوابين. كذلك يبين الله لكم الآيات كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة و
فصل الاولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اى الحق
والخير فى الامور. انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه
على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة
وقرئ امر جميع. لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فياذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق
فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستاذنونك
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستاذن مؤمن لا محالة وان الذاهب
بغير اذنه ليس كذلك. فاذا استاذنوك لبعض شانهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا
مبالغة وتضييق للامر. فاذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى راى رسول الله صلى الله
عليه وسلم واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رايه ومن منع ذلك قيد المشية
بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا. واستغفر لهم الله
بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين. ان الله
غفور لفرطات العباد. رحيم بالتيسير عليهم. لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع
بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته
كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبى الله
ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم
على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه
مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب. قد يعلم الله الذين يتسللون منكم ينسلون قليلا قليلا
من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل. لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن
يؤذن له فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح. فليحذر الذين يخالفون عن امره
يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون
عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان

المخالف

المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى فان الامر له فى الحقيقة او للرسول فانه المقصود
بالذكر. ان تصيبهم فتنة محنة فى الدنيا. او يصيبهم عذاب اليم فى الآخرة واستدل به
على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر
عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب. الا ان لله ما
فى السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق
والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد. ويوم يرجعون اليه يرجع المنافقون اليه للجزاء
ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات. فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال
بالتوبيخ والمجازاة عليه. والله بكل شىء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذى نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهى كثرة الخير او تزايد عن كل شىء
وتعالى عنه فى صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان
لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام
الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا
فصل بينهما سمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا
بعضه عن بعض فى الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته كقوله
تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية. ليكون العبد
او الفرقان. للعالمين الجن والانس. نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة
وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة. الذى له ملك
السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب. ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى
ولم يكن له شريك فى الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاوم
فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال. وخلق كل شىء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته
كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة. فقدره تقديرا فقدره وهياه
لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبر واستنباط

الصنايع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك وفقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا . واتخذوا من دونه آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما . لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم . ولا يملكون . ولا يستطيعون . لانفسهم ضرا . دفع ضر . ولا نفعا . ولا جلب نفع . ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا . ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء . وقال الذين كفروا ان هذا الا افك . كذب مصروف عن وجهه . افتراه . اختلقه . واعانه عليه قوم آخرون . اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر . فقد جاؤا ظلما . بجعل الكلام المعجز افكا مختلفا من اليهود . وزورا . بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته . وقالوا اساطير الاولين . ما سطره المتقدمون . اكتتبها . كتبها لنفسه واستكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها كاتب له ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه . فهي تملى عليه بكرة واصيلا . ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب . قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض . لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمن اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين . انه كان غفورا رحيما . فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا . وقالوا مال هذا الرسول . ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم . ياكل الطعام . كما ناكل . ويمشي في الاسواق . لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد . لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا . لنعلم صدقه بتصديق الملك . او يلقى اليه كنز . فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش . او تكون له جنة ياكل منها . هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين

والمياسير

قدم الضر موافقة لقوله بعده موتا ولا حيوة كشف

مقول قول الذين كفروا ان هذا الا افك

والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون . وقال الظالمون . وضع الظالمون موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه . ان تتبعون . ما تتبعون . الا رجلا مسحورا . سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا ملكا . انظر كيف ضربوا لك الامثال . اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة . فضلوا . عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي صلى الله عليه وسلم والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء . فلا يستطيعون سبيلا . الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى . تبارك الذي ان شاء جعل لك . في الدنيا . خيرا من ذلك . مما قالوا ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى . جنات تجري من تحتها الانهار . بدل من خيرا . ويجعل لك قصورا . عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة . يقول لا غائب مالي ولا حرم . ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو . بل كذبوا بالساعة . فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال وطعنوا فيك لفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب او يصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه . واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا . نارا شديدة الاشتعال وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان . اذا راتهم . اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتانيث لانه بمعنى النار او جهنم . من مكان بعيد . هو اقصى ما يمكن ان يرى منه . سمعوا لها تغيظا وزفيرا . صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف . واذا القوا منها مكانا . اي في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا . ضيقا . لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض . مقرنين . قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل . دعوا هنالك . في ذلك المكان . ثبورا . هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك . لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا . اي يقال لهم

قال ولا جعل بلفظ الماضي وثانيا يجعل بلفظ المستقبل الى ان شاء جعل في الدنيا لكنه يجعل لك في الآخرة ويجعل لك فيها قصورا كشف

وفي الكشاف يوم مسالة . يقال مال حرم اذا كان لا يعطي منه شيء وهو حلال

هذا على تقدير ان يتصل قوله بل كذبوا بما يليه اعني قوله ان شاء جعل لك او سيناني مرحله

يعني تناسب قوله من مكان بعيد سيناني مرحله

ولم تقل اذا رآها لانهم لا يستطيعون النظر اليها حرها كشف

اشارة الى ان الزبانية تقذفهم من فوق ومنه والقوة في غيابة الجب كشف

وذلك لان الالقاء يكون من فوق بخلاف الرمي سيناني مرحله

وتشديد الرا ريدل على كثرة القرنا ولان الكلام عن جمع كشف

ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة وكل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد
لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو
ثبور في كل وقت قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب
والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول
محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها او التمييز عن جنان الدنيا
كانت لهم في علم الله تعالى او اللوح او لان ما وعده الله تعالى في تحققه كالواقع جزاء
على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم
مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن
ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك
شأو الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا يحصل الا في الجنة خالدين حال من
احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسؤلا الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي
كان ذلك موعودا حقيقا بان يسئل ويطلب او مسؤلا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا
ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن وما في على من معنى الوجوب
لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر
الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود
سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد
به الوصف كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص
الملائكة وعزير والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تتكلم بلسان
الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن
عامر بالنون ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم
عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله اضللتم ام ضلوا فغير النظم
ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه
العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء
معصومون او جمادات لا يقدر على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف
يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله تعالى عن الانداد ما كان ينبغي لنا ما يصح لنا ان نتخذ

من

قوله هذا اشارة منه الى سؤال وجواب تقرير السؤال ان امتناع الخلف في وعده يستلزم انجاز الوعد والحال انه لا يجب عليه تعالى شيء وتحريره على ما ذكره الامام الرازي في المفاتيح ان كلمة على للوجوب قال عليه الصلوة والسلام من نذر وسمى فعليه الوفاء بما سمى فقوله تعالى كان على ربك يقتضي ان ذلك واجب على الله تعالى والواجب هو الذي ان لم يفعل استحق تاركه الذم او انه الذي يكون عدمه ممتنعا فان كان الوجوب على التفسير الاول كان تركه محالا لان تركه يستلزم استحقاق الذم واستحقاق الذم محال ومستلزم المحال محال كان ذلك الترك محالا والمحال غير مقدور فلم يكن الله قادرا على ان لا يفعل فيلزم ان يكون ملجا الى الفعل وان كان الوجوب على التفسير الثاني وهو ان يقال انه ثبت بحكم الوعد فلو لم يفعل لانقلب خبره الصدق كذبا وعلمه جهلا وذلك محال والمؤدي الى المحال محال فالترك محال فيلزم ان يكون ملجأ الى الفعل والملجأ الى الفعل لا يكون قادرا ولا يكون مستحقا للثناء والمدح هذا ومحصل الجواب ان الوجوب الناشي من الارادة لا يقدح في حقه تعالى انما المحال فيه الالجاء والاضطرار بما نشأ من ارادته وتحريره ان تعلق الارادة القديمة بالموعود عنى بوجوده في وقت معين فيما لا يزال متقدم على الوعد به فلما تعلق ارادته تعالى بوجود نعيم الجنة في الآخرة بحيث اذا قامت القيمة ودخل اهل الجنة الجنة وعدهم بعد ذلك التعلق فلما امتنع الخلف في وعده وجب الانجاز فالانجاز متفرع على الوعد المتفرع على تعلق الارادة بالموعود فكان الوعد مبنيا على تعلق الارادة بالموعود

من دونك من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى
احدا دونك وقرئ نتخذ بالبناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله واتخذ الله ابراهيم
خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفي ولكن متعتهم
وآباءهم بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك
او التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة الضلالة اليهم من حيث انه بكسبهم و
اسناده الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة
وكانوا في قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد
والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على
حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون (اي نسبكم الى الكذب) في قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا
والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك
ما كان ينبغي لنا فما تستطيعون اي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين
صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال ولا نصرا فيعينكم
عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هي النار والشرط وان عم كل من كفر
او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا
او بالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق
اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله تعالى
وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم لهذا
الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اي تمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا
بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل
اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما
قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض
فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث عليهم بالصبر على ما افتتنوا به
وكان ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلي به وغيره وقال الذين لا يرجون
لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء
الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه الوصول الى المرئي والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن

وهذا جواب قوله تعالى لهم ام هم ضلوا وهذا ابلغ حجة يدفع به الخبر كشف

جواب عما يقال ان من كفر وفسق فلا بد لهم من اذاقة العذاب الكبير كما تدل عليه هذه الآية الكريمة وجوابه نعم الا انه مشروط بعدم المزاحم وهو التوبة

جواب عن قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وفيه على اللطف على البعيد ليل ظاهر واضح فاعرفه كشف

ولو قال بعضهم لكان ذلك خاصا بالمرسلين وليس كذلك فان ابتلاء الرسل بالصبر على تكذيب الامم وايذاهم كقوله عنهم ولنصبرن على ما آذيتمونا كشف

يراد به الرؤية على الاول. لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبرنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل فيكونون رسلا الينا. او نرى ربنا فيامرنا بتصديقه واتباعه. لقد استكبروا
في انفسهم اي في شانها حين ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل
خلق الله تعالى في اكمل اوقاتهم او ما هو اعظم من ذلك. وعتوا وتجاوزوا الحد في عتوا كبيرا
بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة واعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة
ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستيناف
بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله. وجارة جساس ابانا بنابها
كليبا غلت ناب كليب بواؤها. يوم يرون الملائكة. ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر
او بما دل عليه. لا بشرى يومئذ للمجرمين. فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر
وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما تعلق به او لبشرى منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين
اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى
بالعفو والشفاعة في وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو
المانع للبشرى والموجب لما يقابلها. ويقولون حجرا محجورا. عطف على المدلول اي ويقول الكفرة
حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالى ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند
لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم
واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر
ناصبه ووصفه بمحجور للتاكيد كقولهم موت مائت. وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
اي عمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الارحام واغاثة الملهوف
فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم
فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى في شعاع الشمس تطلع
من الكوة من الهبوة وهو الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه
ثم بالمنثور منه في انتثاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به او
مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين. اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا. مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث. واحسن مقيلا. مكانا
يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه

لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور
وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم
اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة
الى ما للمترفين في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة
في الجنة واهل النار في النار. ويوم تشقق السماء. واصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن
كثير ونافع وابن عامر ويعقوب. بالغمام. بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في
قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة. ونزل الملائكة تنزيلا.
في ذلك الغمام بصحايف اعمال العباد وقرا ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وانزل ونزل الملائكة
ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة. الملك يومئذ الحق للرحمن. الثابت له لان كل ملك
يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه
متاخر او صفته والخبر يومئذ او للرحمن. وكان يوما على الكافرين عسيرا. شديدا. ويوم يعض
الظالم على يديه. من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان كنايات
من الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر
مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه الى ضيافته فابى ان ياكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين
ففعل وكان ابي ابن خلف صديقه فعاتبه فقال صبات فقال لا ولكن آلى ان لا ياكل من طعامي
وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطا قفاه وتبزق
في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من
مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن ابيا باحد في المبارزة
فرجع الى مكة فمات. يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا. طريقا الى النجاة او طريقا واحدا
وهو طريق الحق ولم يتشعب في طرق الضلالة. يا ويلتى ليتني. وقرئ بالياء على الاصل لم اتخذ
فلانا خليلا. يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس.
لقد اضلني عن الذكر. عن ذكر الله تعالى او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة. بعد
اذ جاءني. وتمكنت منه. وكان الشيطان. يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته
ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن وانس. للانسان خذولا. يواليه حتى يؤديه
الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان. وقال الرسول. محمد يومئذ او في الدنيا

قال وفيه دليل على انه خالق الشر قال المحشي سعدي چلبي اذ المراد جعل عداوتهم لا جعل ذواتهم فقط ففيه حجة على المعتزلة انتهى واعترض عليه بعض المحشين بان هذا ضعيف اذ دلالة
على جعل ذات موصوف بالعداوة ولا يلزم من جعلها جعلها اقول بل مراد المحشي سعدي اذ المراد على ما يقتضيه سياق الكلام من تسليته عليه الصلوة والسلام جعل عداوة
الاعداء فالجعل منسحب على الذات والصفة معا اذ مناط التسلي جعل عداوتهم لكل نبي لا جعل ذواتهم فقط قال المحقق التفتازاني في تصحيح قول صاحب المفتاح في بحث لو ان الشرط
ان تعليق الحكم بالوصف مشعر بالحيثية فكانه قيل انها تعليق بما امتنع من حيث انه ممتنع هذا فعلى هذا يكون المعنى جعلنا عدوا من حيث انه عدو فالجعل وارد على الذات والصفة
فالذات المسماة من حيث عداوتهم مجعولة له تعالى فافهم ثم اقول لما كان الجعل هنا متعديا الى واحد صرفه المص الى معنى الخلق كما ترى وكل في التعبير عن الخلق بالجعل الذي يتعدى
كثيرا الى مفعولين ايماء الى جعل ذواتهم موصوفين بصفة العداوة كانه قال صيرنا ذواتهم موصوفين بصفة العداوة بحيث يصح اطلاق اسم العدو عليهم تنبيها وكل نبي فعلى
كونه تعالى خالقا للشر بين لا ستره فيه والكلام حينئذ
صفة لمجعول وهو انظار من قول المص كما جعلناه لك
وان يمكن حمله على ما قلنا وتجوز ان يكون صفة عدوا
قدمت عليه اعتناء بشان الانبياء وتلميحا الى
كونهم غالبين على الاعداء بحيث لا يليق بشانهم
ان يذكروا بعد العدو المجرم ولهذا لم توسط بين المبين
والمبين وان لم تكن اجنبية لحواجه سمي مرخطه

ثا الى الله تعالى يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القران مهجورا بان تركوه وصدوا
عنه وعنه عليه السلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة
متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا
سمعوه وزعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون
اي هذيان وباطل
بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم
عجل الله لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين كما جعلنا لك فاصبر كما
صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق
قهرهم ونصيرا لك عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران اي انزل كخبر بمعنى اخبر
لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض لا طائل تحته
لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك
لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي به فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف
حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القي اليه جملة لتعيى بحفظه
ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقايع
يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته
زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا انزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة
الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القراين الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة
وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا
انزل عليه القران جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا
والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه
عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلث وعشرين واصل الترتيل في
الاسنان وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل بسؤال عجيب كانه مثل في البطلان يريدون به
القدح في نبوتك الا جئناك بالحق الدافع له في جوابه واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا
او معنى من سؤالهم او لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك
من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له الذين يحشرون على وجوههم
الى جهنم اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها

اي من انزل لا من التنزيل لانه منجما فاحمل عليه
حذارا عن اللغو اذ لو كان للتضعيف من التنزيل
لكان معناه لو كان الفرق بين التنجيم وبين الجملة
الواحدة حاصلا وهذا لغو ولهذا حمل
على انزل ح

ومن فوايد التفريق ان لا ينقطع مكالمة الله معه
لبسط انبساط الانس معه عليه السلام وفي ذلك
تنويه لشانه عليه السلام سنان حفظه

حال من مرفوع يحشر اي يساقون الى جهنم حال
كونهم مقلوبين على وجوههم على الارض ويرفع
ارجلهم الى جانب الفوق ح

وعنه

وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام
وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع مبتدا خبره اولئك شر مكانا واضل سبيلا
والمفضل عليه هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه
الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسولة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون
حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا
معه اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في
يعاونه
النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا
يعني فرعون وقومه باياتنا فدمرناهم تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر
على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسول واستحقاق
التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد
بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب
واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان
وجعلنا اغراقهم او قصتهم عبرة واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل التعميم والتخصيص فيكون
وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم وعادا وثمود عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين
لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تأويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت
فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه
فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن
صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت
تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك
سميت مغربا فدعا عليها حنظلة بن صفوان فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل
قوم كذبوا نبيهم ورسوه اي دسوه في بئر وقرونا واهل اعصار وقيل القرن اربعون سنة
وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله تعالى
وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا

اهلكوا كما قال {وكلا تبرنا تتبيرا} فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول
منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ {ولقد اتوا} يعني قريشا مروا
مرارا في متاجرهم الى الشام {على القرية التي امطرت مطر السوء} يعني سدوم عظمى قرى قوم
لوط امطرت عليها الحجارة {افلم يكونوا يرونها} في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها
من اثار عذاب الله تعالى {بل كانوا لا يرجون نشورا} بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا
عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما تأمله
المؤمنون طمعا في الثواب او لا يخافون على لغة التهامية {واذا راوك ان يتخذونك
الا هزوا} ما يتخذونك الا موضع هزء او مهزوا به {اهذا الذي بعث الله رسولا} محكي بعد قول
مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية
الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا الذي زعم انه بعثه الله رسولا {ان كاد} انه كاد
{ليضلنا عن آلهتنا} ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد
مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات {لولا ان صبرنا عليها} ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها
ولولا في مثله تقييد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ {وسوف يعلمون حين يرون
العذاب من اضل سبيلا} كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب
له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم {ارايت من اتخذ الهه هواه} بان اطاعه
وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به {افانت تكون
عليه وكيلا} حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب
والثاني للانكار {ام تحسب} بل اتحسب {ان اكثرهم يسمعون او يعقلون} فتجدي لهم الآيات
والحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص
الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة {ان هم
الا كالانعام} في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل
والمعجزات {بل هم اضل سبيلا} من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن
يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة
الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد
المضار لانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء

عن التعلق بالمفعول بخلاف ضربنا له فان مفعولا — سعدي چلبي

لان الرجاء في لغة التهامية بمعنى الخوف

قوله والاشارة للاستحقار وذلك لانه موضوع للبعيد والنبي عليه اكمل التحية حين ما قالوا كيت وكيت وذيت وذيت حاضر وهذا تنزيل القرب المكاني منزلة البعد المكاني تبعيدا عن الرسالة كما يجيء ذلك بهذا الاسلوب للتعظيم كما مر مرارا

ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها
غير متمكنة عن طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب
على تقصيرهم {الم تر الى ربك} الم تنظر الى صنعه {كيف مد الظل} كيف بسطه او الم تنظر الى الظل
كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة
حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد
المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل فيما بين طلوع الفجر والشمس
وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر بها الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو
ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود {ولو شاء لجعله ساكنا} ثابتا من السكنى
او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد {ثم جعلنا الشمس عليه دليلا} فانه لا يظهر
للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها {ثم
قبضناه الينا} اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته
بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف {قبضا يسيرا} قليلا قليلا حسب ما ترتفع الشمس لينتظم بذلك
مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل
مبادي اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها
ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا اياه
كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه
الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض
اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها {وهو الذي جعل لكم الليل لباسا} شبه ظلامه
باللباس في ستره {والنوم سباتا} راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا
كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت {وجعل النهار نشورا}
ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات فيكون اشارة
الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك
تموت فتنشر {وهو الذي ارسل الرياح} وقرا ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس {نشرا} ناشرات
للسحاب جمع نشور وقرا ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه
مصدر وصف به وعاصم بشرا بتخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر {بين يدي رحمته} يعني قدام المطر

ارادة مطلق الظل ويدخل فيه الليل وهو ظل الارض مده الله سبحانه على سائر الارض وهو ظل عن الشمس لو احتجبت — كشف

اعتراض الفاضل المحشي سعدي ههنا ليس بواقع فتامل فانه دقيق جدا — منه

فعلى هذا التقدير لا يلاحظ في الكلام شيء من المحذوفات

لا يتحرك بل يبقى دائما وهذا هو معنى قوله تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة — كشف الاسرار

اشارة الى انه للتراخي في الرتبة

ولما كان الليل من جنس الظل قال وهو الذي — كشف

من الهموم القلبية والاشغال البدنية وهذه نعمة لا يعرفها الا من فقد النوم — كشف

وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما
يتوضأ به ويوقد به قال عليه السلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه
ان يغسل سبعا احديهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين لكنه
قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعارا
بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها
على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات
وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه
مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي
وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام
غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع
ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام
قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما
قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل
اسقاه جعله سقيا واناسي بحذف الياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان
اصله اناسين فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في هذا
القران وسائر الكتب والمطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات
المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عام بامطر من عام ولكن الله
قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية او في الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا و
يعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى
اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء
كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء
وسايط وامارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف
عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على
سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين
فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقران او بترك طاعتهم الذي

يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة
باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان
مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث
الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان
من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج
بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا
من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ للمتعوذ عنه وقيل
حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد
بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فيكون
القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت ان
تتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا
من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا
اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا
ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين
ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من
دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان
بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت
به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا
ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسألكم عليه اي على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا
ونذيرا من اجر الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه
ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود
فعله او استثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك
نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا
بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن

من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في الاستكفاء عن
شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه حقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم
اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه
باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها
وما بطن خبيرا مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا
بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامر
فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن
خبر للذي ان جعلته مبتدأ وللمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ
بالجر صفة للحي فاسأل به خبيرا فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو
الله تعالى او جبريل عليه السلام او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير
للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا
مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن
لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى او لانهم ظنوا انه اراد به غيره
ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرناه يعني تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان
وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم
لبعض وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء
بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل
لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا
وقرأ حمزة والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ قمرا اي
ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل
فيه او بان يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة
لمن اراد ان يذكر ان يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات

رحيم

رحيم على العباد او اراد شكورا ان يشكر الله تعالى على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين
للذاكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر
بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن مبتدأ خبره اولئك
يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او
لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا
مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم
ولا تنافيه آية القتال لتنسخه فان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد
من الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر اجري مجراه والذين يقولون ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان
بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون
الى الله تعالى في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت
مستقرا ومقاما اي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف
به ترتبط الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة
الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله تعالى والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف
هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ الكوفيون ونافع وابن عامر بضم الياء من اقتر
وقرئ بالتشديد والكل واحد وكان بين ذلك قواما وسطا عدلا سمي به لاستقامة
الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص
وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني
لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين
لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها
الا بالحق متعلق بالفعل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي بعد
ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود

للمجموع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال • ومن يفعل ذلك يلق اثاما • جزاء اثم او اثاما باضمار الجزاء وقرئ اياما اى شدائد يقال يوم ذو ايام اى صعب • يضاعف له العذاب يوم القيمة • بدل من يلق لانه فى معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا • وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال وكذلك • ويخلد فيه مهانا • وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف فى يضعف وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا ويضعف العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه • الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات • بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية فى النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا • وكان الله غفورا رحيما • فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات • ومن تاب • عن المعاصى بتركها والندم عليها • وعمل صالحا • يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصى ودخل فى الطاعة • فانه يتوب الى الله • يرجع الى الله تعالى بذلك • متابا • مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذى يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله تعالى او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص • والذين لا يشهدون الزور • لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه • واذا مروا باللغو • ما يجب ان يلغى ويطرح • مروا كراما • معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به • والذين اذا ذكروا بآيات ربهم • بالوعظ او القراءة • لم يخروا عليها صما وعميانا • لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذن واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفى نفى الحال دون الفعل كقوله لا يلقانى زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصى المدلول عليها باللغو • والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين • بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله فى طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين وتوقع لحوقهم به فى الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقوله رأيت منك اسدا وقرأ حمزة وابو عمرو والكسائى وابو بكر

وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم • واجعلنا للمتقين اماما • يقتدون بنا فى امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر فى اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم • اولئك يجزون الغرفة • اعلى مواضع الجنة وهى اسم جنس اريد به الجمع كقوله وهم فى الغرفات آمنون والقراءة بها وقيل هى من اسماء الجنة • بما صبروا • بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات • ويلقون فيها تحية وسلاما • دعاء بالتعمير والسلامة اى يحيهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر يلقون من لقى • خالدين فيها • لا يموتون ولا يخرجون • حسنت مستقرا ومقاما • مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا • قل ما يعبؤ بكم ربى • ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم • لولا دعاؤكم • لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اى عبأ يعبؤ بكم • فقد كذبتم • بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اى الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب • فسوف يكون لزاما • يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم فى النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقى الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية وهى مائتان وسبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم • قرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهرب منها واظهر نونه حمزة لانه فى الاصل منفصل عما بعده • تلك آيات الكتاب المبين • الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر فى اول البقرة • لعلك باخع نفسك •

الامام الذى يقتدى به والجمع امام ايضا ذكره فى القاموس ونظيره هجان فعلم بهذا ان ما ذكره القاضى من التوجيهات لا احتياج اليه

ويمكن ان يجاب عن الاعتراض السابق بان حاصله نعم الا ان العدول عن اللفظ الذى نص فى معنى الجمع ومواتيه الى اللفظ الذى يحتمل كونه مفردا وجمعا ان كان مفردا فوجهه ما ذكره المص ان كان جمعا فلا حاجة الى توجيه تأمل محمد صادق رحمه

يعنى اسم يكون ضمير راجع الى جزاء التكذيب

لان ابدال الياء الفا فى ذوات الياء للهرب عن الياء والامالة تستلزم العود على الاصل

يعنى المراد بالاشارة ان يعلم اسم السورة او القرآن

قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى
حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها
الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا • ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية • دلالة
ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه • فظلت اعناقهم لها خاضعين • منقادين واصله
فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل
لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات
من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف
واكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح • وما يأتيهم من ذكر • موعظة او طائفة من القرآن
من الرحمن • بوحيه الى نبيه • محدث • مجدد • انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير • الا كانوا
عنه معرضين • الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه • فقد كذبوا • اي بالذكر
بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله • فسيأتيهم
اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة • انباء ما كانوا به يستهزؤن • من انه كان
حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره • اولم يروا الى الارض
اولم ينظروا الى عجائبها • كم انبتنا فيها من كل زوج • صنف • كريم • محمود كثير المنفعة وهو صفة
لكل ما يحمد ويرضى وهنا يحتمل ان يكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان يكون مبينة
منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها
ان في ذلك • ان في انبات تلك الاصناف او في كل واحد • لاية • على ان منبتها تام القدرة
والحكمة سابغ النعمة والرحمة • وما كان اكثرهم مؤمنين • في علم الله تعالى وقضائه فلذلك
لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام • وان ربك لهو العزيز • الغالب القادر على الانتقام
من الكفرة • الرحيم • حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن • واذ نادى
ربك موسى • مقدر باذكر او ظرف لما بعده • ان ائت • اي ائت او بان ائت • القوم
الظالمين • بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم • قوم فرعون • بدل من الاول او عطف
بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك • الا يتقون • استئناف
اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات
اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل

بناء على ان الفعل للتجدد والاستمرار

كانه اشارة الى دفع ما يتوهم من ان الظاهر ان يقال فسيأتيهم انباء ما كانوا به يكذبون بدل يستهزؤن

قوله وكل جواب سوال وهو ان كم خبرية وآن هي للتكثير الانواع فجوابها ما ذكر المص
فلا يفيد احدهما ما يفيده الآخر فلذا جمع بينهما

بناء على ان اللام في القوم للعهد ان كان بدل الكل من الكل وان حمل على الجنس فبدل البعض من الكل

اليهم

اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى
لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى
الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا • قال رب اني اخاف ان يكذبون • ويضيق صدري
ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون • رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه في الامر
على الامور الثلثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة في اللسان
بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست
الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته
وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد
عذر منه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة
ما خاف عنه • ولهم علي ذنب • اي تبعة ذنب فحذف المضاف او سمي باسمه والمراد قتل
القبطي وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار لقصته المبسوطة في مواضع • فاخاف ان
يقتلون • به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة
كما ان ذلك استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله • قال كلا فاذهبا باياتنا •
اجابة له الى الطلبتين بوعده للدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال
والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه
قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته • انا معكم • يعني موسى وهرون عليهما
السلام وفرعون عليه اللعنة • مستمعون • سامعون لما يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه
مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامداد الاولياء منهم
مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي
هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو • فأتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين • افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل
والرسالة قال • لقد كذب الواشون ما فهت عندهم • بسر ولا ارسلتهم برسول • ولذلك
ثني تارة وافرد اخرى او لاتحادهما للاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان
كل واحد منا • ان ارسل معنا بني اسرائيل • اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن
معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام قال اي فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك

بناء على ان الف حرف النداء حذف والمنادى ايضا حذف ولما اتصل الكلمة بحرف النداء حذف همزة الوصل في القول ولعل تأخير هذا الوجه لارتكاب الكلفة

ولم يقل معكما لانه مع كل مخلوق كذلك بالنصر والمعية حقيقية من الله تعالى مع خلقه محال كواشي

فانه هو فيه كون الرسول بمعنى الرسالة

جواب سوال مقدر

الم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك
سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم
الى الله تعالى ثلثين ثم بقي بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي
وبخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فِعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز وانت
من الكافرين بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان
يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدا عليه بانه من الكافرين
بالهيئة او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم قال فعلتها اذا
وانا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه
او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب
او الناسين من قوله ان تضل احديهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما حكمة
وجعلني من المرسلين ردا اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة
ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة
لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي وتلك التربية
نعمة تمن علي بها ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب
في وقوعي اليك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي اوتلك نعمة تمنها علي وهي
ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء او
النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها
والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة
كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون وما رب العالمين لما سمع
جواب ما طعن به فيه وراى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدا بالاستفسار
عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع
تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين
الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها
مبدا واجب لذاته وذلك المبدا لا بد وان يكون مبدا لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها
وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك

الواجب

وهو القتل بغير حق وجه الرد ان موهبة الحكم والنبوة
كانت بعد تلك الحادثة ولا تجب عصمة الانبياء
عن امثاله قبل النبوة وقوله قد حا تعليل لقوله
وجه سعدي
ولم تعبدني فلم يجوز ان تمن بترك الظلم كيف

الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه
لاستحالة التركيب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سالته عن حقيقته وهو
يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية
او غير معلوم افتقارها الى مؤثر قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن
ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح
عند التامل قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اساله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه
رسولا على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم انه ياتي بالشمس
من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به
امور الكائنات ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك
لاينهم اولا ثم لما راى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم قال لئن اتخذت الها
غيري لاجعلنك من المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن
المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه بقوله الا
تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا او تولى
امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام في المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم
في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال
اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين صدق دعواي يعني المعجزة
فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته والواو
للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فات به ان كنت من الصادقين في ان لك
بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له من حجة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر
ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر ونزع يده فاذا
هي بيضاء للناظرين روي ان فرعون لما راى الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده قال
ما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملأ
حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في علم السحر
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية
الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى عليه السلام واظهار الاستشعار عن ظهوره

واستيلائه على ملكه. قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما. وابعث في المدائن
حاشرين. شرطا يحشرون السحرة. ياتوك بكل سحار عليم يفضلون عليه في هذا الفن وامال الهاء ابن
عامر وابو بكر والكسائي وقرئ بكل ساحر. فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات
يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة. وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم
في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تابط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد
رب اخا عون بن مخراق. اي ابعث احدهما الينا سريعا. لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي
ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا
موسى عليه السلام. فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم
وانكم اذا لمن المقربين. التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذا على ما يقتضيه
من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان. قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي بعد ما قالوا
له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم
فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق. فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به
من السحر. فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع وقرا حفص تلقف بالتخفيف. ما يافكون
ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية
للمافوك به مبالغة. فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتاتى بالسحر وفيه دليل على ان
منتهى السحر تمويه وتزوير يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر في كل فن نافع وانما بدل الخرور
بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما راوا لم يتمالكوا انفسهم وكانهم اخذوا وطرحوا على
وجوههم وانه تعالى القاهم بما اعطاهم من التوفيق. قالوا امنا برب العالمين بدل من القي
بدل الاشتمال او حال باضمار قد. رب موسى وهرون ابدال للتوضيح ودفع التوهم و
الاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على يديهما. قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي
علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس
على قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق وقرا حمزة والكسائي وابو بكر وروح
ءامنتم بهمزتين. فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف

ولا

ولاصلبنكم اجمعين. بيان له. قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك. انا الى ربنا منقلبون
بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى او بسبب
من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها. انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول
المؤمنين. من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل
للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل
بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقي. واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك
بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا
وقرا نافع وابن كثير ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير. انكم
متبعون. يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا اتبعكم مصبحين
كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون
مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم. فارسل فرعون حين اخبر بسراهم. في المداين حاشرين العساكر
ليتبعوهم. ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة
وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف
والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط
كل سبط منهم قليل. وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا. وانا لجميع حذرون
وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من
شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شانهم حثا عليه واعتذر
بذلك الى اهل المداين كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرا ابن عامر والكوفيون حاذرون
والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر لان
ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اي اقوياء قال احب الصبي السوء من اجل امه
وابغضه من بغضها وهو حادر. او تاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة في اجسامهم
فاخرجناهم بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه. من جنات وعيون وكنوز
ومقام كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية. كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو
مصدر او مثل ذلك المقام الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف
واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتّبعوهم. مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس

فلما ترا اى الجمعان تقاربا بحيث راى كل واحد منهما الاخر وقرى ترارت الفئتان
قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون وقرى لمدّركون من ادرك الشئ اذا تتابع ففنى
اى لمتتابعون فى الهلاك على ايديهم قال كلا لم يدركوكم فان الله تعالى وعدكم الخلاص منهم
ان معى ربى بالحفظ والنصر سيهدين طريق النجاة منهم روى ان مؤمنا من آل فرعون
كان بين يدى موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيكم آل فرعون قال امرت
بالبحر ولعلى اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق
فضرب فانفلق وصار اثنى عشر فرقا بينهن مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل
المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب وازلفنا وقربنا ثم الآخرين
فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك
الهيئة الى ان عبروا ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان فى ذلك لآية واية اية
وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقى فى مصر من القبط
وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم فى اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم على مشركى
العرب نبا ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سالهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق
العبادة قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به
وافتخارا ونظل هنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم
يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرى يسمعونكم
الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها
او ينفعونكم على عبادتكم او يضرون من اعرض عنها قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك
يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجؤا الى التقليد قال
افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب
به الباطل حقا فانهم عدو لى اى هذه الآلهة التى تعبدونها عدو لى اعاديهم انا ولا اعبدهم
يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة
عدوه او ان المغرى بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر فى نفسه
تعريضا لهم فانه انفع فى النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدا بها نفسه ليكون

هذا هو الايمان الصرف من موسى عليه السلام لانه لم يكن عالما بشق البحر وقد صار العدو من هنا والبحر من هنا ولكن هذا الايمان لشق البحر وتم الامر كف

اقول فيه رد لما اثبت السحرة من عزة فرعون بقولهم من عزة فرعون الا انه مستثنى عن حظه مع انه عليه السلام يعلم انهم عبدة اصنام فالاستفهام ليس على حقيقته

اى ما ذكر من المضاف والفعل مع فاعله سعدى

اى فاخبركم واعلمكم مضمون هذا الكلام وجوّز ان يكون ما كنتم مبتدا وقوله فانهم خبره سعدى

لا دلالة فى النظم على هذا المعنى نعم ان الواقع كذلك سعدى

ادعى

ادعى الى القبول وافراد العدو لانه فى الاصل مصدر او بمعنى النسب الا رب العالمين
استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد
الله تعالى الذى خلقنى فهو يهدين فانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش
والمعاد كما قال والذى قدر فهدى هداية مدرجة من مبدا ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها
من جلب المنافع ودفع المضار مبداها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص
دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية
ان جعل الموصول مبتدا وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم
الخلق واستمرار الهداية وقوله والذى هو يطعمنى ويسقين على الاول مبتدا محذوف
الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان
كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمنى
ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان الماكول والمشروب
وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت
من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر فى مقدماته وهى المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة
الى نيل المحاب التى تستحقر دونها الحيوة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض
فى غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط و
الاركان من التنافى والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص
عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذى يميتنى ثم يحيين والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى
يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطلب
لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته
الثلث انى سقيم بل فعله كبيرهم هى اختى ضعيف لانها معاريض وليست خطايا رب هب
لى حكما كمالا فى العلم والعمل استعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق والحقنى بالصالحين
ووفقنى للكمال فى العمل لانتظم به فى عداد الكاملين فى الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب
ولا صغيرة واجعل لى لسان صدق فى الآخرين جاها وحسن صيت فى الدنيا يبقى اثره الى
يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتى يجدد اصل
دينى ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم واجعلنى من ورثة الجنة

لتضمن المبتدا الموصول معنى الشرط وما بعده خبره

اقول فالاولى ان يحمل على النعت بناء على الاخبار بعد العلم بها اوصاف فان الاطعام والاسقاء يدخل فى الهداية

ان جعل الموصول مبتدا فالحكم هو الخبر وان جعل نعتا فهو الاستثناء سعدى

النعيم. في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها. واغفر لابي. بالهداية والتوفيق للايمان
انه كان من الضالين. طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه
انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار
للكفار. ولا تخزني. بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي
لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو
من الخزي بمعنى الهوان ومن الخزاية بمعنى الحياء. يوم يبعثون. الضمير للعباد لانهم معلومون او
للضالين. يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم. لا ينفعان احدا الا
مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته او لا ينفعان الا مال من هذا شانه
وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا
عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اي لا ينفع
غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى لكن سلامة من اتى الله بقلب سليم ينفعه. وازلفت
الجنة للمتقين. بحيث يرونها من الموقف فيتبهجون بانهم المحشورون اليها. وبرزت
الجحيم للغاوين. فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين
ترجيح لجانب الوعد. وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله. اين آلهتكم الذين تزعمون
انهم شفعاؤكم. هل ينصرونكم. بدفع العذاب عنكم او ينتصرون. بدفع العذاب عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون
النار كما قال. فكبكبوا فيها هم والغاوون. اي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير
معناه كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها. وجنود ابليس. متبعوه
من عصاة الثقلين او شياطينه. اجمعون. تاكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده والا
للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله. قالوا وهم فيها يختصمون تالله
ان كنا لفي ضلال مبين. على ان الله تعالى ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب
في قوله. اذ نسويكم برب العالمين. اي في استحقاق العبادة ويجوز ان تكون الضمائر للعبدة
كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم
معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها. وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين.
من الملائكة والانبياء كما للمؤمنين. ولا صديق حميم. اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة

لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة
وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع
كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل. فلو ان لنا كرة. تمني الرجعة واقيم فيه
لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط حذف جوابه. فنكون من المؤمنين. جواب
التمني او عطف على كرة اي لو ان لنا ان نكر فنكون. ان في ذلك. فيما ذكر من قصة ابرهيم
عليه السلام. لآية. لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب
واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية
والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالفته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير
الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى
لهم الى الاستماع والقبول. وما كان اكثرهم. اكثر قومه. مؤمنين به. وان ربك لهو العزيز.
القادر على تعجيل الانتقام. الرحيم. بالامهال لكي يؤمنوا هم او واحد من ذريتهم. كذبت قوم
نوح المرسلين. القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين.
اذ قال لهم اخوهم نوح. لانه كان منهم. الا تتقون. الله فتتركوا عبادة غيره. اني لكم رسول
امين. مشهور بالامانة فيكم. فاتقوا الله واطيعون. فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله.
وما اسألكم عليه. على ما انا فيه من الدعاء والنصح. من اجر ان اجري الا على رب العالمين.
فاتقوا الله واطيعون. فيما امركم كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم
طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص
بفتح الياء في اجري في الكلمات الخمس. قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون. الاقلون
جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب واتباعك فهو جمع تابع كشاهد واشهاد
او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع
المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه ودليلا على بطلانه واشاروا بذلك
الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك. قال وما علمي بما كانوا
يعملون. انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر. ان حسابهم الا على ربي.
ما حسابهم على بواطنهم الا على الله تعالى فانه المطلع عليها. لو تشعرون. لعلمتم ذلك ولكنكم
تجهلون فتقولون ما لا تعلمون. وما انا بطارد المؤمنين. جواب لما اوهم قولهم من استدعاء

طردهم وتوقيفا بانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله • ان انا الا نذير مبين •
كالعلة له اى ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا اعزاء و
اذلاء فكيف يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما على الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان
الواضح فلا على ان اطردهم لاسترضائكم • قالوا لئن لم تنته يا نوح • عما تقول • لتكونن من المرجومين
من المشتومين او المضروبين بالحجارة • قال رب ان قومى كذبون • اظهار لما يدعو عليهم
لاجله وهو تكذيب الحق لا لتخويفهم له واستخفافهم عليه • فافتح بينى وبينهم فتحا • فاحكم بينى وبينهم
من الفتاحة • ونجنى ومن معى من المؤمنين • من قصدهم او شوم عملهم • فانجيناه ومن معه
فى الفلك المشحون • المملو • ثم اغرقنا بعد • بعد انجائه • الباقين • من قومه • ان فى ذلك
لآية • شاعت وتواترت • وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد
المرسلين • انثه باعتبار القبيلة وهو فى الاصل اسم ابيهم • اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون •
انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين
تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب
المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا فى بعض
التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية • اتبنون بكل ريع • بكل مكان
مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها • آية • علما للمارة • تعبثون • ببنائها اذ كانوا يهتدون
بالنجوم فى اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم
او قصورا يفتخرون بها • وتتخذون مصانع • مآخذ الماء • وقيل قصورا مشيدة وحصونا • لعلكم
تخلدون • فتحكمون بنيانها • واذا بطشتم • بسوط او سيف • بطشتم جبارين • متسلطين
غاشمين بلا رافة ولا قصد تاديب ونظر فى العاقبة • فاتقوا الله • بترك هذه الاشياء •
واطيعون • فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم • واتقوا الذى امدكم بما تعلمون • كرره مرتبا على امداد
الله تعالى اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد
على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا
بالانكار فى الا تتقون مبالغة فى الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم بانعام وبنين وجنات
وعيون ثم اوعدهم فقال انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فى الدنيا والآخرة فانه كما قدر
على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوى

اى يدعو الله بانزال العذاب عليهم

سمى الحاكم فتاحا لانه يفتح المستغلق من الحكم او الامر فهو وان دل على الحكم لا يخرج عن معناه الكلى كف

قال المرحوم ابو السعود وحمل الاكثر على قوم نوح بعيد من السداد

جملة حالية من فاعل تبنون

اى تسخر ويفهم منه الاخبار عن حالهم لان من بنى ما لا حاجة له به فهو عابث لانه اذهب ماله وعمره فى ما لا طائل كف

لانهم كانوا يبنون الغرف فى الاماكن العالية ليشرفوا على المارة فيسخرون منهم كواشى

تتقنون الحلو فى الارض كواشى

قوله تعليلا فان نسبة امر الى المشتق يفيد علية المأخذ سعدى

عما نحن عليه وتغيير شق النفى عما يقتضيه المقابلة للمبالغة فى قلة اعتدادهم بوعظه • ان هذا الا
خلق الاولين • ما هذا الذى جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى ونموت
مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اى ما هذا الذى
جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذى نحن عليه من الحيوة والموت
الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها • وما نحن بمعذبين • على ما نحن عليه • فكذبوه فاهلكناهم •
بسبب التكذيب بريح صرصر • ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو
العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتتركون فيما
ههنا آمنين • انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة فى تخلية الله تعالى اياهم واسباب
تنعمهم آمنين ثم فسره لقوله • فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم • لطيف لين
للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع اناث النخل الطف ما يطلع منها كنصل السيف فى جوفه
شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات
او لان المراد بها غيرها من الاشجار • وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين • بطرين او حاذقين
من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ •
فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين • استعير الطاعة التى هى انقياد الامر لامتثال
الامر او نسب حكم الآمر الى امره مجازا • الذين يفسدون فى الارض • وصف موضح
لاسرافهم ولذلك عطف • ولا يصلحون • على يفسدون لانه على خلوص فسادهم • قالوا
انما انت من المسحرين • الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقولهم او من ذوى السحر وهى الرئة
اى من الاناسى اى المراد انه بشر فيكون • ما انت الا بشر مثلنا • تاكيد له • فأت باية
ان كنت من الصادقين • فى دعواك • قال هذه ناقة • اى بعد ما اخرجها الله من الصخرة
بدعائه لما اقترحوها • لها شرب • نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت
وقرئ بالضم • ولكم شرب يوم معلوم • فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموا على شربها • ولا تمسوها بسوء •
كضرب وعقر • فيأخذكم عذاب يوم عظيم • عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب
فعقروها • اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا • فاصبحوا
نادمين • على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك

والاستفهام على هذا التقرير سعدى

اى فسر قوله ما ههنا وما موصولة سعدى

شبه ذلك الطلع فى الصورة نصل السيف

اى عقليا للملابسة بين الامر والآمر سعدى

لان المفسد فى شىء قد يصلح فى غيره وقد يصلح ما افسده والمراد ولا يتولون كف

قوله تاكيد له وعلى الاول يكون استئنافا لبيان علة الحكم الاول يعنى ان دعوى اشتراك بالرسالة مع كونك بشرا مثلنا كلام من علت عقله فلو لم من السحر من لم يتكلم بهذا المقال سعدى

لم تنفعهم • فاخذهم العذاب • اى العذاب الموعود • ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم • فى نفى الايمان عن اكثرهم فى هذا المعرض ايماء بانه لو امن اكثرهم
او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم • كذبت
قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين •
اتاتون من بين ما عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتون الذكران
من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول
كل من ينكح وعلى الثانى الناس • وتذرون ما خلق لكم ربكم • لاجل استمتاعكم • من ازواجكم •
لبيان ما ان اريد به جنس الاناث وللتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم
كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا • بل انتم قوم عادون • متجاوزون عن حد الشهوة حيث
زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون فى المعاصى وهذا من جملة ذلك او احقاء بان
توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة • قالوا لئن لم تنته يا لوط • عما تدعيه او عن نهينا او
عن تقبيح امرنا • لتكونن من المخرجين • من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه
على عنف وسوء حال • قال انى لعملكم من القالين • من المبغضين غاية البغض لا اقف عن الانكار
عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول انى لعملكم قال لدلالته على انه معدود فى زمرتهم مشهور
بانه من جملتهم • رب نجنى واهلى مما يعملون • اى من شؤمه وعذابه • فنجيناه واهله اجمعين • اهل
بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب • الا عجوزا • هى امرأة لوط •
فى الغابرين • مقدرة فى الباقين فى العذاب اذ اصابها حجر فى الطريق فاهلكها لانها كانت
مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقيت فى القرية فانها لم تخرج مع لوط • ثم دمرنا
الآخرين • اهلكناهم • وامطرنا عليهم مطرا • قيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم
فساء مطر المنذرين • اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم
محذوف وهو مطرهم • ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذب اصحاب الايكة المرسلين • الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين يسكنها
طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال • اذ قال
لهم شعيب الا تتقون • ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو

قوله فى نفى الايمان الخ هذا الايماء بهذه القصة سعدى

اى فى وقت ما اخذوا بالعذاب

من شانهم النكح والوطى من ذوى العقول وغيرهم

حال من فاعل تاتون

اى تجامع من الحيوان مطلقا

وهذا حجة لمن يقول بتحريم دبر الزوجة الجارية كواشى

فقوله عادون على هذا المعنى منزل منزلة اللازم سعدى

اى فى القالين من الدلالة على الاستمرار سعدى
فان القلى هو البغض الشديد سعدى

قوله مقدرة فى الباقين يعنى انها وان كانت
من المخرجين خلقا الا انها لما اصيبت فى الطريق
فكانت كانت من الباقين حكما وتقديرا والله
اعلم سعدى

اى من اصحاب الايكة ولعله ما كان من اهل مدين
ولذا قال فى هود والى مدين اخاهم شعيبا
شسالى مرحطه

المقل

المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك
مفتوحة على انها ليكة وهى اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير الالف اتباعا للفظ •
انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين
اوفوا الكيل • اتموه • ولا تكونوا من المخسرين • حقوق الناس بالتطفيف • وزنوا بالقسطاس
المستقيم • بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين
والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف • ولا تبخسوا الناس اشياءهم • ولا تنقصوا
شيئا من حقوقهم • ولا تعثوا فى الارض مفسدين • بالقتل والغارة وقطع الطريق •
واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين • وذوى الجبلة الاولين يعنى من تقدمهم
من الخلائق • قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا • اتوا بالواو للدلالة على انه
جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة فى تكذيبه • وان نظنك لمن الكاذبين • فى
دعواك • فاسقط علينا كسفا من السماء • قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى
من التهديد وقرأ حفص بفتح السين • ان كنت من الصادقين • فى دعواك • قال ربى
اعلم بما تعملون • وبعذابه منزل عليكم ما اوجبه لكم عليه فى وقته المقدر له لا محالة • فكذبوه
فاخذهم عذاب يوم الظلة • على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى
غلت انهارهم فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا • انه كان
عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم •
هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم
له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان
ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم • وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك •
تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار
عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله تعالى والقلب ان اراد به الروح فذاك وان
اراد به العضو فتخصيصه لان المعانى الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه
الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح
الامين جبريل عليه السلام فانه امين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائى

ومنه قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا وهو ذكر
جبله ومعناه الخلقة كشف

قوله اتوا بالواو للدلالة الخ بخلاف قوم صالح فانهم
تركوها للتاكيد او الاستيناف سعدى

اشارة الى ان السماء فى كلامهم بمعنى السحاب سعدى

من حيث اشتماله على الاخبار عن الغيب كما يدل عليه تعليله
سعدى

بتشديد الزاء ونصب الروح والامين • لتكون من المنذرين • عما يؤدي الى عذاب
من فعل او ترك • بلسان عربي مبين • واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق
بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل
وشعيب ومحمد عليهم الصلوة والسلام • وانه لفي زبر الاولين • وان ذكره او معناه لفي الكتب
المتقدمة • اولم يكن لهم آية • على صحة القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم • ان يعلمه علماء
بني اسرائيل • ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء
(اي القرآن او محمد ام سعدي — اي الاستفهام)
وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او
ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن • ولو نزلناه على بعض الاعجمين • كما هو
زيادة في اعجازه او بلغة العجم • فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين • لفرط عنادهم واستكبارهم
او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة
كذلك سلكناه في قلوب المجرمين • والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية
على انه بخلق الله تعالى وقيل للقرآن اي ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به
عنادا • لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم • الملجئ الى الايمان • فيأتيهم بغتة • في الدنيا والآخرة
وهم لا يشعرون • باتيانه • فيقولوا هل نحن منظرون • تحسرا وتأسفا • افبعذابنا يستعجلون • فيقولون
امطر علينا حجارة فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة • افرأيت ان
متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون • لم يغن عنهم تمتعهم
المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه • وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون • انذروا اهلها الزاما
للحجة ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار
او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف
والجملة اعتراضية • وما كنا ظالمين • فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار • وما تنزلت به
الشياطين • كما زعمت المشركون انه من قبيل ما يلقي الشيطان على الكهنة • وما ينبغي لهم
وما يصح لهم ان ينزلوا به • وما يستطيعون • وما يقدرون • انهم عن السمع • لكلام الملائكة
لمعزولون • لانه مشروط بمشاركة في صفاء الذوات وقبول فيضان الحق والانتقاش
بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل
على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة • فلا تدع مع الله الها آخر فتكون

مرض هذا الوجه المرحوم ابو السعود فالاولى هو الوجه الاول فليطلع على ما في تفسيره

يريد من اسلم لانه يقرد غيره اما جنس واحد ولفظ العالم دخل فيه النبي لان كل نبي عالم ك

[illegible]

وهذا اي يستقيم اذا لم يعتبر خصوص النظم كما هو مذهب ابي حنيفة حتى جوز القراءة بالفارسية سنانى رحمه الله

اي في الجمع حيث حذف ياء النسبة
سعدي

اي لكون مفرده اعجميا بياء النسبة لا اعجم جمع جمع السلامة فان افعل فعلا لا يجمع كذلك سعدي

فيه مجاز عقلي كما فصل في محله

قوله فيأتيهم بغتة ان الفاء للتفصيل ويأتيهم العذاب فان التفصيل يعقب الاجمال وللدلالة على الترتيب في الشدة قاله الزمخشري وفيه ان الاليم منطو على تلك الشدة فلا يظهر التعقيب الرتبي بينهما
سعدي

قوله الا لها منذرون جمع منذرون لان من قرية عام في القرى الظالمة كانه قيل وما اهلكنا القرى الظالمة قال ابو حيان يجوز ان يكون المراد منذرون من نبي ومن تبعه من المؤمنين
سعدي

يعني كلامهم الذي هو الوحي ان زل للانبياء سعدي

يوجب التامل في قوله الا من استرق السمع ويحمل على السمع التام بناء على توجيه المصنف فتصير سنانى رحمه الله

كذلك والان فجوار المستضوا ... فيما وراء هذه الصحيفة سنانى رحمه الله

ح

قال اصدق القائلين فلا تدع مع الله الها آخر الآية • اقول ومن الله الاستعانة تصدير الكلام بالنهي عن الشرك مقدمة لانذار عشيرته
بالعذاب بيان ذلك انه تعالى لما بين اولا ان القرآن نزل من عند الله بواسطة جبريل على قلبه عليه الصلوة والسلام ليكون من المنذرين
ثم بين انه لا يمكن ان ينزل بواسطة الشياطين اراد ان يبين كيفية الانذار ويبين المنذر والمنذر به فخاطب رسوله بهذا القول
تعليما له عليه الصلوة والسلام بانك متى اردت انذار احد فقل كذا حتى تكون من المنذرين لان كل نبي من الانبياء كانوا
ينهون امتهم عن الشرك بالانذار بالعذاب ثم شرع تعالى في بيان اولى من يستحق الانذار فقال انذر عشيرتك الاقربين يعني انذرهم
اولا فان الاهتمام بشأنهم اهم فكل من كان قرابته اقوى فانذاره اهم ولما كان النهي عن الاشراك مع الانذار عليه
نهيا عما الفوه وهو اشق على العشيرة امره بخفض الجناح والتواضع لهم ان آمنوا واتبعوا لجبر خاطرهم وليكون سببا لميل غيرهم
الى الايمان والاتباع حيث قال واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اي المؤمنين من عشيرتك ويؤيده ما رواه الشيخان
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه لما نزلت صعد الحديث حيث قال عليه الصلوة والسلام فاني نذير لكم بين يدي عذاب
شديد ثم قال سبحانه وان عصوك يعني وان لم يؤثر فيهم انذارك فلم يؤمنوا بك فتبرأ عنهم ولا تتواضع لهم لفقدان علة
التواضع فيهم ولو خفت من ان تنشأ من تبريك عنهم العداوة فاطمئن وتوكل على العزيز القادر على الانتقام ممن عصاك
الرحيم على من اتبعك الذي يعلم عامة احوالك خصوصا حالك حين قيامك الى التهجد المتسبب عن خلوصك ودعائك الى الله فقط
وبما تلونا عليك تبين ان المراد ليس نهيه عليه الصلوة والسلام عن الشرك لان من علم الله منه الخلوص في العبادة كيف ينهيه
عن الاشراك ولذا قال المفسرون هذا تهييج لازدياد الاخلاص فافهم ويعلم ايضا ترددك في الساجدين الخاشعين من خفض جناحك
للمؤمنين انه هو السميع بما تقوله في تهجدك العليم بنيتك في تقلبك فان قلت فلم لم يقل لمن اتبعك من المؤمنين منهم اي من
عشيرتك وساق الكلام على العموم وايضا لم غير الاسلوب في الشق الثاني حيث لم يقل وتبرأ عن من عصاك قلت في الجواب
عن الاول انه من قبيل فهم التبر الكريستين مع الاشارة الى ان التواضع المأمور به ليس مخصوصا بالمؤمنين من العشيرة بل يعمهم
وغيرهم من المؤمنين المتبعين او نقول اللام عوض عن المضاف اليه او اصله من مؤمنيهم وعن الثاني بان هذا للاشارة الى ان
من انذر فالائق بحاله ترك العصيان والدخول الى الايمان تصورا بانهم في صورة الواقع والعصيان خارج عن خطة الانصاف ومخالف
لاصل الفطرة فلذا صوره في صورة المشكوك ولم يقرع بشركهم حيث قال بريء مما تعملون ولم يقل مما تشركون تنبيها على ان لا
يجترئ بعد انذارك على تلك الجريمة او قصد التعميم اي بريء مما تشركون ومما تقع عليه والله سبحانه اعلم واحكم •
لخواجه اسحق احد افندي من خطه الشريف •

من المعذبين. تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين. وانذر عشيرتك الاقربين
الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام لشانهم اهم روى انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم
فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال
فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين.
لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من
اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان
او المصدقون باللسان. فان عصوك. ولم يتبعوك. فقل اني بريء مما تعملون. مما تعملونه او
من اعمالكم. وتوكل على العزيز الرحيم. الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من
يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط. الذي
يراك حين تقوم. الى التهجد. وتقلبك في الساجدين. وترددك في تصفح احوال المتهجدين
كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا
على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة
او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى
بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته بعد ان عبر عنه بما من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه
تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه. انه هو السميع. لما تقوله. العليم. بما تنويه. هل انبئكم على من
تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم. لما بين ان القران لا يصح ان يكون مما تنزلت به
الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصح ان يتنزلوا عليه من
وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات
لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك وثانيهما قوله
يلقون السمع واكثرهم كاذبون. اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم
ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها
الواقع كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة
ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها
وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك اثيم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء
قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين اي يلقون السمع الى الملأ

ومن يتحقق منه الاتباع لبعض منهم
سعدی

المراد ما سوى المؤمنين وان احتمل الاطلاق
كف

سمى نفسه بهذا ههنا لانه كرر هذه التسمية في هذه السورة عند اهلاك المكذبين والعصاة فكأنه قال فان عصوك فتبرأ منهم وتوكل على الذي اهلك العصاة من الامم السالفة ورحم من آمن منهم
كف

وهم الكهنة الذين كانت تسترق الجن السمع فتلقيه اليهم
كواشى

قوله اي الافاكون يلقون السمع اشارة الى ان الجملة استئناف لبيان حالهم وقت تنزل الشياطين او صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع
سعدی

باضافته الى ضمير راجع الى كل فالمراد ان كلهم كاذبون في اقوالهم مطلقا
ش

قوله باعتبار اقوالهم يعني اقوالهم الخاصة وهي ما يحكون عن الجني
سعدی

الا على قبل ان يرجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم
منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة
لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم • والشعراء يتبعهم الغاوون • واتباع محمد صلى الله
عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله • الم تر انهم فى كل واد
يهيمون • لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم فى النسيب بالحرم والغزل
والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والوعد الكاذب والافتخار بالباطل ومدح
من لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله • وانهم يقولون ما لا يفعلون • فكانه لما كان
اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا فى المعنى بانه مما تنزل به الشياطين وفى اللفظ
بانه من جنس كلام الشعراء تكلم فى القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول
بحال اربابها وقرا نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا • استثناء
للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله تعالى ويكون اكثر اشعارهم فى التوحيد
والثناء على الله تعالى والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم
ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان وكان عليه السلام
يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه السلام قال اهجهم فوالذى
نفسى بيده فهو اشد من النبل • وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون • تهديد شديد لما
فى سيعلم من الوعيد البليغ وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى اى منقلب ينقلبون
اى بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اى
منقلب ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله
وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبى من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم السلام

سورة النمل مكية وهى ثلث وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين • الاشارة الى آى السورة والكتاب المبين اما اللوح
وابانته انه خط فيه ما هو كاين فهو يبينه للناظرين فيه وتاخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه
فى الحجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه
وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه • هدى وبشرى للمؤمنين • حالان من الآيات
والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران او خبران لمحذوف • الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة • الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة • وهم بالآخرة
هم يوقنون • من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته
وانهم الاوحديون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات
هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير
الضمير للاختصاص • ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم • زين اعمالهم القبيحة بان
جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التى وجب عليهم ان يعملوها بترتب
المثوبات عليها • فهم يعمهون • عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع • اولئك الذين لهم
سوء العذاب • كالقتل والاسر يوم بدر • وهم فى الآخرة هم الاخسرون • اشد الناس خسرانا
لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة • وانك لتلقى القرآن • لتؤتاه • من لدن حكيم عليم • اى
حكيم واى عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان
الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هو حكمة كالعقايد والشرايع ومنها ما ليس كذلك
كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم بقوله • اذ قال موسى
لاهله انى آنست نارا • اى اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم • سآتيكم منها بخبر • اى عن حال
الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة
على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ • او آتيكم بشهاب قبس • شعلة نار مقبوسة واضافة
الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او
وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجى فى طه
والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله
تعالى لانه يكاد يجمع حرمانين على عبده • لعلكم تصطلون • رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء
النار العظيمة • فلما جاءها نودى ان بورك • فان النداء فيه معنى القول او بان بورك
على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف

لكنه وجار وهو يخالف غيره في احكام كثيرة. من في النار ومن حولها. من في مكان النار
وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة
ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك الوادي وحواليها من ارض الشام
الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي
كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه
قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام. وسبحان الله رب العالمين. من تمام ما نودي
به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الامر والتعجيب موسى لما دهاه
من عظمته. يا موسى انه انا الله. الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله
بيان له. العزيز الحكيم. صفتان لله تعالى ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر
على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير. والق عصاك.
عطف على بورك اي نودي ان بورك في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق
عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان. فلما رآها تهتز. تتحرك باضطراب. كانها جان.
حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين. ولى مدبرا ولم
يعقب. ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعبه لظنه ان ذلك لامر اريد به
ويدل عليه قوله. يا موسى لا تخف. اي من غيري ثقة لي ومطلقا لقوله. اني لا يخاف
لدي المرسلون. حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق وانهم اخوف الناس اي من الله
تعالى او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه. الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور
رحيم. استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت
منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة
وقصد تعريض موسى عليه السلام بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستانف معطوف
على محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة. وادخل يدك في جيبك. لانه كان مدرعة صوف
لا كم له وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع. تخرج بيضاء من غير سوء. آفة كبرص. في تسع آيات.
في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين
واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف

ولا ينافي ذلك كونه دعاء فانه من الله تعالى يتضمن البشارة ايضا سع

على بناء الفاعل والمفعول سعدي

على تنزيل الفعل منزلة اللازم سعدي

يعني لا يقع منهم الخوف اصلا وقت الوحي لكمال استغراقهم ه

بالارسال

بالارسال فيتعلق به. الى فرعون وقومه. وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا. انهم كانوا
قوما فاسقين. تعليل للارسال. فلما جاءتهم آياتنا. اي بان جاءهم موسى بها. مبصرة. بينة
اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث يكاد تبصر نفسها لو كانت
مما يبصر او ذات بصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي ومبصرة كل
من نظر اليها وتامل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر. قالوا هذا سحر مبين. واضح سحريته.
وجحدوا بها. وكذبوا بها. واستيقنتها انفسهم. وقد استيقنتها لان الواو للحال. ظلما.
لانفسهم. وعلوا. ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا. فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين. وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرة. ولقد آتينا داود وسليمان علما.
طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم. وقالا الحمد لله. عطفه بالواو اشعارا بان
ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله.
الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين. يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل
العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه مما اوتيا من الملك
الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل
عليه كثير. وورث سليمان داود. النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون
سائر بنيه وكانوا تسعة عشر. وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء.
تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق
الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق في التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير
مفردا كان او مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة
ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات
منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه
ولعل سليمان عليه السلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته
والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال عليه السلام يقول
اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا
فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب
والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة

يعني على تقدير ان يكون التقدير في جملتها او معها سع

يعني استعملت صيغة الفاعل في المفعول للمجاز سع

بالانعكاس بسبب جلاء الابصار وصفائها ه

ولم يقل وجحدوا بالانها كان ينبغي ان يكون سببا للايمان فالجحود بها سببا للكفر فيها جحود كف

على ان يكون التنكير للنوعية على ان يكون التنكير للتعظيم

لا بالفاء مع انه الظاهر ليدل على ان حمدهما مترتب على هذه النعمة ه بل على اعطيته فشكرا ومنعه نعم

يعني علم القصار فكثير من المؤمنين ليس لهم هذا العلم سعدي

اي فهم منطقه وليس المراد لغة الطير كف

والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء. ان هذا لهو الفضل
المبين. الذي لا يخفى على احد. وحشر وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون
يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا. حتى اذا اتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى
اما لان اتيانهم كان من عل او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا
ان ينزلوا اخريات الوادي. قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم كانها لما راتهم متوجهين الى الوادي
فرت النملة عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل فتبعتها فشبه
ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق. لا يحطمنكم
سليمان وجنوده. نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا
فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة. وهم لا يشعرون
انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء. وقيل استيناف
اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون. فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها
واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم غرضها
ولذلك سال توفيق شكره. وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك
عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه وقرا البزي وورش بفتح ياء اوزعني
التي انعمت علي وعلى والدي. ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما
نعمة عليه والنعمة عليه ترجع نفعها اليهما سيما الدينية. وان اعمل صالحا ترضيه. تماما للشكر و
واستدامة للنعمة. وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين. في عدادهم الجنة. وتفقد
الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد. فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين.
ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح
له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسال عن صحة ما لاح له. لاعذبنه
عذابا شديدا. كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث النمل ياكله او جعله مع ضده في قفص.
او لاذبحنه. ليعتبر به ابناء جنسه. او لياتيني بسلطان مبين. بحجة تبين عذره والحلف
في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلثة
ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرا ابن كثير او لياتينني بنونين الاولى مفتوحة مشددة.
فمكث غير بعيد. زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرا عاصم بفتح

الكاف

قوله كان من عل بكسر اللام وضمها اي من فوق — سعدي

قوله فصاحت صيحة الفاء للتفصيل والتفسير فلا يلزم التكرار في قوله فتبعتها — سعدي

ثم اطلق الهيئة المنتزعة منها على المنتزعة من حال النملة والنمال على طريق الاستعارة التمثيلية — سعدي

فان قيل كيف يصح ومدلولا الجملتين متخالفان قلت اشار المصنف الى جوابه فانه اذا كانت الجملة الثانية كناية عن النهي عن توقفها بحيث يحطمونها زال المخالفة وحصل الاتحاد في المعنى المراد — سعدي

لما تقدم ان جنوده كانوا يوزعون له كرر اللفظة بعينها اعلاما ان سليمان كان ايضا يوزع الشكر على قدر النعم — كشف

قوله في عدادهم الجنة اشار الى ان مفعول ادخلني محذوف وهو الجنة لئلا يلزم التكرار فان العمل الصالح الذي كالمتحد مع الانخراط في سلك الصالحين اما الدخول في الجنة فمجرد فضل الله ورحمته — سعدي

الكاف. فقال احطت بما لم تحط به. يعني حال سبا وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه على ان في ادنى
خلق الله من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء
باطباق وبغير اطباق. وجئتك من سبا. وقرا ابن كثير برواية البزي وابو عمرو غير مصروف
على تاويل القبيلة او البلدة والقواس بهمزة ساكنة. بنبا يقين. بخبر محقق روي انه عليه السلام
لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا
فوافى صنعاء ظهرا فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه
يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا
فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب
قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها
من ينكرها. اني وجدت امراة تملكهم. يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان والضمير لسبا
او لاهلها. واوتيت من كل شيء. يحتاج اليه الملوك. ولها عرش عظيم. عظيم بالنسبة
اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلثين ذراعا في ثلثين عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين
من ذهب وفضة مكللا بالجواهر. وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله. كانهم
كانوا يعبدونها. وزين لهم الشيطان اعمالهم. عبادة الشمس وغيرها من قبائح افعالهم.
فصدهم عن السبيل. سبيل الحق والصواب. فهم لا يهتدون اليه. الا يسجدوا لله. اي فصدهم
وقرا الكسائي ويعقوب بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا
كقوله. وقالت الا يا اسمع نعظك بخطة. فقلت سميعا فانطق واصيبي. وعلى هذا صح ان
يكون استينافا من الله تعالى او من سليمان عليه السلام والوقف على لا يهتدون ويكون
امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها
وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب. الذي يخرج الخبء
في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون. وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق
السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في
غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء
فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب
والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرا حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء

قوله لما اتم اي قرب اتمامه حتى لا يخالف لما رواه في سورة سبا — سعدي

ان اريد به الحي او القبيلة — سعدي
ان اريد الموضع او البلدة — سع

لان الوجدان لا يستلزم اليقين — ك

لان لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا

اي الا يا صاحبي فحذف الف حرف النداء ثم حذف المنادى ثم لما اتصل الكلمة بحرف النداء حذفت همزة الوصلة — ك

الله لا اله الا هو رب العرش العظيم • الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم • قال سننظر • سنتعرف من النظر بمعنى التأمل • اصدقت ام كنت من الكاذبين • اي ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل • اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم • ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه • فانظر ماذا يرجعون • ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول • قالت • اي بعد ما القي اليها • يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم • لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد في كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به • انه من سليمان • استيناف كانه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي ان الكتاب او العنوان من سليمان • وانه • وان المكتوب او المضمون وقرئتا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه • بسم الله الرحيم الا تعلوا علي • ان مفسرة او مصدرية فتكون بصلتها خبر محذوف اي هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب • واتوني مسلمين • مؤمنين او منقادين وهذا الكلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب على تلك الحالة من اعظم الدلالة • قالت يا ايها الملأ افتوني في امري • اجيبوني في امري الفتوى واذكروا ما تستصوبون فيه • ما كنت قاطعة امرا • ما ابت امرا • حتى تشهدون • الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة • قالوا نحن اولوا قوة • بالاجساد والعدد • واولوا باس شديد • نجدة وشجاعة • والامر اليك • موكول • فانظري ماذا تامرين • من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك • قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها • تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا تدري عاقبتها • وجعلوا اعزة اهلها اذلة • بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر • وكذلك يفعلون • تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله تعالى • واني مرسلة اليهم بهدية • بيان لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي • فناظرة بم يرجع المرسلون • من حاله حتى اعمل بحسب ذلك وروي انها بعثت منذر بن

ثم قول الهدية ادرد دما نقل لهم [illegible]

عمرو في وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظم شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل عليه السلام بالحال فطلب الحق واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية • فلما جاء سليمان • اي الرسول وما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا • قال اتمدونني بمال • خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء • فما اتاني الله • من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه • خير مما اتاكم • فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندي • بل انتم بهديتكم تفرحون • لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتعليله بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها • ارجع • ايها الرسول • اليهم • الى بلقيس وقومها • فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها • لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم • ولنخرجنهم منها • من سبأ • اذلة • بذهاب ما كانوا فيه من العزة • وهم صاغرون • اسراء مهانون • قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها • اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله تعالى من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره • قبل ان ياتوني مسلمين • فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها • قال عفريت • خبيث مارد • من الجن • بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا • انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك • مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار • واني عليه • على حمله • لقوي امين • لا اختزل منه شيئا ولا ابدله • قال الذي عنده علم من الكتاب • اصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبريل او ملك ايده الله تعالى به او سليمان نفسه فيكون التعبير بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في • انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك • للعفريت كانه استبطاه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا

قوله فبين العظيمين بون عظيم مصراع فرد يعني عرش الله تعالى وعرش بلقيس فان عظم عرشها بالنسبة الى عروش امثالها من الملوك وعظم عرش الله تعالى بالنسبة الى السموات والارض سعدي

قوله فالقه اليهم اي الى بلقيس وقومها لانه ذكرهم معها في قوله وجدتها وقومها كواشي

وكانت عالمة بعظم شان سليمان عليه السلام سعدي

اي ردوا جواب كتابي ولا تتكبروا كواشي

قوله ان مفسرة فان في الكتاب معنى القول اي المعنى اي كتابة بشيء هو لا تعلوا فلا تعلوا نهي عطف عليه امر سعدي

جمع عدة وهي ما اعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح جوهري

وكم نقل بهدية لان المراد ارسال اقوام بهدية [illegible]

الجزعة الخرز اليماني وهو الذي فيه سواد وبياض

اي اظهر نفوسهم عندهم القصر على ان يكون الى بمعنى عند سع

على ان يكون المصدر مضافا الى المفعول

على ان يكون مضافا الى الفاعل

حيث علل الانكار بقوله فما اتاني الله خير مما اتاكم

قوله فلنأتينهم الاية اي ان لم ياتوني مسلمين فلا يتوهم انه عليه السلام حنث في يمينه سعدي

التعفير هو التمريغ في التراب سع

على تقدير ان يكون المراد سليمان [illegible]

ثم اراهم انه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب
المنزلة او اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع
موضعه لما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما في قوله • وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا
لقلبك يوما اتعبتك المناظر • ووصفه برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل
طرفك نحو شيء فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه • فلما رآه
اى العرش • مستقرا عنده • حاصلا بين يديه • قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين
من عباد الله • هذا من فضل ربي • تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن
من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان
مثله قد مر في آية الاسراء • ليبلوني أأشكر • بان اراه فضلا من الله تعالى بلا حول مني ولا قوة
واقوم بحقه • ام اكفر • بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه ومحلهما النصب على البدل
من الياء • ومن شكر فانما يشكر لنفسه • لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط به
عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران • ومن كفر فان ربي غني • عن شكره • كريم • بالانعام
عليه ثانيا • قال نكروا لها عرشها • بتغيير هيئته وشكله • ننظر • جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف
أتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون • الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله
تعالى ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس
فلما جاءت قيل اهكذا عرشك • تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة
العقل • قالت كانه هو • ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها • واوتينا
العلم من قبلها وكنا مسلمين • من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار
معجزة لها فقالت واوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك قبل هذه الحالة والمعجزة بما تقدم من
الآيات وقيل انه من كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله
ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التي
لا يقدر عليها غير الله تعالى ولا يظهر الا على يد الانبياء اى واوتينا العلم والقدرة وصحة ما جاء
من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم
من التقدم في ذلك شكرا له • وصدها ما كانت تعبد من دون الله • اى وصدها عبادتها الشمس
عن التقدم الى الاسلام او صدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان • انها كانت

من قوم كافرين • وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اى صدها نشوها
بين اظهر الكفار او التعليل له • قيل لها ادخلي الصرح • القصر وقيل عرصة الدار • فلما رأته حسبته
لجة وكشفت عن ساقيها • روي انه امر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى
من تحته الماء والقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته
ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤق
وأسؤق • قال انه • ان ما تظنينه • صرح ممرد • مملس • من قوارير • من الزجاج • قالت
رب اني ظلمت نفسي • بعبادة الشمس وقيل بظني بسليمان عليه السلام فانها حسبت انه يغرقها
في اللجة • واسلمت مع سليمان لله رب العالمين • فيما امر به عباده وقد اختلف في انه تزوجها
او زوجها بتبع ملك همدان • ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله • بان
اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء • فاذا هم فريقان يختصمون • ففاجؤوا التفرق
والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين • قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة
بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا • قبل الحسنة • قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم
كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ • لولا تستغفرون الله • قبل نزوله • لعلكم ترحمون
بقبولها فانها لا تقبل حينئذ • قالوا اطيرنا • تشاءمنا • بك وبمن معك • اذ تتابعت علينا
الشدائد او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم • قال طائركم • سببكم الذي جاء منه شركم
عند الله • وهو قدره او عملكم المكتوب عنده • بل انتم قوم تفتنون • تختبرون بتعاقب السراء والضراء
والاضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه • وكان
في المدينة تسعة رهط • تسعة انفس وانما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر
انه من الثلاثة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة • يفسدون في الارض ولا
يصلحون • اى شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح • قالوا • اى قال بعضهم لبعض
تقاسموا بالله • امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد • لنبيتنه واهله • لنباغتن صالحا
واهله ليلا وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر
ثم لنقولن • فيه القراءات الثلاث • لوليه • لولي دمه • ما شهدنا مهلك اهله • فضلا ان تولينا
اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا
كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا • وانا لصادقون • ونحلف انا لصادقون او والحال

انا لصادقون فيما ذكرناه اذ الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده
بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثم رجلا بل رجلين. ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا
مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح عليه السلام
في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث
فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك
الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم
وقومهم اجمعين وكان ان جعلت تامة فعاقبة فاعلها وكيف حال وانا دمرناهم استيناف او خبر محذوف
ولا خبر كان لعدم العايد وان جعلتها ناقصة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم
بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية
خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى
الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لآية لقوم
يعلمون فيتعظون وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي
فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او ارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه
اذ قال لقومه بدل على الاول ظرف على الثاني اتأتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون
فحشها من بصر القلب واقتراف القبايح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم
كانوا يعلنون بها فيكون افحش ائنكم لتأتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله
بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون
النساء اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها
لا يميز بين الحسن والقبح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون
عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين
قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله
قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال
قدرته وعظم شانه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والصلوة
على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم

واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة
من الفواحش والنجاة من الهلاك آلله خير اما يشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ
من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو
وعاصم ويعقوب بالياء امن بل امن خلق السموات والارض التي هي اصول الكائنات
ومبادي المنافع وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله تعالى وانزل لكم لاجلكم من السماء
ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه
على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه
غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق
وهو الاحاطة أإله مع الله اغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ
أإلها باضمار فعل مثل اتدعون وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم
قوم يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات
وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب
عليها وجعل خلالها اوساطها انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا يتكون فيها المعادن
وينبع من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا
برزخا وقد مر بيانه في الفرقان أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به امن
يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجأ الى الله تعالى من الاضطرار
وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف
السوء ويدفع عن الانسان ما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها
والتصرف فيها ممن قبلكم أإله مع الله الذي خصكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما
تذكرون اي تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة
للفائدة وقرأ ابو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال امن يهديكم
في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليل اضافها الى البر والبحر
للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح
بشرا بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة
الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية

والقابلية لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب. أإله مع الله بقدر
على مثل ذلك. تعالى الله عما يشركون. تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق.
أمن يبدأ الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها. ومن
يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية. أإله مع الله يفعل ذلك.
قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك. ان كنتم صادقين في اشراككم فان
كمال القدرة من لوازم الالوهية. قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله لما
بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب
والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في
السموات والارض ففيها من يعلم الغيب او ممن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولي
العلم من خلقه وهو موصول او موصوف. وما يشعرون ايان يبعثون. متى ينشرون مركبة
من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة. بل ادرك علمهم في الآخرة. لما نفى عنهم علم الغيب
واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى و
تكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو ان القيمة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي. بل هم
في شك منها. كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا. بل هم منها عمون. لا يدركون دلائلها لاختلال
بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى
الكل والاضرابات الثلاثة تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة
عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم
ادركت الثمرة لانها غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص
بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك
وابو بكر ادرك واصله تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبلى ادرك
وبلى أأدرك وام تدارك وام ادرك وما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه
فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة
على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم. وقال الذين كفروا
أإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون. كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج
لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار

لانه تعالى ليس ممن في السموات والارض لانه تعالى منزه عن المكان

قوله للدلالة على انه تعالى الخ فيجعل سبحانه وتعالى من جنس من في السموات والارض ادعاء لتصحيح هذه الدلالة كما في قوله وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس فالاستثناء منقطع تحقيقا متصل تأويلا والله اعلم سعدي

قوله لا يعلمونه كما ينبغي وانضمام هذا المعنى من دلالة المقام سعدي

والا فمعنى الآية ظاهرا انتهى علمهم في امر الآخرة بانها كائنة لا محالة بسبب تكامل العلم لهم من الحجج والآيات

فصح ارجاع ضمير الجمع في الكل لاضرابية الى من في قوله من في السموات والارض

قوله تنزيلا لاحوالهم كانتفاء علمهم بالآخرة كما ينبغي بعد تكامل اسباب علمها ازل لكن البقاء علمهم بوقت البعث او بالبعث مطلقا اذ لا دليل عليه سعدي

لا بمعنى انتهى وتكامل والاضرابات تنزيل ايضا

فلا وجه الى تقدير المضاف وارتكاب المجاز كما في الوجه الاول لعله انما يرتضيه اذ حينئذ لا تكون الاضرابات على سنن واحد سع

والمراد

والمراد من الاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة وقرأ نافع اذا كنا بهمزة
واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائي اننا لمخرجون على الخبر. لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل
من قبل وعد محمد صلى الله عليه وسلم وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث
اخر فالمقصود به المبعوث. ان هذا الا اساطير الاولين. التي هي كالاسمار. قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين. تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل
بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم. ولا تحزن عليهم على
تكذيبهم واعراضهم. ولا تكن في ضيق. في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان
وقرئ ضيق اي مر ضيق. مما يمكرون. من مكرهم فان الله يعصمك من الناس. ويقولون
متى هذا الوعد. العذاب الموعود. ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم
ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنى وقرئ بالفتح وهو
لغة فيه. بعض الذي تستعجلون. حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد
الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم
وعليه جرى وعد الله ووعيده. وان ربك لذو فضل على الناس. بتأخير عقوبتهم على المعاصي
والفضل والفضيلة الافضال وجمعها فضول وفواضل. ولكن اكثرهم لا يشكرون. لا يعرفون
حق النعمة فيه فلا يشكرون بل يستعجلون العذاب بجهلهم وقوعه. وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم
ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت. وما يعلنون. من عداوتك فيجازيهم عليه.
وما من غائبة في السماء والارض. خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والهاء فيهما للمبالغة
كالراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة. الا في كتاب مبين. بين
او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة. ان هذا القرآن يقص
على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون. كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح
وانه لهدى ورحمة للمؤمنين. فانهم المنتفعون به. ان ربك يقضي بينهم. بين بني اسرائيل بحكمه
بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه. وهو العزيز. فلا يرد قضاؤه. العليم
بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه. فتوكل على الله. ولا تبال بمعاداتهم. انك على الحق المبين. وصاحب
الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره. انك لا تسمع الموتى. تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث
انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع

قوله ليكون لطفا اللطف الامر المقرب الى الايمان بالطاعات والاجتناب عن المعاصي سع

لانه تكون صفة مشبهة ولا بد من تقدير الموصوف وهو امر

والفرق بين تبع وردف ان الشيء اذا كان ردف الشيء كان اقرب ما يكون منه والتابع قد يكون بينه وبين المتبوع مسافة كف

يعني انه ليس من عادتهم العجلة في شيء سع
فيكون استعارة تبعية تمثيلية

اي على ما عرف من عادة الملوك سع

اي وقوع العذاب الموعود

متعلق بالفعلين على التنازع سع

قوله يقص اي بالتصريح والتنصيص لذلك خص الاكثر بالذكر فلا يخالف قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقوله تبيانا لكل شيء سعدي

يعني بعد تعليله بالعلة الاولى سع

مايتلى عليهم كانّهم شبهوا بالصمّ في قوله • ولا تسمع الصمّ الدعاء اذا ولّوا مدبرين • فانّ اسماعهم
في هذه الحالة ابعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصمّ • وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم • حيث
الهداية لا تحصل الّا بالبصر وقرأ حمزة وحده وما انت تهدى العمى • ان تسمع • اى ما يجدى
اسماعك • الّا من يؤمن بآياتنا • من هو في علم الله كذلك • فهم مسلمون • مخلصون من اسلم
وجهه لله تعالى • واذا وقع القول عليهم • اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب
اخرجنا لهم دابّة من الارض • وهى الجسّاسة روى ان طولها ستون ذراعا ولها اربع قوائم
وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروى انه عليه السلام سئل
من مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام • تكلّمهم • من الكلام
وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروى انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام
فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيضّ وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسودّ
وجهه • انّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون • خروجها وسائر احوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل
القرآن وقرأ الكوفيون انّ الناس بالفتح لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او
حكايتها لقول الله تعالى او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار • ويوم نحشر من كل امّة
فوجا • يعنى يوم القيمة • ممّن يكذّب بآياتنا • بيان للفوج اى فوجا مكذّبين ومن الاولى للتبعيض
لانّ امّة كل نبىّ او اهل كل قرن شامل للمصدّقين والمكذّبين • فهم يوزعون • يحبس اولهم على آخرهم
ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم • حتى اذا جاؤا • الى المحشر • قال أكذّبتم
بآياتى ولم تحيطوا بها علما • الواو للحال اى اكذبتم بها بادى الرأى غير ناظرين فيها نظرا يحيط
علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق والتكذيب او للعطف اى أجمعتم بين التكذيب وعدم
القاء الاذهان لتحققها • امّاذا كنتم تعملون • ام اىّ شىء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت
اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك • ووقع القول
عليهم • حلّ بهم العذاب الموعود وهو كبّهم في النار بعد ذلك • بما ظلموا • بسبب ظلمهم وهو
التكذيب بآيات الله تعالى • فهم لا ينطقون • باعتذار لشغلهم بالعذاب • ألم يروا • ليتحقق
لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص
غير متعيّن بذاته لا يكون الّا بقدرة قاهرة وانّ من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادّة
واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في موادّ الابدان وانّ من جعل النهار ليبصروا فيه سببا

معناه ان عماهم كان عن ضلالتهم اى لم يكن من جهتنا بل من كسبهم ولهذا لم يكن من ضلالتهم ومنه بقوله ان تسمع الّا كشف

لانه لا يجوز ان يكون محمولا على معناه الحقيقى فانما المراد سببه وهو الاحداث فيكون من قبيل ذكر السبب وارادة المسبب

اى جعله سالما لله وخالصا له اختيارا او كسبا لا جبرا او كرها او المجبر لا يخالف الى نهى كشف

منصوب باذكر مقدرا

من اسباب معاشهم لعله لا يخل بامر مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم • انّا جعلنا الليل
ليسكنوا فيه • بالنوم والقرار • والنهار مبصرا • فانّ اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار
حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها • انّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون •
لدلالتها على الامور الثلثة • ويوم ينفخ في الصور • في الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث
الجيش اذا نفخ في البوق • ففزع من في السموات ومن في الارض • من الهول وعبّر عنه بالماضى
لتحقق وقوعه • الّا من شاء الله • ان لا يفزع بان يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل
وقيل الحور العين والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرّة ولعلّ المراد ما يعمّ
ذلك • وكلّ اتوه • حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرأ حمزة و
حفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه لتوحيد لفظ الكلّ • داخرين • صاغرين وقرئ دخرين • وترى
الجبال تحسبها جامدة • ثابتة في مكانها • وهى تمرّ مرّ السحاب • في السرعة وذلك لانّ الاجرام
الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبيّن حركتها • صنع الله • مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون
الجملة المتقدمة كقوله وعد الله • الذى اتقن كلّ شىء • احكم خلقه وسوّاه على ما ينبغى • انه خبير
بما تفعلون • عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال • من جاء بالحسنة فله
خير منها • اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقى بالفانى وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها اى
حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء • وهم من
فزع يومئذ آمنون • يعنى به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيّب
لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعمّ الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين لانّ المراد
فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وآمن يعدّى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله وقرأ الكوفيون
ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها • ومن جاء بالسيّئة • قيل بالشرك • فكبّت وجوههم في النار •
فكبّوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدى في قوله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة • هل تجزون الّا ما كنتم تعملون • على الالتفات او باضمار القول اى قيل لهم ذلك
انّما امرت ان اعبد ربّ هذه البلدة الذى حرّمها • امر الرسول بان يقول لهم ذلك بعد ما
بيّن المبدأ والمعاد وشرح احوال القيمة اشعارا بانه قد اتمّ الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الّا
الاشتغال بشانه والاستغراق في عبادة ربّه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها
وتعظيم لشانها وقرئ التى حرّمها • وله كلّ شىء • خلقا وملكا • وامرت ان اكون من المسلمين

اى فاى حاجة لهم الى طلب المعجزة وقد راوا مثل هذه الآيات كشف

فان قلت كيف ياتى المؤمن داخرا وهو آمن قلت المؤمن داخر من الله والكافر داخر من عمله كشف

لان مرور الجبال كمرّ السحاب من صنع الله تعالى كواشى

اى المجموع المؤكد والمؤكد

يشير الى ان اسناد الكب الى الوجوه مجاز

اى جعلها حرما آمنا لا ينتهك فيها ولا يظلم احد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها كواشى

المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام • وان اتلو القران • وان واظب على تلاوته لتنكشف
لی حقایقه فی تلاوته شیأ فشیأ او اتباعه وقرئ واتل عليهم اي ان اتل فمن اهتدى باتباعه
اياي في ذلك • فانما يهتدي لنفسه • فان منافعه عائدة اليه • ومن ضل بمخالفتي • فقل انما
انا من المنذرين • فلا علي من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت • وقل
الحمد لله • على نعمة النبوة او على ما علمني ووفقني للعمل به • سيريكم اياته • القاهرة في الدنيا كوقعة
بدر وخروج دابة الارض او في الاخرة • فتعرفونها • فتعرفون انها ايات الله تعالى ولكن
حين لا تنفعكم المعرفة • وما ربك بغافل عما تعملون • فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ
في السبعة بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
سليمان وكذب به وهود وصالح وابرهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوا عليك • نقرأه بقراءة جبريل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله
مجازا • من نبأ موسى وفرعون • بعض نبأهما مفعول • بالحق • محقين • لقوم يؤمنون • لانهم
المنتفعون به • ان فرعون علا في الارض • استيناف مبين لذلك البعض والارض ارض
مصر • وجعل اهلها شيعا • فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او
اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا
عليه • يستضعف طائفة منهم • وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة شيعا
او استيناف وقوله • يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم • بدل منها وكان ذلك لان كاهنا
قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه
لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه • انه كان من المفسدين • فلذلك اجترأ على
قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد • ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من
حيث انهما واقعان تفسير النبأ او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف
مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حين تعلقا استقباليا مع ان منة الله تعالى
بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان يجري مجرى المقارن • ونجعلهم ائمة • مقتدين

في ام

في امر الدارين • ونجعلهم الوارثين • لكل ما كان في ملك فرعون وقومه • ونمكن لهم في الارض
ارض مصر والشام واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق
الامر • ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم • من بني اسرائيل • ما كانوا يحذرون • من ذهاب
ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع • واوحينا
الى ام موسى • بالهام او رؤيا • ان ارضعيه • ما امكنك اخفاؤه • فاذا خفت عليه بان
يحس به • فالقيه في اليم • في البحر يريد النيل • ولا تخافي • عليه ضيعة ولا شدة • ولا تحزني • بفراقه
انا رادوه اليك • عن قريب بحيث تأمنين عليه • وجاعلوه من المرسلين • روي انها لما
ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى عليه السلام
على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية
فارضعته ثلثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها واحدثت
له تابوتا فقذفته في النيل • فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا • تعليل لالتقاطهم اياه
بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي حزنا وهما لغتان
كالعدم والعدم • ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين • في كل شيء فليس ببدع منهم
ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله
بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ
خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ • وقالت امرأة فرعون • اي لفرعون
حين اخرجته من التابوت • قرة عين لي ولك • هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج
من التابوت احباه او لانه كانت لهما ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري
يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرأت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال
لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها • لا تقتلوه • خطاب بلفظ الجمع للتعظيم • عسى ان
ينفعنا • فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه
ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه • او نتخذه ولدا • او نتبناه فانه اهل له • وهم لا يشعرون •
حال من الملتقطين او من القائلة والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطأ في التقاطه
او في طمع النفع منه والتبني له او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يشعرون
انه لغيرنا وقد تبنيناه • واصبح فؤاد ام موسى فارغا • صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة

حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وأفئدتهم هواء أي خلاء لا عقول فيها ويؤيده أنه
قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر أو من الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها
أن فرعون عطف وتبناه. إن كادت لتبدي به إنها كادت لتظهر بموسى أي بأمره وقصته من فرط
الضجر أو الفرح بتبنيه. لولا أن ربطنا على قلبها بالصبر والثبات. لتكون من المؤمنين من
المصدقين بوعد الله تعالى أو من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ موسى إجراء
للضمة في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب
لولا محذوف دل عليه قبله. وقالت لأخته مريم. قصيه اتبعي أثره وتتبعي خبره. فبصرت به
عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه. وهم لا يشعرون أنها تقص
أو أنها أخته. وحرمنا عليه المراضع ومنعناه أن يرتضع من المرضعات جمع مرضع أو مرضع
وهو الرضاع أو موضعه يعني الثدي. من قبل من قبل قصها أثره. فقالت هل أدلكم على أهل
بيت يكفلونه لكم لأجلكم. وهم له ناصحون. لا يقصرون في إرضاعه وتربيته روي أن هامان لما
سمعه قال إنها لتعرفه وأهله خذوها حتى تخبر بحاله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون
فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأتت بأمها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها
استأنس والتقم ثديها فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك فقالت إني امرأة
طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها فرجعت به إلى بيتها من
يومها وهو قوله. فرددناه إلى أمه كي تقر عينها. بولدها. ولا تحزن. بفراقه. ولتعلم أن وعد
الله حق. علم مشاهدة. ولكن أكثرهم لا يعلمون. أن وعد الله حق فيرتابون فيه أو أن الغرض الأصلي
من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون.
ولما بلغ أشده. مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوؤه وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة فإن العقل
يكمل حينئذ وروي أنه لم يبعث نبي إلا على رأس الأربعين. واستوى. قده أو عقله. آتيناه حكما
نبوة. وعلما. بالدين أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه
وهو أوفق لنظم القصة لأنه استنبئ بعد الهجرة في المراجعة. وكذلك. ومثل ذلك الذي
فعلنا بموسى وأمه. نجزي المحسنين. على إحسانهم. ودخل المدينة. ودخل مصر آتيا من قصر فرعون
وقيل منف أو حابين أو عين الشمس من نواحيها. على حين غفلة من أهلها. في وقت لا يعتاد
دخولها أو لا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين. فوجد فيها رجلين

بقوله إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين
سنان چلبي

قوله علمها بذلك لأنه أمر ديني وما سواه من قرة
العين وذهاب الحزن فتبع سعدي

يقتتلان

يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه. أحدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو إسرائيل والآخر
من مخالفيه وهم القبط والإشارة على الحكاية. فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه
فسأله أن يغيثه بالإعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ استعانه. فوكزه موسى. فضرب القبطي
بجمع كفه وقرئ فلكزه أي فضرب به صدره. فقضى عليه. فقتله وأصله أنهى حياته من قوله وقضينا
إليه ذلك الأمر. قال هذا من عمل الشيطان. لأنه لم يؤمر بقتل الكفار أو لأنه كان مأمونا فيهم
فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وإنما عده من عمل الشيطان وسماه
ظلما واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم. إنه عدو مضل مبين.
ظاهر العداوة. قال رب إني ظلمت نفسي. بقتله. فاغفر لي. ذنبي. فغفر له. لاستغفاره.
إنه هو الغفور. لذنوب عباده. الرحيم. بهم. قال رب بما أنعمت علي. قسم محذوف الجواب
أي أقسم بإنعامك علي بالمغفرة وغيرها لأتوبن. فلن أكون ظهيرا للمجرمين. أو استعطاف
أي بحق إنعامك علي اعصمني فلن أكون معينا لمن أدت معاونته إلى جرم وعن ابن عباس رضي الله
عنه أنه لم يستثن فابتلي به مرة أخرى وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة أعين أولياءك
فلن أستعملها في مظاهرة أعدائك. فأصبح في المدينة خائفا يترقب. يترصد الاستقادة.
فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه. يستغيثه مشتق من الصراخ. قال له موسى إنك
لغوي مبين. بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر. فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما.
لموسى والإسرائيلي لأنه لم يكن على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل. قال يا موسى أتريد أن تقتلني
كما قتلت نفسا بالأمس. قاله الإسرائيلي لأنه لما سماه غويا ظن أنه يبطش عليه أو القبطي وكأنه
توهم من قوله أنه الذي قتل القبطي بالأمس لهذا الإسرائيلي. إن تريد إلا أن تكون جبارا
في الأرض. تطاول على الناس ولا تنظر العواقب. وما تريد أن تكون من المصلحين. بين
الناس فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن فلما قال هذا انتشر الحديث وارتقى إلى فرعون وملئه
فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال. وجاء رجل من أقصى
المدينة يسعى. يسرع صفة لرجل أو حال منه إذا جعل من أقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لأن
تخصيصه يلحقه بالمعارف. قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك. يتشاورون بسببك
إنما سمي التشاور ائتمارا لأن كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر. فاخرج إني لك من الناصحين.
اللام للبيان وليس صلة للناصحين لأن معمول الصلة لا يتقدم الموصول. فخرج منها. من المدينة

جمع الكف بالضم والكسر، ضرب
ح

وتعديته بعلى مع أن الأنهاء يتعدى بإلى لأن المعنى
أوقع القضاء
سع

فيه إشارة إلى الجملة إذا وقعت حالا عن النكرة
قدمت عليها وإلا يكون صفة لها ثم إذا كان
من أقصى المدينة صلة لجاء يكون
يسعى صفة بعد صفة

فيصح وقوع الحال منه لأنه تقدمها
عليه

والألف واللام في الناصحين
بمعنى الذي

خايفا يترقب لحوق طالب. قال رب نجني من القوم الظالمين. خلصني منهم واحفظني من
لحوقهم. ولما توجه تلقاء مدين. قبالة مدين قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابرهيم
عليهما السلام ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان. قال عسى ربي ان
يهديني سواء السبيل. توكلا على الله تعالى وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث
طرق فاخذ في اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخرين. ولما ورد ماء مدين. وصل
اليه وهو بئر كانوا يسقون منها. وجد عليه. وجد فوق شفيرها. امة من الناس. جماعة
كثيرة مختلفين. يسقون. مواشيهم. ووجد من دونهم. في مكان اسفل منهم. امرأتين تذودان.
تمنعان اغنامهما من الماء كيلا تختلط باغنامهم. قال ما خطبكما. ما شأنكما تذودان. قالتا لا نسقي
حتى يصدر الرعاء. يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف
المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن
عامر يصدر اي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو جمع كالرخال. وابونا شيخ كبير. كبير السن لا
يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا. فسقى لهما. مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة
يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب
والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها. ثم تولى الى
الظل فقال رب اني لما انزلت الي. لاي شيء انزلت الي. من خير. قليل او كثير وحمله الاكثرون
على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما انزلت الي من خير الدين
صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك.
فجاءته احديهما تمشي على استحياء. اي مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى و
اسمها صفورا او صفراء وهي التي تزوجها موسى عليه السلام. قالت ان ابي يدعوك ليجزيك
ليكافيك اجر ما سقيت لنا. جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية
الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال
انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان
من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم اخذه. فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت
من القوم الظالمين. يريد فرعون وقومه. قالت احديهما. يعني التي استدعته. يا ابت
استأجره. لرعي الغنم. ان خير من استأجرت القوي الامين. تعليل جامع يجري مجرى

وهذه صفة المؤمن انه لا يعامل الا الله ويطلب رزقه من جهة عمله فان العبد يلزمه ان يخدم المولى لكونه عبده لا لكونه مطعما كف

الدليل

الدليل على انه امين مجرب معروف روي ان شعيبا عليه السلام قال لها وما اعلمك
بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه.
قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني. ان تأجر نفسك مني او تكون
لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله. ثماني حجج. ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار
مضاف اي رعية ثماني حجج. فان اتممت عشرا. عمل عشر حجج. فمن عندك. فاتمامه من عندك تفضلا
لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على معينة وبمهر اخر او برعية
الاجل الاول ووعد له ان يوفي الاخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع احتمال
اختلاف الشرائع في ذلك. وما اريد ان اشق عليك. بالزام اتمام العشرة او المناقشة في
مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك
يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورايك في مزاولته. ستجدني ان شاء الله من الصالحين.
في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة. قال ذلك بيني وبينك. اي ذلك الذي
عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه. ايما الاجلين. اطولهما او اقصرهما. قضيت. وفيتك اياه.
فلا عدوان علي. لا تعتدى علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشرة لا اطالب
بالزيادة على الثماني او فلا اكون متعديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات
الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايما
كقوله. تنظرت نصرا والسماكين ايهما. علي من الغيث استهلت مواطره. واي الاجلين ما قضيت
فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي لقضائه وعدوان بالكسر. والله على ما
نقول. من المشارطة. وكيل. شاهد حفيظ. فلما قضى موسى الاجل وسار باهله. بامرأته روي انه
قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا اخر ثم عزم على الرجوع. آنس من جانب الطور
نارا. ابصر من الجهة التي تلي الطور. قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر. بخبر الطريق.
او جذوة. عود غليظ سواء كانت في رأسه نار او لم تكن قال كثير. باتت حواطب ليلى يلتمسن لها
جزل الجذى غير خوار ولا دعر. وقال. والقى على قبس من النار جذوة. شديدا عليها حرها والتهابها
ولذلك بينه بقوله. من النار. وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات. لعلكم تصطلون.
تستدفئون. فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن. اتاه النداء من الشاطئ الايمن
لموسى عليه السلام. في البقعة المباركة. متصل بالشاطئ او صلة لنودي. من الشجرة. بدل من شاطئ

قوله يشق عليك اعتقادك اي يجعله شقين تارة يعتقد اطاقته وتارة يعتقد عدمها وكذلك رايك في مزاولته سعدي

اشارة الى ان تعديته بعلى لتضمنه معنى الشهادة سع

قوله ولذلك اي الاستعمالها في الذي ليس فيه نار ايضا بينه بقوله من النار فلو اختصت بما في راسه نار لم يحتج الى البيان وبيانها بالنار وهي غيرها للمبالغة وفيه تأمل لانه يجوز ان يكون من للابتداء والمراد بالنار هي المعهودة التي آنسها سعدي

بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ. ان يا موسى اى يا موسى. انى انا الله رب
العالمين. هذا وان خالف ما فى طه والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود. وان الق عصاك
فلما رآها تهتز اى فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز كانها جان فى الهيئة
والجثة او فى السرعة. ولى مدبرا منهزما من الخوف. ولم يعقب ولم يرجع يا موسى. نودى
يا موسى. اقبل ولا تخف انك من الآمنين. عن المخاوف فانه لا يخاف لدى المرسلون اسلك
يدك فى جيبك ادخلها. تخرج بيضاء من غير سوء. عيب. واضمم اليك جناحك يديك
المبسوطتين تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما
فى الجيب فيكون تكرير الغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدو واظهار جرأة ومبدأ الظهور
معجزة ويجوز ان يكون المراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة
من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمان ضمهما اليه. من الرهب من اجل
الرهب اى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى
وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات.
فذانك. اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس. برهانان حجتان
وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال
برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن. من ربك. مرسلا. الى فرعون وملائه
انهم كانوا قوما فاسقين. فكانوا احقاء بان نرسلك اليهم. قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف
ان يقتلون. بها. واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا. معينا وهو فى الاصل اسم
ما يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف. يصدقنى. بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة.
انى اخاف ان يكذبون. ولسانى لا يطاوعنى المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره و
توضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى بالرفع على انه
صفة والجواب محذوف. قال سنشد عضدك باخيك. سنقويك به فان قوة
الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد
ونجعل لكما سلطانا. غلبة او حجة. فلا يصلون اليكما. باستيلاء او حجاج. بآياتنا متعلق
بمحذوف اى اذهبا بآياتنا او بنجعل اى نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون منهم بآياتنا
او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون فى قوله. انتما ومن اتبعكما الغالبون. بمعنى انه صلة

فالخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك
ابو السعود

لان هرون لما كان سببا لتصديق القوم
موسى عليه السلام بفصاحته لسانه وتبيين مراد
موسى عليه السلام لهم ينبغى اسناد التصديق
الى هرون اسناد الشئ الى سببه

ويقال للضعيف هو يد بلا عضد كواشى

لما بينه

لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى. فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات
قالوا ما هذا الا سحر مفترى. سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله تعالى او سحر
موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر. وما سمعنا بهذا. يعنون السحر او ادعاء النبوة. فى آبائنا
الاولين. كائنا فى ايامهم. وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده. فيعلم انى محق
وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية
القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد. ومن تكون له عاقبة الدار. العاقبة
المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة
والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما هو بالعرض وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء. انه
لا يفلح الظالمون. لا يفوزون بالهدى فى الدنيا وحسن العاقبة فى العقبى. وقال فرعون
يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى. نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضى
الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله. فاوقد لى يا هامان
على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى. كانه توهم انه لو كان لكان جسما فى السماء
يمكن الترقى اليه ثم قال. وانى لاظنه من الكاذبين. او اراد ان يبنى له رصدا يترصد منها اوضاع
الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم
كقوله تعالى أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص
العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم
الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة
مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط الكلام. واستكبر هو وجنوده فى
الارض بغير الحق. بغير استحقاق. وظنوا انهم الينا لا يرجعون. بالنشور وقرأ نافع وحمزة و
الكسائى بفتح الياء وكسر الجيم. فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم. كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم
لشان الآخذ واستحقار للمأخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم فى كف فطرحهم فى اليم ونظيره
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه. فانظر
يا محمد صلى الله عليه وسلم. كيف كان عاقبة الظالمين. وحذر قومك عن مثلها. وجعلناهم
ائمة. قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه. يدعون الى النار. الى موجباتها من الكفر

لانه لو كان بمعنى الذى لم يحسن ان يكون صلة له
لانه يلزم تقدمه على الموصول منه

بيان لوجه ارادة الخاص من العام وتجوز افهام
الخصوص من كلمة له فان العاقبة الغير
المحمودة يكون عليه لا له سعدى

فالتعبير بلعل اما لاعتقاده الفاسد ان اطلاع
مبدأ الطريق الى خالق الاشياء او لجهله
لاستحالته منه

قوله مع ما فيه اى فى الامر من تعظم فانه كان وزيره
فامره له بالايقاد على الطين الذى هو عمل اسافل
الناس تعظم منه قوله بيا فى وسط الكلام
فان نداء الحاضر بيا لتبعيد المنادى واظهار
التهاون به كذلك تأخيره الى وسط الكلام
للتهاون به فان التقديم يدل على الاهتمام
المؤذن بالاجلال والاعظام سعدى

والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة
طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين
او ممن قبح وجوههم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
اقوام نوح ولوط وهود وصالح بصائر للناس انوارا لقلوبهم يتبصر بها الحقايق ويميز بين
الحق والباطل هدى الى الشرايع التي هي سبيل الله تعالى ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة
الله تعالى لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه
ما عرفت وما كنت بجانب الغربي يريد الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب
من مقام موسى او الجانب الغربي منه والخطاب للرسول اي ما كنت حاضرا اذ قضينا
الى موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي
اليه او على الوحي اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن
ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا يعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه
بقوله ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر اي لكنا اوحينا اليك لانا انشأنا قرونا
مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرايع واندرست العلوم
فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب و
المؤمنين به تتلو عليهم تقرأ عليهم تعلما منهم آياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك
ومخبرين لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما اعطاه التورية
وبالاول حين ما استنبأه لانهما المذكوران في القصة ولكن رحمة من ربك ولكن علمناك
رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف ما اتاهم من نذير
من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمس مائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل
على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون
ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى
امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها مما اجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر
مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود
بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف
والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا

سلفنا

فائدة في تحقيق كفر فرعون بحيث لا يحتمل تأويلا اذ لا يجوز لعن من مات على الاسلام ستاني رحمه الله

قوله قالوا رحمة الله تعوله رحمه اما من اطلاق المسبب على السبب للمبالغة او على اضمار المضاف اي سبب رحمة سع

اي من مقام موسى ومن البيان سع

قوله وفيه ما عرفت وهو ان الارادة لو وجب المراد فيلزم ان يحصل التذكر للناس وليس كذلك فكم من غير متذكر منهم وفيه رد على الزمخشري في تفسيره بالارادة سع

قوله اي ولكنا اوحينا اليك يعني لكون معجزة لك وتذكيرا لقومك سعدي

قوله وانه لا يصدر عنهم اشارة الى ذكر المعطوف عليه مع كفايته الاقتصار على ذكر المقصود وهو المعطوف ثم اختيار الفاء على الواو في العطف سع

يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم
والزاما للحجة عليهم فنتبع آياتك يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات ونكون من المؤمنين
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب جملة واليد والعصا
وغيرهما اقتراحا وتعنتا او لم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني ابناء جنسهم في الراي والمذهب
وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا ساحران يعنون موسى و
هرون او موسى ومحمدا عليهم السلام تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق وبتوافق الكتابين
وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى
فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام وقالوا انا بكل كافرون اي بكل
منهما او بكل الانبياء قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما نزل على موسى وعلى
واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام
اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط الذي يراد بها الالزام و
التبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك الى الاتيان
بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام
الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا كقوله وداع دعا يا من يجيب الى الندى
فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا الحجة لاتوا بها ومن اضل
ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد او التقييد
فان هوى النفس قد توافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالانهماك في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل
التذكير او في النظم ليتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصايح بالعبر لعلهم يتذكرون
فيؤمنون ويطيعون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل
الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام
والضمير في من قبله للقرآن كالمستكن في وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به اي بانه كلام الله
انه الحق من ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله مسلمين استيناف
آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره
في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن او النبي عليه السلام وتلاوته

قوله اقتراحا مفعول له لقالوا او حال من فاعله والاقتراح طلب الشيء بتحكم ويقال تعنته اي طلب زلته كذا في تاج المصادر سع

قوله يعني ابناء جنسهم ظاهره انه مفسر لفاعل يكفروا فالمعنى اولم يكفروا ولكنك مع رؤية تلك الايات يكفر المقترحون ايضا لاتحادهم في الراي والمذهب لكن حينئذ لا يتناسق الضماير ههنا وفي قوله قل فأتوا بكتاب سعدي

ليس المراد فان لم يجيبوك وذلك لان الاستجابة لما يدعوهم اليه من الايمان والاجابة للكلام لهم كف

لان الغالب مخالفة الهوى للهدى فيلحق النادر بالمعدوم سع

عليهم باعتقادهم صحته في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقران بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقران قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ومن المشركين ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكن اكره ان يقال جزع عند الموت وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ يعقوب ونافع في رواية بالتاء ثمرات كل شيء من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف يعرضهم للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله تعالى اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية ثم لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه

او

او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث في امها في اصلها التي هي اعمالها لان اهلها افطن وانبل رسولا يتلو عليهم آياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدي افلا تعقلون فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخي في الزمان او الرتبة وقرأ نافع وابن عامر في رواية والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا اي اغويناهم فغووا اغواء مثل ما غوينا وهو استئناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاده زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم

بصبرهم على ما كلفوه من شريعة موسى وعلى ما كلفوه من شريعة محمد عليه السلام كف

فيؤتى اجره مرتين بصبره على الطائفتين كف

قوله وما كانت عادته لا يخفى عليك حسن انزاجه مع ما بعده سع

ولما كان معنى الآية المتقدمة على هذه الآية الكريمة ان اهلاك القرى يكون بعد ارسال الرسل اليها وليس به ذلك فدفع هذا المعنى بهذه الآية الكريمة

قوله ان الامر بالعكس يعني انهم خافوا الناس وامنوا من الله واللائق ان يخافوا الله ويأمنوا الناس قوله وكم من اهل قرية على اضمار المضاف او ذكر المحل وارادة الحال وانما جمع الى احد هذين لان قوله فتلك مساكنهم ولانه المناسب لبيان ان الامر بالعكس فقوله بطرت معيشتها على الاول من الاسناد المجازي الى المكان سع

ثم تكد عليهم الانباء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عنهم لا يهتدى اليهم واصله فعموا عن
الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا
اخطأه لم يكن له عليه حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل و[illegible]
اذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى
فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسأل
بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن
وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين عند الله تعالى
وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء
ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى
الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى
منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن
العاطف ويؤيده ما روى انه نزل في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما
موصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير و
الصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد ويزاحم اختياره اختيار وتعالى
عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده وحسده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله
المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه
المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المومنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم
القضاء النافذ في كل شيء واليه ترجعون بالنشور قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض
او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله يأتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم
ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار قل ارأيتم
ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار
فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال ولعله

لم يصف

اشارة بان الانباء استعيرت للذوى الارادة المتوجهين الى شيء واثبت لها العمى بطريق التخييل سع

ولا يأبى عنه القائل بل يؤيده لان عمى الانباء عليهم يجوز ان يكون لفرط الدهشة ايضا كما نبه عليه المصنف سع

قوله كان حقه هل اى في الظاهر وفي هذا التعبير ما لا يخفى من سوء الادب يعني ان هل يطلب بها التصديق وهو المناسب للمقام ظاهرا اى هل يوجد اله غير الله يأتيكم بضياء ولكن اتى بمن الذي يطلب به التعيين على زعمهم تبكيتا لهم سعدى

لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود في نفسه ولا كذلك الليل ولان
منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون لان استفادة
العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
في الليل ولتبتغوا من فضله بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في
ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع
للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله تعالى من الاشراك به او الاول لتقرير فساد رأيهم و
الثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة
شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون
فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع
ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث
بن لاوى وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم
او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل او حسدهم لما روى انه قال لموسى لك
الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شيء الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة
ما ان مفاتحه مفاتيح صناديقه جمع مفتح وهو ما يفتح به الباب وقيل خزائنه وقياس واحدها
المفتح لتنوء بالعصبة اولى القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى وناء به الحمل اذا
اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اى اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء
على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر
والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم
بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندى في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى لا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا
من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين اى بزخارف الدنيا وابتغ فيما
آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة
اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسى نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك
وتأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم عليك
وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض

قوله بما يقابله اى يقابل قوله تسكنون فيه وهو تتحركون او تتصرفون فيه قوله مقصود في نفسه فلو وصف بما يقابله لوهم انه مقصود بالتبع للتوصل اليه سعدى

وقوله وغاب عنهم اه يشير الى ان في ضل استعارة تبعية شبه غيبته بما يفترونه بالضلال سع

قوله فطلب الفضل عليهم اشارة الى ان بغى بمعنى طلب وتعديته بعلى لتضمنه معنى الفضل والفاء فصيحة اى ضل فبغى قوله او تكبر عليهم يقال بغى في مشيه اى اختال قوله او ظلمهم من بغى عليه اى علا وظلم وعدل عن الحق قوله او حسدهم فبغى بمعنى طلب اذ الحسد طلب زوال نعمة المحسود وعلى هذا لا يحتاج الى جعل الفاء فصيحة فان الكرامة يكون سببا للحسد قوله لما روى انه قال الخ فضمير الجمع في عليهم اريد به موسى وهارون على الحقيقة ان كان اقل الجمع اثنان او المجاز وكانه زاد احدى جهتى التغليب عنهما ويكون له سعدى

قوله عنه متعلق بانتقالا المضمر المفسر بالمذكور او بالمذكور فقد يتسع في الظروف ما لا يتسع في غيرها قوله ولذلك اى ولكون الفرح بالدنيا مذموما قوله وعلل عطف على قال تعالى سعدى

وفيه ان هذا الايثار احد حتى يذكر به كع

نهى له عما كان عليه من الظلم والبغي. ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم. قال انما اوتيته
على علم عندي. فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم
في موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل الكيميا وقيل التجارة والدهقنة وساير
المكاسب وقيل علم كنوز يوسف عليه السلام وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك
جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي. اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو
اشد منه قوة واكثر جمعا. تعجيب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه
قراه في التورية وسمعه من حفاظ التواريخ او رد لادعائه العلم وتعظيمه به بنفي هذا العلم منه
اي اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين.
ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون. سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم
يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد
ذلك بان بين انه لم يكن مخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة.
فخرج على قومه في زينته. كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب
ومعه اربعة الاف على زيه. قال الذين يريدون الحيوة الدنيا. على ما هو عادة الناس
من الرغبة. يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون. تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد. انه لذو
حظ عظيم. من الدنيا. وقال الذين اوتوا العلم. باحوال الآخرة للمتمنين. ويلكم. دعاء
بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى. ثواب الله. في الآخرة. خير لمن آمن وعمل صالحا. مما اوتي
قارون بل من الدنيا وما فيها. ولا يلقيها. الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب
فانه بمعنى المثوبة او للجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة. الا الصابرون
على الطاعات وعن المعاصي. فخسفنا به وبداره الارض. روي انه كان يؤذي موسى
عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد
فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها
فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه و
من زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك
فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقال جعل لي قارون جعلا على
ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض

قوله فضلت به اي بالعلم كانه يقول ليست هذه النعم احسان الله تعالى الي بل استوجبته بعلمي واستجلبته بفهمي والعياذ بالله سعدي

اي للمال او اكثر جماعة وحدها والى الاول يشير تقرير المصنف سع

قوله على الطاعات وعن المعاصي لما كان الصبر متضمنا لمعنى الثبات والكف عدى بعد بهما اي الثابتون على الطاعات والكافون انفسهم عن المعاصي سعدي

جذبيه فاخذته الى ركبته ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون
يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه و
عزتي لو دعاني مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره واموالهِ
فما كان له من فئة. اعوان مشتقة من فاوت رأسه اذا ميلته. ينصرونه من دون الله
فيدفعون عنه عذابه. وما كان من المنتصرين. الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر
اذا منعه منه فامتنع. واصبح الذين تمنوا مكانه. منزلته. بالامس. منذ زمان قريب. يقولون
ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر. يبسط ويقدر بمقتضى مشيته لا لكرامة
تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض ويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن
للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الرزق وقيل من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره
ويك اعلم ان الله. لولا ان من الله علينا. فلم يعطنا ما تمنينا. لخسف بنا. لتوليده فينا ما
ولده فيه فخسف به لاجله. ويكأنه لا يفلح الكافرون. لنعمة الله تعالى او المكذبون برسله و
بما وعدوا لهم من ثواب الآخرة. تلك الدار الآخرة. اشارة تعظيم كانه قال تلك التي سمعت
خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر. نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض. غلبة
وقهرا. ولا فسادا. ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون. والعاقبة. المحمودة. للمتقين.
ما لا يرضاه الله تعالى. من جاء بالحسنة فله خير منها. ذاتا وقدرا ووصفا. ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الذين عملوا السيئات. وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد
السيئة اليهم. الا ما كانوا يعملون. اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام مقامه
ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة. ان الذي فرض عليك القرآن. اوجب عليك تلاوته
وتبليغه والعمل به. لرادك الى معاد. اي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك
فيه او مكة التي اعتدت بها على انه من العادة رده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة
للمتقين اكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين ووعده بالعاقبة الحسنى في الدارين
روي انه لما بلغ جحفة في مهاجرته اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت. قل ربي اعلم من جاء
بالهدى. وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم. ومن هو في ضلال
مبين. وما يستحقه من العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق
وكذا قوله. وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب. اي سيردك الى معادك كما القى اليك

اي مثل مكانه بدلالة قوله مثل ما اوتي قارون سع

اي كذب قارون في دعواه ان الذي اوتيه هو جزاء على علمه بل هو من فضل الله ابتلاء له به كف

قوله فلم يعطنا عطف على من الله فهو في حيز ان المصدرية سعدي

قوله ذاتا وقدرا ووصفا اما الخيرية ذاتا فظاهر في اجزية الاعمال البدنية لانها اعراض واجزيتها جواهر وكذا في المالية اذ لا مناسبة بين زخارف الدنيا ونفايس الآخرة في الحقيقة واما قدرا فللمقابلة بعشر امثالها لا اقل واما وصفا فانها ابقى وانقى من الآلام والاكدار سعدي

وهو يعلم فان افعل التفضيل لا ينصب المفعول سع

الکتاب وماکنت ترجوه الا رحمة من ربک ولکن القاه رحمة منه ویجوز ان یکون الاستثناء محمولا علی المعنی کانه قال وما القی الیک الکتاب الا رحمة ای لاجل الترحم ولا تکونن ظهیرا للکافرین بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الی طلبتهم ولا یصدنک عن آیات الله عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت الیک وقری یصدنک من اصد وادع الی ربک الی عبادته وتوحیده ولا تکونن من المشرکین بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهییج وقطع اطماع المشرکین عن مساعدته لهم لا اله الا هو کل شیء هالک الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممکن هالک فی حد ذاته معدوم له الحکم القضاء النافذ فی الخلق والیه ترجعون للجزاء بالحق عن النبی صلی الله علیه وسلم من قرا طسم القصص کان له من الاجر بعدد من صدق موسی وکذب ولم یبق ملک فی السموات والارض الا شهد له یوم القیمة انه کان صادقا

سورة العنکبوت مکیة وهی تسع وستون آیة

بسم الله الرحمن الرحیم

الم سبق القول فیه ووقوع الاستفهام بعده دلیل استقلاله بنفسه او بما یضمر معه احسب الناس الحسبان مما یتعلق بمضامین الجمل للدلالة علی جهة ثبوتها ولذلک اقتضی مفعولین متلازمین او ما یسد مسدهما کقوله ان یترکوا ان یقولوا آمنا وهم لا یفتنون فان معناه احسبوا ترکهم غیر مفتونین لقولهم آمنا فالترک اول مفعولیه وغیر مفتونین من تمامه ولقولهم هو الثانی کقولک حسبت ضربه للتادیب او انفسهم متروکین غیر مفتونین لقولهم آمنا بل یمتحنهم الله بمشاق التکالیف کالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظایف الطاعات وانواع المصایب فی الانفس والاموال لیتمیز المخلص من المنافق والثابت فی الدین من المضطرب فیه ولینالوا بالصبر علیها عوالی الدرجات فان مجرد الایمان وان کان عن خلوص لا یقتضی غیر الخلاص من الخلود فی العذاب روی انها نزلت فی ناس من الصحابة جزعوا من اذی المشرکین وقیل فی عمار قد عذب فی الله وقیل فی مهجع مولی عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمی بسهم یوم بدر فقتله فجزع علیه ابواه وامراته ولقد فتنا الذین من قبلهم متصل باحسب او بلا یفتنون والمعنی ان ذلک سنة قدیمة جاریة فی الامم کلها فلا ینبغی ان یتوقع خلافه فلیعلمن الله الذین صدقوا ولیعلمن الکاذبین فلیتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حالیا یتمیز به الذین صدقوا فی الایمان والذین کذبوا فیه وینوط به ثوابهم وعقابهم ولذلک قیل المعنی

قوله ولکن القاه رحمة یعنی ان الاستثناء منقطع سع
قوله لاجل الترحم فیکون الاستثناء مفرغا من اعم العلل ویجوز ان یکون من اعم الاحوال سعدی

او لا یصح ارتباط تلک الجملة الاستفهامیة بما قبله سعدی

ای فی الذکر فانه لا یجوز الاقتصار علی ذکر احدهما علی ما هو المشهور سع
قوله کقوله ان یترکوا فانه علی التفسیرین الآتیین یشتمل علی المفعولین المتلازمین وعلی ثانیهما علی ما یسد مسدهما سع
وانما قال بصیغة المجهول لان الفتنة من الله قد یکون بایدی الناس کف

ولیمیزن او لیجازین وقری ولیعلمن من الاعلام ای ولیعرفنهم الناس او ولیسمنهم بسمة یعرفون بها یوم القیمة کبیاض الوجوه وسوادها ام حسب الذین یعملون السیئات الکفر والمعاصی فان العمل یعم افعال القلوب والجوارح ان یسبقونا ان یفوتونا فلا نقدر ان نجازیهم علی مساویهم وهو ساد مسد مفعولی حسب وام منقطعة والاضراب فیها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولذلک عقبه بقوله ساء ما یحکمون ای بئس الذی یحکمونه او حکما یحکمونه حکمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من کان یرجو لقاء الله فی الجنة وقیل المراد بلقاء الله الوصول الی ثوابه او الی العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء علی تمثیل حاله بحال عبد قدم سیده بعد زمان مدید وقد اطلع السید علی احواله فاما ان یلقاه ببشر لما رضی من افعاله او بسخط لما سخطه منها فان اجل الله فان الوقت المضروب للقائه لات لجاء واذا کان وقت اللقاء آتیا کان اللقاء کائنا لا محالة فلیبادر ما یحقق امله ویصدق رجاءه او ما یستوجب القربة والرضاء وهو السمیع لاقوال العباد العلیم بعقایدهم وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر علی مضض الطاعة والکف عن الشهوات فانما یجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله لغنی عن العالمین فلا حاجة به الی طاعتهم وانما کلف عباده رحمة علیهم ومراعاة لصلاحهم والذین آمنوا وعملوا الصالحات لنکفرن عنهم سیئاتهم الکفر بالایمان والمعاصی بما یتبعها من الطاعات ولنجزینهم احسن الذی کانوا یعملون ای احسن جزاء اعمالهم ووصینا الانسان بوالدیه حسنا بایتاء فعلا ذا حسن او کانه فی ذاته حسن لفرط حسنه ووصی یجری مجری امر معنی وتصرفا وقیل هو بمعنی قال ای وقلنا له احسن بوالدیک حسنا وقیل حسنا منتصب بفعل مضمر علی تقدیر قول مفسر للتوصیة ای قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعلیه یحسن الوقف علی بوالدیه وقری حسنا واحسانا وان جاهداک لتشرک بی ما لیس لک به علم بالهیة عبر عن نفیها بنفی العلم بها اشعارا بان ما لا یعلم صحته لا یجوز اتباعه وان لم یعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما فی ذلک فانه لا طاعة لمخلوق فی معصیة الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم یضمر قبل الی مرجعکم مرجع من آمن منکم ومن اشرک ومن بر بوالدیه ومن عق فانبئکم بما کنتم تعملون بالجزاء علیه والآیة نزلت فی سعد بن ابی وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتی یرتد ولبثت ثلاثة ایام کذلک وکذا التی فی لقمان والاحقاف

علی اضمار المضاف او علی الاستعارة المصرحة سع

قوله بالهیته علی حذف المضاف واقامة المضاف الیه مقامه سع

ای وقلنا ان جاهداک فیصح عطفه علی وصینا سع

الضح بکسر الضاد المعجمة الموضع الذی یقع علیه ضوء الشمس سع

والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والكمال في الصلاح
منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين او في مدخلهم وهي الجنة ومن الناس
من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس
ما يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر ولئن جاءهم
نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم
ضعيف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين
من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين امنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين
وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان
ذلك خطيئة او ان كان بعث ومواخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع
مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار
رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى للتبيين
والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اثقال ما فعلته
انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصي
من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شيء وليسألن يوم القيمة سوال تقريع وتبكيت
عما كانوا يفترون من الاباطيل التي ضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف
سنة الا خمسين عاما بعد البعث اذ روي انه بعث على راس اربعين ودعا قومه تسعمائة
وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال
العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة
الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابده
من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة فاخذهم الطوفان طوفان الماء وهو
اسم لما طاف بكثرة من سيل وظلام ونحوهما وهم ظالمون فانجيناه اي نوحا واصحاب
السفينة ومن ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل
عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة اية للعالمين يتعظون
ويستدلون بها وابراهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير
ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا اي ارسلناه حين كمل عقله

فيه اشعار بكونه شافعيا والا عند الحنفية العدد نص في مدلوله كما حققه سعدي

وتم

وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر
واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر او كنتم
تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون
افكا وتكذبون كذبا في تسميتها الهة وادعاء شفاعتها عند الله تعالى او تعملونها
وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ
تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت
بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان
على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان
يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له
فاعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره
او مستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا وان تكذبوني
فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب
لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الذي زال معه
الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالاية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم عليه السلام
الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شان النبي عليه السلام وقريش
وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها لتسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك
وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم في قومه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة
ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم يعيده اخبار
بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز
ان يؤول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات
والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من
الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء قل سيروا في الارض حكاية كلام الله تعالى
لابراهيم او محمد عليهما السلام فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال
ثم الله ينشئ النشأة الاخرة بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان

فيه اشارة الى مفعول تخلقون محذوف وافكا مفعول له ٥

من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله تعالى مع ايقاعه
مبتدا بعد اضماره في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة
وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام
في العطف ما مر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والنشاءة كالرأفة . ان الله على كل شيء قدير . لان قدرته
لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة
الاولى . يعذب من يشاء . تعذيبه . ويرحم من يشاء . رحمته . واليه تقلبون . تردون .
وما انتم بمعجزين . ربكم عن ادراككم . في الارض ولا في السماء . ان فررتم من قضائه بالتواري
في الارض او الهبوط في مهاويها والتحصن في السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من
في السماء كقول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء . وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير . يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم . والذين
كفروا بآيات الله . بدلايل وحدانيته او بكتبه . ولقائه . بالبعث . اولئك يئسوا من رحمتي .
اي ييأسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او ايسوا في الدنيا لانكار
البعث والجزاء . واولئك لهم عذاب اليم . فما كان جواب قومه . قوم ابرهيم عليه السلام
له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر . الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه . وكان ذلك قول بعضهم
لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم . فانجاه الله من النار . اي فقذفوه في النار
فانجاه منها بان جعلها عليه بردا وسلاما . ان في ذلك . في انجائه منها . لآيات . هي حفظه
من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها . لقوم يؤمنون .
لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها . وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم
في الحيوة الدنيا . اي لتتوادوا بينكم في الحيوة الدنيا وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني
مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتأويلها
بالمودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة
بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدا
محذوف اي هي مودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية
او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح
بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم . ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا

اي يوم

اي في عطف ثم الله ينشئ اي معطوف على فانظروا

جر بهذه العبارة كما يقتضي الآيات اشارة الى الرحمة

وان كان ممن يستحق العذاب وهذا ابلغ ما فتح من باب الرجاء كف

ويحتمل وما انتم بمعجزين في الارض من فيهما من عباده ولا في السماء من فيها من عنده كف

اي يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم
ضدا . ومأواكم النار وما لكم من ناصرين . يخلصونكم منها . فآمن له لوط . هو ابن اخته واول
من آمن به وقيل آمن به حين رأى النار لم تحرقه . وقال اني مهاجر . من قومي . الى ربي . الى حيث
امرني ربي . انه هو العزيز . الذي يمنعني من اعدائي . الحكيم . الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي
روي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى
الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم . ووهبنا له اسحق ويعقوب . ولدا ونافلة حين
ايس عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل . وجعلنا في ذريته النبوة . فكثر منهم
الانبياء . والكتاب . يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة . وآتيناه اجره . على هجرته الينا
في الدنيا . باعطاء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه
والثناء والصلوة عليه آخر الدهر . وانه في الآخرة لمن الصالحين . لفي عداد الكاملين في الصلاح
ولوطا . عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه . اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة . الفعلة
البالغة في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام
واجمعوا على الاستفهام في الثاني . ما سبقكم بها من احد من العالمين . استيناف مقرر
لفحاشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها
لخبث طينتهم . ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل . وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ
المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان
ما ليس بحرث . وتأتون في ناديكم . في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي الا لما فيه اهله . المنكر
كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح وعدم مبالاة بها وقيل الخذف ورمي البنادق
فما كان جواب قومه الا ان قالوا . استهزاء . ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين .
في استقباح ذلك او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ . قال رب انصرني . بانزال العذاب
على القوم المفسدين . بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال
العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب . ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى . بالبشارة
بالولد والنافلة . قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية . قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى
الاستقبال . ان اهلها كانوا ظالمين . تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو
الكفر وانواع المعاصي . قال ان فيها لوطا . اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة

اسم الفاعل يعمل عمل فعله اذا كان بمعنى الحال والاستقبال

للوجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم ‌• قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ‌• تسليم لقوله
مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهلاك بمن عداه واهله
او تاقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تاخير البيان عن الخطاب ‌• الا امراته كانت من الغابرين
الباقين في العذاب او القرية ‌• ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ‌• جاءته المساءة والغم
بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتاكيد الفعلين واتصالهما ‌• وضاق بهم ذرعا
وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا
اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع ‌• وقالوا ‌• لما راوا
منه اثر الضجرة ‌• لا تخف ولا تحزن ‌• على تمكنهم منا ‌• انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين
وقرا حمزة والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع
الكاف جر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل ‌• انا منزلون
على اهل هذه القرية رجزا من السماء ‌• عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز
اذا ارتجس اي اضطرب وقرا ابن عامر منزلون بالتشديد ‌• بما كانوا يفسقون ‌• بسبب فسقهم ‌• ولقد
تركنا منها آية بينة ‌• هي حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها
كانت باقية بعده وقيل بقية انهارها المسودة ‌• لقوم يعقلون ‌• يستعملون عقولهم في الاستبصار
والاعتبار وهو متعلق بتركنا او آية ‌• والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا
اليوم الآخر ‌• وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى
الخوف ‌• ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة ‌• الزلزلة الشديدة وقيل صيحة
جبريل عليه السلام لان القلوب ترجف لها ‌• فاصبحوا في دارهم ‌• في بلدهم او دورهم ولم يجمع
لامن اللبس ‌• جاثمين ‌• باركين على الركب ميتين ‌• وعادا وثمود ‌• منصوبان باضمار اذكر او فعل
دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرا حمزة ويعقوب وحفص وثمود غير مصروف على تاويل القبيلة ‌• وقد تبين
لكم من مساكنهم ‌• اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم
بها ‌• وزين لهم الشيطان اعمالهم ‌• من الكفر والمعاصي ‌• فصدهم عن السبيل ‌• السوي الذي
بين الرسل لهم ‌• وكانوا مستبصرين ‌• متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين
ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا ‌• وقارون وفرعون وهامان ‌• معطوفات
على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ‌• ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض

وما كانوا سابقين ‌• فائتين بل ادركهم امر الله تعالى من سبق طالبه اذا فاته ‌• فكلا ‌• من المذكورين
اخذنا بذنبه ‌• عاقبنا بذنبه ‌• فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ‌• ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا
رماهم بها كقوم لوط ‌• ومنهم من اخذته الصيحة ‌• كمدين وثمود ‌• ومنهم من خسفنا به الارض ‌•
كقارون ‌• ومنهم من اغرقنا ‌• كقوم نوح وفرعون وقومه ‌• وما كان الله ليظلمهم ‌• ليعاملهم معاملة
الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته تعالى ‌• ولكن كانوا انفسهم يظلمون ‌• بالتعرض
للعذاب ‌• مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء ‌• فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا ‌• كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ‌•
فيما نسجته في الوهن والخور بل ذاك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا او مثلهم بالاضافة الى الموحد
كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب ‌•
وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت ‌• لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه ‌• لو كانوا
يعلمون ‌• يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يكون المراد
ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم
ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء ‌• على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرا البصريان
ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن
للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول
ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين
وعيد لهم ‌• وهو العزيز الحكيم ‌• تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا
بمن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان
الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا وصفه قادر على مجازاتهم ‌• وتلك الامثال ‌• يعني هذا
المثل ونظائره ‌• نضربها للناس ‌• تقريبا لما بعد من افهامهم ‌• وما يعقلها ‌• ولا يعقل حسنها
وفائدتها ‌• الا العالمون ‌• الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه السلام انه تلا
هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله تعالى فعمل بطاعته واجتنب سخطه ‌• خلق الله السموات
والارض بالحق ‌• محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقها افاضة الخير والدلالة
على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ‌• ان في ذلك لآية للمؤمنين ‌• لانهم المنتفعون بها
اتل ما اوحي اليك من الكتاب ‌• تقربا الى الله تعالى وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه

وكانه يعود في الاصل الى الجثمان وهو الجسد
بغير روح كشف

اي لهم بصائر فما اغنت عنهم اذ
كذبوا الرسل كشف

وليس المراد ما يفهم هذا المثل الا العالمون
اذ كل احد يعقل هذا المثال
مرحمه
ولذا قال انما يخشى الله من عباده العلماء

فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه • واقم الصلوة
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر • بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال
بها وغيرها من حيث انها تذكر الله تعالى وتورث للنفس خشية منه روى ان فتى من الانصار
كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف
له فقال عليه السلام ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب • ولذكر الله اكبر • والصلوة اكبر من سائر
الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل فان اشتمالها على ذكره هي العمدة في كونها مفضلة على الحسنات
ناهية عن السيئات او ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته • والله يعلم ما تصنعون •
منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة • ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن •
كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ باية السيف اذ
لا مجادلة اشد منه وجوابه انه اخر الدواء كما قيل آخر الدواء الكي وقيل المراد به ذوو العهد منهم • الا
الذين ظلموا منهم • بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ
العهد ومنع الجزية • وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم • هو من المجادلة بالتي هي احسن
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله
فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم • والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون •
مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله • وكذلك
ومثل ذلك الانزال • انزلنا اليك الكتاب • وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق
لقوله • فالذين اتيناهم الكتاب يومنون به • هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد
الرسول من اهل الكتاب • ومن هولاء • ومن العرب او من اهل مكة او ممن في عهد الرسول
من اهل الكتاب • من يومن به • بالقران • وما يجحد باياتنا • مع ظهورها وقيام الحجة عليها •
الا الكافرون • المتوغلون في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التامل فيما يفيد لهم صدقها لكونها
معجزة بالاضافة الى الرسول كما اشار اليه بقوله • وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك •
فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق
للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد • اذا لارتاب المبطلون • اي
لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم
او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب

لو لم يقل بيمينك لاحتمل انه كان يحسن بخطه ولكنه
لم يفعل فلما قال بيمينك علم ان يمينه لم يكن تخط
كشـ

لوجدانهم

لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر • بل هو
بل القران • آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم • يحفظونه لا يقدر احد على تحريفه
وما يجحد باياتنا الا الظالمون • الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها
حتى لم يعتدوا بها • وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه • مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى
وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات • قل انما الايات عند الله • ينزلها كما يشاء
لست املكها فآتيكم بما تقترحون • وانما انا نذير مبين • ليس من شاني الا الانذار وابانته
بما اعطيت من الآيات • اولم يكفهم • آية مغنية عما اقترحوه • انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم • تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الايات
او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك • ان في ذلك • الكتاب
الذي هو اية مستمرة وحجة بينة • لرحمة • لنعمة عظيمة • وذكرى لقوم يومنون • وتذكرة لمن همه
الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب
فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير
نبيهم فنزلت • قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا • بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغ ما ارسلت
به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت • يعلم ما في السموات والارض • فلا يخفى عليه
حالي وحالكم • والذين امنوا بالباطل • وهو ما يعبد من دون الله • وكفروا بالله • منكم • اولئك
هم الخاسرون • في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان • ويستعجلونك بالعذاب • بقولهم
امطر علينا حجارة من السماء • ولولا اجل مسمى • لكل عذاب او قوم • لجاءهم العذاب • عاجلا •
وليأتينهم بغتة • فجأة في الدنيا كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت بهم • وهم لا يشعرون •
باتيانه • يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين • ستحيط بهم يوم ياتيهم العذاب
او هي كالمحيط بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم •
يوم يغشاهم العذاب • ظرف لمحيطة او لمقدر مثل كيت وكيت • من فوقهم ومن تحت ارجلهم •
من جميع جوانبهم • ويقول • الله تعالى او بعض ملائكته بامره وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان
بالنون • ذوقوا ما كنتم تعملون • اي جزاءه • يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي
فاعبدون • اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث

عبر عن الاستقبال بالحال لتحققه ووقوعه
اي يستعجلونك العذاب
اي يستعجلونك بالعذاب

يمشي لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب
الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد صلى الله عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى
ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها. كل نفس ذائقة الموت.
ينالها لا محالة. ثم الينا ترجعون. للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد وقرأ
ابو بكر بالياء. والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم. لننزلنهم. من الجنة غرفا. علالي وقرأ
حمزة والكسائي لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع
الخافض او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم. تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين.
وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله. الذين صبروا. على اذية المشركين والهجرة
للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق. وعلى ربهم يتوكلون. ولا يتوكلون الا على الله. وكاين
من دابة لا تحمل رزقها. لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها. الله يرزقها
واياكم. ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا
الله تعالى لان رزق الكل بالاسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة
فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا منها معيشة فنزلت. وهو السميع
لقولكم هذا. العليم. بضميركم. ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسئول
عنهم اهل مكة. ليقولن الله. لما تقرر في العقول وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود
فانى يؤفكون. يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك. الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له. يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على وضع الضمير
موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم. ان الله بكل شيء عليم. يعلم مصالحهم ومفاسدهم
ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله. معترفين بانه
الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر
على شيء من ذلك. قل الحمد لله. على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار
حجتك. بل اكثرهم لا يعقلون. فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ للكل ما عداه ثم انهم يشركون
به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم. وما هذه الحيوة الدنيا. اشارة تحقير
كيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة. الا لهو ولعب. الا كما يلهو ويلعب به الصبيان
يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين. وان الدار الآخرة لهي الحيوان. اي دار

الحيوة

لان الظرف المحدود لا بد من دخول في فيه صريحا فلما لم يلزم التشبيه

اذ يشركون به من لا يخلق كف
المضمر من قوله له اي لمن يشاء ان يكون واحدا وفي موضع آخر ويقدر بدون له وهو عام [illegible]

في جميع القرآن اسقط من وهنا باثباتها والعرب يستعمل من لابتداء الغاية فهي تعطي ههنا سرعة
الاحياء من حين الانزال ليكون الاصحاح بما هو ابلغ في القدرة ولهذا قدم مرة بعد مرة ولئن
سالتهم كف

الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر
حيي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء
فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا. لو كانوا يعلمون.
لم يؤثروا عليها الدنيا التي هي اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال. فاذا
ركبوا في الفلك. متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا في
البحر. دعوا الله مخلصين له الدين. كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون
الا الله تعالى ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو. فلما نجيهم الى البر اذا هم يشركون.
فاجاؤوا المعاودة الى الشرك. ليكفروا بما آتيناهم. اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين
بشركهم نعمة النجاة. وليتمتعوا. باجتماعهم على عبدة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على
التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون. فسوف
يعلمون. عاقبة ذلك حين يعاقبون. اولم يروا. يعني اهل مكة. انا جعلنا حرما آمنا. اي
جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل والسبي. ويتخطف الناس من حولهم.
يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب. افبالباطل يؤمنون.
ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون.
وبنعمة الله يكفرون. حيث اشركوا غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق
المبالغة. ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا. بان زعم ان له شريكا. او كذب بالحق لما جاءه.
يعني الرسول والكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتاملوا قط حين جاءهم بل سارعوا
الى التكذيب اول ما سمعوه. اليس في جهنم مثوى للكافرين. تقرير لثوائهم كقوله الستم خير
من ركب المطايا اي لا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله تعالى
وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا
هذه الجراءة. والذين جاهدوا فينا. في حقنا فاطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة
والباطنة بانواعه. لنهدينهم سبلنا. سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم
هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم. وان الله لمع المحسنين. بالنصرة والاعانة قال عليه السلام من قرأ
سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

ولما قدم انهم يعرفون الله قال الفاء لا بالواو كشف

سورة الروم مكية وهي ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في ادنى الارض في ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او
في ادنى ارضهم من العرب اللام بدل من الاضافة. وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر
الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب. سيغلبون في بضع سنين. روي ان
فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من الفرس
فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب
ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال لهم ابو بكر لا يقرن الله اعينكم
فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك
عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها
مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس
يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي وجاء به الى رسول الله فقال تصدق به واستدل
به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والاية من دلائل
النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم
غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون
وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل. لله الامر من قبل ومن بعد
من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو كونهم غالبين اي
له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير
تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا واخرا. ويومئذ ويوم يغلب الروم
يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل
وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل
بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائه بعضا حتى تفانوا فقالوا بنصر
من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى. وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة
ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى. وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد

لا

اقول بقي ههنا شيء وهو انه يكفي ان يقال وهم سيغلبون فما وجه زيادة قوله من بعد غلبهم ويمكن ان يقال انه تعالى اشار بذلك الى ان الروم المغلوبين سيصيرون غالبين من غير ان يلحقهم غوث من طايفة اخرى وذلك لان ذلك المجموع مما لم يكن لهم مغلوبية فلا يصدق حينئذ عليهم وهم من بعد غلبهم فتامل والله الموفق سنيابي رحمه

لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه. ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده ولا صحة
وعده لجهلهم وعدم تفكرهم. يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع
بزخارفها. وهم عن الاخرة التي هي غايتها والمقصود منها. هم غافلون لا يخطر ببالهم
وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد
على تمكن غفلتهم عن الاخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم
وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها
معرفة حقايقها وصفاتها وخصايصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها
وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الاخرة ووصلة الى نيلها
وانموذج لاحوالها واشعار بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا. او
لم يتفكروا في انفسهم او لم يحدثوا التفكر فيها او لم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها
ومرآة يجتلي فيها للمستبصر ما يجتلي له في الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها قدرته
على ابدائها. ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف
يدل عليه الكلام. واجل مسمى ينتهي عنده ولا يبقى بعده. وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء
جزائه عند انقضاء قيام الاجل المسمى او قيام الساعة. لكافرون جاحدون يحسبون ان
الدنيا ابدية وان الاخرة لا تكون. او لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى اثار المدمرين قبلهم. كانوا اشد منهم قوة
كعاد وثمود. واثاروا الارض وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن
وزرع البذور وغيرها. وعمروها وعمروا الارض. اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم
اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون
بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف
في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى واد لا نفع فيه. وجاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات والايات الواضحات. فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما تفعل الظلمة فيدمرهم من
غير جرم ولا تذكير. ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم. ثم كان عاقبة الذين
اساؤا السوأى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة او الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة
على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تانيث الاسوأ كالحسنى وبصيرة

وفي هذا تكذيب لمن يدعي قدم العالم كف

كالبشرى نعت لها. ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن. علة او بدل او عطف
بيان للسوأى وخبر كان او السوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا
الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السوأى صلة الفعل
وان كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وان تكون ان مفسرة لان الاساءة
اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون
عاقبة بالنصب على ان يكون الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة. الله يبدؤا
الخلق. ينشئهم. ثم يعيده. يبعثهم. ثم اليه ترجعون. للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة
في المقصود وقرأ ابو بكر وابو عمرو وروح بالياء على الاصل. ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون.
يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وآيس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس
للتي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته. ولم يكن لهم من شركائهم. ممن اشركوهم بالله
تعالى. شفعاء. يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه. وكانوا بشركائهم كافرين.
يكفرون بآلهتهم حيث يئسوا منه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعوا
وعلموا بني اسرائيل والسوأى بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها. ويوم تقوم
الساعة يومئذ يتفرقون. اي المؤمنون والكافرون لقوله. فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة. ارض ذات ازهار وانهار. يحبرون. يسرون سرورا تهللت له وجوههم. واما
الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون. مدخلون لا يغيبون
عنه. فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين
تظهرون. اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها
قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه
الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار القدرة
والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة
التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله
وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الآية جامعة
للصلوات الخمس تمسون صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر
وتظهرون صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة

ركعتين

عطف تمسون على قوله ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق كف

وفيه اشعار بان قوله وعشيا عطف على قوله في السموات تمسانی م حسله

وانما لم يؤخر عشيا عن قوله وحين تظهرون كما هو كذلك في الوجود الخارجي اشعارا بانها المراد من الصلوة الوسطى تمسانی م حسله

ركعتين في اي وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة
وعنه عليه السلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية
وعنه من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك
ما فاته في ليلته ومن قاله حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون
اي تمسون فيه وتصبحون فيه. يخرج الحي من الميت. كالانسان من النطفة والطائر من البيضة
ويخرج الميت من الحي. النطفة والبيضة او يعقب الحيوة الموت وبالعكس. ويحيي الارض
بالنبات. بعد موتها. يبسها. وكذلك. ومثل ذلك الاخراج. تخرجون. من قبوركم فانه
ايضا يعقب الحيوة الموت وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء. ومن آياته ان خلقكم من تراب.
اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه. ثم اذا انتم بشر تنتشرون. ثم فاجأتم وقت
كونكم بشرا تنتشرون في الارض. ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا. لان حوا خلقت
من ضلع آدم عليهما السلام وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا
من جنس آخر. لتسكنوا اليها. لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف
سبب للتنافر. وجعل بينكم. اي بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس. مودة ورحمة.
بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر المعاش او بان تعيش
الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التوادد والتراحم وقيل المودة كناية
عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله ورحمة منا. ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.
فيعلمون ما في ذلك من الحكم. ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم
بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لا تكاد
تسمع منطقين متساويين في الكيفية. والوانكم. بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء
وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما
واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة. ان في ذلك
لآيات للعالمين. لا يكاد يخفى على عاقل من ملك وانس وجن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده
وما يعقلها الا العالمون. ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله. منامكم في
الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم
وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين

وفيه بعث آخر ولهذا قال وكذلك تخرجون الآية كف

القوى النفسانية لا الطبيعية

وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون. سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة. ومن آياته يريكم البرق. مقدر بان كقوله. الا ايهذا الزاجري احضر الوغا. وان اشهد اللذات هل انت مخلدي. او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله. فالدهر الا تارتان فمنهما. اموت واخرى ابتغي العيش اكدح. خوفا. من الصاعقة او للمسافر. وطمعا. في الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزم المذكور فان اراءتهم يستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها. وينزل من السماء ماء. وقرئ بالتشديد. فيحيي به الارض. بالنبات بعد موتها. يبسها. ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون. يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكوينها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته. ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره. قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة. ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون. عطف على ان تقوم على تاويل مفرد كانه قيل ومن آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه وثم اما لتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى. وله من في السموات والارض كل له قانتون. منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه. وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده. بعد اهلاكهم. وهو اهون عليه. والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيده. وله المثل الاعلى. الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية. الاعلى. الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه في السموات والارض. وصف به ما فيهما دلالة ونطقا. وهو العزيز. القادر الذي لا يعجز

عن ابداء ممكن واعادته. الحكيم. الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته. ضرب لكم مثلا من انفسكم. منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم. هل لكم مما ملكت ايمانكم من مماليككم. من شركاء فيما رزقناكم. من الاموال وغيرها. فانتم فيه سواء. فيكونون انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انه بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي. تخافونهم. ان يستبدوا بتصرف فيه. كخيفتكم انفسكم. كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض. كذلك. مثل ذلك التفصيل. نفصل الآيات. نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها. لقوم يعقلون. يستعملون عقولهم في تدبر الامثال. بل اتبع الذين ظلموا. بالاشراك. اهواءهم بغير علم. جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه. فمن يهدي من اضل الله. فمن يقدر على هدايته. وما لهم من ناصرين. يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها. فاقم وجهك للدين حنيفا. فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به. فطرة الله. خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعدها. التي فطر الناس عليها. خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد الماخوذ من آدم عليه السلام وذريته. لا تبديل لخلق الله. لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير. ذلك. اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة. الدين القيم. المستوي الذي لا عوج فيه. ولكن اكثر الناس لا يعلمون. استقامته لعدم تدبرهم. منيبين اليه. راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الآية خطاب للرسول والامة لقوله. واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين. غير انها صدرت بخطاب الرسول تعظيما له. من الذين فرقوا دينهم. بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به. وكانوا شيعا. فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها. كل حزب بما لديهم فرحون. مسرورون ظنا بانه على الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا. واذا مس الناس ضر. شدة. دعوا ربهم منيبين اليه. راجعين اليه من دعاء غيره. ثم اذا اذاقهم منه رحمة. خلاصا من تلك الشدة. اذا فريق منهم بربهم

التاويل انما ثبت من عطفه على المبتدأ وان لا ان عطف الجملة على المفرد الذي له محل من الاعراب تجاوز شايع

فعلى هذا يكون التراخي في الرتبة

الاول مقدم على الثاني والثاني موخر عنه لفظا وحصولا

كرره ليربط به قوله وهو اهون عليه

ما الاولى تقديم النطق على الدلالة وان المجمول على ان وصفه تعالى بالوصف العجيب الشان ... ولذا قدمه عليه

عن ابدا

والمعنى ذم لفظة منه اعلاما بان ...

يشركون فاجاء فريق منهم الاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم اللام للعاقبة
وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف
تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة
وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم
بالحق او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون في الوهيته
واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة
شدة بما قدمت ايديهم بشوم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجؤا القنوط من رحمته وقرا ابو عمرو
والكسائي بكسر النون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا
في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال
القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم
وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل وما وظف لهما من الزكاة والخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم او لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله
(اي الايتاء خير من المنع كف)
ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك
هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة
او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرا ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا ليربو في
اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرا
نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذا ربا وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله
تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب ونظير
المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة
وقرئ المضعفون بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات
فيه للتعظيم كانه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا بحالهم او للتعميم كانه قال من فعل ذلك
فاولئك هم المضعفون والراجع محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه
اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل
من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام
وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك

يعني كان لهم ان يشكروا فجعلوها سببا للكفر كف

من قولهم اقوى الرجل اذا صار ذا قوة واضعف اذا صار ذا ضعف بفتح الضاد ولكن المضعف ههنا بمعنى ذو ضعف بكسر الضاد اي هم ذوو ضعف من الثواب ابن حميد

تقدسه

تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول
صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية
تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منهما مستقلة
بالتاكيد لتعجيز الشركاء وقرا حمزة والكسائي بالتاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان
وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار والضلالة والظلم
وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم
اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه وفي البحر بان جلندي يأخذ كل سفينة غصبا
ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير
ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين
استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم
وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل
ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق
بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون اي
يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة
ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين
للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون
او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على
فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص
الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل
محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن آياته ان يرسل الرياح
الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس مبشرات
بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة له وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب
عنه او الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار

اذ ارأيت آثارهم الدالة على ما صاروا اليه في عاقبة الامر كشف

المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجرى الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعنى
تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا
الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر
المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم
وعنه عليه السلام ما من امرء مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد نار جهنم عنه
ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا
فيبسطه متصلا تارة فى السماء فى سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق
من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون
على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله فى التارتين
فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعنى بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجئ الخصب
وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم واستحكام
يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لآئسين فانظر الى آثار رحمة الله
اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص
كيف يحيى الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعنى ان الذى
قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيى الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان
فى موادّ ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان من القوى النباتية
هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها
فى بعض الاعوام السالفة وهو على كل شئ قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء
ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا الاثر والزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب
لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده
يكفرون جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآية ناعية على الكفار بقلة
تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوى يقتضى ان يتوكلوا
على الله ويلتجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا
الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا بالاستبشار وان يصبروا
على بلائه اذا ضرب زرعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمته فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم

لما

لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون
اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيئا وقرأ
ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم
المقصود الحقيقى من الابصار او لعمى قلوبهم وقرأ حمزة وحده تهدى العمى ان تسمع الا من
يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقى اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف
للايمان فهم مسلمون لما تأمرهم به الله الذى خلقكم من ضعف اى ابتدأكم ضعفاء وجعل
الضعف اساس امركم كقوله تعالى خلق الانسان ضعيفا اى خلقكم من اصل ضعيف هو
النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم
جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح حمزة وعاصم الضاد فى جميعها
والضم اقوى لقول ابن عمر رضى الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف
فاقرأنى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم ليس عين المتأخر
يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وشيبة وهو العليم القدير فان الترديد فى الاحوال
المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها
تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا ولانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب
للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا فى الدنيا او القبور فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع
عذابهم وفى الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام
غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم فى الآخرة او نسيانا كذلك
مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون فى الدنيا وقال الذين اوتوا
العلم والايمان من الملائكة ومن الانس لقد لبثتم فى كتاب الله فى علمه وقضائه او ما كتبه
لكم اى اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون الى يوم البعث ردوا بذلك
ما قالوه وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذى انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم
فى النظر والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اى فقد تبين
بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى
العذر او لان تأنيثها غير حقيقى وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضى
اعتابهم اى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان

مرتبط بقوله الله الذى يرسل
الرياح كف

ولم يقل وشيبا لتعرف اذا حصلت ولو شيبة
واحدة فى شعرة فقد بدا الضعف المؤدى
الى الهرم الذى فعل هذا كف

لا يكون ايمان الا معه اذ من آمن فقد علم ومن علم
آمن بلا شك فان لم يصدقه عمله كان
مؤمنا فاسقا كف

اى غير علم اذ من علم آمن بلا شك والعلم
يريد به الضرورى وهو ما يحصل به الايمان
لا غير كف

فاعتبه اى استرضانى فارضيته • ولقد ضربنا للناس فى هذا القران من كل مثل • ولقد
وصفناهم فيه بانواع الصفات التى هى فى الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة
وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم
من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول عليه السلام • ولئن جئتهم باية • من آيات
القرآن ليقولن الذين كفروا • من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم • ان انتم • يعنون الرسول
والمؤمنين • الا مبطلون • مزورون • كذلك • مثل ذلك الطبع • يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون • لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع
ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق • فاصبر • على اذاهم • ان وعد الله • بنصرتك واظهار دينك
على الدين كله • حق • لا بد من انجازه • ولا يستخفنك • ولا يحملنك على الخفة والقلق • الذين
لا يوقنون • بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب
بتخفيف النون وقرئ بالقاف ولا يستحقنك اى لا يزيغنك فيكونوا احق بك من المؤمنين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد كل ملك سبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع فى يومه وليلته
سورة لقمن مكية وقيل الا الآية وهى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة
وهو ضعيف لانه لا ينافى شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلثا من قوله ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام

غايته ما فى الباب ان لا يكونا على سبيل الوجوب ستانى مرحله

سورة لقمن مكية وهى اربع وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب الحكيم • سبق بيانه فى يونس • هدى ورحمة للمحسنين • حالان
من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف • الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون • بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه
الثلثة من شعبه لفضل اعتدادها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره • اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون • لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح • ومن
الناس من يشترى لهو الحديث • ما يلهى عما يعنى به كالاحاديث التى لا اصل لها والاساطير
التى لا اعتبار فيها والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهى تبيينية ان اراد
بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم وقيل نزلت فى النضر بن الحارث اشترى كتب

الاعاجم

الاعاجم وكان يحدث قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث رستم واسفنديار
والاكاسرة وقيل كان يشترى القينات ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه •
ليضل عن سبيل الله • دينه او قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله
ويزيد فيه • بغير علم • بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القران • ويتخذها
هزوا • اى يتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائى ويعقوب وحفص عطفا على ليضل •
اولئك لهم عذاب مهين • لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه • واذا تتلى عليه آياتنا
ولى مستكبرا • متكبرا لا يعبأ بها • كأن لم يسمعها • مشابها حاله حال من لم يسمعها • كأن
فى اذنيه وقرا • مشابها من فى اذنيه ثقل لا يقدر على ان يسمع والاولى حال من المستكن فى ولى
او فى مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن فى لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين •
فبشره بعذاب اليم • اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرأ نافع فى اذنيه وذكر البشارة
على التهكم • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم • اى لهم نعيم جنات فعكس
للمبالغة • خالدين فيها • حال من الضمير فى لهم او من جنات النعيم والعامل ما تعلق به اللام •
وعد الله حقا • مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله لهم جنات
وعد وليس كل وعد حقا • وهو العزيز • الذى لا يغلبه شئ فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده •
الحكيم • الذى لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته • خلق السموات بغير عمد ترونها • استئناف
وقد سبق فى الرعد • والقى فى الارض رواسى • جبالا شوامخ • ان تميد بكم • كراهة ان
تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضى تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل
منها لذاته او لشئ من لوازمه بحيز ووضع معينين • وبث فيها من كل دابة وانزلنا من
السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم • من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك
على عزته التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها
بقوله • هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه • هذا الذى ذكر مخلوقه فماذا خلق
آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته
واروني معلق عنه • بل الظالمون فى ضلال مبين • اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال
الذى لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم • ولقد
آتينا لقمن الحكمة • يعنى لقمان بن باعورا من اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش

بل اتبع الهوى كقوله بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بعد علم فان الذى ضلالته عن علم يكون له حجة على اعتقاده واما هذا فلا حجة له كف

اى حاله بعد سماعها كحاله قبله كف

على التالى وهو الله عز وجل كف

وانما قال بكم اشارة الى ان الرواسى انما جعلها لكيلا تميد الارض بالمؤمنين فهى من اجل المؤمنين لا من اجل الكفار كف

يعنى الف سنة كذا فى الكشاف

حتى ادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه حكيما و
لم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب
الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان
يسرد الدرع فلم يساله عنها فلما اتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة
وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود
فيه فصعق صعقة وانه امره بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب
ثم بعد ايام امره ان يذبح ويأتي باخبث مضغتين فاتى بهما ايضا فساله عن ذلك فقال هما اطيب
شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة
في معنى القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق
مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده
جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمان لابنه انعم او اشكم او ماثان وهو يعظه يا بني
تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يا بني لا تشرك بالله باسكان الياء وقنبل يا بني اقم الصلوة باسكان
الياء وحفص فيهما وفي يا بني انها ان تك بفتح الياء والبزي مثله في الاخير والباقون في الثلثة
بكسر الياء لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما
ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه ووصينا الانسان
بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف
فانها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يوهن وهنا
ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه
في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لي و
لوالديك تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال
في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثمة قال عليه السلام لمن قال له من
ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك
وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل
اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا يرتضيه
الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص بالطاعة

الوهن الضعف والمراد انها تنتقل ايام حملها من وهن الى وهن لان الحمل لو من قواها
وجوهرا غذيتها يصل الى جنينها ثم يقاسي
عند وضعه ثم بعد انفصل ومهالبا له وكل
ذلك مما يوجب وهنا على وهن كع

وانما قال في عامين وادخل كلمة في لاحتمال
انه يكون دون العامين ولا تناقض قوله وحمله
وفصاله ثلثون شهرا لان اقل الحمل ستة اشهر
كرخ

ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما
على كفرهما والايتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك
كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلوا
الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما
ونزولها في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك
قيل من اناب اليه ابو بكر فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان
الخصلة من الاساءة والاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع المثقال
على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقول الشاعر كما شرقت
صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات
او في الارض في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات واسفله كمقعر
الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب
عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك
وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد سيما
في ذلك ان ذلك اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور مما عزمه الله تعالى
من الامور اي قطعها ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله
فاذا عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله
المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي منه عنقه وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة
والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه ولا تمش
في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر
ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي
مرحا لتوافق رؤس الاي واقصد في مشيك توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه
السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق
دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض
من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها لصوت الحمير والحمار
مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع

بصوته ثم اخرجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل
الجنس في النكير دون الآحاد او لانه مصدر في الاصل • الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات
بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم • وما في الارض • بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او غير
وسط • واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة • محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر
شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع
الغين والخاء والقاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة •
ومن الناس من يجادل في الله • في توحيده وصفاته • بغير علم • مستفاد من دليل • ولا هدى
راجع الى الرسول • ولا كتاب منير • انزله الله تعالى بل بالتقليد كما قال • واذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا • وهو منع صريح من التقليد في الاصول
ولو كان الشيطان يدعوهم • يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم • الى عذاب السعير • الى ما
يؤول اليه من التقليد والاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار
والتعجب • ومن يسلم وجهه الى الله • بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت
المتاع الى زيد وتؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو
محسن • في عمله • فقد استمسك بالعروة الوثقى • تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل
المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه •
والى الله عاقبة الامور • اذ الكل صاير اليه • ومن كفر فلا يحزنك كفره • فانه لا يضرك
في الدنيا والآخرة وقرئ ولا يحزنك من احزن وليس بمستفيض • الينا مرجعهم • في الدارين
فننبئهم بما عملوا • بالاهلاك والتعذيب • ان الله عليم بذات الصدور • فمجاز عليه فضلا عما
في الظاهر • نمتعهم قليلا • تمتيعا قليلا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل •
ثم نضطرهم الى عذاب غليظ • يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله • لوضوح الدليل المانع من اسناد
الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه • قل الحمد لله • على الزامهم والجائهم الى الاعتراف
بما يوجب بطلان معتقدهم • بل اكثرهم لا يعلمون • ان ذلك يلزمهم • لله ما في السموات والارض
لا يستحق العبادة فيهما غيره • ان الله هو الغني • عن حمد الحامدين • الحميد • المستحق للحمد
وان لم يحمد • ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام • ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد

اي الاستعارة المصرحة بحذف المشبه واداة التشبيه ووجه الشبه مبالغة

بصاحبة الصدور النفس ومحل وسوستها الصدر لانه مكان القلب كشف

شجرة لان المراد تفصيل الآحاد • والبحر يمده من بعده سبعة ابحر • والبحر المحيط بسعته
مداد ممدود بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف
على محل ان ومعمولها ويمده حال او للابتداء على انه مستأنف او الواو للحال ونصبه البصريان
بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء • ما نفدت
كلمات الله • بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك
لا يفي بالقليل فكيف بالكثير • ان الله عزيز • لا يعجزه شيء • حكيم • لا يخرج عن علمه وحكمه امر والآية
جواب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله
تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء • ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة • الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شأن عن شأن لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته
الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون • ان
الله سميع • يسمع كل مسموع • بصير • يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك
الخلق • الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري •
كل من النيرين يجري في فلكه • الى اجل مسمى • الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر
الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى
الجري وثمة غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات • وان الله بما تعملون
خبير • عالم بكنهه • ذلك • اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجايب
الصنع واختصاص الباري بها • بان الله هو الحق • بسبب انه الثابت في ذاته الواجب
من جميع جهاته او الثابت الهيته • وان ما تدعون من دونه الباطل • المعدوم في حد
ذاته لا يوجد ولا يتصف الا بجعله او الباطل الهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير ابي بكر
بالياء • وان الله هو العلي الكبير • مترفع عن كل شيء ومتسلط عليه • الم تر ان الفلك تجري
في البحر بنعمة الله • باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال
حكمته وشمول انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون
العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون • ليريكم من آياته • دلايله • ان في ذلك لآيات
لكل صبار • على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الآفاق والانفس • شكور • يعرف النعم
ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر • واذا غشيهم

اقول فعلى هذا المراد من كل مر الليل والنهار والشمس والقمر [illegible]

تنزيل القرب المكاني منزلة البعد المكاني تفضلا

علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال
جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى
والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق
القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد باياتنا
الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري ولما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور
للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ
لا يجزى من اجزاه اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود
عطف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود
اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ان وعد
الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة
علم وقت قيامها لما روي ان الحرث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى
وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية
وينزل الغيث في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد
ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى تام ام ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير
او شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي
وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال
رجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال
الملك دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل
العلم لله تعالى والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان
اعمل حيلة وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب
له دليلا عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم
يعلم الاشياء كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام من قرأ سورة لقمن كان له لقمن رفيقا يوم
القيمة واعطي له من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة

ومنه يعلم وجه ارتباط قوله ان الله عنده علم الساعة لان التاخير انما يحسن اذا علم حال الغد شمسالي رحمه

سورة السجدة مكية وهي ثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل
وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتدأ خبره لا ريب فيه فيكون
من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون
خبرا ثانيا والاوجه انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه
لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتريه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله
بل هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب
عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما
يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى
اثبات انه الحق المنزل من الله تعالى وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله الذي خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه في الاعراف
ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضا الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم
سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع
متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير افلا تتذكرون بمواعظ الله تعالى
يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة
آثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين
التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح المحفوظ فينزل به الملائكة ثم يعرج اليه في
زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء
والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج
بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله يوم القيمة
وقيل يدبر المامور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا
كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ يعرج ويعدون

لان اعراب الالفاظ موقوف على كون معانيها معلومة ومفهومة وهو اذا كان المراد منه السورة او القران واسم الله تعالى واما في صورة التعداد فلا يكون له محل من الاعراب

لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر المتقن الصحيح الى كونه وحيا فان الحق الى المخلوق الذي لا يقدر على الحاد مثله وبالغا حد الاعجاز لا من حيث انه يشتمل على عدم الريب في الحقيقة فان المرتاب حاصل بقوله فان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الخ

وقد قال وان من امة الا خلا فيها نذير اي وان من امة مهلكة بتكذيبها النذير فلا يكون معارضا فقد بين الله بالقران ما يشكل بالقران كف

من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللازم لان الشفاعة تستلزم النصرة

اي ذلك الامر المدبر فهو سبحانه وتعالى يدبر الامر طول عمر الدنيا الى يوم القيمة ثم يذهب الامر بالمدبر باسره ويرجع اليه فيه اشارة الى زوال السموات والارض وعدم الدنيا وموجوداتها كشف الاسرار

مكان تعدون في قوله مما تعدون

ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر الامر على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره
الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي احسن
كل شيء خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل
بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله عليه السلام قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته
وخلقه مفعول ثان وقرا نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص
بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدا خلق الانسان يعني آدم عليه السلام من طين ثم جعل
نسله ذريته سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين ممتهن ثم سواه
قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا
بانه خلق عجيب وان له شانا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه
فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا
وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا
مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا
من صل اللحم اذا انتن وقرا ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه انا لفي خلق جديد
وهو نبعث او نجدد وخلقنا وقرا نافع والكسائي ويعقوب انا على الخبر والقائل ابي بن خلف
واسناده الى جميعهم لرضاهم بل هم بلقاء ربهم بالبعث وتلقي ملك الموت وما بعده
كافرون جاحدون قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احد
او التفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا معنى كتقصيه واستقصيته وتعجله واستعجلته
ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء اجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب
والجزاء ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا
ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا
انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا
فظيعا ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع
ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو تكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه
صلة اذ والخطاب للرسول او لكل احد ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ما تهتدي به
الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي

وهو

اقول لا يبعد ان يقال قوله احسن من الاحسان لا الحسن والمعنى اعطى كل شيء خلقه وقد ذكر هذا المعنى صريحا في سورة طه في قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه الآية سنانی م حطه

فيه اشارة الى ان قليلا صفة محذوف وما زائدة للتاكيد

اضراب عن كفرهم بالانشاء بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده لانه ابلغ

فيه اشارة الى البعث والبرزخ سنانی

والجزاء محذوف اي لرايت شيئا عظيما

جواب سؤال مقدر وهو ان لو واذ مخصوص بالمضي حتى اذا دخلتا على المضارع تقلبه الى الماضي وجوابه ما ذكره المصنف ه

وهو لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة
المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن
نسيانهم العاقبة وعدم تذكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من
الوسائط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب
ترك المنسي وفي استينافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم
السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان
كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا
خوفا من عذاب الله تعالى وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم
حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان
والطاعة كما يفعل من يصير مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش
ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلى
الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه السلام اذا جمع الله الاولين
والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم
ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع
فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون
جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب
الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك
مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين مما تقر به عيونهم وعنه عليه السلام يقول الله عز وجل اعددت
اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم
عليه اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقرأ حمزة ويعقوب اخفي على انه مضارع اخفيت
وقرئ يخفي واخفى والفاعل للكل هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى
المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء
او اخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله تعالى ثوابهم افمن
كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة تاكيد

فيه ابطال مذهب المعتزلة لدلالته على انه تعالى ما اراد من الكافر الايمان وما شاء فيه الا الكفر

على انه مفعول مطلق عامله محذوف

الفسق الخروج عن الحق والمراد بها الفسق الكامل بقرينة المقابلة المؤمن

وتصريح والجمع للحمل على المعنى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى فانها
المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لامحالة وقيل المأوى جنة من الجنان نزلا
سبق في آل عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين فسقوا
فمأويهم النار مكان جنة المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها عبارة
عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة
في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع
سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر عذاب الآخرة لعلهم لعل من بقي منهم
يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت
هذه الآيات ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد
الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما
في بيت الحماسة ولا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين
منتقمون فكيف ممن كان اظلم من كل ظالم ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن
في مرية شك من لقائه من لقاء الكتاب كقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك
من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء
موسى الكتاب او من لقائك موسى عليه السلام رأيت ليلة اسري بي موسى عليه
السلام رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي المنزل على موسى
هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم
او بتوفيقنا له لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا وكانوا بآياتنا يوقنون لامعانهم
النظر فيها ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة يقضي فيميز الحق من الباطل ويميز المحق من المبطل
فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف
والفاعل ضمير ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثيرة من اهلكناهم من القرون
الماضية او ضمير الله تعالى بدليل القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون
في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد ان في ذلك لآيات افلا يسمعون
سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع
وازيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تأكل منه من الزرع

فيه اشارة الى ان اللام في المأوى
يؤدي الى الكمال كالرجل

قوله بسبب اعمالهم او على اعمالهم يعني ان منشاء
النزل اما مجرد اعمالهم بمعنى انهم لكونهم عاملين
جاء الله بالنزل كما ان الرجل قد يأتي بالنزل الضيف
العالم واما ان النزل عوض عن اعمالهم كما ان
الرجل قد يأتي بالنزل لاخر له عليه سابق خدمة
فيكون النزل عوضا له سنانى فرحطه

ومنشاء المعنيين احتمال ان يكون الباء
سببية او للمقابلة سنانى فرحطه

استعمال اللقاء في المنزل مجازا اذ اللقاء
انما هو في الاعيان دون المسموعات وانما
فيها السماع

يقال ارض جرز لا نبات بها ويقال جرزه اي قطعه
كذا في الرموز فلما جاء المعنيين جين احدهما بقرينة
قوله فنخرج لكن يرد ان اخراج الزرع من ارض
لا نبات بها اتم في القدرة واظهر في الدلالة
ويوافق الخارج بنفس الامر ايضا ولم فرارض لا نبات
بها قنبت بسبب الماء سنانى فرحطه

انعامهم

انعامهم كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون به على
كمال قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح
بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون
وهو يوم القيمة فانه يوم نصر المسلمين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة
والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل فلا يمهلون وانطباقه
جوابا عن سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال
تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو
منسوخ بآية السيف وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح
على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة
القدر وعنه من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشان التقوى والمراد
به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه وقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين اي فيما
يعودوا اليه توهين في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه
في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا
له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت ان الله كان عليما
بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي
عن طاعتهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلح ومغن عن الاستماع الى
الكفرة وقرأ ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها
عنك وتوكل على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور
كلها ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن
الروح الحيواني المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد
وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جعل ازواجه

هذا هو المناسب لقوله ان ربك
هو يفصل بينهم سنانى
فرحطه

وهو ان النبي عليه السلام اذا كان مأمورا بالتقوى
كان حال الناس وذلك لتفخيم شانها

اي اذا اتبعت ولم تطعهم فانه
يكفيك امرهم كف

اي قلب يراعي الحق وقلب
يخشى الخلق كف

والامومة في امراة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب
تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او جميل بن اسد الفهري ذو
القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد
بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد او المراد نفي الامومة
والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل
الله قلبين في جوف لادائه الى التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل
لم يجعل الزوجة والدعي اللذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة
وقرأ ابو عمرو واللاي بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما
وعن يعقوب بالهمزة وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن
عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ
تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من اظهر ومعنى الظهار ان يقول للزوجة
انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى
التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء
الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهار للكناية عن البطن الذي هو عموده
فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المرأة وظهرها الى
السماء وادعياء جمع دعي على الشذوذ وكانه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه. ذلكم اشارة
الى كل ما ذكر او الى الاخير. قولكم بافواهكم. لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي. والله يقول
الحق. ما له حقيقة عينية مطابقة له. وهو يهدي السبيل. سبيل الحق. ادعوهم لابائهم انسبوهم
اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير للمصدر
ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ
في الصدق. فان لم تعلموا اباءهم. فتنسبوهم اليهم. فاخوانكم في الدين. فهم اخوانكم في الدين
ومواليكم. واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التاويل. وليس عليكم جناح فيما اخطأتم
به. ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده على النسيان او سبق
اللسان. ولكن ما تعمدت قلوبكم. ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن فيما تعمدت فيه الجناح
وكان الله غفورا رحيما. لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة به عندنا وعند ابي حنيفة

اذا كانوا عبيدا اقول لا يبعد ان يقال انه يفهم من هذا
النص ان من قال لاجنبي مجهول النسب كان
رفيقا له يا ابني يعتق عليه ولا يثبت نسبه منه
[illegible]

رحمه

رحمه الله يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به. النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم. في الامور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى لهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف
انفسهم فلذلك اطلق فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره وشفقتهم عليه اتم
من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال
ناس نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل
نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة.
وازواجه امهاتهم. منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك
كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء. واولو
الارحام. وذووا القرابات. بعضهم اولى ببعض. في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر
الاسلام من التوارث بالهجرة والموالات في الدين. في كتاب الله. في اللوح او فيما
انزل وهو هذه الاية او اية المواريث او فيما فرض الله تعالى. من المؤمنين والمهاجرين.
بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث
من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة. الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا.
استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع
كان ذلك في الكتاب مسطورا. كان ما ذكر في الايتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل
في التورية. واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم. مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة
والدعاء الى الدين القيم. ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم. خصهم بالذكر
لانهم مشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا تعظيما له. واخذنا منهم ميثاقا غليظا. عظيم
الشان او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف. ليسأل الصادقين عن صدقهم.
اي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم
او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق
او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم. واعد
للكافرين عذابا اليما. عطف على اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم
لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسأل كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين.
يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود. يعني الاحزاب وهم قريش

وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح
الصبا وجنودا لم تروها روي انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج
اليهم في ثلثة الاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب
بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت
التراب في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت
الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد صلى الله عليه وسلم فقد
بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وقرأ
البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل
من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم
من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها
حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا لان الرئة تنتفخ من شدة الروع فترتفع
بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهو منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله
الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء دينه
او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم والالف
مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل
مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلي
المؤمنون اختبر فظهر المخلص عن المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا
من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف
اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله
معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد
غرور واذ قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة
وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ
حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام
لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموا لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا
ليمكنكم المقام بها ويستأذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة

وهذا يدل على انهم لم يروا الملائكة بل اخبرهم الرسول بذلك

واصلها

واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد
قرئ بها وما هي بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا وما يريدون بذلك
الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها
وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان
في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها
لاعطوها وقرأ الحجازيون بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة اي باعطائها
الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا
عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسؤولا مسؤولا عن الوفاء
به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف
انف او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا
اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتعا او زمانا قليلا قل من
ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة
فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة
من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد
يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين
لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله في الانعام ولا
يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن
لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا لقوله ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه
من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا
اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها
على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك
تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه او كدوران عينه او مشبهين به
او مشبهة بعينه من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب
الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة

والسلق البسط بقهر باليد او باللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم وتؤيده
قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط
الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه
عنه او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا لتعلق الارادة به
وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اى هولاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب
لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا
لو انهم بادون فى الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسألون
كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا
الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم فى رسول
الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة
الشدائد او هو فى نفسه قدوة يحسن التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديد
اى هى نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر اى ثواب الله او لقاءه ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا
وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر يوم الله بحسب الحكم داخل فيها والرجاء
يحتمل الامل والخوف لمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان
ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة
الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا
من قبلكم الآية وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم
عليهم وقوله عليه السلام انهم سائرون اليكم بعد تسع ليال او عشر وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الراء
وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا فى النصرة
والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما رأوا او الخطب
او البلاء الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقنى
اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه

نذره

مقاتلة من يدفع عن نفسه لا من يقصد
كذا

بدل من لكم بدل البعض اى لمن كان يرجو الله منكم
وامتناع الابدال من المتكلم والمخاطب انما هو
فى بدل الكل وايضا ذلك فى الابدال من الضمير
وهذا ابدال الجار والمجرور كورانى

نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب
النذر فاستعير للموت لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة
كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روى ان طلحة
ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام
اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزى الله الصادقين
بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض
به فكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء
العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد به التوفيق للتوبة ان الله كان
غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعنى الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا
خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب وكفى الله المؤمنين القتال بالريح
والملائكة وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شئ وانزل الذين ظاهروهم
ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعنى قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية
وهى ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبى وشوكة الديك وقذف فى قلوبهم
الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وقرئ بضم السين روى ان
جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب فقال
اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وانا عامد
اليهم فأذن فى الناس ان لا يصلوا العصر الا ببنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين ليلة
حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمى فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به
فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونسائهم فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال لقد
حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم سبعمائة واورثكم
ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم روى انه عليه
السلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم فى منازلكم وقال عمر رضى الله عنه
اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لى طعمة وارضا لم تطؤها كفارس
والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شئ قديرا فيقدر
على ذلك يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها

وزينتها زخارفها. فتعالين أمتعكن أعطكن المتعة. وأسرحكن سراحا جميلا طلاقا
من غير ضرار وبدعة روي أنهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة
رضي الله عنها واختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن
الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بإرادتهن الدنيا وجعلها
قسيما لإرادتهن الرسول يدل على أن المخيرة إذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد
والحسن ومالك وإحدى الروايتين عن علي رضي الله عنه ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه
من الكرم وحسن الخلق وقيل لأن الفرقة كانت بإرادتهن كاختيار المخيرة نفسها فإنه طلقة
رجعية عندنا وبائنة عند أبي حنيفة رحمه الله واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيه
ما يدل عليه وقرئ أمتعكن وأسرحكن بالرفع على الاستئناف. وإن كنتن تردن الله ورسوله
والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما. يستحقر دونه الدنيا وزينتها
ومن للتبيين لأنهن كلهن كن محسنات. يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة بكبيرة
مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وأبي بكر والباقون بكسر الياء. يضاعف لها العذاب
ضعفين. ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه لأن الذنب منهن أقبح فإن زيادة قبحه تتبع
زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الأنبياء
بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبنائه
للفاعل ونصب العذاب. وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء
النبي صلى الله عليه وسلم وكيف وهو سببه. ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة
لله ورسوله. ولعل ذكر الله للتعظيم. وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين. مرة على الطاعة
ومرة على طلبهن رضا النبي صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة
والكسائي ويعمل بالياء أيضا حملا على من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله تعالى. وأعتدنا
لها رزقا كريما. في الجنة زيادة على أجرها. يا نساء النبي لستن كأحد من النساء. أصل أحد
وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى
لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل. إن اتقيتن مخالفة حكم الله ورضا
رسوله. فلا تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات. فيطمع الذي

في قلبه

لم يقل ههنا ضعفين لئلا يتكرر بل بين الضعفين بقوله مرتين كف

وهو القول اللين الذي فيه خضوع ما يطمع الرجل في المرأة كف

في قلبه مرض. فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على أنه نهي مريض القلب عن الطمع
عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول. وقلن قولا معروفا. حسنا بعيدا عن الريبة. وقرن
في بيوتكن. من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الأولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها
إلى القاف فاستغني عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت
أقر لغة فيه ويحتمل أن يكون من قار يقار إذا اجتمع. ولا تبرجن. ولا تتبخترن في مشيكن.
تبرج الجاهلية الأولى. تبرجا مثل تبرج النساء في أيام الجاهلية القديمة وقيل هو ما بين
آدم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه إبراهيم عليهم السلام كانت المرأة تلبس درعا من
اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما
السلام وقيل الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية
الفسوق في الإسلام ويعضده قوله عليه السلام لأبي الدرداء إن فيك جاهلية
كفر أو إسلام قال بل جاهلية كفر. وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله.
في سائر ما أمركن به ونهاكن عنه. إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس. الذنب المدنس
لعرضكم وهو تعليل لأمرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم. أهل البيت. نصب
على النداء أو المدح. ويطهركم. عن المعاصي. تطهيرا. واستعارة الرجس للمعصية والترشيح
بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما لما روي أنه عليه
السلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها
فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثم قال إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون إجماعهم حجة ضعيف لأن
التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث يقتضي أنهم أهل البيت لا
لأنه ليس غيرهم. واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة. من الكتاب الجامع
بين الأمرين وهو تذكير بما أنعم عليهن من حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي
وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء
والائتمار فيما كلفن به. إن الله كان لطيفا خبيرا. يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك
خيركن ووعظكن أو يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح أن يكون أهل بيته. إن المسلمين والمسلمات.
الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله. والمؤمنين والمؤمنات. المصدقين بما يجب

دل على أن الحكمة التي أوتيها النبي عليه السلام الحديث لأنه يتلى واللفظ مطلق كشف

ان يصدق به. والقانتين والقانتات. المداومين على الطاعة. والصادقين
والصادقات. في القول والعمل. والصابرين والصابرات. على الطاعات
وعن المعاصي. والخاشعين والخاشعات. المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم. والمتصدقين
والمتصدقات. بما وجب في مالهم. والصائمين والصائمات. الصوم المفروض.
والحافظين فروجهم والحافظات. عن الحرام. والذاكرين الله كثيرا والذاكرات. بقلوبهم
والسنتهم. اعد الله لهم مغفرة. لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات. واجرا عظيما.
على طاعتهم والاية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال. روي ان
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير
فما فينا خير نذكر به فنزلت. وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت.
وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على
الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات
وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات. وما كان لمؤمن ولا مؤمنة.
ما صح له. اذا قضى الله ورسوله امرا. اي قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله
لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش
بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن
حارثة فابت هي واخوها عبد الله. وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها
من زيد. ان يكون لهم الخيرة من امرهم. ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان
يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير. وجمع الضمير الاول للعموم
مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم. وقرا الكوفيون وهشام
يكون بالياء. ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا. بين الانحراف عن الصواب.
واذ تقول للذي انعم الله عليه. بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه
لك. وانعمت عليه. بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة. امسك عليك زوجك.
زينب. وذلك انه عليه السلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال
سبحان الله مقلب القلوب. وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن لذلك
ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتي

فقال

قوله اعداد المعد اي من قوله اعد الله لهم مغفرة
للجمع بين الصفات المذكورة للذكور والاناث
لا لجمعها فانها لا تجمعها

فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم
علي فقال له امسك عليك زوجك. واتق الله. في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا
بتكبرها. وتخفي في نفسك ما الله مبديه. وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها. وتخشى
الناس. تعييرهم اياك به. والله احق ان تخشاه. ان كان فيه ما يخشى والواو للحال
وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي
اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه. فلما قضى
زيد منها وطرا. حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها.
زوجناكها. وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها
والمعنى انه امر بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول
لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن.
وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه. لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا. علة للتزويج وهو دليل على
ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل. وكان امر الله. امره الذي يريده. مفعولا.
مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب. ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له.
قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العساكر لارزاقهم. سنة الله.
سن ذلك سنة. في الذين خلوا من قبل. من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم.
وكان امر الله قدرا مقدورا. قضاء مقضيا وحكما مبتوتا. الذين يبلغون رسالات
الله. صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله. ويخشونه
ولا يخشون احدا الا الله. تعريض بعد تصريح. وكفى بالله حسيبا. كافيا للمخاوف
او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه. ما كان محمد ابا احد من رجالكم. على الحقيقة
فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه
بكونه ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا لكانوا رجاله
لا رجالهم. ولكن رسول الله. وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق
ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول
الله بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول

الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر. وخاتم النبيين. وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة
عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه السلام في ابراهيم
حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه
مع ان المراد انه آخر من نبئ. وكان الله بكل شيء عليما. فيعلم من يليق بان يختم به النبوة
وكيف ينبغي لشانه. يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا. يغلب الاوقات
ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتحميد والتمجيد والتهليل. وسبحوه بكرة واصيلا.
اول النهار وآخره وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات
لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانها العمدة فيها وقيل الفعلان
موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة. هو الذي يصلي عليكم. بالرحمة. وملائكته.
بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح
امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ
من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار
الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو
الدعوة. ليخرجكم من الظلمات الى النور. من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان و
الطاعة. وكان بالمؤمنين رحيما. حيث اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل
في ذلك ملائكته المقربين. تحيتهم. من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون. يوم يلقونه.
يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة. سلام. اخبار بالسلامة
عن كل مكروه وآفة. واعد لهم اجرا كريما. هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل
والمبالغة فيما هو اهم. يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا. على من بعثت اليهم
بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة. ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله.
الى الاقرار به وبتوحيده وبما يجب الايمان به من صفاته. باذنه. بتيسيره اطلق له
من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة من
جناب قدسه. وسراجا منيرا. يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره
انوار البصائر. وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا. على سائر الامم او على اجر
اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك. ولا تطع الكافرين

فلما نهاهم عن الغيبة لما قد في قضية زيد نساء وزجرهم عوض لك بالذكر فقال يا ايها الذين آمنوا الخ كشف

وانما قال اجرا ولم يقل فضلا كريما لان الكريم يجري الكثير على القليل ويقول هذا بهذا كف

والمنافقين

والمنافقين. تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم. ودع اذاهم. اذاهم اياك ولا تحتفل به
او ايذاءك اياهم مجازاة ومؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ. وتوكل على الله.
فانه يكفيكهم. وكفى بالله وكيلا. موكولا اليه الامر في الاحوال ولعله تعالى لما وصفه
بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسب فحذف مقابل الشاهد وهو الامر
بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير
بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله تعالى بتيسيره بالامر
بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله تعالى برهانا على جميع خلقه
كان حقيقا بان يكتفي به عن غيره. يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن. تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائي بالف وضم التاء. فما لكم عليهن من عدة.
ايام يتربصن فيها بانفسهن. تعتدونها. تستوفون عددها من عددت الدراهم
فاعتدها كقوله كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة
حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين
بالياء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها فظاهره يقتضي عدم وجوب
العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان شان المؤمن
ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا للنطفة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما
يمكن الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة. فمتعوهن. اي ان لم يكن مفروضا
لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة وهي سنة لها ويجوز
ان يؤول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة
للمفروض لها. وسرحوهن. اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة. سراحا جميلا
من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق
والضمير لغير المدخول بهن. يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن.
مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف
الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت
يمينك مما افاء الله عليك. فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وتقييد
القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله. وبنات عمك وبنات عماتك وبنات

فيه اشعار بان زيدا لم يمس زوجه لما كانت في عقد نكاحه وهذا فائدة كون هذه الآية جاءت في وسط الكلام المختص بالنبي عليه السلام فما قبلها وهو وتوكل على الله وما بعدها وهو يا ايها النبي انا احللنا لك والدليل عليه قوله فلما قضى زيد منها وطرا ولم يقل وطره او غير ذلك وطرا من جهة اوطار كشف الاسرار

جاز لفظ الحل بعد اسقاط العدة شعرا بالاباحة له عليه السلام في وطء امراة زيد بغير عدة وان كان المراد التشريع مطلقا

خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا يوجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه السلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مصاحبتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت

فانه سبحانه وتعالى خص افضل المخلوقات بان نكاحه ينعقد بالهبة بان وهبت نفسها منه وقيل هو فيختص لفظ الهبة به عليه السلام ونكاحه ولا ينعقد نكاح غير النبي بالهبة وبلفظ الهبة خلافا لاصحاب الحنفية

وهو ان لا يجوز الجمع لهم بين اكثر من اربعة ازواج كف

لمن ظن ان عليك حرجا من قبل ان ينزل عليك هذا الحكم ولما ازال الحرج عنه في العدة ازاله في العشرة بقوله ترجي ع كف

بالرجعة فلا جناح عليك في شيء منها ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة اعينهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر بالبناء للمفعول وكلهن تأكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقي وقرأ البصريان بالتاء من بعد اي بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا مأذونا لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي لانه مصدر اني الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا وتفرقوا ولا تمكثوا والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لهم ولا مستأنسين لحديث

الخطاب للنبي وزوجاته وغلب الذكورية والمراد يعلم ما في قلوبكن من الغيرة ومما يوسوس به الشياطين كف

لان الاذن ان يتعدى الى مفعول ... اي ... انما لم يجعل حالا من ضمير لكم لانه لو جعل حالا كما اعرب بعضهم كان يقول غير ناظرين

حال من ضمير لكم وقيل حال من ضمير لا تدخلوا والاستثناء واقع على الوقت والحال كانه قيل لا تدخلوا الا وقت الاذن الا غير ناظرين والاول اولى اذ في تعدد الاستثناء كلام كوراني

على ان يكون الاناء بمعنى الوقت الا يلزم تقدير المضاف لان الصرف لا يضاف الى عينه بل يضاف الى الحدث اي وقت الجملة

لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل
اي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستانسين • ان ذلكم • اللبث • كان يؤذي النبي • لتضييق المنزل
عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه • فيستحيي منكم • من اخراجكم لقوله • والله لا يستحيي
من الحق • يعني ان اخراجكم حق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لا يتركه
الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء
واذا سالتموهن • متاعا • شيئا ينتفع به • فاسالوهن • المتاع • من وراء حجاب • ستر
روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات
المومنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه اصحابه فاصابت
يد رجل يد عايشة فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت • ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن •
من الخواطر الشيطانية • وما كان لكم • وما صح لكم • ان تؤذوا رسول الله • ان تفعلوا
ما يكرهه • ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا • من بعد وفاته او فراقه وخص التي
لم يدخل بها لما روي ان الاشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رضي الله عنه
وهم برجمها وخبر بانه عليه السلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير • ان ذلكم • ايذاءه
ونكاح نسائه • كان عند الله عظيما • يعني ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله تعالى لرسوله وايجاب
لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال • ان تبدوا شيئا • كنكاحهن على السنتكم
او تخفوه • في صدوركم • فان الله كان بكل شيء عليما • فيعلم ذلك فيجازيكم عليه وفي هذا
التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد • لا جناح عليهن في ابائهن
ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن • استيناف لمن لا يجب الاحتجاب عنهم
روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن
ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم
ابا في قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ولانه كره ترك الاحتجاب منهما
مخافة ان يصفا لابنائهما • ولا نسائهن • يعني نساء المومنات • ولا ما ملكت ايمانهن •
من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور • واتقين الله • فيما امرتن
به • ان الله كان على كل شيء شهيدا • لا يخفى عليه خافية • ان الله وملائكته يصلون على النبي •
يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه • يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه • اعتنوا انتم ايضا

قوله ترك الحيي منصوب على المصدر اي لا يتركه
تركا مثل ترك الحيي فالحياء مجاز في حقه سبحانه
وتعالى على الاستعارة التبعية التمثيلية فالمشبه
المتروك هو لا يتركه على التشبيه

فاكم

فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد • وسلموا تسليما • وقولوا السلام عليك ايها
النبي وقيل والانقياد لاوامره والآية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة
وقيل يجب الصلوة كلما جرى ذكره لقوله عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده
فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلوة
على غيره تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسول ولذلك كره ان
يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا • ان الذين يؤذون الله ورسوله • يرتكبون
ما يكرهونه من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون
ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين
باعتبار المعمولين • لعنهم الله • ابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة • واعد لهم عذابا مهينا •
يهينهم مع الايلام • والذين يؤذون المؤمنات بغير ما اكتسبوا • بغير جناية استحقوا
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا • ظاهرا قيل انها نزلت في منافقين يؤذون عليا رضي الله
عنه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات • يا ايها
النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن • يغطين
وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المراة ترخي بعض جلبابها
وتتلفع ببعض • ذلك ادنى ان يعرفن • يميزن عن الاماء والقينات • فلا يؤذين •
فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن • وكان الله غفورا • لما سلف • رحيما • بعباده حيث
يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها • لئن لم ينته المنافقون • عن نفاقهم • والذين
في قلوبهم مرض • ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم
والمرجفون في المدينة • يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ان
ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة تسمى به الاخبار الكاذب لكونه
متزلزلا غير ثابت • لنغرينك بهم • لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب
الجلاء • ثم لا يجاورونك • عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار
الرسول اعظم ما يصيبهم • فيها • في المدينة • الا قليلا • زمانا او جوارا قليلا • ملعونين •
نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك
الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله • اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا • لان ما بعد

لما امر بالصلوة على رسوله نهى عن اذى منهم
اليه وان كان وبال ذلك عليهم كف

محمول على المجاز العقلي فان المهين في الحقيقة هو الله
تعالى فاسناده الى العذاب بالطريق المذكور

ولذا قال عليهن ولم يقل وجوههن
سنائي فرحطه

من الآية التي وقعت بين ما وقع من الكلام في امر
زيد حين تزوجها النبي عليه السلام كف

كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها. سنة الله في الذين خلوا من قبل. مصدر مؤكد اي سن
الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف
ونحوه اينما ثقفوا. ولن تجد لسنة الله تبديلا. لانه لا يبدلها او لا يقدر احد ان يبدلها.
يسألك الناس عن الساعة. عن وقت قيامها استهزاء او تعنتا او امتحانا. قل انما
علمها عند الله. لا يطلع عليه ملكا ولا نبيا. وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا. شيئا
قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة
في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين. ان الله لعن الكافرين واعد لهم
سعيرا. نارا شديدة الايقاد. خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم. ولا نصيرا. يدفع
العذاب عنهم. يوم تقلب وجوههم في النار. تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار
او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف يقولون. يا ليتنا اطعنا
الله واطعنا الرسولا. فلن نبتلى بهذا العذاب. وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة
على الكثرة. فاضلونا السبيلا. بما زينوا لنا. ربنا آتهم ضعفين من العذاب. مثلي ما آتيتنا
منه لانهم ضلوا واضلوا. والعنهم لعنا كبيرا. كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اي لعنا هو اشد
اللعن واعظمه. يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا. فاظهر براءته
من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه
الله كما مر في القصص واتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته
الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيب
في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه. وكان عند الله
وجيها. ذا قربة ووجاهة منه وقرئ وكان عبد الله وجيها. يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله. في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله. وقولوا قولا سديدا. قاصدا الى
الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد. يصلح لكم
اعمالكم. يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها. ويغفر لكم ذنوبكم
ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل. ومن يطع الله ورسوله. في الاوامر والنواهي
فقد فاز فوزا عظيما. يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا. انا عرضنا الامانة على السموات

والارض

والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان. تقرير للوعد السابق
بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شأنها
بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين
ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم
فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين. انه كان ظلوما. حيث لم يف لها ولم
يراع حقها. جهولا. بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة
الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل
من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه
قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان
يأتي منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق
فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني
فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه
السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة
عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى
استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل
الانسان قابليته واستعداده وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية
والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على
القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر
سورتهما. ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب
الله على المؤمنين والمؤمنات. تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب في ضربته
تأديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات
وكان الله غفورا رحيما. حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال
عليه السلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اي اطردهم عن الرحمة وابعدهم عنها

فرالشهوات وعبادة الاصنام

انظر الى هذا الشرط الذي شرطه الله لمن اتقى وقال قولا سديدا ضمن ان يصلح له عمله وهذا وعد عظيم لمن يعمله وذلك لان القول السديد يدخل فيه تجنب الكذب في كل الامور وفيه جماع الخيرات وقال بعضهم رايت ملكا وقد امر ان يرني النور فلم يشترط علي شيئا سوى ان قال لا تكذب فرايت في هذه الكلمة خير الدنيا والآخرة وهذا معنى قوله يصلح لكم الخ كف

فيه اشارة الى ان نسبة المغفرة الى القول السديد اسناد مجازي فان الغافر في الحقيقة هو الله تعالى وذلك بجعلها تعالى مكفرة

والنفاق مع الله ان يعتقد القلب صحيحا ويفعل الجوارح خلافه والنفاق مع الناس ان يقول اللسان حسنا ويستر القلب خلافه ولما كان المنافق قد شارك بين الصدق والكذب قال بعده والمشركين والمشركات كف

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته
وعلى تمام نعمته ۰ وله الحمد في الآخرة ۰ لان ما في الآخرة ايضا كذلك وليس هذا من
عطف المقيد على المطلق فان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية وقيد الحمد بها
وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد يكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها
ولا كذلك نعم الآخرة ۰ وهو الحكيم ۰ الذي احكم امور الدارين ۰ الخبير ۰ ببواطن الاشياء
يعلم ما يلج في الارض ۰ كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والدفائن والاموات
وما يخرج منها ۰ كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون ۰ وما ينزل من السماء ۰
كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق ۰ وما يعرج فيها ۰ كالملائكة
واعمال العباد والابخرة والادخنة ۰ وهو الرحيم الغفور ۰ للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها
او في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر ۰ وقال الذين كفروا لا تأتينا
الساعة ۰ انكار لمجيئها واستبطاء استهزاء بالوعيد به ۰ قل بلى ۰ رد لكلامهم واثبات
لما نفوه ۰ وربي لتأتينكم عالم الغيب ۰ تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به
بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب
للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدا خبره
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ۰ وقرأ الكسائي لا يعزب بالكسر
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ۰ جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء
ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة
بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير
في عنه للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطلعين له فيكون
المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ۰ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ۰
علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها ۰ اولئك لهم مغفرة ورزق كريم ۰ لا تعب
فيه ولا من عليه ۰ والذين سعوا في آياتنا ۰ بالابطال وتزهيد الناس فيها ۰ معاجزين ۰
مسابقين كي يفوتونا وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده ۰
اولئك لهم عذاب من رجز ۰ من سيئ العذاب ۰ اليم ۰ مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب
وحفص ۰ ويرى الذين اوتوا العلم ۰ ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة

او من مسلمي اهل الكتاب ۰ الذي انزل اليك من ربك ۰ القرآن ۰ هو الحق ۰ ومن
رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستانف
للاستشهاد بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف
على ليجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ۰ ويهدي
الى صراط العزيز الحميد ۰ الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى ۰ وقال الذين
كفروا ۰ قال بعضهم لبعض ۰ هل ندلكم على رجل ۰ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ۰ ينبئكم ۰ يحدثكم
باعجب الاعاجيب ۰ اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد ۰ انكم تنشأون خلقا جديدا
بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصيرون ترابا وتقديم الظرف للدلالة
على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما
بعده مضاف اليه او محجوب ببينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم
وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحت كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد كحديد
من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه ۰ افترى على الله كذبا ام به
جنة ۰ جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء
غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة
بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب ۰ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة
في العذاب والضلال البعيد ۰ رد من الله عليهم ترديديهم واثبات لهم ما هو افظع من
القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه
من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم
له والبعد في الاصل صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازي ۰ افلم يروا
الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا
من السماء ۰ تذكير بما يعاينوه مما يدل على كمال قدرة الله تعالى وما يحتمل فيه ازاحة
لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزوا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا
الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وان نشأ
نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي
يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك ۰ ان في ذلك ۰

النظر والتفكر فيهما وما يدلان عليه لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه
يكون كثير التأمل في امره. ولقد آتينا داود منا فضلا اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر
بعد او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن
يا جبال اوبي معه رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بخلق صوت
مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل ما فيها او سيري معه حيث سار
وقرئ أُوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من
آتينا باضمار قولنا او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا
على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية او على فضلا او مفعول معه
لأوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان اصل النظم ولقد آتينا داود
منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل به هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظم شأنه
وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته
فيها. والنا له الحديد وجعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق
بالآلته او بقوته. ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية. سابغات دروعا
واسعات وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها. وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث
يتناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان
دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده والنا له الحديد. واعملوا صالحا الضمير فيه لداود واهله اني
بما تعملون بصير فاجازيكم عليها. ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وقرئ الريح بالرفع اي ولسليمان
الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي
كذلك وقرئ غدوتها وروحتها شهر. واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اسال له
من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن
من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدأ وخبر باذن ربه
بامره. ومن يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ يُزغ
من ازاغه. نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة. يعملون له ما يشاء من محاريب
قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل
وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا

لما ذكر مجازاة الكافر بالسوء ذكر مجازاة المؤمن بالخير كف

اشارة به الى انه ليس من باب التجريد بل من باب ابتداء بقوله منا كف

اندراج النبوة وما عداها من الثلثة محمول على فضله على سائر الناس

والاولى ان نصبه بالعطف على فضلا لانه مفعول لآتينا وانما خصص بالذكر لقوله علمنا منطق الطير ثم قال واوتينا من كل شيء وانما عين الله هذا لداود وان كان لابنه لنعلم انهما كان في معرفة منطق الطير بمنزلة واحدة ولذا قال سليمان علمنا ولم يقل علمت كف

قوله والطير بالنصب عطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه عليه السلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائي ولا الى تقدير مضاف اي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطف على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى من تفسير الارشاد

نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه
ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران
باجنحتهما. وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي
من الصفات الغالبة كالدابة. وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل
عنها لعظمها. اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اي اعملوا
له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به
وقليل من عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته
ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولهذا
قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر. فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان عليه
السلام ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل آله الا دابة الارض اي الارضة اضيفت
الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة
ارضا فارضت الخشبة ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا تأكل منسأته
عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها تطرد بها وقرأ نافع وابو عمرو منساته بالف
ساكنة بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين
وقرئ بتخفيف الهمزة وفتح الميم قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين
ومنساته على مفعالة كميضاة ومن سأته اي طرف عصاه مشتقا من سأة القوس
وفيه لغتان كما في قحة وقحة. فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الامر عليهم
ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما
يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن
وان بما في حيزه بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
وذكر ان داود عليه السلام اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه
السلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فلم يتم بعد اذ دنا اجله
فاعلم به فاراد ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب
فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة
فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت

وقيل ارادوا ان المعول الطين

اي اعملوا عملا شكرا يعني انه مصدر من غير المفعول

يوما وليلة مقدار ما خبوا على ذلك فوجده قد مات منذ سنة وكان عمره ثلثا و
خمسين سنة وملك وهو ابن ثلث عشر سنة وابتداء عمارة بيت المقدس لاربع
مضين من ملكه. لقد كان لسبا. لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان
ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته
الفا ولعله اخرجها بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب. في مساكنهم. في مواضع سكناهم
وهي باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث وقرأ حمزة وحفص بالافراد
والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع. آية. علامة دالة
على وجود الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجازٍ للمحسن والمسيء
معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام. جنتان. بدل
من آية او خبر محذوف تقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان
من البساتين. عن يمين وشمال. جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما
في تقاربها وتضايقها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن
شمال مسكنه. كلوا من رزق ربكم واشكروا له. حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال
او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك. بلدة طيبة ورب غفور. استيناف
للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم
وطلب شكركم رب غفور فرطات من شكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل
كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة. فاعرضوا. عن الشكر. فارسلنا
عليهم سيل العرم. سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس
خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت
لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التي
عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله
وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما السلام. وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط. ثمر
بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير
اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان.
واثل وشيء من سدر قليل. معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفا ولا ثمر له

ولما ذكر النعم على سليمان اضاف الى ذكر موته
وكررت الآية التي كان قد دعاها الى الله لان
قصة سبا كانت في حيوة سليمان من جملة
ما اتيه من عظمة الملك فجعلها الله ايضا عظة
بعد ذكره لقد كان كف

ذكر في الكشاف انه الاراك وكل شجر ذي شوك
والقاضي قال كل شجر لا شوك له فقد خالف
صاحب الكشاف ولا ادري انه تعمد منه او غفوة
مولانا صدر رح

ودّنا

وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب
اكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرا ابو عمرو
ذواتي اكل بغير تنوين اللام وقرأ الحرميان بتخفيف اكل. ذلك جزيناهم بما كفروا. بكفرانهم
النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول
للتعظيم لا للتخصيص. وهل نجازي الا الكفور. وهل نجازي بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في
الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب.
وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها. بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام.
قرى ظاهرة. متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل.
وقدرنا فيها السير. بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ الشام.
سيروا فيها. على ارادة القول بلسان الحال او المقال. ليالي واياما. متى شئتم
من ليل ونهار. آمنين. لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا
آمنين وان طال مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون
فيها الا الامن. فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا. اشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل
فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل
وتزود الازواد فاجابهم الله تعالى بتخريب القرى المتوسطة وقرا ابن كثير وابو عمرو
وهشام بعّد ويعقوب باعَدَ بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفيه
وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرا ربنا بَعُد وبُعِد على النداء واسناد
الفعل الى بين. فظلموا انفسهم. حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها. فجعلناهم احاديث.
يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا. ومزقناهم كل
ممزق. وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق منهم غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد
بعمان. ان في ذلك. فيما ذكر. لآيات لكل صبار. عن المعاصي. شكور. على النعم. ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه. اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعله جهدك
ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون
بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده
ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف

جزاء الدنيا قبل جزاء الآخرة لان الكافر والمؤمن
يجزى في الدنيا ايضا لكنه كما ان جزاء المؤمن في الدنيا
لا ينقص جزاءه في الآخرة كذلك جزاء الكافر في الدنيا
لا ينقص عذابه في الآخرة كف

طلب للتردد بالتجارات الى البلاد البعيدة
حب الدنيا لقلة سيلهم الى الآخرة وعدم القناعة
كف

على الابدال او ذلك اما ظنه بالسبا حين راى انهماكهم فى الشهوات او بنى آدم حين
راى اباهم النبى ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقال لاضلنهم ولاغوينهم • فاتبعوه الا فريقا
من المؤمنين • الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا
من فرق المؤمنين لم يتبعوه فى العصيان وهم المخلصون • وما كان له عليهم من سلطان
تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء • الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها
فى شك • الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك
او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه
مبالغة وفى نظم الصلتين نكتة لا تخفى • وربك على كل شىء حفيظ • محافظ والزنتان متآخيتان
قل للمشركين • ادعوا الذين زعمتم • اى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول
الموصول بصلته والثانى لقيام صفته وهى من دون الله • مقامه ولا يجوز ان يكون
هو مفعوله الثانى لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم
فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا
بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال • لا يملكون مثقال ذرة • من خير او شر فى السموات
ولا فى الارض • فى امر ما وذكرهما للعموم العرفى او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة
والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية
وارضية والجملة استئنافية لبيان حالهم • وما لهم فيهما من شرك • من شركة لا خلقا
ولا ملكا • وما له منهم من ظهير • يعينه على تدبير امرهما • ولا تنفع الشفاعة عنده • ولا تنفعهم شفاعة
ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله • الا لمن اذن له • اذن له ان يشفع او
اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام فى قولك الكرم
لزيد وعلى الثانى كاللام فى قولك جئتك لزيد وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائى بضم الهمزة
حتى اذا فزع عن قلوبهم • غاية لمفهوم الكلام من ان ثمة توقف وانتظار للاذن اى يتر
بصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل
الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرا ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل
وقرى فرغ اى نفى الوجل من فرغ الزاد اذا فنى • قالوا • قال بعضهم لبعض • ماذا قال ربكم •

حيث اختار فى صلة الموصول الاول الفعلية وفى صلة الموصول الثانى الاسمية

ولما كان قصة سبا مما لم يكن الا انذارا لمن كفر قال بعد فراغ القصة الى آخرها عمن كان شرك بسجوده للشمس من دون الله قل ادعوا الآية كف

اى اللام له فى اذن له يجوز ان يكون للاختصاص فضميره له راجع الى الشفيع من الانبياء والمقربين وصلحاء الامة والشهداء كقولهم الكرم لزيد يعنى مولا غيره ويجوز ان يكون للتعليل فضمير له راجع الى من يشفع له تقديره الا لمن اذن للشفيع ان يشفع لاجله كقولك جئتك لزيد اى لاجله

فى الشفاعة • قالوا الحق • قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى
وهم المؤمنون وقرى بالرفع اى مقوله الحق • وهو العلى الكبير • ذو العلو والكبرياء ليس
لملك ولا نبى ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه • قل من يرزقكم من السموات والارض •
يريد به تقرير قوله لا يملكون • قل الله • اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا
او تلعثموا فى الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم • وانا واياكم لعلى هدى او فى ضلال
مبين • اى وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة
والمشركين به الجماد النازل فى ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال
المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال
ابلغ من التصريح لانه فى صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان
اتهجوه ولست له بكفو • فشركما لخيركما الفداء • وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف
الحرفين لان الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويطلع عليها او ركب جوادا
يركضه حيث يشاء والضال كانه منغمس فى ظلام مرتبك لا يرى شيئا او محبوس
فى مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها • قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون •
هذا ادخل فى الانصاف وابلغ فى الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل
الى المخاطبين • قل يجمع بيننا ربنا • يوم القيمة • ثم يفتح بيننا بالحق • يحكم ويفصل بان يدخل
المحقين فى الجنة والمبطلين النار • وهو الفتاح • الحاكم الفاصل فى القضايا المنغلقة • العليم
بما ينبغى ان يقضى به • قل ارونى الذين الحقتم به شركاء • لارى باى صفة الحقتموهم بالله تعالى
فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة فى تبكيتهم
كلا • ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقالة • بل هو العزيز الحكيم • الموصوف بالغلبة و
وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة
رأسا والضمير لله تعالى او للشان • وما ارسلناك الا كافة للناس • الا رسالة عامة
لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ
فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار • بشيرا ونذيرا
ولكن اكثر الناس لا يعلمون • فيحملهم جهلهم على مخالفتك • ويقولون • من فرط جهلهم
متى هذا الوعد • يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا • ان كنتم

لان الله امره عليه السلام بان ينطق فى جوابهم جوابا عنهم فالله تعالى عالم لما فى الصدور و ان كان جوابهم غير هذا لما امر رسوله عليه بجواب هذا فلما علم هذا علم انهم ان تلعثموا فى بداهم مقرون به ه

المخاطب فى هذا البيت ابو سفيان والضمير البارز المفعول راجع الى رسول الله

تقديره اسم ارباب العزة والحكم فاجاب كلا الخ كف

صادقين • يخاطبون به رسول الله والمؤمنون • قل لكم ميعاد يوم • وعد يوم او زمان
وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ على البدل وقرئ يوما باضمار اعني •
لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون • اذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء
مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار • وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا
القرآن ولا بالذي بين يديه • ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث وقيل ان
كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون
نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيمة • ولو ترى اذ الظالمون
موقوفون عند ربهم • اي في موضع المحاسبة • يرجع بعضهم الى بعض القول • يتحاورون
ويتراجعون القول • يقول الذين استضعفوا • يقول الاتباع • للذين استكبروا
للرؤساء • لولا انتم • لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان • لكنا مؤمنين • باتباع
الرسول عليه السلام • قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين • انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا
انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك
(اي الى المستكبرين)
بنوا الانكار على الاسم • وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار •
اضراب عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم
علينا رأينا • اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا • والعاطف يعطفه على كلامهم الاول
واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل
بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور • واسروا الندامة لما رأوا العذاب •
واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير
او اظهروها فانه من الاضداد والهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته • وجعلنا
الاغلال في اعناق الذين كفروا • اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا
بموجب اغلالهم • هل يجزون الا ما كانوا يعملون • اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم
وتعديته يجزى اما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض • وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال
مترفوها • تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه وتخصيص المتنعمين
بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا الانهماك

حسانى في الجواب بما يدل على الثبوت الاستمراري
يعني ان المستضعفين اثروا الضلال الى الهدى حيث اتبعوا المستكبرين في كفرهم فما وقع الا باختيارهم السيء
فما وجه تغيير القولين بالمضارع والمضي
فالاولى ان تقول للسلب والاثبات على التنزل
اي من قبيل ترتب الحكم على المشتق المشعر بعلية ماخذ الاشتقاق

في الشهوات

في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى
التكذيب فقالوا • انا بما ارسلتم به كافرون • مقابلة الجمع بالجمع • وقالوا نحن اكثر اموالا
واولادا • فنحن اولى بما تدعونه ان امكن • وما نحن بمعذبين • اما لان العذاب لا يكون
او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب • قل • رد لحسبانهم • ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر • ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات
ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته • ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج
كما قال • وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى • قربة والتي اما لان المراد وما
جماعة اموالكم والاولاد او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي اي
بالشيء الذي يقربكم • الا من آمن وعمل صالحا • استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال
والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده
الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف • فاولئك
لهم جزاء الضعف • اي يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر
الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب
الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم • بما عملوا وهم في الغرفات آمنون •
من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على ارادة الجنس • والذين
يسعون في آياتنا • بالرد والطعن فيها • معاجزين • مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم
يفوتوننا • اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له • يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما
سبق في شخصين فلا تكرير • وما انفقتم من شيء فهو يخلفه • عوضا اما عاجلا او آجلا
(جزاء عليه قوله ...)
وهو خير الرازقين • فان غيره وسط في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته • ويوم يحشرهم
جميعا • المستكبرين والمستضعفين • ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون •
تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم
اشرف شركائهم والصالحون للخطاب ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله وقرأ حفص
بالياء فيهما • قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم • انت الذي نواليه من دونهم

فما التوفيق بينه وبين قوله ان ليس للانسان الا ما سعى فتأمل فانه دقيق جدا

وقيل الاول بسط فتنة كقوله انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا ولهذا اتبعه بقوله وما اموالكم ولكن التقدير ايضا تقدير نقمة لانه عليه لا له واما الثاني فهو بسط رحمة ونعمة ولهذا اراده قوله له فالاول بسط نقمة والثاني بسط نعمة ولهذا جاء بعد الثاني وما انفقتم من شيء فهو يخلفه ولهذا اسقط له في الاولى واثبتها في الثانية وفيه ايضا ان الاول مطلق يعم كل ذي رزق كقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويفهم منه انه يبسط لواحد ويقدر على آخر والثاني مخصص ولهذا قال من عباده كشف الاسرار

لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم اثبتوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك
ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اى الشياطين حيث
اطاعوهم فى عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم
اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجن
فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله له لان الدار دار جزاء
وهو المجازى وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون
عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا
ما هذا يعنون محمدا عليه السلام الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم
بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنى القرآن الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع
مفترى باضافته الى الله تعالى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او
الاسلام او للقرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا
سحر مبين ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما فى اللامين من الاشارة
الى القائلين والمقول فيه وما فى لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له
وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل
ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم
فقال وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء
عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك ما آتينا هؤلاء
من البينات والهدى فكذبوا رسلى فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله فلا تكرير
فى كذب لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب او الاول مطلق والثانى مقيد ولذلك
عطف عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هى ما دل
عليه ان تقوموا لله وهو القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او الانتصاب
فى الامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين
اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا فى امر
محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع

اى من تنزيل قوله دون ذلك
اهوال اى هين ذلك

تنزيل القرب المكانى منزلة البعد
المكانى اى انه له عليه السلام

احد اللامين فى الذين كفروا والثانية
فى للحق

فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى
بالتدمير فكيف كان نكيرى

او النصب

او النصب باضمار هو او اعنى ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك
او استيناف منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه فانه
لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح
على رؤوس الاشهاد ويلقى نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة و
قيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اى شئ به من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم
بين يدى عذاب شديد قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر
اى شئ سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفى السؤال كأنه جعل التنبى مستلزما
لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوى عليه لانه اما ان يكون لغرض او لغيره وايا ما
كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه
من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ولا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى
واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد مطلع
يعلم صدقى وخلوص نيتى وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى باسكان الياء قل ان ربى يقذف
بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمى به الباطل فيدمغه او يرمى به الى
اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة
محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن فى يقذف او خبر ثان او خبر محذوف
وقرئ بالنصب صفة لربى او مقدرا باعنى وقرأ حمزة وابو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت
وبالضم كالعشور وقرئ بالفتح كالصبور على انه مبالغة قل جاء الحق اى الاسلام
وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل اى الشرك بحيث لم يبق له اثر مأخوذ من هلاك
الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدى
ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدى
خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل ان ضللت عن الحق
فانما اضل على نفسى فان وبال ضلالى عليها لانه بسببها اذ هى الجاهلة بالذات و
الامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحى الى
ربى قرأ نافع وابن عامر بفتح الياء فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب
يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند الموت

استعمال المقيد فى المطلق
فان القذف الالقاء بالطرد
والمنع

والبعث او يوم بدر وجواب لو محذوف وهو لرايت فظيعا. فلا فوت
فلا يفوتون الله بهرب او تحصن. واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض الى
بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا اولا
فوت ويؤيده انه قرى واخذ عطفا على محله اى فلا فوت هناك وهناك. وقالوا امنّا به
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره فى قوله ما بصاحبكم. وانّى لهم التناوش
ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا. من مكان بعيد. فانه فى حيز التكليف
وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحالهم
من يريد ان يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرا ابو عمرو
والكوفيون غير حفص بالهمزة على قلب الواو لضمتها او انه من نأشت الشئ اذا طلبته
وقال رؤبة. اقحمنى جار ابى الخاموش. اليك نأش القدر النؤوش. او من نأشت
اذا تأخرت ومنه قوله تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى. وقد حدثت بعد الامور امور
فيكون بمعنى التناول من بعد. وقد كفروا به بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب
من قبل. من قبل ذلك اوان التكليف. ويقذفون بالغيب. ويرجمون بالظن ويتكلمون
بما لم يظهر لهم فى الرسول عليه السلام من المطاعن او فى العذاب من البت على نفيه من مكان
بعيد. من جانب بعيد من امره وهو الشبه التى تمحلوها فى امر الرسول عليه السلام
او حال الاخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيئا لا يراه
من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه وقرى ويقذفون على ان الشيطان يلقى اليهم
ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون
تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ما ضيعوه من الايمان فى الدنيا. وحيل بينهم وبين
ما يشتهون. من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرا ابن عامر والكسائى باشمام
الضم بالحاء. كما فعل باشياعهم من قبل. باشباههم من كفرة الامم الدارجة. انهم
كانوا فى شك مريب. موقع فى الريبة او ذى ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة
عن رسول الله صلعم من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة فاطر مكية وهى خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض. مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم
باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضى. جاعل الملائكة رسلا. وسائط بين
الله تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام
والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم اثار صنعه. اولى اجنحة مثنى وثلاث
ورباع. ذوى اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت حالهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون
او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفى ما زاد
عليها لما روى انه عليه السلام راى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح. يزيد فى الخلق
ما يشاء. استئناف للدلالة على ان تفاوتهم فى ذلك مقتضى مشيته ومودى حكمته
لا امر يستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان
كان لذواتهم المشتركة لزم تنافى الامور المتفقة وهو محال والاية متناولة زيادات
الصور والمعانى كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس. ان
الله على كل شئ قدير. فتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة
ما يفتح الله للناس. ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب على المسبب. من رحمة
كنعمة وامن وصحة ونبوة. فلا ممسك لها. يحبسها. وما يمسك فلا مرسل له يطلقه
واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب
وفى ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه. من بعده. من بعد امساكه. وهو
العزيز. الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه. الحكيم. لا يفعل الا بعلم واتقان
لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر
انعامه فقال. يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم. احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف
بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره فى ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به
بقوله. هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون. فمن اى
وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق لانه وصف
او بدل فان الاستفهام بمعنى النفى او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائى حملا على لفظه
وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استئناف مفسر له او كلام مبتدأ
وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله. وان يكذبوك

يريد سرعة نقلهم الى الامر تمثيلا بالقرب كف

عن التناول اى بعيد عن المكان الذى يقبل فيه الاعمال وهو الدنيا لبعد العهد وقد كفروا به كف

اى موقع فى الريبة او ذى ريبة والاول منقول من يصح ان يكون مرسا فى الاعيان الى المعنى والثانى من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر من تفسير الارشاد

لا من قبيل اضافة العامل الى معموله فانه مشروط بالحال والاستقبال فهو صفة لاسم الجلالة لانه يكتسى التعريف

اى فى تفسير الاول بالرحمة وجه الاشعار يفهم من تخصيص نفى المسك بالرحمة فانه يفهم منه ان غير الرحمة لها ممسك فى الجملة سعدى مرحومه

اقول مستعينا بالله الفتح شامل للرحمة والغضب الا انه سبحانه وتعالى بين فى جانب الفتح بالرحمة اشعارا بان رحمته سبقت على غضبه ولم يبين فى جانب الامساك بالغضب اشعارا لغاية الطافه بامساكه للغضب فان قلت الامساك شامل ايضا للرحمة والغضب فما وجه قولك قلت نعم الا انه بسه ورته [illegible]

فقد كذبت رسل من قبلك • اى فتاس بهم فى الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت
موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضى زيادة التسلية
والحث على المصابرة • والى الله ترجع الامور • فيجازيكم واياهم على الصبر والتكذيب
يا ايها الناس ان وعد الله • بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه • فلا تغرنكم الحيوة الدنيا •
فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها • ولا يغرنكم بالله الغرور • الشيطان
بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع
كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة • وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود • ان الشيطان
لكم عدو • عداوة عامة قديمة • فاتخذوه عدوا • فى عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر
منه فى مجامع احوالكم • انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير • تقرير لعداوته وبيان
لغرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا • الذين كفروا لهم عذاب
شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير • وعيد لمن اجاب دعاءه
ووعد لمن خالفه وقطع للامانى الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح
وقوله • افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا • تقرير له اى افمن زين له سوء عمله بان غلب
وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رايه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل
وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هى عليه فحذف الجواب
لدلالة • فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء • وقيل تقديره افمن زين له
سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة • فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات • عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم
على التكذيب والفاءات الثلثة للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة
دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوى
افعالهم المقتضية للتاسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا يتقدمه بل صلة
تذهب او بيان للمتحسر عليه • ان الله عليم بما يصنعون • فيجازيهم عليه • والله الذى
ارسل الرياح • وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح • فتثير سحابا • على حكاية الحال الماضية
استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها
بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة

فيه تسامح فان من موصولة لا شرطية سعدى
مرض هذا الوجه لان حذف الجواب عن موضعه سعدى

شروع فى بيان دليل يدلهم على قدرته سبحانه على البعث الذى كون به انجز المسائل اصل وهو معتد كف

على استمرار الامر • فسقناه الى بلد ميت • وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص بالتشديد
الياء • فاحيينا به الارض • بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب
فانه سبب السبب او الصائر مطرا • كذلك النشور • اى مثل احياء الموات نشور
الاموات فى صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة فى المقيس
عليه وذلك لا مدخل فيها وقيل فى كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش
تنبت منه اجساد الخلق • من كان يريد العزة • الشرف والمنعة • فلله العزة جميعا • اى
فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول • اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه • بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما
اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن فى يرفعه للكلم فان العمل
لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله تعالى
وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناءين والمصعد هو الله
تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه
عليه السلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قال العبد عرج
بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن له عمل صالح لم يقبل • والذين يمكرون
السيئات • المكرات السيئات يعنى مكرات قريش للنبى صلى الله عليه وسلم فى دار
الندوة وتداورهم الراى فى احدى ثلث حبسه وقتله واجلائه • لهم عذاب شديد • لا يؤبه
دونه بما يمكرون به • ومكر اولئك هو يبور • يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به
كما دل عليه بقوله • والله خلقكم من تراب • بخلق آدم منه • ثم من نطفة • بخلق ذريته منها • ثم جعلكم
ازواجا • ذكرانا واناثا • وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه • الا معلومة له • وما يعمر من معمر
وما يمد فى عمر من مصيره الى الكبر • ولا ينقص من عمره • من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص
من عمر غيره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة
مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه
الا بحق وقيل الزيادة والنقصان فى عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت فى اللوح
مثل ان يكون فيه ان حج عمره ستون والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من
عمره وينقص فانه يكتب فى صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على البناء للفاعل

عطف على فى صحة المقدورية

المنعة جمع مانع

اى طلب العزة لانها اذا كانت مخصوصة بالله تعالى فيكون مطلوبة منه سبحانه وتعالى

اقول فعلى هذه الرواية كون الصعود مجازا عن القبول محل بحث اللهم الا ان يقال المراد فى قوله لم يقبل اى قبولا يكون مع العمل شيخ زاده مرحله

اى من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا من تفسير الارشاد

يفهم منه جمع الاثابة والعقاب على عبد واحد وليس على هذا بل على طريق الاستخدام فعلى هذا لا يلزم المحذور فتامل

الا فی کتاب هو علم الله تعالى او اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة الى
الحفظ او الزيادة والنقص وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح
اجاج ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره
والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيّغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل ومن كل
تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم
او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان فيما هو المقصود
بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن
والكافر وان اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما
فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر او تفضيل الاجاج
على الكافر بما يشارك العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت وترى
الفلك فيه في كل مواخر تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها
واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون
على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره او منتهاه او يوم القيمة
ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بان
فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ في
قران والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية
والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض
ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة
يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك
مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو سبحانه فانه الخبير به على الحقيقة
دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم يا ايها
الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم
كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق بالاضافة
الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد

المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد ان يشأ
يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم آخرين اطوع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك
على الله بعزيز بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس
اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون
اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة
نفس اثقلها الاوزار الى حملها حمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب لحمل شيء منه
نفى ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو
ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى
من جعل كان تامة فانها لا يلائم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب
غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة
فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر من دنس
المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم و
اقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوي
الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور
ولا الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب والعقاب ولا لتأكيد نفي
الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلبت على السموم
وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات
تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ان الله
يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور
ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ان انت الا نذير
فما عليك الا الانذار واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم
انا ارسلناك بالحق محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة
لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر
الا خلا مضى فيها نذير من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة
قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل ولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة

وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات • بالمعجزات
الشاهدة على نبوتهم • وبالزبر كصحف ابرهيم عليه السلام • وبالكتاب المنير كالتورية
والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين
ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اى انكارى بالعقوبة • الم تر ان الله انزل
من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها • اجناسها او اصنافها على ان كلا
منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما • ومن الجبال جدد • اى
ذو جدد اى خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع
جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح • بيض وحمر مختلف الوانها • بالشدة
والضعف • وغرابيب سود • عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد
مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تاكيد مضمر يفسره سود فان الغربيب
تاكيد للاسود ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة
والمؤمن العائذات الطير • وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار
والاظهار • ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك • كاختلاف
الثمار والجبال • انما يخشى الله من عباده العلماء • اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم
بصفاته وافعاله فمن كان اعلم كان اخشى منه ولذلك قال عليه السلام انا اخشاكم
لله واتقيكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود
حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع اسم الله تعالى ونصب العلماء على ان
الخشية استعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا • ان الله عزيز غفور • تعليل لوجوب
الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه • ان
الذين يتلون كتاب الله • يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم
وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله تعالى فيكون ثناء على المصدقين
من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين • واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية •
كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة • يرجون
تجارة • تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان • لن تبور • لن تكسد ولن تهلك بالخسران
صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم علة لمدلوله اى ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله

قدم ذكر الدواب على الانعام لان الدواب
جنس يظهر فيه الاختلاف اكثر مما يظهر في النوع
الواحد منه ثم خصص نوعا واحدا منه بالذكر
لعظم نفعه واشتهاره عند المخاطبين
كف

ليوفيهم

قال البيضاوي بالشدة والضعف اقول نظرا الى كل من البيض والحمر فالضمير في الوانها عائد اليهما وكذا قال ابن الوب
في شرحه هنا قوله بالشدة والضعف اي في البيض والحمر انتهى ثم اقول اختلاف المفسرين في مرجع ضمير الوانها مبني على الاختلاف
الواقع في كون البياض من الالوان وعدمه فاكثرهم اعادوا الضمير اليهما ذهابا منهم الى كون البياض من الالوان وهو الصحيح ولعل البيضاوي
بعض الله وجهه من القائلين به كما يدل عليه سياق كلامه في الطوالع على انه لا قرينة تخصص عود الضمير الى الحمر فقط سوى القول
ومن لم يقل بكون البياض من الالوان من المفسرين صار من القاصرين على الحمر وبيان ذلك ان بعض القدماء قالوا لا وجود
للالوان اصلا بل كلها متخيلة وقال بعضهم ان السواد لون حقيقي لا ينسلخ عن الجسم البتة فدل ذلك على انه حقيقي بخلاف
البياض فان الابيضية بل الالوان كلها قابلة لها كون ما لا عنها واضطرب كلام ابن سينا في البياض حيث قال في
الفن الرابع من الطبيعيات من كتاب الشفاء لا اعلم حدوث البياض بطريق آخر سوى طريق التخيل فلا يثبت عنده حينئذ
كون البياض لونا حقيقيا وقال في المقالة الثالثة من علم النفس من كتاب الشفاء ايضا قد يحدث البياض بطريق آخر
سوى التخيل لاختلاف الوانه بالشدة والضعف الا ترى ان بياض البيض مع كونه شفافا يصير ابيض بعد السلق واغلائه
بالنار هذا والاكثر على ان اصل الالوان خمسة السواد والبياض والحمرة والصفرة والخضرة ويحصل البواقي بالتركيب منها
الحكمة ثم اقول مساق النظم الكريم لاظهار القدرة القاهرة في خلق الاختلاف في ذوات طرق الجبال بالبياض والحمرة
والسواد فيصح اولا بالاختلاف بالاولين ثم في خلق الاختلاف في تينك الصفتين بالشدة والضعف واليه اومى
تعالى بقوله مختلف الوانها ومن البين ان قوله مختلف الوانها صفة محمولة على كل بياض والحمر اللتين هما صفتان
محمولتان على جدد التي هي في المعنى صفة للجبال محمولة عليها ولو بتقدير مضاف اي ذو جدد فتقابل الجمع بالجمع يفيد
ان بعضا من الجبال ذو طريق طريق ابيض ابيض احمر احمر شديد شديد ضعيف ضعيف فلو اعيد الضمير الى جدد
لفاتت هذه النكتة الدالة على كمال القدرة بل قد افضى الى تكرار خال عن الجدوى اذ يؤول المعنى حينئذ الى قولنا طرق
الجبال بيض وحمر والوان تلك الطرق مختلفة بالبياض والحمرة وكما تقرر عند اولي الالباب ان البياض لون مغاير
للضوء وجاز قيام عرض بعرض مثله فاقول ان وصفي الشدة والضعف قائمان بالبياض والحمرة القائمين
بالبيض والاحمر اللذين هما صفتان محمولتان على الطرق فاختلاف ذوات الطرق بالبياض والحمرة واختلاف
الوانهما بالشدة والضعف آيتان دالتان على قدرة خالق القوى والقدر ورسل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
الى الابيض والاحمر وتعلك تقول كل من البياض والحمرة لون واحد بالنوع ممتاز عن الآخر واختلافهما اظهر من
ان يخفى فذكر اختلاف لوني البياض والحمرة في ذاتيهما مما تأبى عنه البلاغة القرآنية فلذا قال البيضاوي اي بالشدة
والضعف يعني ليس المراد ان لون البيض ولون الحمر مختلفان بل المراد ان الوان القائم بالطرق البيض والطرق
الحمر مختلف وسبب اختلاف تلك الافراد يجب ان يكون امرا زائدا على ماهيتي البياض والحمرة حتى ينعقد من انضمام
امر الى الماهية فرد ومن انضمام امر آخر اليها فرد آخر وهكذا فذلك الامر ههنا الشدة او الضعف فمحصله ان بعض الجبال
ذو طريق ابيض شديد البياض وضعيفه وذو طريق احمر شديد الحمرة او ضعيفها وهو ظاهر واما معنى شدة اللون وضعفه
فعلى ما صرح به البيضاوي في الطوالع حيث قال الالوان قد توجد شديدة اذا كانت صرفة وضعيفة اذا اختلط بها
اجزاء صغار تضادها اختلاطا لا تتميز معه انتهى بقي انه لم يؤخر قوله مختلف الوانها عن قوله وغرابيب سود مع ان
السواد من الالوان المختلفة بالشدة والضعف ولعل هذا اشارة الى آية اخرى على قدرة القادر المختار على معنى ان الالوان
الثلثة المذكورة معلولات له تعالى مع تساويها في اللونية اختار الاختلاف في اثنين منها دون الثالث فاختلاف آثاره
في معلولاته دليل على كونه مختارا قادرا على ما شاء كيف شاء او لان السواد اعلى من مراتب الالوان كما قيل
بالاتر از سياهى رنك دكر باشد • وافراده متقاربة وان اختلف بالشدة والضعف والحق عندي ان المقصود
من قوله غرابيب سود الشديد السواد ابانه اعلى درجات السواد فلا يتصور فيه الاختلاف بالشدة والضعف والله اعلم
ثم اقول وبالله التوفيق لما اراد الله سبحانه بيان قدرته الباهرة في مصنوعاته التي قد توجد بازدياد اسباب
عادية وقد يوجد بدونها فقال الم تر مستفهما بالاستفهام الانكاري الذي يراد به التقرير اي الحمل على الاقرار بعد وجود
وقال ان الله انزل من السماء ماء مبتدئا ببيان قدرته في مصنوعه الذي لم يزد له سببا ومعنونا بلفظة الجلالة المقدسة

بان التحقيقية بينهما من ادل الامر على ان انزال الماء من السماء شىء لا يشاركه لله فيه احد ولا يشك شاك ولا يرتاب مرتاب ولهذا قدم لفظة الجلالة تقويا للحكم على ما عرف فى محله ثم شرع فى بيان قدرته فى مصنوعه الذى زاوله بسبب عادى فقال فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ملتفتا من الغيبة الى التكلم فكنى عن نفسه بنون دالة على عظم شانه ولخطر مصنوعه فيها على ان اخراج ثمرات مختلفة الانواع من شجر متحدة المواد لا يقدر عليه سوى من له عظم الشان وسمو البرهان لا كما توهمه بعض الجهال من ان مخرجها القوة النباتية من النامية والمولدة الممثل المنضمة الى تأثيرات فلكية تشعر بذلك التوصف بنزول الماء من السماء فكانه قال الماء الذى نزل من السماء فنحن منزلوه والثمرات وان خرجت بسببه فنحن مخرجوه ولذلك اهتم فيه ثم يهتم فيما قبله وهو ظاهر وفيما بعده من قوله ومن الجبال حيث لم يقل وجعلنا فى الجبال جددا لان ما توهمه المتوهمون لا يجرى فى جماد غير ذى قوة اذ لا يشك ذو لب ان مبدع الطرق فى الجبال التى هى مصنوعة له تعالى هو تعالى لا غير فلا حاجة فيها الى ذكر مبدعها وبين خلق الوان الثمرات مختلفا وقدمت اخراجها على ما يشعر به جعل مختلفا حالا لا صفة مبالغة فى الرد على ذلك المتوهم ثم بين قدرته فى صنوع لم يعهد مزاولة السبب فيه كما عهدت فى اخراج الثمرات فقال ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها مترقيا فيه ببيان خلق الاختلاف فى الذوات والصفات فكان كل واحد من قوله مختلفا الوانها ومختلف الوانها فى الموضعين قرينة للاخر فلما تجاذب القرينتان الثانى احدهما صفة لشىء ذى نماء والاخرى لشىء غير ذى نماء على وجه انيق ونظم عجيب افرد ما لم يرد فيه الاختلاف بالذكر فقال وغرابيب سود ومن ههنا تبين وجه تاخيره عن قرانيه لانه لا يجاذب القرينتين يوجد فيما اذا قدم غرابيب سود بان يقال ومن الجبال جدد غرابيب سود وبيض وحمر لانا نقول قد قرع سمعك بما علقناه سابقا ان الغرابيب لم تتعلق الارادة باختلاف لونها فلو اخر مختلف الوانها فربما اذهم رجوع الضمير الى الثلثة المذكورة من الالوان وكذا ان تقول ان نحم الله بلفظ دال على سواد شديد تنبيها لا يوجد فى غيره تاتين فى محله ان الوجود نور والعدم ظلمة فنفيه ايما الى ان خواتيم المحدثات عدم ومثل هذه الدقيقة يعده ارباب البصيرة من لطايف القرانية ونظيره قول الحكيم سنايى نظم اول وآخر قرآن زچه با آمد وسين يعنى در ره دين رهبر تو قرآن بس هذا فان تعرناه عليك فيه كفاية لمن له قلب او القى السمع وهو شهيد والحمد لله العزيز الحميد

لخواجه سعى احمد افندى من خطه

ليوفيهم بنفاقهم اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك او عاقبة يرجون ويزيدهم من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعتهم اى مجازيهم عليها وهو علة للتوفيه والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا والذى اوحينا اليك من الكتاب يعنى القران ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه فى العقايد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان فى احوالك ما ينافى النبوة لم يوح عليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على ساير الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة فى ذلك الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضى لتحققه او ورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذى اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا اى علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على ساير الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير فى العمل به ومنهم مقتصد يعمل به اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسىء والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا فاما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث والاصطفاء او السبق جنات عدن يدخلونها مبتدا وخبر والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرا ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المراة فهى حالية من اساور من ذهب من الاولى

العيار بكسر العين المعيار الذى يقاس به غيره سعدى

للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهبا اى من ذهب مرصع باللؤلؤ او من
ذهب فى صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير
وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش
وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور
للمطيعين الذى احلنا دار المقامة دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله
اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال
اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفى النصب نفى ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم
نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار
ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف
عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزى
كل كفور مبالغ فى الكفر او الكفران وقرا ابو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى
كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو
الصياح استعمل فى الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذى كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر
على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان اخراجهم لتلافيه وانهم
كانوا يحسبون انه صالح والان تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم
النذير جواب من الله تعالى وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول كل عمر تمكن المكلف
فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه السلام العمر الذى
اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير
كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبى او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت
الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم ان الله عالم
غيب السموات والارض لا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له
لانه اذا علم مضمرات الصدور وهو اخفى ما يكون كان اعلم بغيره هو الذى جعلكم
خلائف فى الارض يلقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة و
الخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم

الذى فيه اهل النار لانهم
يردونهم كف

الا

الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان
اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد
بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الاخرة قل ارايتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله يعنى آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله
تعالى او لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارايتم
بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبرونى كانه قال اخبرونى عن هؤلاء الشركاء اروني
اى جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك فى السموات ام لهم شركة
مع الله تعالى فى خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية
ام آتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة من ذلك
الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا
وقرا نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر والكسائى على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك
خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا
لما نفى انواع الحجج فى ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تقرير الاسلاف
للاخلاف او الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله تعالى يشفعون لهم بالتقرب
اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا كراهة ان تزولا فان الممكن
حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا
ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله او من بعد الزوال والجملة
سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا
حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى
الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود
والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم
او من الامة التى يقال فيها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة
فلما جاءهم نذير يعنى محمد عليه السلام ما زادهم اى النذير او مجيئه على التسبب
الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا فى الارض بدل من نفورا او مفعول له

فالاولى ان يقول من بعد امساك الله كما قال
ابو السعود لا البعدية لا يتصور فى حق الله

ومكر السيئ اصله وان مكروا المكر السيئ فحذف الموصوف استغناء بوصفه
ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرا حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل
ولا يحيق ولا يحيط المكر السيئ الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ
ولا يحيق المكر اي لا يحيق الله تعالى فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين
سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله
تحويلا اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من المكذبين
الى غيرهم وقوله اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
استشهاد عليه بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من اثار
الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته
في السموات ولا في الارض انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ
الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها ظهر الارض من دابة
من نسمة تدب عليها بشوم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده
بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة
دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت وعنه عليه السلام يس تدعى المعمة
تعم صاحبها خير الدارين الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة

سورة يس مكية وهي ثلث وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله يا انيسين
فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء
كاين او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم
بناء كحيث او اعرابا على هذه يس واما له الياء حمزة والكسائي وابو بكر وروح وادغم النون
في الواو والقران الحكيم ابن عامر والكسائي وورش ويعقوب وهي واو القسم او العطف
ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم لمن الذين ارسلوا
على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون على صراط

خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع صريحا بالاستقامة
وان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى
المفعول وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب على اضمار اعني او فعله على انه
على اصله وقرئ بالجر على البدل لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر
اباؤهم قوما غير منذر اباؤهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة
حاجتهم الى ارساله او الذي انذر به او شيئا انذر به اباؤهم الابعدون فيكون
مفعولا ثانيا لتنذر او انذارا اباءهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول
اي لم ينذروا فبقوا غافلين او بقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اي ارسلتك
اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الايات والنذر
بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم
يطاطئون رؤوسهم له فهم مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون
لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤوسهم له وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم
بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون
عن النظر في الايات والدلائل وقرا حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه
وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى
وقيل الايتان في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ راس النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه
وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها
بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله تعالى
وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة تفسيره انما تنذر
انذارا يترتب عليه البغية المرومة من اتبع الذكر اي القران بالتامل فيه والعمل به
وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر
برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات

بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة
وآثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم
وكل شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم من قولهم
هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى
معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف مضاف اي اجعل لهم مثل اصحاب
القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية
انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى
عليه السلام الى اهلها واسناده الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل
رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأ ابو بكر مخففا من عزه
اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث هو شمعون
فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة الاصنام فارسل اليهم عيسى عليه
السلام اثنين فلما قربا من المدينة رايا حبيبا النجار يرعى غنما فسالهما فاخبراه فقال امعكما
آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرا فآمن
حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك قال لهما ألنا اله سوى آلهتنا
قالا نعم من اوجدك وآلهتك قال حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى عليه السلام
شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استانسوا واوصلوه الى الملك
فانس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما
فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه
واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا
الله تعالى حتى انشق له البصر واخذا بندقتين فوضعاها في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما
فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف
قال ليس لي عنك سر الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء
ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة
اودية النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا
حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذين فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن

الملك

الملك في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر
مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي
اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء وحي ورسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى
رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم
وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا البلاغ المبين الظاهر
البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة قالوا
انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه
لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم سبب
شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم أئن ذكرتم وعظتم وجواب الشرط
محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد زيدت الف بين الهمزتين وفتح
ان بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم وان وأن بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث
جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم
جاءكم الشؤم او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به
وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن
بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه
خبر الرسل جاء واظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا على النصح
وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لي لا اعبد الذي فطرني على قراءة
غير حمزة فانه يسكن الياء في الوصل تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه
وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة
غيره ولذلك قال واليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال
أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم
ولا ينقذون بالنصرة والمظاهرة اني اذا لفي ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا
يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى
على عاقل وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء اني آمنت بربكم الذي خلقكم فاسمعون فاسمعوا
ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل

وانما قال ان يردن الرحمن بضر ولم يقل ان يردن الجبار ونحوه اشارة الى تحقير آلهتهم فان غناء الشفاعة في الرحمن يسير فاذا لم تنفع شفاعتهم فيه فلا نفع لشفاعتهم اصلا [illegible]
مرحله

ان يقتلوه • قيل ادخل الجنة • قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في
دخولها كسائر الشهداء او لما هموا بقتله فرفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له
لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استيناف في حيز الجواب
عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه وكذلك • قال يا ليت قومي
يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين • فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك
القول وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان
والطاعة على دأب الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ
عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون
او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اي باي شيء غفر لي يريد به المهاجرة
عن دينهم والمصابرة على اذيتهم • وما انزلنا على قومه من بعده • من بعد اهلاكه او رفعه • من جند من السماء
لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم
وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام • وما كنا منزلين • وما صح في حكمنا ان ننزل جندا لاهلاك
قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما
موصولة معطوفة على جند اي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة
ان كانت • ما كانت الاخذة او العقوبة • الا صيحة واحدة • صاح بها جبريل عليه السلام
وقرئت بالرفع على كانت التامة • فاذا هم خامدون • ميتون شبهوا بالنار رمزا الى
ان الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد • وما المرء الا كالشهاب وضوئه
يحور رمادا بعد اذ هو ساطع • يا حسرة على العباد • تعالي فهذه من احوالك التي من حقها
ان تحضري فيها وهي ما دل عليها • ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن • فان المستهزئين
بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم
الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله تعالى عليهم على سبيل الاستعارة
لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل
باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول
ويا حسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف • الم يروا • الم يعلموا وهو معلق عن قوله
كم اهلكنا قبلهم من القرون • لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها

الاستفهام

الاستفهام • انهم اليهم لا يرجعون • بدل من كم على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من
قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستيناف • وان كل لما جميع لدينا محضرون
يوم القيمة للجزاء وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقرأ ابن
عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فيكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا
ظرف له او لمحضرون • وآية لهم الارض الميتة • وقرأ نافع بالتشديد • احييناها • خبر للارض
والجملة خبر آية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهي الخبر او المبتدأ والآية خبرها او استيناف
لبيان كونها آية • واخرجنا منها حبا • جنس الحب • فمنه يأكلون • قدم الصلة للدلالة
على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به • وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب • من انواع
النخيل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف
ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب
لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع • وفجرنا فيها • وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح
والتفتيح لفظا ومعنى • من العيون • اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش • ليأكلوا من ثمره • ثمر ما ذكر وهو
الجنات وقيل الضمير لله تعالى على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه
وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بالضمة وسكون • وما عملته
ايديهم • عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد
ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه
من الصلة احسن من غيرها • افلا يشكرون • امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه •
سبحان الذي خلق الازواج كلها • الانواع والاصناف • مما تنبت الارض • من
النبات والشجر • ومن انفسهم • الذكر والانثى • ومما لا يعلمون • وازواجا مما لم يطلعهم الله
عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته • وآية لهم الليل نسلخ منه النهار • نزيله ونكشف
عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق • فاذا هم مظلمون •
داخلون في الظلام • والشمس تجري لمستقر لها • لحد معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر
المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها
هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم • او لاستقرار لها على نهج مخصوص

آيت حيران كفطنان دون القرآن له احلات
وغطشي كاري

اوللمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثماية وستين
مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام
القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون لها
فانها متحركة دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن
للحكم التي تكل الفطن عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم
المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل او سيره في منازل
وهي ثمانية وعشرون السرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة
الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة
النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ
الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه
فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون فيه قبل الاجتماع دق واستقوس وقرأ
الكوفيون وابن عامر القمر بنصب الرا حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون
من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم
العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل ان تدرك
القمر في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه
او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة
على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته
ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان
الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم
والتنوين عوض المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب
تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون فيه
بانبساط وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم
الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم
في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب في الفلك المشحون المملو وقيل فلك نوح عليه
السلام وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم ذرياتهم

وعبارة الكشاف الشمس جديرة بان توصف
بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر خليق
بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وعبارة
هذا الكتاب احسن لان الشمس اذا كانت بطيئة
كيف يكون جديرا بان يوصف بالادراك
فان البطيء لا يدرك السريع ما دام في الحركة
الا ان يسكن السريع او يسرع البطيء ويمكن
ان يقال المراد بالادراك عدم السبق ويقال
ان غاية ما يمكن فيها الادراك فلا يحاول الى
السبق سنانی رحمه

وتخصيص

وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز وخلقنا لهم
من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفاين البر او من السفن والزوارق
وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا استغاثة كقولهم
اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت به الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة
ولتمتع بالحيوة الى حين زمان قدر لآجالهم فيه واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم
الوقايع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة او نوازل السماء ونوايب الارض كقوله
اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب
الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله
وجواب اذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها
معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه
واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعني معطلة
كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئته انطعم من لو
يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان
الله تعالى لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان
الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له ان انتم الا في ضلال
مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز ان يكون جوابا من الله تعالى لهم او حكاية
لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث
ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون
يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله تعالى او تأتيهم الساعة
بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير بفتح الخاء على القاء حركة التاء
اليه وابو عمرو به مع الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكانه جوز الجمع بين
الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون
توصية في شيء من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة

مثل الوقايع التي ابتليت بها الامم
المكذبة للانبياء

المحاويج جمع محواج بمعنى كثير
الاحتياج

ونفخ في الصور اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث
من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا
وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هبت من نومه اذا انتبه ومن
بعثنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدأ وخبر وما
مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ
خبر محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب
الملائكة والمؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم وتنبيها
بان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي
وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنون فانه ليس بعث
النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت
الفعلة الا صيحة واحدة هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع
لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما
عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون
الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا
قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي
تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام
ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب
في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون
وقرئ فكهون بالضم كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف
وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب
او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل على الارائك على السرر المزينة
متكئون وهم مبتدأ خبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون
والجاران صلتان له او تأكيد للضمير في شغل او في فاكهون وعلى الارائك متكئون
خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلاثة وفي ظلال حال من المعطوف

ذكر في اسرار التنزيل للامام الرازي رحمه الله
ان النفخ في الصور يحصل ثلاث مرات اولها نفخة
الفزع قال الله تعالى في النمل ويوم ينفخ في الصور
ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله
والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة الاحياء
قال تعالى في الزمر ونفخ في الصور فصعق من في
السموات ومن في الارض الا من شاء الله
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون انتهى ولا يخفى
عليك ان النفخات الثلاث لا يطابق لما في هذا
الكتاب سناني مرحمه

فان نفخة الصعق على ما صرح به في الزمر في هذا الكتاب
هي النفخة الاولى وعلى رواية الامام هي النفخة
الثانية ويمكن ان يقال في التوفيق ان الامام
اعتبر ابتداء النفخة الاولى والمصنف اعتبر انتهاءها
ثم ان الامام ادرج النفختين الثانية والثالثة
على عكس هذا الكتاب في نفخة الاحياء
سناني مرحمه

والمعطوف

والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء
كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه كقولهم ارتموه بمعنى تراموه او
يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي او ما يدعونه في الدنيا من الجنة
ودرجاتها وما موصولة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او
صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم
سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب (او سلموا سلاما)
رحيم يقول الله تعالى او يقال لهم قولا كائنا من جهته بمعنى ان الله تعالى يسلم عليهم
بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه
على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك
حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من
كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى الم اعهد اليكم
يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده
اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة
غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف
المضارعة واحهد واحد على لغة تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته
بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم
اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته والجملة استئناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه
او بالشق الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق
المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان معاداة
الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي والجبل
الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر
وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق
وجيلا واحد الاجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا
حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها من الكلام وتكلمنا ايديهم و
تشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على افعالها

وبانطاق الله تعالى اياها في الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم و
تكلم ايديهم وارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة
فاستبقوا الصراط الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او
تضمين الاستباق معنى الابتدار او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او
بالظرف فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم
بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم
فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل
وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو يا
كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم
ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره ومن نطل
عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان
عليه بدأ امره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون
ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج
وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان
محمدا شاعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه
ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له
ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
اتفاق من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات
على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي انه حرك الباءين وكسر التاء
الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن اي ما يصح للقرآن ان يكون
شعرا ان هو الا ذكر عظة وارشاد من الله تعالى وقرآن مبين وكتاب سماوي
يتلى في المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز لينذر القرآن او الرسول
ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل
كالميت او مؤمنا في علم الله تعالى فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به

وانى بمعنى كيف وهو الحال في هذا المحل

ولا بد ان يكون الشعر مقفى وموزونا

لانه المنتفع

لانه المنتفع به ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر
وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعار بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات
في الحقيقة اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه
غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص
والتفرد بالاحداث انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع
فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها
لهم قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا وذللناها لهم وصيرناها
منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل
هي جمعه وركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون اي يأكلون لحمه
ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف والاوبار ومشارب من اللبن جمع مشرب
بمعنى الموضع او المصدر افلا يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله
اياها كيف امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة
اشركوها في العبادة بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه
المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانه
لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب
عنهم او محضرون اثرهم في النار فلا يحزنك فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن قولهم
في الله تعالى بالالحاد والشرك وقيل بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون وما يعلنون
فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستيناف ولذلك
لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
فاذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه
تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا في الخصومة بينا ومنافاة الجحود القدرة
على ما هو اهون مما عمله في بداية خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من
اخس شيء وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روي ان ابي بن خلف اتى النبي
صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال اترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال
عليه السلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا

وهو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه • وضرب
لنا مثلا • امرا عجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى او تشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز
عما عجزوا عنه • ونسي خلقه • خلقنا اياه • قال من يحيي العظام وهي رميم • منكرا اياه مستبعدا
له والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك
لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حيوة فيؤثر فيه الموت
كسائر الاعضاء • قل يحييها الذي انشأها اول مرة • فان قدرته كما كانت لامتناع
التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها • وهو بكل خلق عليم • يعلم تفاصيل
المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها
ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض
والقوى التي كانت فيها او احداث مثلها • الذي جعل لكم من الشجر الاخضر كالمرخ
والعفار • نارا • بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فينقدح
النار • فاذا انتم منه توقدون • لا تشكون في انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث
النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة
الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون
منها البطون • اوليس الذي خلق السموات والارض • مع كبر جرمهما وعظم شأنهما
بقادر على ان يخلق مثلهم • في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم في اصول الذات
وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر • بلى • جواب من الله تعالى لتقرير ما بعد النفي
مشعر بانه لا جواب سواه • وهو الخلاق العليم • كثير المخلوقات والمعلومات • انما امره • انما
شأنه • اذا اراد شيئا ان يقول له كن • اي تكون • فيكون • يحدث وهو تمثيل لتأثير
قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار
الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله على قدرة
الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا على يقول • فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء •
تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شيء
واليه ترجعون • وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس
رضي الله عنه كنت لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية وعنه

عليه

عليه السلام ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله
له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل
به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا
يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون و
يشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت
روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض وهو ريان ويمكث في قبره
وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا • اقسم بالملائكة الصافين في
مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله تعالى
الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها او الناس عن المعاصي بالهام
الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه
او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر
القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء
الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات
الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين
ذكر الله تعالى لا يشغلهم عنه مباراة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات
والفاء لترتيب الوجود كقوله • يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب •
فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة الى قبول الخير والتلاوة افاضة
او الرتبة كقوله عليه السلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتأخر
وهذا للعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان
واصول الثنايا • ان الهكم لواحد • جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم
عليه على ما هو المألوف في كلامهم واما تحقيقه فبقوله • رب السموات والارض وما بينهما و
رب المشارق • فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل وجود

الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف
وما بينهما تيا ودل افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب
او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد
وبحسبها تختلف المغارب لذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ
في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات. انا زينا السماء الدنيا
القربى منكم بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان وتعضده قراءة حمزة
ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة هي لها كاضوائها
واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما
جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالنصب
على الاصل او بان زينتها الكواكب على الاضافة الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة
الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا
ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها
الازرق باشكال مختلفة. وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار
المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا. من كل شيطان مارد.
خارج من الطاعة برمي الشهب. لا يسمعون الى الملأ الاعلى. كلام مبتدأ لبيان حالهم
بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ
من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم
حذف ان واهدارها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى. فان اجتماع ذلك منكر والضمير
لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم
عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع
والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم. ويقذفون ويرمون. من كل جانب من جوانب السماء
اذا قصدوا صعوده. دحورا علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف
متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة
بالفتح وهو يحتمل ان يكون ايضا مصدرا كالقبول وصفة له اي قذفا دحورا. ولهم عذاب
اي عذاب آخر. واصب دائم او شديد وهو عذاب الآخرة. الا من خطف الخطفة

استثناء

استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس
كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء و
مكسورها واصله اختطف. فاتبعه شهاب. واتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كأن كوكبا
انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس
فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة
للسماء من حيث انه يرى كأنه على سطحه ولا يبعد ان يكون الحادث كما ذكر في بعض الاوقات
رجما لشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد
النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد كثرته او مصيره دحورا واختلف
في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب
كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال ان الشيطان
من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب
الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها. ثاقب
مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه. فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم. اهم
اشد خلقا ام من خلقنا. يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق
والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل اطلاقه ومجيئه بعد ذلك
وقراءة من قرأ ام من عددنا وقوله. انا خلقناهم من طين لازب. فانه الفارق بينهم
وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم
والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم
قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء
الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد
منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم عليه السلام وشاهدوا تولد كثير
من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة
الفاعل ومن قدر على هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به سيما ومن ذلك بدأهم
اولا وقدرته ذاتية لا تتغير. بل عجبت من قدرة الله تعالى وانكارهم البعث. ويسخرون

هذا هو المفهوم الظاهر في سورة الجن
فالاول المخصوص والثاني عام لشمولهم وغيرهم من بني آدم
قوله بعد ذلك اي ما ذكر من الملائكة

من تعجيبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة
خلائقي اني تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن
هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله تعالى اما على سبيل الفرض و
التخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه
الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت. واذا ذكروا لا يذكرون. واذا وعظوا
بشيء لا يتعظون به او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم
واذا رأوا آية. معجزة تدل على صدق القائل به. يستسخرون. يبالغون في السخرية
ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها. وقالوا ان هذا يعنون
ما يرونه. الا سحر مبين. ظاهر سحريته. أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون.
اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة
في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحال اشد انكارا فهو ابلغ
من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية
اوآباؤنا الاولون عطف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول
عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون
وابن عامر الواو على معنى الترديد. قل نعم وانتم داخرون. صاغرون وانما اكتفى به في الجواب
لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اي قال الله
تعالى او الرسول وقرأ الكسائي وحمزة نعم بالكسر وهو لغة فيه. فانما هي زجرة واحدة. جواب
شرط مقدر اي اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية
من زجر الراعي غنمه نعمه اذا صاح عليها وامرها في الاعادة كامر كن في الابداء ولذلك
رتب عليها. فاذا هم ينظرون. فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون
ما يفعل بهم. وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين. اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم
وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون. جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم
لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء. احشروا الذين ظلموا. امر الله تعالى للملائكة
او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم. وازواجهم. واشباههم
عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكواكب مع عبدتها كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة ونساءهم

اللاتي

اللاتي على دينهم او قرناءهم من الشياطين. وما كانوا يعبدون من دون الله. من
الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون. فاهدوهم الى صراط الجحيم
فعرفوهم طريقها ليسلكوها. وقفوهم. احبسوهم في الموقف. انهم مسؤولون. عن عقائدهم
واعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفهم. ما لكم لا تناصرون. لا ينصر بعضكم
بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع. بل هم اليوم مستسلمون. منقادون لعجزهم وانسداد
الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله
واقبل بعضهم على بعض. يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء. يتساءلون. يسأل بعضهم
بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون. قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين. عن اقوى الوجوه
وايمنه او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين
الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح او عن
القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق. قالوا بل
لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين. اجابهم الرؤساء
اولا بمنع اضلالهم فانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن
لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان. فحق علينا قول ربنا انا
لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين. ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب
كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي فاجابوا ان يكونوا
مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو
فمن اغواهم. فانهم فان الاتباع والمتبوعين. يومئذ في العذاب مشتركون. كما كانوا
مشتركين في الغواية. انا كذلك. اي مثل ذلك الفعل. نفعل بالمجرمين. بالمشركين لقوله
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون. اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم
اليه. ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون. يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم. بل
جاء بالحق وصدق المرسلين. رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان و
تطابق عليه المرسلين. انكم لذائقوا العذاب الاليم. بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ
بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى

بالّلام وعلى الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين
استثناء منقطع الا ان الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه
باعتبار المماثلة فان ثوابهم يضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك
لهم رزق معلوم خصائصه من الدوام او تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان
الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على
خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيل ما يصل
اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها
الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك
على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان
يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكاس باناء فيه خمر او خمر
وكاس شربت على اللذة من معين من شراب معين او نهر معين اى ظاهر للعيون او خارج
من العيون وهو صفة الماء من معان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء
او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال
اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكاس ووصفها
بلذة اما للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ كطب (بمعنى طبيب) ووزنه فعل قال ولذ كطعم
الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول غائلة كما في خمر
الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون
من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفي وعطفه
على ما يعمه لانه من عظم فساده كانه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاء وتابعهما عاصم
في الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد يقال نزف
المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف
قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبههن
ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه
احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف
عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشراب قال وما بقيت من اللذات الا

احاديث

ما حاصله هو ان المعين كان في الاصل صفة للماء ووصف به خمر الجنة اما لانها تجري كالماء او للاشعار بان ما يكون لاهل الجنة بمنزلة الشراب لاهل الدنيا جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة انتهى حاصل كلامه ولعل وجه الاشعار هو ان اتصاف الماء بالمعين لما كان سببا لكونه الذ والطف من سائر ما يشاركه في الجنس من اصناف المياه اشعر ذلك بان اتصاف الخمر به بعد يكون سببا لكونها الذ والطف من سائر ما يشاركها في الجنس من انواع الاشربة ومن المعلوم بداهة ان كون الشيء الذ من آخر انما يتصور بعد كونه جامعا لما فيه من اللذة كما لا يخفى على المتامل والحاصل ان وصف الخمر بما وصف به الماء مشعر بانها محرزة للذة المطلوبة من انواع الاشربة كما ان الماء المعين من المشاهد ان الماء سبب [illegible] محرز للذات المطلوبة من انواع المياه كما لا يخفى على من له حظ باساليب الكلام ولعل هذا صالح لان يعول عليه في حل هذا المقام كما لا يخفى على المنصف المتفطن والله اعلم
لمعلقه المرحوم منقاري زاده

احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي للتاكيد فيه فانه الذ تلك اللذات
الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل
منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين
يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك القائل هل
انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله تعالى او بعض
الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين
منزلتكم من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف
على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد
به او خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الآمرون الخير والفاعلونه
او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه اى قرينه في سواء الجحيم وسطه
قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة واللام هي
الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها افما
نحن بميتين عطف على محذوف اى انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اى بمن شانه
الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناوله لما في القبر
بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع
وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة
جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز
العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله تعالى لتقرير قوله والاشارة
الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون اى لنيل
مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالالام السريعة هو ايضا يحتمل
الامرين اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب
نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقدم
للنازل ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم
شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة

اى مطلعون اباى فحذف اباى واقيم الياء مقامها
حواشي

الاستفهام للتقرير اى شرع ذلك القائل بعد اتمام كلامه مع قرينه في المكالمة مع جلسائه تبجحا فيما اتاه الله تعالى

للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار
قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر خلق حيوان يعيش في النار
ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم
منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها حملها استعار من طلع التمر لمشاركته
اياه في الشكل او الطلوع من الشجر كانه رؤس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو
تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر
لها اعراف لعلها سميت بها لذلك فانهم لآكلون منها من الشجرة او طلعها فمالئون
منها البطون لغلبة الجوع او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اي بعد ما شبعوا منها
وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة
والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق وصديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم
وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم مصيرهم لالى الجحيم
الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج
عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون
اليه كما تورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا
آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء
في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على آثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا
الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد
ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
من الشدة والفظاعة الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا
دينهم لله تعالى وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول صلى الله
عليه وسلم والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم وراوا آثارهم
ولقد نادانا نوح شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين ايس
من قومه فلنعم المجيبون اي فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف
منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق واذى
قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيمة

المراد من الفتنة الابتلاء ولكن سميت بها لكشفه الشي بعيانه

فيكون استعارة مصرحة من اطلاق المشبه به على المشبه

على كلا الوجهين استعارة مصرحة

اي كثرة الشعر كشعر الفرس بين رقبته

فيه اشارة الى ان التراخي في الزمان

فيكون التراخي في الرتبة

قوله ويؤيده فيه تأمل

فيه اشارة الى انه جواب قسم محذوف

اذ روي

اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم وتركنا عليه في الآخرين
من الامم سلام على نوح هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما
وقيل هو سلام من الله تعالى عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين
متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعا
انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه
انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة
امره ثم اغرقنا الآخرين يعني كفار قومه وان من شيعته ممن شايعه في الايمان
واصول الشريعة لابراهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما
الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح اذ جاء ربه
متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من آفات
القلوب او من العلائق خالص لله تعالى او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى
اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا
تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم ائفكا آلهة دون الله تريدون
اي تريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر
انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه
على انها افك في نفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف وحالا
بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين
حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا
فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن من عقابه على طريق
الالزام وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة في النجوم فرأى مواقعها واتصالاتها او
في علمها او في كتابها ولا منع فيه مع ان قصده ايهامهم حين سألوه ان يعيد
معهم فقال اني سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف
للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون
العدوى واراد اني سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا
قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

على احتمال الثاني وعلى الاحتمال الاول المفعول قوله سلام على نوح

السليم اللديغ كانهم تفاءلوا بالسلامة

لا عذر لهم بكونه رب العالمين

العدوى ما يعدي من جرب او مرض الى غيره

فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحبني فاذا السلامة داء. فتولوا عنه مدبرين
هاربين مخافة العدوى. فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب
واصله الميل بحيلة فقال للاصنام استهزاء الا تأكلون يعني الطعام الذي كان
عندهم. ما لكم لا تنطقون بجوابي. فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى
للاستعلاء وان الميل لمكروه. ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه في معنى ضربهم
او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة
تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم. فاقبلوا
اليه الى ابرهيم عليه السلام بعد ما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسورة وبحثوا عن كاسرة
فظنوا انه هو كما شرحه في قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية. يزفون يسرعون من زفيف
النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازفه اي يحملون على الزفيف وقرئ يزفون اي
يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه
كان بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم اليه. قال أتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام
والله خلقكم وما تعملون اي وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وتشكلها وان كان بفعلهم ولذلك
جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد
او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى
فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا ولهم
ان يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز. قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم
في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التأجج واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك
البنيان. فارادوا به كيدا فانهم لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة
عجزهم. فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه
حيث جعل النار عليه بردا وسلاما. وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني
ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته. سيهدين الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي
وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك
حال موسى عليه السلام حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولذلك ذكر
بصيغة التوقع. رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة

يعني به ان ما في وما يعملون مصدرية

مراده كون ما مصدرية بمعنى العمل بمعنى
المعمول على طريقة الخلق

قال فاضل الاولى ان يقال انما بت القول معتمدا
على ما اتاه عليه السلام من خلاصه عن النار
وقياس عليه بت ما يليه بخلاف حال
موسى عليه السلام لانه اول ما جرى عليه

ويؤنسني

ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله. فبشرناه بغلام
حليم بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم لان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما
واي حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني ان شاء الله
من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه عليهما السلام
وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه. فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه
في اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا يتقدمه
ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كأنه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه
لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه
لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة. قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك
يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية ان قائلا يقول
له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله تعالى فلما امسى رأى مثل
ذلك فعرف انه من الله تعالى ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له
ذلك ولهذا سميت الايام الثلثة بالتروية والعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل
عليه السلام لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق عليه السلام بعده
معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما جده
اسمعيل والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر
بئر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل الله تعالى خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من
الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة
حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمه ولان البشارة باسحق كانت
مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روي انه عليه السلام
سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق
ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد
من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو بفتح الياء فيهما. فانظر ماذا ترى من الرأي انما شاوره فيه وهو حتم
ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم

قال الشيخ هذا الاقتضى بلوغهما معا فان معناه
حين بلغ الابن السعي كان مقارنا مع الاب
لا ينفك عنه وجاز ان يذكر كلمة مع والمراد
اختصاص احدهما بذلك كما في لفظ القدوري
ومن فاتته صلوة العيد مع الامام فالفوت
مخصوص بالمؤتم اقول يؤيده ما وقع في عبارة
شرح المواقف للشريف الجرجاني في بيان انه
تعالى ليس زمانيا بمعنى وجوده تعالى مقارن
للزمان وحاصل مع حصوله فان قلت فلم لم يجز
تعلق مع في عبارة القدوري بلفظ الصلوة
ليتخلص عن هذا التكلف قلت لا يستقيم لانه
يتناول المسبوق مع انه يجب عليه القضا
سنان [illegible]

لا اسحق

عبارة الكشاف ولان الله بشره باسحق وولده
يعقوب في قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق
يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد
في يعقوب انتهى

اقول يرد عليه ان الخلف انما يلزم لو لم يكن له ذرية
ويمكن ان يقال الخلف بالنظر الى ابرهيم يعني انه تعالى
[illegible] الخلف وان لم يلزم اضافة الى الله تعالى رد عليه
ان الخلف في الوعد انما يلزم ان لو كان يعقوب
مبشرا به على الوجه المذكور فان قراءة يعقوب
بالنصب على تقدير فعل تقديره ووهبنا يعقوب
واما على قراءة الرفع فلازم فافهم فانه
سنان [illegible]

ليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائي
ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحهما وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش
بين بين والباقون باخلاص فتحها قال يا ابت وقرأ ابن عامر بفتح التاء افعل ما تؤمر
اي ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المأمور به والاضافة
الى المأمور ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورا به او علم ان رؤيا الانبياء عليهم
السلام حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة
ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع
لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله تعالى
وقرأ نافع بفتح الياء فلما اسلما استسلما لامر الله تعالى او سلم الذبيح نفسه وابرهيم
ابنه وقد قرئ بهما واصلهما سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه
وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه
على وجهه باشارته كيلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وقيل كان ذلك عند الصخرة
بمنى او في الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم
قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين بقوته
على حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال
ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم عليهما من دفع البلاء
بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب
العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما
واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر
ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة
البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم
عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدي به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين
قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة فرماه
بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابرهيم وانما قال
وفديناه لانه المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية

على ان

على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه في الآخرين
سلام على ابرهيم سبق بيانه في قصة نوح كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين
مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى
وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به
لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق
اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين
فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه
وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر
الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل
على الاطلاق وباركنا عليه على ابرهيم في الاولاد وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء
بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهما السلام او افضنا عليهما بركات الدين
والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه بالايمان والطاعة
وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له
في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا
على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما
وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم
فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه
وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب
وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما
من عبادنا المؤمنين سبق مثل ذلك وان الياس لمن المرسلين هو الياس
بن ياسين من سبط هرون اخي موسى عليهم السلام بعث بعده وقيل ادريس
عليه السلام لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي وان ابليس وقرأ ابن
ذكوان مع ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال لقومه الا تتقون
عذاب الله تعالى اتدعون بعلا اتعبدون او تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان

فيه اشارة الى ان شرط العبادة ان يسمع المعبود كلام من عبده ولذلك عدل عنه اليه

لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك وقيل الرب
بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته
وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب
آبائكم الاولين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل فكذبوه
فانهم لمحضرون اي في العذاب انما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق
مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد
المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين لغة في الياس كسيناء
وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب
تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع
وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون
ياسين ابا الياس وقيل محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن وغيره من كتب الله
تعالى والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله
اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون
عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين
في الصباح وبالليل اي مساء ونهارا وليلا ولعلها وقعت قرب منزل يمر بها المرتحل
عنه صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون افليس فيكم عقل تعتبرون به وان يونس
لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله الهرب من السيد لكن
لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون المملوء فساهم
فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام
الظفر روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله تعالى به فركب
السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق
ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة
او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا
انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو

قول

قول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث
في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه
ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت على
لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار
مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف
في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل سبع وقيل عشرون وقيل اربعون وهو سقيم
مما ناله وقيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه
شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن
بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب
فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال
اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر
على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد
به ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون في مرأى الناظر
اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا
فصدقوه او فجددوا الايمان بمحضره فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم
قصة يونس وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع
الكبر واولي العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر
السورة فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة
امر رسوله صلى الله عليه وسلم اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث
وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر
باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله تعالى البنات ولانفسهم البنين في قولهم
الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفناء
على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم
عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم
ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات

موضع بالكوفة وقرية بالموصل

يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين
لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث
جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما
خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم
ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم
يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه
وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده فعل
بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين
استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء وعن نافع كسر الهمزة
على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار
القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله ما لكم كيف تحكمون بما لا
يرتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه عن ذلك ام لكم سلطان مبين حجة واضحة
نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم ان كنتم
صادقين في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم
وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن فخرجت الملائكة
وقيل قالوا الله والشيطان اخوان ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس
او الجنة ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله عما يصفون
من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين منقطع او متصل
ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم
ما انتم عليه على الله تعالى بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال
الجحيم الا من سبق في علمه انه من اهل النار يصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولالهتهم
غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة
سادا مسد الخبر اي انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم عليه على ما تعبدونه
بفاتنين بباعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال
بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين وتخفيف

صائل على القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم لم يبال
به باله فان اصلها بالية كعافية وما منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية
للرد على عبدتهم والمعنى ما منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله
تعالى في تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم
ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علمت الملائكة ان المشركين معذبون
بذلك وقالوا سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال
ولقد علمت الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها
له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك
للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم لا يتجاوزونها فحذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون في اداء الطاعة ومنازل
الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله تعالى عما لا يليق به ولعل الاول اشارة
الى درجاتهم في الطاعات وهذا في المعارف وما في ان واللام وتوسيط الفصل
من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم
وقيل هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام
معلوم في الجنة او بين يدي الله تعالى في القيامة وانا لنحن الصافون له في الصلوة و
المنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون اي مشركوا قريش لو ان عندنا ذكرا
من الاولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا
العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار
والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين اي وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان
جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماه كلمة
وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد
لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر
الدلالة على ان ذلك كائن لا محالة قريب كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا
لك من التاييد والنصرة والثواب في الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا

يستعجلون روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزلت فاذا نزل
بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة
وقيل الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور
ونزل اى العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام
للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب
ولما كثرت منهم الهجوم والغارة فى الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت
فى وقت اخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تاكيد الى تاكيد واطلاق
بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة
وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثانى لعذاب الاخرة سبحان ربك
رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكى فى السورة واضافة الرب
الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية
والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم
بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم
وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد به تعليم المؤمنين كيف يحمدونه
ويسلمون على رسله وعن على رضى الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر
يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى اخر السورة وعن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرا والصافات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن
والشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وهى ثمان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه
الصدى فانه يعارض الاول اى عارض القران بعملك وبالفتح لذلك او بحذف
حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح فى موضع الجر فانها غير مصروفة
لانها علم السورة او بالجر والتنوين على تاويل الكتاب والقران ذى الذكر الواو للقسم
ان جعل ص اسما للحرف او مذكورا للتحدى او الرمز بكلام مثل صدق محمد صلى الله عليه وسلم

اوالسورة

او السورة خبرا لمحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف
دل عليه ما فى ص من الدلالة على التحدى والامر بالمعادلة اى انه لمعجز او لواجب العمل
او ان محمدا صلى الله عليه وسلم لصادق وقوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق اى
ما كفر به لخلل وجد فيه بل الذين كفروا به فى عزة اى استكبار عن الحق وشقاق خلاف
لله تعالى ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب
المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف والشهرة او ذكر
ما يحتاج اليه فى الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة
على شدتهما وقرئ فى غرة اى غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن
وعيد لهم على كفرهم استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا
ولات حين مناص اى ليس الحين حين مناص ولا هى المشبهة بليس زيدت عليها
تاء التانيث كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين
وقيل هى النافية للجنس اى ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اى ولا ارى
حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدا محذوف الخبر اى ليس حين مناص حاصلا
لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات
حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضماير فى نحو قوله لولاك هذا العام
لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل
عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم
ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء
والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الامام عثمانى
ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره
فاعل لا يرد ورد ما قاله الزمخشرى
الا فيما خصه الدليل ولقوله والعاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم
والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امى
من عدادهم وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم
واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقوله
على الله تعالى اجعل الالهة الها واحدا بان جعل الالوهية التى كانت لهم لواحد

اجيب عنه بانه شاذ نادر حتى لا يوجد فى غيره
من الابيات ولا وجه لتخريج افصح الكلام
عليه خلاصة ثانى سعدى

ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده من ان
الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرّام
روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب وقالوا
انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين
اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسألونك
السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه السلام ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر
آلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطيّ انتم كلمة واحدة
تملكون بها العرب وتدين لكم العجم بها قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا
وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي طالب بعد
ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا
واثبتوا على آلهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق
عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من
مشيت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون
ان اصبروا ان هذا لشيء يراد ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له
او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم
لشيء يتمنى ويريده كل احد او ان دينكم يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا بهذا بالذي يقوله
في الملة الآخرة في الملة التي ادركنا عليها اباءنا او في ملة عيسى عليه السلام التي هي
آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اي ما سمعنا من
اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب
اختلقه أأنزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم
في الشرف والرياسة لقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وامثال
ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوية بل
هم في شك من ذكري من القران او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس
في عقيدتهم ما يبتون به قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب
بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم

يقال بت امرا اي دبره ليلا وفي قول المصنف
من قبيل استعمال المقيد في المطلق معه

العذاب

العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب
بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤوا فيتخيروا للنبوة
بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله تعالى يتفضل بها على من يشاء
من عباده لا مانع له فانه العزيز الغالب لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب
كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما
كانه لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية
لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير
من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب جواب شرط
محذوف اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى
يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهو غاية التهكم
بهم والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب
الحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هم جند ما من الكفار
المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف
في الامور الربانية او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما
وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا انفسهم
فيه من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد
ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد
مأخوذ من ثابت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا
كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها و
يضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة واصحاب
الغيضة وهم قوم شعيب اولئك الاحزاب يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل
الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل تسجيلا على استحقاقهم العذاب ولذلك
رتب عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب
جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم
بالذكر او حضورهم في علم الله تعالى الا صيحة واحدة وهي النفخة ما لها من فواق

مرضه لان الارتقا في الوصله لا اطلاع اسباب
السموات لا الارتقا فيها

اي على الحقيقة لا على الهزء بل بعده مما قبله على ان
الاستعظام للاستهزاء

اي كل امة من الامم كذبت رسوله على طريقة
قولهم ركب القوم دوابهم او ان تكذيب
بعض الرسل تكذيب الكل لان القوم على الانفراد
لم يكذبوا الا رسولهم فلما كان تكذيب البعض
تكذيبا للكل فاتى بالرسل في النظم بالجمع

من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع وتردد فان فيه حمع اللبن الى
الضرع وقرا حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا
من العذاب الذي توعدنا به او الجنة التي تعد للمومنين وهو من قسطه اذا قطعه
ويقال للصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة
اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزا اصبر على ما يقولون
واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في اعينهم فانه مع علو شانه و
اختصاصه بعظايم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل
والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر
قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهماله عنان نفسه
اذني اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد وآد وايادي بمعنى انه اواب
رجاع الى مرضات الله تعالى وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة في الدين و
كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر
تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية الدالة
على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشي والاشراق هو حين تشرق الشمس اي تضيء
ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق
وعن ام هاني رضي الله عنها انه عليه السلام صلى صلوة الضحى وقال هذا صلوة الاشراق
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الآية والطير محشورة
اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة
منه متدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له اواب كل واحد من الجبال
والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة
في التسبيح وهذا على المداومة عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله تعالى التسبيح وشددنا
ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا
ادعى بقرة على آخر وعجز عن البينة فاوحي اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت
اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته واتيناه الحكمة
النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل

فيه بحث لان تسبيح الجبال مترتب على تسبيحه عليه
فكما يسبح يسبحن الجبال معه فهو الدوام على التسبيح
فلا فرق بينهما

او الكلام

او الكلام الملخص الذي يتبينه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان
الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار
ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة
وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف
كلام النبوة عليه السلام فصل لا نزر ولا هذر وهل اتيك نبؤا الخصم استفهام
معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك اطلق
على الجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام
واذ متعلق بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع
في عهد داود عليه السلام ان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ
الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن حينئذ واذ الثانية
في اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه
من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه عليه الصلوة
والسلام فانه كان جزا زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما
للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان في يوم خلوة قالوا لا تخف
خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض
وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط
ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي لا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل
من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل
ان هذا اخي بالدين او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من
الضان وقد يكنى بها عن المراة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود
وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرأ حفص بفتح ياء لي نعجة فقال اكفلنيها
ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني
في الخطاب وغلبني في مخاطبته اياي محاجته بان جاء بحجاج لم اقدر ان ارده او في
مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي حيث زوجها
دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه

جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين من طمعه ولعله قال
ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله
وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين
خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدي وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة
وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة
بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة
للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك
الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا
لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب
ورجع الى الله تعالى بالتوبة واقصى ما في هذه الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون
له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله تعالى بهذه القصة فاستغفر واناب عنه
وما روي ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان
ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم و
قد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا و
امر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هراء وافتراء ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث
بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا
ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم
فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله فاستغفر ربه مما هم به
واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة
وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك
على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين
الناس بالحق بحكم الله تعالى ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة
الى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسألته فيضلك عن سبيل الله دلائله التي
نصبها على الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة

الحق

الحق وملازمة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة
فيه او ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين وللباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد
والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضع موضع
المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى
المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية
بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل
المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من
المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين
يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما
اما ان يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضي الحكمة فيه او في غيرها وذلك يستدعي
ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع وقرئ
بالنصب على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات
الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت وعلماء
امتك وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا
ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان
الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما يستقل به العقل ولعل
التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثاني ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اي نعم العبد
سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله تعالى
بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان
عليه السلام عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي
يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يكون
الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود
في الركض وقيل جمع جيد روي انه عليه السلام غزا دمشق ونصيبين فاصاب الف

فيه اشارة الى ان باطلا مفعول له

اي الصفة وضعت موضع المصدر فاصله كلوه اكلا هنيا

فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم يزل تعرض عليه حتى
غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا
الى الله تعالى. فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى اصل احببت ان يعدى بعلى لانه
بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدى تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله
مثل بعير السوء اذ احبا اى برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته
ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم
القيمة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء. حتى توارت بالحجاب. غربت الشمس شبه
غروبها بتوارى المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليه. ردوها على. الضمير
للصافنات. فطفق مسحا. فاخذ يمسح السيف مسحا. بالسوق والاعناق. اى بسوقها
واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اى ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها
وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همزة الواو لضمة ما قبلها كموقن وعن ابى عمرو
بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس. ولقد فتنا سليمان
والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب. واظهر ما قيل فيه ما روى مرفوعا انه قال لاطوفن
الليلة على سبعين امراة تاتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء
الله فطاف عليهن فلم يحمل الا امراة جاءت بشق رجل والذى نفس محمد صلى الله عليه
وسلم بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين
على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه فى السحاب فما يشعر به الا ان القى على كرسيه ميتا فتنبه
على خطائه بان لم يتوكل على الله تعالى وقيل انه غزا صيدون من الجزاير فقتل ملكها واصاب
ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها
صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولايدها يسجدن لها كعادتهن فى ملكه فاخبره
آصف فكسر الصورة وضرب المراة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له
ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه واعطاها يوما
فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع
عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فى النساء وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب
الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته وكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى

اربعون

اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة فى بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم
فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد
اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمى به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن
كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا وسجود الصورة
بغير علمه لا يضره. قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى. لا يتسهل له
ولا يكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى ولا ينبغى لاحد ان يسلبه منى بعد هذه السلبة
او لا يصح لاحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة
وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار
على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد
الاجابة وقرا نافع وابو عمرو بفتح الياء. انك انت الوهاب. المعطى ما تشاء لمن تشاء
فسخرنا له الريح. فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح. تجرى بامره رخاء. لينة من
الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمامور المنقاد. حيث اصاب. اراد من قولهم
اصاب الصواب فاخطا الجواب. والشياطين. عطف على الريح. كل بناء وغواص.
بدل منه. وآخرين مقرنين فى الاصفاد. عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة
استعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل
ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب
ان المراد تمثيل كفهم عن الشر بالاقران فى الصفد وهو القيد وسمى به العطاء لانه يرتبط
بالمنعم عليه فرقوا بين فعليهما فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه عكس وعده واوعده
وفى ذلك نكتة. هذا. اى هذا الذى اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم
يسلط به غيرك. عطاؤنا فامنن او امسك. فاعط من شئت وامنع من شئت. بغير
حساب. حال من المستكن فى الامر اى غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف
فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى عطاء جما لا يكاد يمكن حصره
وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم
فى القيد. وان له عندنا لزلفى. فى الآخرة مع ما له من الملك العظيم. وحسن مآب.
وهو الجنة. واذكر عبدنا ايوب. هو ابن عيص بن اسحق وامراته ليا بنت يعقوب

قوله وفى ذلك نكتة وتلك النكتة هى الاشارة
الى ان الوعد كلما قل مدته كان احسن والطف
كما ان العطاء كلما كثر كان احسن فزيد الحرف
فى العطاء ونقص فى الوعد لذلك
سنان فى حظه
فعل اصفده ولا يبعد ان يقال ايضا لما كان
البخل والعناد غالبا على الطباع كان الزيادة مناسبا
للوعيد كما يراد التاكيد بزيادة الانكار ولما
كان الطمع غالبا على النفوس كان المناسب
الزيادة فى العطاء والاول انسب بكلام المصنف

إذ نادى ربه بدل من عبدنا وأيوب عطف بيان له أني مسني بأني مسني وقرأ
حمزة بإسكان الياء وإسقاطها من الوصل الشيطان بنصب بتعب وعذاب
ألم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولا هي لقال أنه مسه والإسناد إلى الشيطان
أما لأن الله تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل أنه أعجب بكثرة ماله أو استغاثه
مظلوم فلم يغثه أو كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه أو لسؤاله
امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب أو مراعاة للأدب أو لأنه وسوس
إلى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أو لأن المراد من النصب والعذاب
ما كان يوسوس إليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع
وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين
للتثقيل اركض برجلك حكاية لما أجيب به أي اضرب برجلك الأرض هذا مغتسل
بارد وشراب أي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل أي تغتسل به وتشرب فيبرأ باطنك
وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الأخرى
ووهبنا له أهله بأن جمعناهم عليه بعد تفرقهم أو أحييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم
ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لأولي الألباب
وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ إلى الله تعالى فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا
عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث
روي أن زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرايم بن يوسف عليهم السلام
ذهبت لحاجة وأبطأت فحلف إن برأ ضربها مائة ضربة فحلل الله تعالى له يمينه
بذلك وهي رخصة باقية في الحدود إنا وجدناه صابرا فيما أصابه في النفس
والأهل والمال ولا يخل به شكواه إلى الله تعالى من الشياطين فإنه لا يسمى جزعا
كتمني العافية وطلب الشفاء مع أنه قال ذلك خيفة أن يفتنه أو قومه في الدين نعم العبد
أيوب عليه السلام إنه أواب مقبل على الله تعالى بشراشره واذكر عبادنا إبراهيم
وإسحق ويعقوب وقرأ ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع أو على أن إبراهيم وحده
لمزيد شرفه عطف بيان له وإسحق ويعقوب عطف عليه أولي الأيدي والأبصار
أولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين أو أولي الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة

فعبر

فعبر بالأيدي عن الأعمال لأن أكثرها بمباشرتها وبالأبصار عن المعارف لأنها أقوى
مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال أنهم كالزمنى والعماة إنا أخلصناهم بخالصة
جعلناهم خالصين لنا بخصلة لا شوب فيها وهي ذكرى الدار تذكرهم للآخرة دائما
فإن خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لأن مطمع نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار
الله والفوز بلقائه وذلك في الآخرة وإطلاق الدار للإشعار بأنها الدار الحقيقية
والدنيا معبر وأضاف نافع وهشام بخالصة إلى ذكرى للبيان أو لأنه مصدر بمعنى
الخلوص فأضيف إلى فاعله وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار لمن المختارين من
أمثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر وأشرار وقيل جمع خير أو خير على تخفيفه كأموات
في جمع ميت أو ميت واذكر إسمعيل واليسع هو ابن أخطوب استخلفه الياس على بني
إسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما في قوله رأيت الوليد بن يزيد مباركا وقرأ حمزة
والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع أو
بشر بن أيوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر إليه مائة نبي من بني إسرائيل من القتل فآواهم
وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل أي وكلهم من الأخيار
هذا إشارة إلى ما تقدم من أمورهم ذكر شرف لهم أو نوع من الذكر وهو القرآن
ثم شرع في بيان ما أعد لهم ولأمثالهم فقال وإن للمتقين لحسن مآب مرجع جنات
عدن عطف بيان لحسن مآب وهو من الأعلام الغالبة لقوله جنات عدن التي
وعد الرحمن عباده وانتصب عنها مفتحة لهم الأبواب على الحال والعامل فيها ما
في للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر أو أنهما خبران لمحذوف
متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان أو متداخلان
من الضمير في قوله لهم لا من المتقين للفصل والأظهر أن يدعون استئناف لبيان حالهم
ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للإشعار بأن مطاعمهم لمحض التلذذ
فإن التغذي للتحلل ولا تحلل ثمه وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرن إلى غير أزواجهن
أتراب لدات لهم فإن التحاب بين الأقران أثبت أو بعضهن لبعض لا عجوز فيهن
ولا صبية واشتقاقه من التراب فإنه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم
الحساب لأجله فإن الحساب علة الوصول إلى الجزاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء

لأنه مطلق وهو مصروف
إلى كاملها وهو الآخرة

فيعل من اللسع فلما نقل ثم دخل
عليه اللام ثم صار علما

ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا اي الامر هذا او هذا كما
ذكر او خذ هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال
من جهنم فبئس المهاد المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم
محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا او فليذوقوه
او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره حميم وغساق وهو على الاولين
خبر محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا
سال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائي غساق بتشديد السين وآخر اي مذوق او
عذاب آخر وقرأ البصريان واخر اي ومذوقات او انواع عذاب اخر من شكله من مثل
هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم
والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهي لغة ازواج اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلثة
او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء
الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة
والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال منه اي
مقولا فيهم لا مرحبا اي ما اتوا بهم رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلون النار باعمالهم
مثلنا قالوا اي الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم اي بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا
لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب او صليه لنا باغوائنا واغرائنا
على ما قدمتموه من العقايد الزايغة والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اي
الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار اي ذا ضعف وذلك
ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين من العذاب وقالوا اي الطاغون ما لنا
لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون
بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجال وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام
على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي
سخريا بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين ام زاغت مالت عنهم الابصار فلا نراهم
وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا اليسوا ههنا ام زاغت
عنهم الابصار او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم

ثم لا يجوز ان يحمل على المبالغة كما في رجل عدل فلا حاجة الى تقدير المضاف

ام

ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكار هما على انفسهم او منقطعة والمراد
الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم
على رثاثة حالهم ان ذلك اي الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو
فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل
من ذلك قل يا محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله
تعالى وما من اله الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار لكل شيء
رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز لا يغلب اذا عاقب
الغفار الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد
ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو
الانذار قل هو اي ما انباتكم به من اني نذير من عقوبة من هذا صفته وانه واحد
في الالوهية وقيل ما بعده من نبأ آدم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادي
غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر
واما على النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول
الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتب
لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم او محذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ الاعلى
ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما كانه لما جوز ان الوحي يأتيه بين ذلك
وهو المقصود به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ
انما بالكسر على الحكاية اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون
مبين له فان القصة التي دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق
آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك
واقتصارا على ما هو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبي عليه
السلام بمثل ما حاق ابليس على استكباره على آدم عليه السلام هذا ومن الجائز ان
يكون مقاولة الله تعالى اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله والملائكة
فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي واحييته بنفخ الروح فيه واضافته
الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا وقد مر الكلام

اي الذي امر رسوله بان يقول للمشركين انما انا منذر

يعني المراد بقوله قل هو نبأ آدم ويرد عليه ان ضمير هو
الى ما يرجع مع انه مرجعه لم يتقدم وجوابه الى نبأ
آدم لشهرته على وتيرة قوله تعالى انا انزلناه
في ليلة القدر

فيه في البقرة فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان صار
من الكافرين باستكباره امر الله تعالى واستكباره على المطاوعة او كان
منهم في علم الله تعالى قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي خلقته
بنفسي من غير توسط كاب وام والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف
الفعل وقرئ على التوحيد وترتب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او بانه
الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح للمانعية اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده
لبعض سيما وله مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت من غير
استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل
كنت من المتكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار
قال انا خير منه ابداء للمانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق
الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة او من السماء او من صورة الملائكة فانك رجيم
مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني
الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قد سبق بيانه في الحجر
قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين الذين
اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله تعالى على اختلاف
القرائتين قال فالحق والحق اقول اي احق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى
ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملأن جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة
تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اي الحق مني او قسمي او الخبر اي
انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين على
اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد وهو شائع
فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول وجره بنصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم
للناس اذ الكلام فيهم والمراد من تبعك من جنسك ليتناول الشيطان وقيل للثقلين
واجمعين تاكيد له او للضميرين قل ما اسألكم عليه من اجر اي على القرآن وتبليغ الوحي وما
انا من المتكلفين المتصنعين بما ليسوا من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة واتقول

القرآن ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نبأه وهو ما فيه من الوعد
والوعيد او صدقه باتيان ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور
الاسلام وفيه تهديد وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن
كل جبل سخر الله لداود عشر حسنات وعصمه الله ان يصر على ذنب كبير او صغير

سورة الزمر مكية وهي خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاول
صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب
على الاول السورة وعلى الثاني القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله
فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين
على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام
كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال الا لله
الدين الخالص اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة فانه
المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر والذين اتخذوا من دونه
اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى عليهم السلام والاصنام
على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره
على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول او ان الله يحكم بينهم
ومتعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى
مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا
آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق
الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم
وهم يلعنونهم ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار
فانهما عادما البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء
اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب

قوله على حذف الراجع اي على الوجه الثاني الذي هو كون الموصول عبارة على الملائكة وعيسى عليهم السلام فعلى هذا يكون التقدير الذين اتخذهم المشركون

اسنادا ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقامه لو
ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع
الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي ينافي المماثلة فضلا عن التوالد لان كل
واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة
تنافي قبول الزوال المحوج الى ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض
بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يغشى كل واحد منهما الاخر كانه تلف
عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا
عليه كرورا متتابعا تتابع الاكوار بالعمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
وهو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء
الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنايع من الرحمة وعموم المنفعة
خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها استدلال اخر بما اوجده في العالم السفلي
مبتدا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكر ثلث دلالات
خلق آدم عليه السلام اولا من غير اب وام ثم خلق حوا من قصيراه ثم تشعيب الخلق
الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى
واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت
ما بين الايتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته
كالذر ثم خلق منها حوا وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف
بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة
الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج من الابل والبقر والضان والمعز
يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما فيها
من عجايب القدرة غير انه غلب اولي العقل وخصهم بالخطاب لانهم المقصودون خلقا
من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد
مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب
والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم والمستحق لعبادتكم والمالك
له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه في خلقه غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته

الى الاشراك ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر
لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرا ابن
كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف
الالف موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة
وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات
الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه
لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على ان مبدا الكل منه ثم اذا خوله اعطاه من الخول
وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله تعالى نسي ما كان يدعو اليه
اي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي يتضرع اليه وما مثله الذي كان
في قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله
وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح
تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد فيه اشعار بان الكفر
نوع تشه لا سند له واقناط للكافرين من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله
انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة ام من هو قانت
قائم بوظايف الطاعات اناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره
الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل ام هو قانت كمن هو بضده وقرا
الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله تعالى كمن جعل له اندادا ساجدا
وقائما حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر
الآخرة ويرجو رحمة ربه في موقع الحال والاستيناف للتعليل قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية
بعد نفيها باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على
سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون
انما يتذكر اولوا الالباب بامثال هذه البينات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عبادي
الذين آمنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي للذين
احسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة وقيل معناه للذين احسنوا

فيه اشارة الى ان الكاف في كمن ... محذوف

اي لفظ ما في قوله ما كان يدعو اليه بمعنى من

فيه ايماء بان الملازمة مع الطاعة لا ينبغي ان تخلو عن الاتقاء ... يجب

حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه بيان لمكان حسنة وارض الله
واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه
انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها
اجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث انه تنصب
الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب
لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم
تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله
مخلصا له الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت بذلك
لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لانه قصب السبق في الدين لاخلاص
او لانه اول من اسلم وجهه لله تعالى من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة
الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان
اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبق في الدين ويجوز
ان يجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص والبدء
بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل
الى ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له
ديني امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه
مأمورا بالعبادة والاخلاص خائفا عن المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك
رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين
الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيمة
حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان
كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا
عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم لما فيه
من الاستئناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه
بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار
هي ظلل للآخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به

مجاز عقلي من قبيل جرى النهر

الامر للتهديد فالا فلا معنى للوجوب

تستفاد من اللام وصيغة الدالة على الاستمرار الذي يحصل به الكمال

ليجتنبوا

ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا
الطاغوت البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة
في المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان
ان يعبدوها بدل الاشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه
لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل والملائكة عند حضور الموت فبشر عبادي الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا الدلالة
على مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل
فالافضل اولئك الذين هديهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول
السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله
تعالى وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار
جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره انت مالك امرهم فمن حق
عليه العذاب فانت تنقذه وكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار والاستبعاد
ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب
كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول عليه السلام في دعائهم
الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستأنفة
للدلالة على ذلك والاشعار بان الجزاء محذوف ولكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف
من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الارض
تجري من تحتها الانهار من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان
قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف على الله نقص الم تر
ان الله انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع في الارض هي عيون
ومجار كائنة فيها او مياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على
المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما
او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج يتم جفافه لانه اذا تم جفافه جاز له ان
يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى
لتذكيرا بانه لا بد له من صانع حكيم دبره وسواه وبانه مثل الحيوة الدنيا فلا تغتر بها

وهو محال عليه

فيه اشارة الى ان ينابيع جمع ينبوع

اي على انه محل الصدور وانما لم يقل على الظرفية لانه يحتمل الزمان والمكان كما لا يخفى

شرح الصدر عبارة عن توسيعه وتفسحه لقبول الحق والشرح لغة فالصدر لانه فناء القلب والتوسيع يضاف الى الصدر لقال لان احد العشاء كشف سر دوى

لأولي الألباب إذ لا يتذكر به غيرهم. أفمن شرح الله صدره للإسلام حتى
تمكن فيه عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث
ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابل للإسلام. فهو على نور من ربه
يعني المعرفة والاهتداء إلى الحق وعنه عليه السلام إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح
فقيل فما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب
للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه. فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من
أجل ذكره وهو أبلغ من أن يكون عن مكان من لأن القاسية من أجل الشيء أشد
تأبيا من قبوله من القاسي عنه بسبب آخر وللمبالغة في وصف أولئك بالقبول وهؤلاء
بالامتناع ذكر شرح الصدر وأسنده إلى الله تعالى وقابله بقساوة القلب وأسنده
إليه. أولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بأدنى نظر والآية نزلت في حمزة وعلي
وأبي لهب وولده. الله نزل أحسن الحديث يعني القرآن روي أن أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم
الله تعالى وبناء نزل عليه تأكيد للإسناد إليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه
كتابا متشابها بدل من أحسن أو حال منه وتشابهه تشابه أبعاضه في الإعجاز
وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة. مثاني جمع مثنى أو مثنى
على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والإنسان
عروق وعظام وأعصاب أو جعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة
الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس بزيادة
الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد. ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر
الله بالرحمة وعموم المغفرة والإطلاق للإشعار بأن أصل أمره الرحمة وأن رحمته
سبقت غضبه والتعدية بإلى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب
لتقدم الخشية التي هي من عوارضها. ذلك أي الكتاب هدى الله يهدي به من يشاء
هدايته. ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلال. أفمن يتقي بوجهه
يجعله درقة يقي به نفسه لأنه يكون مغلولة يداه إلى عنقه فلا يقدر أن يتقي إلا بوجهه

اي لمكرر الاسناد حيث اسند اولا الى الله ثم الى ضميره في نزل

حيث لم يقل الى ذكر الله بالرحمة والمغفرة بل أطلق

تنزيل القرب المكاني منزلة البعيد

سوء

والاولى ان يجعل الواو على العطف على مقدر لانه سالم عن الحذف كما قاله ابو السعود

سوء العذاب يوم القيامة كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره. وقيل
للظالمين أي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم وإشعارا بالموجب لما يقال
لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون أي وباله والواو للحال وقد مقدرة. كذب الذين
من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم
منها. فأذاقهم الله الخزي الذل في الحياة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والإجلاء
ولعذاب الآخرة المعد لهم أكبر لشدته ودوامه. لو كانوا يعلمون لو كانوا من أهل
العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به. ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
يحتاج إليه الناظر في أمر دينه. لعلهم يتذكرون يتعظون به. قرآنا عربيا حال من هذا
والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا أو مدح له. غير ذي عوج
لا اختلال فيه بوجه ما وهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك
استشهادا بقوله وقد أتاك يقين غير ذي عوج من الإله وقول غير مكذوب وتخصيص له
ببعض مدلوله. لعلهم يتقون علة أخرى مرتبة على الأولى. ضرب الله مثلا رجلا المشرك
والموحد فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه
من أن يدعي كل واحد من معبوديه ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه
ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره
عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف
وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام
وثلاثتها مصادر سلم نعت بها أو حذف منها ذو ورجل سالم وتخصيص الرجل لأنه أفطن
للضر والنفع. هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ
مثلين للإشعار باختلاف النوع أو لأن المراد هل يستويان في الوصفين على
أن الضمير للمثلين فإن التقدير مثل رجل ومثل رجل. الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه
على الحقيقة سواه لأنه المنعم بالذات والمالك على الإطلاق. بل أكثرهم لا يعلمون
فيشركون به غيره من فرط جهلهم. إنك ميت وإنهم ميتون فإن الكل بصدد الموت
وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لأنه مما سيحدث. ثم إنكم على تغليب المخاطب
على الغيب. يوم القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بأنك كنت على الحق في التوحيد

جواب سؤال مقدر السؤال فالفائدة تكرار المثلين

وكانوا على الباطل في الشرك واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب
والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا وجدنا اباءنا وقيل المراد به الاختصام
العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله
باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد عليه السلام
اذ جاءه من غير توقف وتفكر في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم
مجازاة لاعمالهم واللام تحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم يكذبون
بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجاه ما علم مجيء الرسول عليه السلام
بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله
اولئك هم المتقون وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن معه كما في قوله
ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق ابو بكر رضي
الله عنه وذلك يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف
اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل وصار صادقا بسببه لانه معجزة تدل
على صدقه وصدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم في الجنة ذلك
جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله عنهم اسوء الذي عملوا خص الاسوء للمبالغة
فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب
يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما فرط منهم من الصغاير اسوء ذنوبهم ويجوز ان
يكون بمعنى السيء كقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ اسواء جمع سوء ويجزيهم
اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها
في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف عبده استفهام
انكار للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس
ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالانبياء ويخوفونك بالذين من دونه يعني
قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا لعيبك اياها وقيل انه بعث خالدا
ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها فان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها
فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الآمر له بما خوف عليه ومن يضلل الله يعني
غفل عن كفاية الله تعالى له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديهم الى الرشاد

ومن يهدي الله فما له من مضل اذ لا راد لفعله اليس الله بعزيز ذي انتقام ينتقم
من اعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح البرهان
على تفرده بالخالقية قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن
كاشفات ضره اي ارأيتم بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله تعالى ان آلهتكم ان
اراد الله ان يصيبني بضر هل يكشفنه او ارادني برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكها
عني وقرأ ابو عمرو كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته
قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي
لا مانع لما يريده من خير او شر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا
فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها
على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان
وقرئ مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد
والاشعار بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة ولذلك
توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله تعالى يوم بدر ويحل عليه عذاب
مقيم دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط
مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق متلبسا به فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه
اذ نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت
عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله
يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان بان
يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا
لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة
والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع ويرسل الاخرى اي
النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو
غاية جنس الارسال وما روي عن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا

بينهما مثل شعاع الشمس النفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحيوة
فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان
في ذلك من التوفي والامساك والارسال لآيات على كمال قدرته وحكمته
وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين
الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة
في توفيها وارسالها حينا بعد حين الى توفي اجالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش من دون
الله شفعاء تشفع لهم عند الله قل ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ايشفعون
ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة
جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى
انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه فلا يستقل بها ثم قرر ذلك
فقال له ملك السموات والارض فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم في امره
دون اذنه ورضائه ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيكون الملك له حينئذ واذا ذكر الله
وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة انقبضت ونفرت
واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها
ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار
ان يمتلي قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلي غما حتى ينقبض اديم
وجهه والعامل في اذا المفاجأة قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
التجئ الى الله تعالى لما تحيرت في امرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر
على الاشياء والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا
به من سوء العذاب يوم القيمة وعيد شديد واقناط كلي من الخلاص وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم في الوعد
وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق
بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار
عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم

الهمزة لنفي الوقوع لا لنفي الواقع وهو اتخاذ الشفعاء
يشير بهذا الى ان جواب لو محذوف وهو ايشفعون

وتعكيسهم

وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الالهة فاذا
مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض
مؤكد لانكارهم ذلك عليهم ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان
التخويل مختص به قال انما اوتيته على علم اي على علم مني بوجوه كسبه او باني سأعطاه
لما لي من استحقاقه او من الله تعالى بي واستيجابي والهاء لما ان جعلت موصولة
والا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء منها بل هي فتنة امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد
لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون
ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما
اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه
قاله ورضي به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فاصابهم سيئات
ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا
الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين ومن للبيان
او التبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم
قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين اولم يعلموا ان الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله بوسط او بغيره قل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة
العباد وتخصيصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا
من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده
بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان
يشرك به الآية والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد
بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذل
والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط
مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب
ووضع اسم الله تعالى موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق

فيه اشارة الى ان المضاف محذوف
المعطوف عليه محذوف اي قالوا ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا

وان كبيه بالجميع وما روي انه عليه السلام قال ما احب ان يكون لي الدنيا وما فيها
بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك
ثلث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد صلى الله عليه وسلم ان من عبد الاوثان
وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت
وقيل في عياش والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا
قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل
على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة والاخلاص في العمل وسابق الوعيد بالعذاب
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم القرآن والمامور به دون المنهي عنه او العزائم دون
الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة
من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون ان تقول نفس
كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى
ورب بقيع لو هتفت بجوه * اتاني كريم ينفض الراس مغضبا * يا حسرتى وقرئ بالياء
على الاصل على ما فرطت قصرت في جنب الله في جانبه وهو طاعته قال سابق
البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية فيها
مبالغة كقوله ان السماحة والمروة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج
وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب
وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب
على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق
لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لنا
كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال
تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت
من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي
وفصله عنه لان تقديمه يفرق القراين وتاخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه
يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله تعالى
في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ

قوله وهو لا يمنع اي ذكر من الآيات الثلث لا يمنع الى آخره جواب عن الاعتراض الوارد من طرف المعتزلة المتمسكين بهذه الآيات الى ان العبد متصرف في افعاله كما اراد فجوابه ان التاثير من طرف الله لا ان العبد مستقل في افعاله بدون التاثير الالهي

بالتا

بالتانيث للنفس ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز
كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل
والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو اليس
في جهنم مثوى مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك
وينجي الله الذين اتقوا وقرئ وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة
تخصيصها باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرا
الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله
لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون وهو حال او استيناف لبيان المفازة الله خالق
كل شيء من خير او شر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد
السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته
وحفظه لها وفيه مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزاين لا يدخلها ولا يتصرف فيها
الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد
معرب كليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سال النبي صلى الله عليه
وسلم عن مقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر
الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت
وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح
خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بآيات الله اولئك
هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن
على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح
المؤمنين فضل الله تعالى وفي هلاك الكافرين ان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض
بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد بآيات الله دلايل قدرته واستبداده بامر
السموات والارض وكلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ
من الرحمة قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اي افغير الله اعبد بعد هذه الدلايل
والمواعيد وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك قالوا استلم بعض
آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غيرا بما دل عليه تامروني اعبد لانه

بمعنى تعبد وبني على ان اصله تأمروني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله احضر الوغا
ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقراءة ابن عامر تأمرونني باظهار النونين على الاصل ونافع
بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي
من الرسلين لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل
الفرض والمراد تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب
باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط
يحتمل ان يكون من خصايصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت فيكون
حملا للمطلق على المقيد صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد
لما امروه به ولولا دلالة التقديم على التخصيص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين
انعامه عليك فيه اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره
ما قدروا عظمته في انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شركا ووصفوه بما لا يليق وقرئ
بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته
وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان
تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين
حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة مرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة
وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب
على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد والارضون السبع
او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة
على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد من هذه قدرته
وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة الاولى
فصعق من في السموات ومن في الارض خر ميتا او مغشيا عليه الا من شاء الله
قيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة
اخرى وهي تدل على ان المراد بالاول ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع
واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب

قوله واطلاق الاحباط يحتمل يعني به الاشارة
الى جواب الاعتراض الوارد على اصحاب الحنفية
ان مجرد الارتداد لا يحبط العمل عندهم والحال
ان هذه الآية الكريمة دالة على احتمال الاحباط
بالارتداد كما في مذهب ابي حنيفة رحمه الله
فجوابه ان اطلاق الاحباط يحتمل
تامل

شابت لمة الليل محمول على الاستعارة
المكنية والتخييلية

على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين
او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه
نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات
يوم القيمة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام
مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع
المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحايف الاعمال في ايدي العمال
واكتفى باسم الجنس عن الجميع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحايف وجيء بالنبيين
والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين
العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب على ما جرى به الوعد
ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم
ثم فصل التوفية وقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها
في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة جمع زمرة واشتقاقها
من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل
زمر قليل المروءة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة
وقرا الكوفيون بتخفيف التاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم يأتكم رسل منكم
من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت
دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان
الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب
علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة
على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل
ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين
اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره فلا ينافي اشعاره بان مثواهم في النار
لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم
وساير مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة
استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا

خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار فيدخل به النار وسيق الذين اتقوا
ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا
راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها حذف جواب لو للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به
الوصف وان ابواب الجنة يفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف
وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها
خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو
لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث
والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة
وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث
فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من جنته الواسعة
مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة
حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون
بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي
جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم
هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار
وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب
العالمين اي على ما قضي بيننا بالحق والقائلون المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم
لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم
القيمة واعطاه الله ثواب الخائفين وعنه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

اي الآية الكريمة تدل على ان الطهارة سبب للدخول في الجنة فلما كان العاصي بعفو الفضل خالقه كان كان مطهرا عن دنس العصيان فيكون مستعدا للدخول فلا يمنع عن الدخول ايضا

سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم امال ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين
بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه
للتعريف والتأنيث او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله

العزيز

العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة
الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول
صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة
حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد
عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالباس وابدال وجعله وحده بدلا
مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول
التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو
الستر فيكون الذنب باقيا وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب
له والتوب مصدر كالتوبة وجمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد
صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال
الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله الا الذين
كفروا لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق كقوله
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه
وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال
عليه ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك
تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام
واليمن في التجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال
كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم
بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه
ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقيل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل
بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوا به فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهمهم فكيف كان
عقاب فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت
كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا بكفرهم انهم اصحاب
النار بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين
يحملون العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم

حوله مجاز عن حفظهم في تدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده
وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله تعالى بمجامع الثناء من صفات
الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح
ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك
كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان
الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة
والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب النصح
والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون
اخوة ربنا اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال وسعت كل شيء
رحمة وعلما اي وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة
والعلم والمبالغة في عمومها وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم
عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة
العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وعدتهم اياها ومن صلح من آبائهم
وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخل معهم ليتم سرورهم او الثاني
لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك انت
العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك
الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص
او مخصوص بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد
رحمته اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كانهم طلبوا السبب بعد ما طلبوا
المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا
ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله اياكم
اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل
دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين
عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة الا ان يؤول بنحو في الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم

فالاولى ان يقال في بيان السبب والمسبب ان
ارادة الرحمة سبب للوقاية عن السيئات
فالله سبحانه وتعالى اذا اراد ان يرحم عباده
حفظهم عن السيئات كانهم طلبوا السبب وهو
الرحمة بعد ما طلبوا المسبب وهو الوقاية عن
السيئات الا ان لفظ الطلب غير محمول
على المصطلح عليه وهو الان

وزمان

وزمان المقتين واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا
ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة ابتداء
او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل فان
خص بالتصيير فاختار الفاعل احد مفعوليه تصيير وصرف له عن الآخر واحييتنا
اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل
والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان ما في القبر والبعث اذ المقصود
اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا
بذنوبنا فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم البعث فهل الى خروج
نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم
تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم اي الذي انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعي الله
وحده متحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد
وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله العلي الكبير المستحق للعبادة حيث حكم على
من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة هو الذي يريكم آياته
الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء رزقا
اسباب رزقكم كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالآيات التي هي كالمركوزة
في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى الا من ينيب
يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه
فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم
رفيع الدرجات ذو العرش خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول
والمحسوس الدال على تفرده في الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث
لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو اصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح
ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش
او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح يلقي الروح من امره
على من يشاء من عباده خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات
لامره باظهار آثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن امره

بأنه لانه امر بالخير او مبدأ له والامر هو الملك المبلغ الى مختاره للنبوة وفيه دليل
على انها عطائية لينذر غاية الالقاء والمستكن فيه لله تعالى او لمن او للروح
واللام مع القرب يؤيد الثاني يوم التلاق يوم القيمة فان فيه تتلاقى الارواح
والاجساد واهل السماء والارض والمعبود والعباد والاعمال والعمال يوم هم
بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شئ او ظاهرة نفوسهم
لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شئ من اعيانهم واعمالهم
واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم في الدنيا لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به او
لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة
الحال فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه
ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذتها والمها لكنها لا تشعر
بها في الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت
لذتها والمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب ان الله سريع الحساب ولا يشغله شأن
عن شأن فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الآزفة اي القيمة سميت بها
لازوفها اي قربها او الخطة الآزفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب
لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا
كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها
او من ضميرها في لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت
اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة ما للظالمين من حميم
قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع يشفع والضماير ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع
الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين
النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين
وما تخفي الصدور من الضماير والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق
العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشئ الا وهو
حقه والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي

او لا يقضى

او لا يقضي وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع
البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون
وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد
منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جئ بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل
من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر اشد منكم بالكاف وآثارا
في الارض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا
فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ
بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والاحكام الواضحة فكفروا
فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب
دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني المعجزات وسلطان مبين
وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات كالعصا
تفخيما لشأنه الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى عليه السلام
وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو اشد الذين
كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين
آمنوا معه واستحيوا نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كي يصدوا
عن مظاهرة موسى عليه السلام وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع ووضع
الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون ذروني اقتل موسى
كانه كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك
عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا في اهون شئ دليل على انه
تيقن انه نبي فخاف من قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه
فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه اني اخاف ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم
عليه من عبادته وعبادة الاصنام لقوله ويذرك وآلهتك وان يظهر في الارض
الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون

قوله كانه يكفونه لان الامر بعدم المنع عن قتله
عليه السلام يقتضي المنع عن قتله

غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الضاد وقال موسى اي لقومه لما سمع كلامه
اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان تأكيدا
واشعارا على ان السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله تعالى وخص اسم
الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافته اليه واليهم حثا لهم على موافقته
لما في تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه
وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو
وحمزة والكسائي عذت فيه وفي الدخان بالادغام وعن نافع مثله وقال رجل
مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل اسرائيلي
او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان
يقول او وقت ان يقول من غير روية وتأمل في امره ربي الله وحده وهو في الدلالة
على الحصر مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات
والاستدلالات من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا
لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا
فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم
بعض الذي يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف
وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو
بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض
نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما
انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما
ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم
الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب
وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين في الارض ارض مصر
فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله
فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه في الضمير لانه كان منهم في القرابة

في التعبير بان الموضوعة للشك اشارة الى ان
مجيء البأس اذا كان مشكوكا فلا يكون لهم
الناصر كما دل عليه الاستفهام في فمن ينصر
فكيف اذا كان محققا

وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم ما اشير اليكم الا ما ارى
واستصوبه من قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطئان
عليه الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد
كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى
الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض
له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير
اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر
وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم
بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد
من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم
يوم التناد يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل
والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد
وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف
مدبرين منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم
من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب
عليهما السلام على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد او سبطه
يوسف بن ابرهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات
فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده
رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث
بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا
بنفي البعث كذلك اي مثل ذلك الاضلال يضل الله في العصيان من هو مسرف
مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين
يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع بغير سلطان بل
اما بتقليد او شبهة داحضة اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضمير من
وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف اي جدال

الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان فاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل
ذلك الجدال يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استيناف للدلالة على الموجب
لجدالهم وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما
كقولهم رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب
متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مشرفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر
لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها
تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ
حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد
منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل
فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله
السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء
وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله تعالى وكيفية استنبائه واني
لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء
عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويدل
عليه انه قرئ زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد
على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده
وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل
موسى عليه السلام يا قوم اتبعون اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل
سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحيوة
الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها وان الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل
سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله تعالى وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها
ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير
حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم
العمال وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة
وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك

فان قلت كلمة لعل يستعمل فيما كان مضمونه ممكنا فما قاله فرعون اللعين ليس من هذا القبيل قلت وله وجهان احدهما انه وان كان كذا في الحقيقة الا انه مما يجوز الاطلاع عليه عنده ولهذا اتى بها والثاني لجهله الاستعمال ه

ويا قوم

ويا قوم مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة
الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه
على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان
ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله
بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به
ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها
من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع
لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة
والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما ادعوه اليه
وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة
اي حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي
الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب
وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك
الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد
وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت
فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وان مردنا
الى الله بالموت وان المسرفين في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء
هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة
العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري الى الله ليعصمني من كل سوء ان
الله بصير بالعباد فيحرسهم فكأنه جواب توعدهم المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات
ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى وحاق بآل فرعون بفرعون وقومه واستغنى
بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه
طائفة فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب
القتل والغرق والنار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة والنار
خبر محذوف ويعرضون استيناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الآل

مصدر بمعنى الفاعل

لان الوقاية يكون اجد اصابة المكروه فيه اشارة الى ان ما في ما مكروا مصدرية

الكلام من قبيل عرضت الناقة على الحوض لغرض القلب

وقرئت منصوبة على الاختصاص أو بإضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون
فإن عرضهم على النار إحراقهم بها من قولهم عرض الأسارى على السيف إذا
قتلوا به وذلك لأرواحهم كما روى ابن مسعود رضي الله عنه أن أرواحهم في أجواف
طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا إلى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد
وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة أي هذا ما دامت
الدنيا فإذا قامت الساعة قيل لهم أدخلوا آل فرعون يا آل فرعون أشد العذاب
عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص أدخلوا على الأمر للملائكة
بإدخالهم النار وإذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه
على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل له إنا كنا لكم تبعا تباعا كخدم
في جمع خادم أو ذوي تبع بمعنى أتباع على الإضمار أو التجوز فهل أنتم مغنون عنا نصيبا
من النار بالدفع أو الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون أو له بالتضمين أو مصدر
كشيئا في قوله لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا فيكون من صلة مغنون
قال الذين استكبروا إنا كل فيها نحن وأنتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا
وقرئ كلا على التأكيد لأنه بمعنى كلنا وتنوينه عوض المضاف إليه ولا يجوز جعله حالا
من المستكن في الظرف فإنه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم
كقولك كل يوم لك ثوب إن الله قد حكم بين العباد بأن أدخل أهل الجنة الجنة
وأهل النار النار ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم لخزنتها ووضع
جهنم موضع الضمير للتهويل أو لبيان محلهم فيها ويحتمل أن يكون جهنم أبعد دركاتها من
قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب
شيئا من العذاب ويجوز أن يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه
قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات أرادوا به إلزامهم للحجة وتوبيخهم على إضاعتهم أوقات
الدعاء وتعطيلهم أسباب الإجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فإنا لا نجترئ إذ لم يؤذن
لنا في الدعاء لأمثالكم وفيه إقناط لهم عن الإجابة وما دعاء الكافرين إلا في ضلال
ضياع لا يجاب إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة
في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد أي في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم

أي الوصف بالمصدر مجاز في الإسناد على طريق المجاز العقلي كما نص عليه الشيخ عبد القادر سعدي
أي عطفا على النصب بالرفع أو بأن يجعل المتبوع غير أصله أو حمله التابع

من الغلبة

من الغلبة امتحانا إذ العبرة بالعواقب وغالب الأمر والأشهاد جمع شاهد كصاحب
وأصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة والأنبياء
والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الأول وعدم نفع المعذرة لأنها
باطلة أو لأنه لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة البعد
من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين
من المعجزات والصحف والشرائع وأورثنا بني إسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده
من ذلك التوراة هدى وذكرى هداية وتذكرة أو هاديا ومذكرا لأولي الألباب
لذوي العقول السليمة فاصبر على أذى المشركين إن وعد الله حق بالنصر لا يخلفه واستشهد
بحال موسى عليه السلام وفرعون عليه اللعنة واستغفر لذنبك وأقبل على أمر دينك
وتدارك فرطاتك كترك الأولى والاهتمام بأمر العدى بالاستغفار فإنه تعالى
كافيك بالنصر وإظهار الحق وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ودم على التسبيح
والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين إذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان
عشيا إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم عام في كل مجادل
مبطل وإن نزلت في مشركي مكة أو اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح
بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار إن في صدورهم إلا كبر إلا
تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم أو إرادة الرياسة أو أن النبوة والملك لا يكون
إلا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات أو المراد فاستعذ بالله فالتجئ إليه
إنه هو السميع البصير لأقوالكم وأفعالكم لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس
فمن قدر على خلقهما مع عظمهما أولا من غير أصل قدر على خلق الإنسان ثانيا من أصل وهو
بيان لأشكل ما يجادلون فيه من أمر التوحيد ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأنهم لا ينظرون
ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم أهواءهم وما يستوي الأعمى والبصير الغافل والمستبصر
والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن والمسيء فينبغي أن يكون لهم حال يظهر
فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لأن المقصود نفي مساواته
للمحسن فيما له من الفضل والكرام والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى
والبصير لتغاير الوصفين في المقصود أو الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون

اى تذكرا ما قليلا تتذكرون والضمير للناس والكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على
تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول عليه السلام بالمخاطبة ان الساعة
لآتية لا ريب فيها فى مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به
وقال ربكم ادعونى اعبدونى استجب لكم اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى
سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار
الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرأ
ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف المحركات وهدء الحواس
والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك
عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار
به لم يقل المفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم
وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية
الله ربكم خالق كل شىء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها
وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة
للاوصاف فانى تؤفكون فكيف ومن اى وجه تصرفون من عبادته الى عبادة غيره
كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اى كما افكوا افك عن الحق كل من
يجحد بآيات الله ولم يتأملها الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال
ثان بافعال اخر مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة
بادى البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيأ لمزاولة الصناعات واكتساب
الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين
فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحى المنفرد بالحيوة الذاتية
لا اله الا هو اذ لا موجود يساويه ويدانيه فى ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين
له الدين اى الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين له قل
انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى

الحجج

من الحجج والآيات او من الآيات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت
ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له واخلص له دينى هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تأويل كل واحد منكم
ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا فى قوله
ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا
بضم الشين وقرئ شيوخا بالكسر وشيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل
من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم
القيمة ولعلكم تعقلون ما فى ذلك من الحجج والعبر هو الذى يحيى ويميت فاذا
قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج فى تكوينه الى عدة وتجشم
كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضى قدرة
ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون
عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل والمجادل فيه او للتوكيد الذين
كذبوا بالكتاب بالقران او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من
سائر الكتب او الوحى والشرائع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال فى اعناقهم
ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ الماضى لتيقنه والسلاسل
عطف على الاغلال او مبتدأ خبره يسحبون فى الحميم والعائد محذوف اى يسحبون
بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول
وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال فى اعناقهم
بمعنى اعناقهم فى الاغلال او اضمار الباء ويدل عليه القراءة به ثم فى النار يسجرون
يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب اى ملئ
والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل لهم اينما
كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم
او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اى بل
تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك
حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل ذلك الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا

الى شئ ينفعهم فى الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يصادفوا ذلكم الاضلال
بما كنتم تفرحون فى الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم
تمرحون تتوسعون فى الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة فى التوبيخ ادخلوا ابواب
جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى
المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول
المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله بهلاك الكفار حق
كائن لا محالة فاما نرينك فان نريك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت
النون الفعل ولا يلحق مع ان وحدها بعض الذى نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك
قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم القيمة فيجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم فى
حيوتك او لم نعذبهم فى الآخرة اشد العذاب ويدل على شدة العذاب ويدل على
الاقتصار بذكر الرجوع فى هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا
عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة الف واربعة
وعشرون الفا والمذكور قصتهم اشخاص معدودة وما كان لرسول ان يأتى باية الا باذن
الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كساير القسم ليس لهم اختيار
فى ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب
فى الدنيا والآخرة قضى بالحق بانجاء المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون
المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا
منها ومنها تاكلون فان من جنسها ما يوكل كالغنم ومنها ما يوكل ويركب وهو الابل
والبقر ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم
بالمسافرة عليها وعليها فى البر وعلى الفلك فى البحر تحملون وانما قال على الفلك
ولم يقل فى الفلك للمزاوجة وتغيير النظم فى الاكل لانه فى حيز الضرورة اذ يقصد به التعيش
والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة او
للفرق بين العين والمنفعة ويريكم اياته دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته
فاى آيات الله اى اى اية من تلك الايات تنكرون فانها لظهورها لا تقبل

وقيل الانعام الابل خاصة

اى مفردا وجمعا فضمنه ضمنه نقل او اشد

الانكار

الانكار وهو ناصب اى اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة
بالتاء فى اى اغرب منها فى الاسماء غير الصفات لابهامه افلم يسيروا فى الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا فى الارض
ما بقى منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار اقدامهم فى الارض لعظم اجرامهم
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية
موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والآيات
الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقايدهم
الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادرك علمهم فى الآخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب
وما اظن الساعة قائمة وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او من علم الطبايع والتنجيم والصنايع
ونحو ذلك او علم الانبياء عليهم السلام وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما رأوا تمادى جهل
الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله تعالى عليه وحاق بالكافرين
جهلهم واستهزاؤهم فلما رأوا باسنا شدة عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا
بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا لامتناع
قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله
فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم رسلهم كالتفسير
لقوله فما اغنى والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجى الرسل وامتناع نفع
الايمان مسبب عن الرؤية سنة الله التى قد خلت فى عباده يعنى سن الله
سنة ماضية فى العباد وهى من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون
اى وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة فصلت مكية وهى اربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعلته مبتدأ فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف
فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصيصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاولين

او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة
ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة
على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت آياته ميزت باعتبار اللفظ
والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت
بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب على الحال او المدح من فصلت وفيه امتنان
بسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة
لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به
والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره
وقبوله فهم لا يسمعون سماع تأمل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اغطية
جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب
يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدئ منهم ومنه بحيث استوعب
المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم
اليه واعتقاده ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه السلام
فاعمل على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا او في ابطال امرك
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه
ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة
في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا في افعالكم
متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه مما
انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط
جهالتهم واستخفافهم بالله تعالى الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم
على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل
معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالآخرة هم كافرون
حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم الآخرة
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن واصله
الثقل او القطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا

[هامش:] قوله والاول اولى بل قيل لا صحة للثانية لان المصدر قد وصف بقوله من الرحمن الرحيم فلا يعمل قلت لو سلم الوصف فالظرف يتسع فيه ما لا يتسع في غيره سعدي

[هامش:] هذا مفهوم من قوله فاستقيموا اليه سناني رحمه

عن الطاعة

عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل
المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه
خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم
في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق
الارض في يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل
فيها رواسي استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها
مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة
للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق انواع النبات والحيوان وقدر فيها اقواتها
اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث
كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام
كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشر والى الكوفة في خمسة عشر ولعله قال ذلك
ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما باليومين الاولين والتصريح على الفذلكة سواء
اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر
وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق
بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي
قدر فيها الاقوات للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى
الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين
الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحيها ودحوها متقدم على خلق
الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة
التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وابرزا
ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان
الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها
واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما الاخرى في
حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المؤاتاة اي ليوافق كل واحدة

[هامش:] ذكر الرب انسب لقوله في يومين لان التربية اخراج الشيء الى كماله شيئا فشيئا سناني رحمه

[هامش:] اقول ولا يبعد ان يقال ان المراد من قوله من فوقها بيان ان المراد ارساؤها من فوقها على عكس السفن فان ارساءها من تحتها سناني رحمه

[هامش:] وهو ان دحو الارض متقدم على خلق السماء وهنا يكون حدوث السماء مقارنا بدحو الارض

اختيا فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال
قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع
الحال قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تاثير قدرته
فيهما وتاثيرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن
فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول الذي
وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله ساجدين فقضيهن سبع
سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع
سموات حال على الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس
والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها شانها وما يتاتى منها بان
حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح
فان الكواكب كما ترى كانها تتلألأ عليها وحفظا اي وحفظناها من الآفات
او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح
زينة وحفظا ذلك تقدير العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان
بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق
او صعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا اذ جاءتهم الرسل حال من
صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين
ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضي
بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم في الآخرة وكل
من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح
عن المتاخرين داعيين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله
تعالى ياتيها رزقها رغدا من كل مكان ان لا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اي
لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به
على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض
بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا

فيه اشارة الى انه مفعول مطلق

اي الصاعقة الاولى ولا الصاعقة الثانية لان الاول غير الفساد المعنوي والثاني من الفساد الصناعي

بقوتهم

بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلبها بيده اولم
يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى
قوي على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا باياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها
وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة
بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير
في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرا الحجازيان والبصريان
بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن اخر شوال من
الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي
في الحيوة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله
ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب
على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما ثمود
فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل
مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى
فاختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة
من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا
يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك
الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله تعالى
وقرا نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء فهم يوزعون يحبس اولهم
على اخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا ما جاؤها حتى اذا حضروها
وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون بان ينطقها الله تعالى او يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترف بها فتنطق
بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به
نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا
الله الذي انطق كل شيء او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله تعالى الذي انطق كل
شيء ولو اول الجواب والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة

وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون
استينافا وما كنتم تستترون ان تشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم
اى كنتم تستترون الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان
اعضاءكم تشهد عليكم فيما استترتم عنها وفيه تنبيه على ان المومن ينبغى ان يتحقق
انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك
اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدا وقوله ظنكم الذى ظننتم بربكم
اردكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا واردكم خبر فاصبحتم من الخاسرين اذ
صار ما منحوا للاستسعاد به فى الدارين سببا لشقاء المنزلين فان يصبروا فالنار
مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا يسألوا العتبى وهى الرجوع الى ما يحبون
فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من
محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اى ان يسئلوا ان يرضوا ربهم فما هم
فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من الشياطين
يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه
المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم
من امر الاخرة وانكاره وحق عليهم القول اى كلمة العذاب فى امم فى جملة امم كقوله
ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففى آخرين قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور
قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم
العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وعارضوه
بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارى وقرئ بضم الغين والمعنى
واحد ويقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون تغلبونه على قراءته فلنذيقن
الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوء
الذى كانوا يعملون سيئات اعمالهم وقد سبق مثله ذلك اشارة الى الاسوء
جزاء اعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء او خبره محذوف لهم فيها فى النار
دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك فى هذه الدار دار سرور وتعنى بالدار عينها
على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر

من قبيل ذكر السبب وارادة المسبب

الجحود

الجحود الذى هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن
والانس يعنى شياطين النوعين الحاملين على الضلال والعصيان وقيل هما
ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرا ابن عامر وابن كثير ويعقوب وابو بكر
والسوسى ارنا بالتخفيف كفخذ فى فخذ وقرأ الدورى باختلاس كسرة الراء نجعلهما
تحت اقدامنا ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين
مكانا او ذلا ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا لوحدانيته ثم استقاموا
فى العمل وثم لتراخيه عن الاقرار فى الرتبة من حيث انه مبداء الاستقامة ولانها
عسر قلما يتبع الاقرار وما روى عن الخلفاء الراشدين فى معنى الاستقامة من الثبات
على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل الملائكة فيما يعن لهم بما
يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت او الخروج عن القبر
الا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة
بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون فى الدنيا على لسان الرسل
نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كان الشياطين
تفعل بالكفرة وفى الاخرة بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم
فيها فى الاخرة ما تشتهى انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء
بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم حال من ما تدعون للاشعار
بان ما تتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن
قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انى من المسلمين
تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والاية عامة
لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وقيل
فى المؤذنين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة فى الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية
مزيدة لتاكيد النفى ادفع بالتى هى احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتى هى
احسن منها وهى الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به
من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة
ولذلك وضع احسن موضع الحسنة فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم

اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقيها وما يلقى
هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا فانها تحبس النفس
عن الانتقام وما يلقيها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة
واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته لانها تبعث على ما لا ينبغي
كالدفع بما هو اسوء وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان
بالمصدر فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك
او بصلاحك ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما
مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود
تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ان كنتم اياه تعبدون فان
السجود اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة
رحمه الله آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين
عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما لقوله وهم لا يسأمون
اي لا يملون ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من
الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت
بالنبات وقرئ ربأت اي زادت ان الذي احياها بعد موتها لمحيي الموتى انه على كل
شيء قدير من الاحياء والاماتة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة في آياتنا
بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على الالحاد
افمن يلقى في النار خير امن يأتي آمنا يوم القيمة قابل الالقاء في النار بالاتيان
آمنا مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه بما تعملون
بصير وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين
يلحدون في آياتنا او مستأنف وخبره محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك
ينادون والذكر القرآن وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله
وتحريفه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة
من الجهات ومما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية تنزيل من حكيم اي حكيم
حميد يحمده كل خلق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك اي ما يقول لك كفار قومك

الا

الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك
الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لمن آمن لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم
وهو على الثاني يحتمل ان المقول بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك واليهم وعد المؤمنين
بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا نزل القرآن
بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان نفقهه ءاعجمي وعربي
اكلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر للتحضيض والاعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه وقرئ
اعجمي وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام اعجمي على الاخبار وعلى هذا لا يجوز ان يكون
المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب
والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور والدلالة على انهم لا ينفكون عن
التعنت في الآيات كيف جاءت قل هو للذين آمنوا هدى الى الحق وشفاء لما
في الصدور من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر
على تقدير هو في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم
عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك على للذين آمنوا هدى
اولئك ينادون من مكان بعيد هو تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح
من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب
كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بالقيمة وفصل
الخصومة حينئذ او تقدير الآجال لقضي بينهم باستئصال المكذبين وانهم وان اليهود
او الذين لا يؤمنون لفي شك منه من التورية او من القرآن مريب موجب الاضطراب
من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن اساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل
بهم ما ليس له ان يفعله اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو
وما تخرج من ثمرة من اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص
من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى
مزيدة للاستغراق ويحتمل ان تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف
قوله وما تحمل من انثى ولا تضع بمكانه الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به
ويوم يناديهم اين شركائي بزعمكم قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد من احد

فيشهد لهم بالشركة اذ تبرانا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد
شاهد لهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اى ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا
محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا
وايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى لا يسام الانسان لا يمل
من دعاء الخير من طلب السعة فى النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر الضيقة
فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس من
روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ فى يأسه من جهة البنية والتكرير وما فى القنوط
من ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه
ليقولن هذا لى حقى استحقه لما لى من الفضل والعمل او لى دائما لا يزول وما اظن الساعة
قائمة تقوم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى اى ولئن قامت على التوهم
كان لى عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم
الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة
اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصى
عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب
بنفسه وتباعد بالكلية تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب فى قوله فى جنب الله
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته و
استمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك
فما ظنك بطوله قل ارأيتم اخبرونى ان كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من غير
نظر واتباع دليل من اضل ممن هو فى شقاق بعيد اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع
الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا فى الآفاق يعنى ما اخبرهم النبى
صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له وللخلفاء
من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفى انفسهم
ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما فى بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال
القدرة حتى يتبين لهم انه الحق [illegible] او الرسول عليه السلام او التوحيد
لله تعالى اولم يكف بربك اولم يغن ربك والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل اولم يحصل

الكفاية

اى من صيغة فعول التى للمبالغة

اى من الطول والعرض فاذا كان العرض عريضا فما ظنك بطوله فانه يكون اطول من كل الطويل

الكفاية به ولا يكاد يزاد فى الفاعل الا مع كفى انه على كل شئ شهيد بدل منه والمعنى
اولم يكفك انه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة
كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم او اولم يكف الانسان
رادعا عن المعاصى انه تعالى مطلع على كل شئ لا يخفى عليه خافية الا انهم فى مرية
شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخيفة من لقاء ربهم بالبعث والجزاء
الا انه بكل شئ محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شئ منها
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات

سورة الشورى مكية وهى ثلث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وان كان اسما واحدا
فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك
الله العزيز الحكيم اى مثل ما فى هذه السورة من المعانى او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله
اليك والى الرسل من قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الماضية للدلالة على
استمرار الوحى وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك
مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع
بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به كما مر فى السورة
السابقة او بالابتداء كما فى قراءة نوحى بالنون والعزيز وما بعده اخبار او العزيز
الحكيم صفتان وقوله له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم خبران له
وعلى الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائى
بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له وقرأ البصريان
وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث
وهو نادر من فوقهن اى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على
الاول لان اعظم الآيات وادلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثانى ليدل
على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس
والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض بالسعى فيما يستدعى

مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك
فى الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان
بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما
من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثانى
دالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة
الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء
شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت
يا محمد صلى الله عليه وسلم عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وكذلك اوحينا
اليك قرآناً عربياً الاشارة الى مصدر يوحى او الى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر
فى القرآن فى مواضع خمسة فيكون الكاف مفعولا به وقرآناً عربياً حال منه لتنذر
ام القرى اهل ام القرى وهى مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيامة يجمع الخلائق
فيه او الارواح والاشباح او العمال والاعمال وحذف ثانى مفعولى الاول واول
مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن لا ريب فيه
اعتراض لا محل له فريق فى الجنة وفريق فى السعير اى بعد جمعهم فى الموقف يجمعون اولا
ثم يفترقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على
الحال منهم اى وينذرهم يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين
فى دار الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين
ولكن يدخل من يشاء فى رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولى
ولا نصير اى ويدعهم بغير ولى ولا نصير فى عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة فى الوعيد
اذ الكلام فى الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله
هو الولى جواب لشرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولى بالحق
وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير كالتقرير لكونه حقيقاً بالولاية وما اختلفتم انتم
والكفار فيه من شئ من امر من امور الدين والدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز
المحق عن المبطل بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا
فيه الى المحكم من كتاب الله تعالى ذلكم الله ربى عليه توكلت فى مجامع الامور

وفى لفظ الايهام ايهام ان المفعول الاول للثانى عين ما ذكر فى الاول الاول

يعنى به الاشارة الى ام للاضراب

واليه

واليه انيب ارجع فى المعضلات فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او مبتدأ
خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله تعالى من انفسكم
من جنسكم ازواجاً نساء ومن الانعام ازواجاً اى وخلق للانعام من جنسها
ازواجاً او وخلق لكم من الانعام اصنافاً او ذكوراً واناثاً يذرؤكم يكثركم من الذرء
وهو البث وفى معناه الذر والذرور فيه فى هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام
ازواجاً يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شئ اى ليس مثله شئ
يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة
فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره
قول رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته ومن
قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطى معنى ليس مثله غير انه اكد لما ذكرناه وقيل
مثله صفته اى ليس كصفته صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد
السموات والارض خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق
على وفق مشيئته انه بكل شئ عليم فيفعله على ما ينبغى شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحاً والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى اى شرع لكم من
الدين دين نوح ومحمد المصطفى عليهما السلام ومن بينهما من ارباب الشرائع وهو
الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب
تصديقه والطاعة فى احكام الله تعالى ومحله النصب على البدل من مفعول
شرع او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك المشروع والجر على البدل
من هائه ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا فى هذا الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة كما قال
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً كبر على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد الله
يجتبى اليه من يشاء يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدى اليه بالارشاد
والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعنى الامم السالفة وقيل اهل الكتاب
لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بان التفرق ضلال
متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول عليه السلام او اسباب العلم من الرسل
والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغياً بينهم عداوة او طلباً للدنيا ولولا كلمة

قوله لكل ما يسمع ويبصر يعنى الاشارة الى بيان المبالغة الواقعة فى السميع البصير اى السميع ما من شانه ان يسمع والبصير ما من شانه ان يبصر

سبقت من ربك بامهال الى اجل مسمى هو يوم القيمة او اخر اعمارهم المقدرة
لقضي بينهم باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا
الكتاب من بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول عليه السلام
او المشركين الذين اورثوا القران من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا
لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من القران
مريب مقلق او مدخل في الريبة فلذلك فلاجل ذلك التفرق او الكتاب
او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت
وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل واستقم كما
امرت واستقم على الدعوة كما امرك الله تعالى ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل
امنت بما انزل الله من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين امنوا ببعض
وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة
الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم خالق
الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وكل مجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج
يعني لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله
يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الآية ما يدل على
متاركة الكفار راسا حتى تكون منسوخة باية القتال والذين يحاجون في الله في دينه
من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما
استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل
الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زايلة باطلة وعليهم
غضب لمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس
الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقايد والاحكام
والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل
الامر به او آلة الوزن بان اوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب
اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم
الذي فيه يوزن اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب بمعنى ذات قريب او لان

يعني به الاشارة الى ان كمال القوة النظرية باعث الى كمال القوة العملية منه

الساعة

الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين
آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائها لتوقع الثواب ويعلمون انها
الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية
او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المجادلين
يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث
اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى
ما وراءه الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف من البر لا تبلغها الافهام يرزق
من يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر
القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه
بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة
والحرث في الاصل القاء البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه
نعطيه بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها
شيئا منها على ما قسمناه وما له في الآخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل
امرئ ما نوى ام لهم شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتوبيخ وشركاؤهم شياطينهم
شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل
للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء الله واسناد
الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم
ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون
يوم القيمة لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين والمشركين وشركائهم وان الظالمين
لهم عذاب اليم وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير
عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب
في عذاب الآخرة ترى الظالمين في يوم القيمة مشفقين خائفين مما كسبوا
من السيئات وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا والذين آمنوا
وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن
عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين

انما قال مع اعتنائها لان الخوف على الشيء في وقوعه مشكوك فيه

اي على طريق الاستعارة المصرحة اي شبهت ثمرات الاعمال وما حصل منها بالغلال الحاصلة من الزرع فالعلاقة ان كليهما يحصلان بالعمل

على انه صفة موصوف محذوف ويجوز ان يكون للتبعيض ومعناهما واحد في المآل

فيه اشارة الى ان ام منقطعة

هو الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار
ثم العائد او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة و
الكسائي يبشر من بشر وقرئ يبشر من ابشره قل لا اسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ
والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة في القربى ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا
قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط لكن اسألكم المودة وفي القربى
حال منها اي الا المودة ثابتة في ذوي القرابة متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها
كما في الحديث الحب في الله والبغض في الله روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله
من قرابتك قال علي وفاطمة وابناهما رضي الله عنهم وقيل القربى التقرب الى الله
تعالى اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح و
قرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب
آل الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في ابي بكر ومودته لهم نزد له في الحسنة
حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله تعالى وقرئ حسنى كبشرى ان
الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة
ام يقولون بل يقولون افترى على الله كذبا افترى محمد صلى الله عليه وسلم بدعوى
النبوة او القرآن فان يشأ الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار
على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة
ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه
وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحي عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك
اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استئناف
لنفي الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفتريا لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات
الحق بوحيه او بقضائه او بوعده بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد
له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول
ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي رضي الله عنه

وهي الرجوع عن المعاصي مع الندامة عليها ومع ان لا يعاودها

هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع
الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية
واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته
ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون فيجازي ويتجاوز
عن اتقان وحكمة وقرأ الكوفيون غير ابي بكر ما تفعلون بالياء ويستجيب الذين آمنوا
وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم
والمراد اجابة الدعاء والاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه
ومنه قوله عليه السلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم
اليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا بالاستجابة
والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله
الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم استيلاء
واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية
وكيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشاء ما اقتضته مشيئته انه بعباده خبير
بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روي ان اهل
الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا
انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا يئسوا منه وقرئ بكسر
النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وهو الولي الذي
يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك ومن آياته خلق السموات
والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما
عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم السبب للمسبب
او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة وهو
على جمعهم اذا يشاء في وقت يشاء قدير متمكن منه واذا كما يدخل الماضي يدخل
المضارع وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم والفاء لان
ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من السببية

لكن قوله ويزيدهم من فضله لا يلائم هذا التفسير سعدي رحمه

ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان
ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم
بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولي
يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر
كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم في راسه
نار ان يشأ يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت
على ظهر البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل مؤمن وكل همته وحبس
نفسه على النظر في آيات الله والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة
والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها عاصفة فيوبقهن لانه
قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها
عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف
ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء
ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأ نافع
وابن عامر بالرفع بالاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين
اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق
عنها الفعل فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تتمتعون به مدة حيوتكم وما عند
الله من ثواب الآخرة خير وابقى لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى تضمنت معنى الشرط
من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها
بخلاف الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله
فلامه جمع فنزلت للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
واذا ما غضبوا هم يغفرون بما بعده عطف على الذين آمنوا او مدح منصوب او مرفوع
وبناء يغفرون على ضميرهم خبر للدلالة على انهم الاحقاء بالمغفرة حال الغضب
وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت
في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له

وامرهم

وامرهم شورى بينهم ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا وذلك
من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعل الله لهم كراهة
التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف
وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز
محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار
للمنع عن التعدي فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها وتسمية الثانية سيئة للازدواج
او لانها تسوء من تنزل به فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة
تدل على عظمة الموعود انه لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام
ولمن انتصر بعد ظلمه بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة
والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويطلبون
ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم
على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور
اي ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل
الله فما له من ولي من ناصر يتولاه من بعده من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين
لما راوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل
اي الى رجعة وتراهم يعرضون عليها اي على النار ويدل عليها العذاب خاشعين
من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ
نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال
الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد
يوم القيامة ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون اذا راوهم على تلك
الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم تمام كلامهم او تصديق من الله تعالى لهم
وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل
الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله لا يرده
الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة يأتي اي من قبل ان يأتي يوم من الله لا يمكن

قوله المبتدئين بالسيئة ع فقوله انه لا يحب الظالمين
على هذا استئناف تعليلي متعلق بقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها وقوله فمن عفى الخ
اعتراض ولا منع للعاسه فقد نص الزمخشري
في سورة النحل ان قوله فسئلوا اهل الذكر
اعتراض على بعض الوجوه يعني انما شرعت
المجازاة وشرطت المساواة لانه لا يحب
الظالمين سعدي

رده ما لكم من ملجأ يومئذ مفر وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف
اعمالكم يشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا
رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان
منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها
ولم يتأمل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم
جميعهم والتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث
انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه
ووضع الظاهر موضع الضمير في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة
لله ملك السموات والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء يخلق ما يشاء
يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور من غير لزوم ومجال اعتراض او يزوجهم
ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد
في الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى
او الصنفين جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان
مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيئة الله تعالى لا مشيئة الانسان
والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب يعدهن بلاء او لتطييب
قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التأخير وتغيير
العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه
قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار
وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس
في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو يعم المشافه به
كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق
لموسى عليه السلام في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه
يخصه بالاول والآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام
والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله

وان اختص بالمجرمين اي بدلالة قوله بما قدمت ايديهم ولقوله كفور لان ما اصاب الانبياء والاولياء من المصائب نوع امتحان لهم لزيادة الاجر والاكرام

لان الانسان ينفر عنها طبعا فضلا عن مشيئتها

لان في التعريف تشهيرا بالمسمى كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام الذين لا يخفون عن الاذهان ١٢ منه

قوله وما صح له يعني به الاشارة الى ان النفي يتوجه على الصفة لا على الذات وفي هذا المحل حل الذات ولا حلية لزم التوجيه فتأمل

فيه بحث اذ الحصر يقتضي ان يكون ثمه قسم آخر فاذا حمل الاول على الرؤية والثاني على عدمها لم يبق قسم آخر ليكون الحصر لاخراجه فتأمل

اويرسل

او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى
الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب
بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام
ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرا ومن وراء حجاب ظرفا وقعت احوالا
وقرأ نافع او يرسل برفع اللام انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما تقتضيه
حكمة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبريل والمعنى
ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي قبل الوحي
وهو دليل على انه عليه السلام لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان
بما لا طريق له الا السمع ولكن جعلناه اي الروح او الكتاب او الايمان نورا نهدي
به من نشاء من عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر فيه وانك لتهدي الى صراط مستقيم
هو الاسلام وقرئ لتهدى اي ليهديك الله صراط الله بدل من الاول الذي
له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور بارتفاع
الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن على انه جعله عربيا وهو
من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض ولعل
اقسام الله تعالى بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن
من حيث انه معجز مبين طريق الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او بين للعرب يدل
على انه تعالى صيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه عطف على انا وقرأ
حمزة والكسائي بالكسر على الاستئناف في ام الكتاب في اللوح المحفوظ فانه اصل
الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلي رفيع
الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان

ان كانت حم خبر مبتدأ محذوف فالواو في والكتاب للقسم وان كانت للقسم فالواو عاطفة

وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا يمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال
من الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب
الغرائب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف
قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر
من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله
ان تولي الشيء صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ
صفحا وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان
يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ان كنتم قوما مسرفين
اي لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائي
ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمتحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها
دليل الجزاء وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا
اي من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل
الاولين وسلف في القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول عليه السلام ووعيد
لهم بمثل ما جرى على الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن
العزيز العليم لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم
فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم في مواضع آخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات
ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استئناف الذي جعل لكم الارض مهدا فتستقرون
فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة
الصانع بالنظر في ذلك والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا
به بلدة ميتا مال عنه النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل
ذلك الانشار تخرجون تنشرون من قبوركم والذي خلق الازواج كلها اصناف
المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي
بنفسه على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب
على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال لتستووا على ظهوره اي ظهور

ما تركبون

ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين
بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين
من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف
وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه السلام انه كان اذا وضع رجله في الركاب
قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي
سخر لنا هذا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون واتصاله بذلك لان
الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله تعالى او لانه مخطر فينبغي للراكب
ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله
ولئن سألتهم اي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا
الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما سماه بعضا لانه بعض من الوالد دلالة
على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور
مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله تعالى لانها من فرط الجهل
والتحقير له ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين معنى الهمزة في ام للانكار
والتعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له جزءا من مخلوقاته
اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمه به كما
قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعل له مثلا اذ الولد لا بد
ان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية
لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد
ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر
ووجهه مسود جملة وقعت خبرا ومن ينشأ في الحلية اي وجعلوا له او اتخذ من يتربى
في الزينة يعني البنات وهو في الخصام في المجادلة غير مبين مقرر لما يدعيه من
نقصان العقل وضعف الرأي ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اي ومن هذا
حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا تمنعه كما عرفت وقرأ حمزة
والكسائي وحفص ينشأ اي يربى وقرئ ينشأ ويناشأ بمعناه ونظير ذلك اعلاه
وعالاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه مقالهم شنع

به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله تعالى انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرى
عبيد وقرأ الحجازيان والبصريان عند على تمثيل زلفاهم وقرى انثا وهو جمع الجمع اشهدوا
خلقهم احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة
وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع أأشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين
وآأشهدوا بمدة بينهما ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة ويسئلون
اي عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرى سيكتب وستكتب بالياء والنون وشهاداتهم
وهي ان الله تعالى جزءا وان له بنات وهي الملائكة ويسألون من المسائلة وقالوا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم استدلوا
بنفي مشيته عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان
المشية ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان او منهيا حسنا كان او غيره
ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا
ويجوز ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدا وجوه فسادها وحكى شبهتهم
المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون
لهم سند من جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القران او ادعائهم ينطق
على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب مستمسكون بل قالوا انا وجدنا
آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا
فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر
وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي القاصد ومنها الدين وكذلك ما ارسلنا
من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم
مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد في نحو
ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين
اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم
عليه آباءكم اي اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض
اوحي الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيده الاول انه قرأ
ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى

اقنطا

اقناطا للنذير من ان ينظروا او يتفكروا فانتقمنا منهم بالاستيصال فانظر
كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابرهيم واذكر وقت
قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم
بد من التقليد فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون بريء من
عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذا استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر
والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل
على ان ما يعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما
موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين سيثبتني
على الهداية او سيهدين الى ما وراء ما هداني اليه وجعلها وجعل ابرهيم عليه السلام
او الله تعالى كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله
تعالى ويدعو الى التوحيد وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه
لعلهم يرجعون يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء وآباءهم هؤلاء
المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة
فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت على الفتح على انه تعالى اعترض به
على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد
او القران ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج
والآيات ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون
زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القران سحرا
وكفروا به واستحقروا الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا لولا نزل هذا القران
على رجل من القريتين من احدى القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد
بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة منصب لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها
رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا
التزخرف بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب
من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهم عاجزون
عن تدبيرها وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا امر النبوة التي

خلافا للمعتزلة لما ذهبوا الى ان الرزق عبارة عن الملك والحرام عندهم لا يكون رزقا

اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله
تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم
بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا
في ذلك ولا تصرف فكيف يكون التصرف فيما هو اعلى منه ورحمة ربك هذه
يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لولا ان يرغبوا في الكفر اذا راوا الكفار في سعة
وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج
مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة
الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه
وقرا ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقفا وسقفا
ومبالغة في سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا
وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع
الحيوة الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرا عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه
لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما والاخرة عند ربك للمتقين عن الكفر
والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله
لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى
ما لهم في الاخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها كما اشار
اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات
وانهماكه في الشهوات وقرئ بالفتح اي يعم يقال عشي اذا كان في بصره آفة وعشا
اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا فهو
له قرين يوسوسه ويغويه دائما وقرا يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن
ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفع نقيض وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي
من حقه ان يسبل وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له
ويحسبون انهم مهتدون الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان

فيكون اللامان للاختصاص

حتى

حتى اذا جاءنا اي العاشي وقرا الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاءانا اي العاشي
والشيطان قال اي العاشي للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
بعد المشرق والمغرب فغلب المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس القرين انت
ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا
بدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم
في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم
اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسيمهم
لمكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول افانت
تسمع الصم او تهدي العمي انكار وتعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد
تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال حيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا
غيا فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين
وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك اي فان
قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب
النون المؤكدة فانا منهم منتقمون بعدك في الدنيا والآخرة او نرينك الذي
وعدناهم او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب فانا عليهم مقتدرون
لا يفوتوننا فاستمسك بالذي اوحي اليك من الآيات والشرائع وقرئ اوحي
على بناء الفاعل وهو الله تعالى انك على صراط مستقيم لا عوج له وانه لذكر لك
لشرف لك ولقومك وسوف تسئلون اي عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه واسال من
ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسال امهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون
الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد
به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه
فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا
موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه
تسلية للرسول عليه السلام ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين

عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد فلما جاءهم باياتنا
اذا هم منها يضحكون فاجؤا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا بها اول ما راوها
ولم يتاملوا فيها وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى درجات
الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الايات والمراد
وصف الكل بالكبر كقولك رايت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله من تلق منهم
تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري او الا وهي مختصة بنوع
من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار واخذناهم بالعذاب كالسنين
والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايها الساحر
نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم
الباهر ساحرا ادع لنا ربك اي يدعو لنا فيكشف عنا بما عهد عندك من النبوة
او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك
فوفيت به وهو الايمان والطاعة اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم
ينكثون فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه
في مجمعهم وفيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم اليس
لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون
ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري او امري او بين يدي في جناني
والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك فتجري حال منها او واو حال وهذه مبتدا
والانهار صفتها وتجري خبرها افلا تبصرون ذلك ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة
من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة
ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة
والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام
السبب والمعنى افلا تبصرون فتعلمون اني خير منه فلولا القي عليه اسورة من ذهب
اي فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه
وطوقوه بطوق من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء
من ياء اساوير وقد قرئ به وقرا يعقوب وحفص اسورة وهي جمع سوار وقرئ

اساور

اساور جمع اسورة والقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى
او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته فاقترن
او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فطلب منه الخفة في مطاوعته
او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك
اطاعوا ذلك الفاسق فلما اسفونا اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان
منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم
سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر
نعت به او جمع سالف كخدم وقرا حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف
كرغف او سالف كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على
انه جمع سلفة اي ثلة قد سلف ومثلا للاخرين وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير
الامثال فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضرب
ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل الكتاب وهم يعبدون
عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك او على قوله واسال من ارسلنا
من قبلك من رسلنا او ان محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ان نعبده كما
عبد المسيح اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا لظنهم
ان الرسول صار ملزما به وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي
يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا االهتنا
خير ام هو اي الهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار فلتكن الهتنا معه او الهتنا
الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت الهتنا اولى بذلك
او الهتنا خير ام محمد صلى الله عليه وسلم فنعبده وندع الهتنا وقرا الكوفيون االهتنا
بتحقيق الهمزتين والف بعدهما ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل
الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة
حراص على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل
امرا عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء

لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة
في الارض يخلفون ملائكة يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة
كالمثل لبني اسرائيل فانه تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة
مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم
استحقاق الالوهية والانتساب الى الله تعالى وانه وان عيسى عليه السلام
لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها او لان احياء
الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا
وفي الحديث ينزل عيسى بن مريم على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة
بها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتاخر الامام
فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه عليهما ثم يقتل الخنازير ويكسر
الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير
للقران فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها
واتبعون واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم
امر ان يقوله هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم
الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم عن الجنة
وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرايع
الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او بالشريعة ولابين لكم بعض الذي تختلفون
فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه
ولذلك قال عليه السلام اعلم بامر دنياكم فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه
ان الله ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد
والتعبد بالشرايع هذا صراط مستقيم الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام
عيسى او استيناف من الله تعالى يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف
الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او اليهود والنصارى من
بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم هو يوم
القيمة هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم

بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو اي يتعادون
يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين
فان خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة ابد الاباد يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا
انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ الذين امنوا
باياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو اي الذين امنوا مخلصين
غير ان هذه العبارة اكد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم ونساؤكم المؤمنات تحبرون
تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة
او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف
من ذهب واكواب الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة
له وفيها اي في الجنة ما تشتهي الانفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل
وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص بعد ما يعد من الزوائد في التنعم
والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل نعيم زايل موجب لكلفة الحفظ وخوف
الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون
وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة
الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او تلك
مبتدأ والجنة صفتها والتي اورثتموها صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه يتعلق
الباء بمحذوف لا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون بعضها تاكلون
لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل النعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القران
وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين
الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص
بالكفار في عذاب جهنم خالدون خبران او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر
عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف
وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
مر مثله غير مرة ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا او مضموما
ولعله اشعار بانه لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا

وقالوا ليقض علينا ربك والمعنى سل ربنا ان يقضى علينا من قضى عليه اذا
اماته وهو لا ينافى ابلاسهم فانه جؤار وتمنٍ للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون
لا خلاص لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب
ان كان فى قال ضمير الله تعالى والا فجواب منه وكانه تعالى جوابهم بعد جواب
مالك ولكن اكثركم للحق كارهون لما فى اتباعه من اتعاب النفس وآداب الجوارح
ام ابرموا امرا فى تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا
فى مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او ام
احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا بهم
ويؤيده قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث انفسهم بذلك ونجويهم وتناجيهم
بلى نسمعها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازم لهم يكتبون ذلك قل ان كان
للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبى عليه السلام يكون اعلم بالله بما يصح له
وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن لوازم تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة
كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه
كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثم مشعرة بانتفاء الطرفين وان هنا
لا تشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلول للازم الدال على انتفاء
ملزومه والدلالة على انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس
بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد فى زعمكم فانا اول العابدين لله تعالى
الموحدين له او الآنفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه
او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائى ولد بالضم
سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان
هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام
من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا فى باطلهم ويلعبوا فى دنياهم
حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون اى القيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع
هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون فى الآخرة وهو الذى فى السماء اله وفى الارض
اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه

كقولك

كقولك هو حاتم فى البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول
الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة
وقدر اله مبتدأ محذوف ويكون جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه فى السماء بمعنى الالوهية
دون الاستقرار وفيه نفى الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق
الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذى له ملك السموات والارض
وما بينهما كالهواء وعنده علم الساعة العلم بالساعة التى تقوم القيمة فيها
واليه ترجعون للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات
للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم
عند الله تعالى الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل
ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل
ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم سألت العابدين والمعبودين ليقولن
الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون من عبادته الى عبادة
غيره وقيله وقول الرسول صلى الله عليه وسلم ونصبه للعطف على سرهم او على
محل الساعة او لاضمار فعله اى وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة
وقرئ بالرفع على مبتدأ خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم
الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره
او مرفوع بتقدير وقيله يا رب قسمى وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم
آيسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول عليه السلام
وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بتبليغه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان مكية وهى تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب
قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة فى ليلة القدر او البراءة ابتدى فيها انزاله
او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول صلى الله عليه وسلم

نحو ما ذكرتها لذلك فان نزول القران سبب للمنافع الدينية والدنياوية
او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية
انا كنا منذرين استيناف يبين المقتضى للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل
امر حكيم فان كونها مفرق الامور الحكمية او الملتبسة بالحكمة تستدعي ان ينزل
فيها القران الذي هو من عظايمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما
اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانها صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح
فيها باذن ربهم من كل امر سلام وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق اي يفرق الله
ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على
مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل امر او ضميره المستكن
في حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا
من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه بمعنى آمرين او مامورا انا كنا
مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اي انزلنا القران لان من
عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع
الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية وعلة ليفرق
او امرا ورحمة مفعول به اي يفصل فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان
من شاننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور
الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع
اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تجوز الا لمن هذه صفاته
رب السموات والارض وما بينهما خبر آخر او استيناف وقرا الكوفيون بالجر ان كنتم موقنين
اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من
خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله
الا هو اذ لا خالق سواه يحيي ويميت كما تشاهدون ربكم ورب ابائكم الاولين قرئا
بالجر بدلا بل هم في شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تاتي السماء
بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان
من ضعف بصره او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار

او لان

او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب
وعظامها واسنادا الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم
ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة لما روي انه عليه السلام لما قال
اول الآيات الدخان ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من قعر عدن ابين
تسوق الناس الى المحشر قيل فما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الآية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه
كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران تخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيمة
والدخان يحتمل المعنيين حقيقة ومجازا يغشى الناس يحيط بهم صفة الدخان وقوله هذا عذاب
اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون
وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف يتذكرون
بهذه الحالة وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها في ايجاب الادكار
من الآيات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي
لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبي عليه
السلام فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقي من اعماركم
انكم عائدون الى الكفر ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان
غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون
ومن فسره بما في القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة
او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان تحجزه عنه او بدل
من يوم تاتي وقرئ نبطش اي نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم
وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى عليه السلام
او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتاكيد
او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله تعالى وعلى المؤمنين او في نفسه لشرف
نفسه وفضل حسبه ان ادوا الي عباد الله بان ادوهم الي فارسلوهم معه او بان
ادوا الي حق الله تعالى من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان تكون
ان مخففة ومفسرة لان مجيء الرسول عليه السلام برسالة او دعوة اني لكم

فيه اشارة الى ان في فتنا استعارة تبعية
وفي امتحنا استعارة تمثيلية

رسول امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه
وهو علة الامر وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله
عليه السلام وان كالاول في وجوهها اني آتيكم بسلطان مبين علة النهي ولذكر
الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لا يخفى واني عذت بربي وربكم
التجات اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني ضربا او شتما او ان تقتلوني
وقرئ عت بالادغام وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي
ولا تتعرضوا الي بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعد ما كذبوه
ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليه بذكر ما استوجبوه
ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر بعبادي ليلا اي فقال
اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرأ ابو عمرو بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون
يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة
او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئا ليدخله
القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات
وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها
فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر
كذلك واورثناها عطف على الفعل المقدر او على تركوا قوما آخرين ليسوا منهم
في شيء وهم بنوا اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السماء
والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت
عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك ومنه ما روي في الاخبار ان
المومن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره
فما بكت اهل السماء والارض وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت آخر ولقد نجينا
بني اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم من فرعون
بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه في التعذيب
او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له
لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من المسرفين في العتو والشرارة

وهو خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيعا
الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم بني اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع
علم منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي
زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ما فيه
بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام
فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة
والانذار عن مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية
الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية
كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها
حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي
من شانها كذلك الا الموتة وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا بآبائنا خطاب
لمن وعدهم بالنشور من الرسل والمؤمنين ان كنتم صادقين في وعدكم ليدل
عليه اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة
وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه
عليه السلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم
يتبعون كما قيل للملوك الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم كعاد وثمود
اهلكناهم استيناف بمال قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال
باضمار قد او خبر من الموصول ان استونف به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع
المقتضي للاهلاك وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ
وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها ما خلقناهما
الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة والبعث
والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل
والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم
اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اي ان ميعاد جزائهم في يوم
الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل

اقول المذكور في سورة الحجرات اعني قوله تعالى
كل كذب الرسل فدل بظاهره على ان
تبعا من الرسل ... [illegible]

عليه الفصل لانه للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا يسيرا
من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم
الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو والنصب
على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه
ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات طعام
الاثيم الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما
يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت يغلي في البطون وقرأ ابن كثير
وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة
حال من احدهما كغلي الحميم غليا مثل غليه خذوه على ارادة القول والمقول له
الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وقرأ الحجازيان
وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق راسه
من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق
رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من
للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له
ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي انك بالفتح اي لانك
او عذاب انك ان هذا اي هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه
ان المتقين في مقام في موضع اقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم امين يامن
صاحبه عن الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام جيء به للدلالة
على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من الماكل والمشارب يلبسون من سندس
واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف والسندس
مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب استبره او مشتق من البراقة متقابلين
في مجالسهم ليستانس بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او اتيناهم مثل ذلك
وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء
عظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة
يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان

امير

آمنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما
والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة والمؤمن
يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكانه فيها والاستثناء للمبالغة في تعميم النفي
وامتناع الموت وكانه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى
في المستقبل ووقيهم عذاب الجحيم وقرئ ووقيهم على المبالغة فضلا من ربك
اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز
عظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه
حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه
فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون
ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل
تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم
وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات والارض
لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق
السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور
بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما
يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون
محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم
واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا
لانه سببه فاحيا به الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف
جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه
القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين مختلفين في الابتداء او ان الا ان يضمر في
او ينصب آيات على الاختصاص او يرفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل

الثلث لاختلاف الآيات في الدقة والظهور تلك آيات الله اي تلك الآيات
دلائله نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به
فباي حديث بعد الله وآياته يومنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة
والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله تعالى والقران كقوله تعالى
الله نزل احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة او القران والعطف لتغاير الوصفين
وقرا الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح تومنون بالتا ليوافق ما قبله ويل لكل افاك
كذاب اثيم كثير الاثام يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن
الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله يرى غمرات
الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اي كانه مخفف وحذف ضمير الشان والجملة
في موقع الحال اي يصر غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة
على الاصل او التهكم واذا علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شي من آياتنا وعلم انه منها
اتخذها هزوا لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزو والضمير لآياتنا وفائدته
الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزا بالآيات كلها
ولم يقتصر على ما سمعه او الشي لانه بمعنى الآية اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم
جهنم من قدامهم لانهم متوصلون اليها او من خلفهم لانه بعد اجالهم ولا يغني عنهم
ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله تعالى ولا ما
اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة
الى القران ويدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرا
ابن كثير ويعقوب وحفص برفع الميم والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر
بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك
فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها
ولعلكم تشكرون هذه النعمة وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا بان خلقها
نافعة لكم منه حال من ما اي سخر هذه الاشيا كائنة منه او خبر محذوف اي هي جميعا
منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقرئ منة على المفعول له
ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لآيات

لقوم

لقوم يتفكرون في صنايعه قل للذين امنوا يغفروا حذف المقول للدلالة الجواب
عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون
وقايعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقايعهم او لا يا ملون الاوقات التي وقتها
الله تعالى لنصر المومنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه
غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
علة للامر والقوم هم المومنون او الكافرون وكلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او
الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزى الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى
لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم
على اعمالكم ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم والحكمة النظرية والعملية
او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم
من الطيبات ما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث اتيناهم ما لم
يوت غيرهم واتيناهم بينات من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات
وقيل آيات من امر النبي صلى الله عليه وسلم مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك
الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك
يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمواخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة
طريقة من الامر امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع
اهواء الذين لا يعلمون اراء الجهال التابعة للشهوات وهم روساء قريش قالوا
له ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك
وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع
اهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا اي القران او اتباع
الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلالة
ورحمة ونعمة من الله تعالى لقوم يوقنون يطلبون اليقين ام حسب الذين
اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح

بجوز ان يفسر لا يرجون بلا يخافون على لغة تهامة كما فسره المصنف به فيما سبق ولم ار وجه عدم تفسيره به

الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
اي مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان الضمير
للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيان
في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب
على البدل والحال من الضمير في الكاف او المفعولية والكاف حال وان كان للثاني
فحال منه او استيناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال
من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك
المواخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحيوة او استيناف مقرر
لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب
على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا
او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق كأنه دليل على
الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار
المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن في المحيا كان بعد
الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في معنى العلة او على علة
محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب
وتضعيف عقاب وتسميته ذلك ظلما ولو فعله الله تعالى لم يكن منه ظلما لانه
لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار افرأيت من اتخذ الهه هواه ترك
متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم
يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه واضله الله خذله الله
تعالى على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ
ولا يتفكر في الآيات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار
وقرأ حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون
وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي ما الحيوة او الحال الا حيوتنا الدنيا التي نحن فيها
نموت ونحيى اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا
ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا او يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء

كما ان فعل الاختبار والابتلاء واصدر عن غيره تعالى فكان اختبارا وابتلاء فاذا اصدر عنه تعالى فهو ابتلاء واختبار

ذلك

ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا التناسخ فانه عقيدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر
الا مرور الزمان وهو في الاصل لمدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك
من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال
او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء
على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات الدلالة
على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها
به الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وانما سمي حجة على حسبانهم ومساقهم
او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وانه لا يلزم من عدم حصول الشيء
حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة
لا ريب فيه فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع
للمجازاة على ما قرره مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان
كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع ولكن اكثر
الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله ملك السموات
والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
اي ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي
الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع
لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه
بدل من الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على
القول هذا كتابنا اضاف صحايف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا
فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان انا كنا
نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر
لخلوصه عن الشوايب واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم
الم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود
واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين عادتكم

لعل مراد المصنف وجه بيان تسمية الزمان بالدهر لانه غلب كل شيء فيه ويبقى على ما هو عليه

تعليل لما تضمنه الكلام من انه ليس بحجة

لف ونشر مرتب لان المقصود هو المقول لا القول وحذف المعطوف عليه لان قوله تعالى افلم تكن لا يجوز ان يكون جوابا لاما فلا بد من ان تقدر له المعطوف عليه

الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو او متعلقه
لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا
على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها ان
نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفي والاستثناء لاثبات الظن
ونفي ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة
ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا
بين ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في الساعة وبدا لهم ظهر لهم
سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها
او جزاءها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم
في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به
واضافة اللقاء الى اليوم اضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم
النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم
بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون
منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم
ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض
رب العالمين اذ الكل نعمة منه دال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض
اذ ظهر فيهما آثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهي خمس وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا
بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع
الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه
الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما
انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون

فيه

فيه ولا يستعدون لحلوله قل أرأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا
من الارض ام لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال آلهتكم بعد
تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها في انفسها مدخل في خلق شيء من اجزاء العالم
فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط
شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب من قبل هذا من قبل هذا الكتاب
يعني القرآن فانه ناطق بالتوحيد او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم
الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ان كنتم صادقين
في دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا
وقرئ اثارة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به واثرة
بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث
اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر ومن اضل ممن يدعو من دون
الله من لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة
السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان
يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون
لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء
يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال والمقال وقيل
الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شأنه والمراد به الآيات
ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق
وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين جاءهم من غير نظر وتأمل هذا سحر
مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو
اشنع منه وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا
اي ان عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه
واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون
فيه تندفعون فيه من القدح في آياته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق

والبلاغ عليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم
وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن اشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرمهم قل ما
كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه واقدر على ما لم يقدروا
عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح
الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اى ذا بدع وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فى
الدارين على التفصيل اذ لا علم بالغيب ولا لتاكيد النفى المشتمل على ما يفعل بى وما
اما موصولة منصوبة به او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اى يفعل الله تعالى
ان اتبع الا ما يوحى الى لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه
من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا الا نذير
عن عقاب الله تعالى مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة
قل ارايتم ان كان من عند الله اى القران وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز ان يكون
الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو فى قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل الا انها
تعطف بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى
عليه السلام وشهادته ما فى التورية من نعت الرسول صلى الله عليه وسلم على مثله
مثل القران وهو ما فى التورية من المعانى المصدقة للقران المطابقة لها او مثل ذلك
وهو كونه من عند الله تعالى فآمن اى بالقران لما راه من جنس الوحى مطابقا
للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدى القوم الظالمين استيناف
مشعر بان كفرهم لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل
الستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم لو كان الايمان وما اتى
به محمد صلى الله عليه وسلم خيرا ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموالى
ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة
ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه واذ
لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك
قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القران
وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب

مصدق

مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وقرئ به لسانا عربيا حال من ضمير
كتاب فى مصدق او منه لتخصيصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها
الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحى
وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اى يصدق ذا لسان عربى باعجازه
لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله تعالى او الرسول عليه
السلام ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزى بخلاف عنه ويعقوب بالتاء
وبشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين
التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى هى منتهى العمل وثم
للدلالة على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق
مكروه ولا هم يحزنون على فوت محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك
اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية
والعملية وخالدين حال من المستكن فى اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام
اى جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرا الكوفيون احسانا و
قرئ حسنا اى ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا
ذا كره وهو المشقة وقرا الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر
والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله و
الفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع
التام المنتهى به ولذلك عبر به كما عبر بالامد عن المدة فان كل حى مستكمل مدة
العمر ومود اذا انتهى امده ثلثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام فى تربية
الولد مبالغة فى التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه
اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة
بقى ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق
ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله
وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبى الا بعد اربعين قال رب اوزعنى الهمنى
واصله اولعنى من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى

يعني نعمة الدين او ما يعمّها وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر
الصديق رضي الله عنه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار
سواه وان عمل صالحا ترضيه نكّره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب
رضاء الله تعالى واصلح لي في ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا
فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك
واني من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني
طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرا
حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم او مثابين
او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان نتقبل ونتجاوز وعد الذي
كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال لوالديه اف لكما مبتدأ خبره اولئك
والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما قبل اسلامه
فان خصوص السبب لا يوجب في اف قراآت ذكرت في بني اسرائيل اتعدانني
ان اخرج ابعث وقرا هشام اتعداني بنون واحدة مشددة وقد خلت القرون
من قبلي فلم يرجع احد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك
او يسألانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك آمن اي يقولان له ويلك وهو
الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا
اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو
يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان
كان لاسلامه في امم قد خلت من قبلهم كقوله في اصحاب الجنة من الجن والانس
بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على الاستيناف ولكل من الفريقين
درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات
غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرا نافع
وابن عامر وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب
وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها وقيل تعرض
النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اي يقال

لهم

530

لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام
غير ان ابن كثير يقرا بهمزة ممدودة وهما يقراآن بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم
في حيوتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم تجزون
عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق
وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله تعالى
وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعني هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع
حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا
يسكنون رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين
يديه ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض الا تعبدوا الا الله اي
لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا
عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين
في وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به
وانما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول
الا البلاغ ولكني اريكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين
لا معذبين مقترحين فلما راوه عارضا سحابا عرض في افق السماء مستقبل
اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اي يأتينا بالمطر
بل هو اي قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هي ريح ويجوز
ان يكون بدل ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم
واموالهم بامر ربها اذ لا يوجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفي
ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ تدمر كل شيء
من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء في ربها ويحتمل ان استئنافه
للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر ويكون الهاء لكل شيء فانه بمعنى
الاشياء فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت
بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرا عاصم وحمزة والكسائي لا يرى مساكنهم بالياء المضمومة

ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل
بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها
سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما هٰهنا لانها توجب التكرير لفظا
ولذلك قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم
في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله يرجي المرء ما ان
لا يراه ويعرض دونه وما الخطوب والاول اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا
كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة
ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم
ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من الاغناء وهو القليل اذ كانوا يجحدون بايات
الله صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما
اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب
ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الايات
بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا
الهة فهلا منعتهم من الهلاك الهتهم الذين يتقربون بهم الى الله تعالى حيث قالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي اتخذوا الراجع الى الموصول محذوف
وثانيهما قربانا والهة بدل وعطف بيان او الهة وقربانا حال او مفعول له على انه
بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان
يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ
الذي هو اثره صرفهم عن الحق وقرئ افّكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم اي جعلهم
آفكين وافكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك وما كانوا يفترون واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار يستمعون
القران حال محمولة على المعنى فلما حضروه اي القران او الرسول عليه السلام
قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ من قراءته
وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول ولوا الى قومهم منذرين اي منذرين

مخوفين

مخوفين داعين بامر الرسول عليه السلام اياهم بما سمعوا روي انهم وافوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده
قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا
يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق
من العقائد والى طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به
يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله تعالى فان المظالم
لا يغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة رحمه الله
باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف
كبني ادم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه مهرب وليس
له من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة
من هذا شانه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن
ولم يتعب في ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الاباد
بقادر على ان يحيي الموتى اي قادر وتدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة
لتاكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه
على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه
لما صدر السورة بتحقيق المبدأ اراد ختمها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين
كفروا على النار منصوب بقول مقول اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب
قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الامر
اشارة الى ان ما مصدرية
هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات
والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب
الشرائع اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة
الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقيل
الصابرون على بلاء الله تعالى كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه
وابرهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر
ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون

اقول ذكر في اخر سورة الشورى ان اول اولي
العزم هو ابرهيم عليه السلام واخرهم عيسى عليه
السلام فيفهم منه ان لا يكون نوح منهم وكذا
نبينا عليه السلام والا لم يكن عيسى اخرهم نعم
لا يبعد ان يقال ان ابرهيم اول اولي العزم من
الانبياء بعد نوح عليه السلام لان الكلام في
النبيين بعده وسياق الكلام هناك يدل
على ان المراد من النبيين غير محمد عليه السلام فيكون
عيسى اخرهم فتامل والله اعلم سنانی

قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم
لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم في وقته لا محالة
كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة
لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به او هذه السورة بلاغ اي
كفاية او تبليغ من الرسول عليه السلام ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل مبتدا خبره لهم وما بينهما
اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم
وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة
وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رمل في الدنيا

سورة القتال مدنية وهي ثمان وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك
طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش او المصرين
من اهل الكتاب وعام في جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم
وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اي ضايعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة
فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله تعالى او ابطل
ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله
واظهار دينه على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار
والذين امنوا من اهل الكتاب وغيرهم وامنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه
بما يجب به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك
اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة وحقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ
نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها
بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتاييد
ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدا خبره بان الذين
كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل

واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك مثل
ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم يبين لهم احوال الفريقين واحوال
الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال
مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم
الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف
الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التاكيد الاختصار
والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير
باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم او اغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا
الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء
اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين
اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل
والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا
يتعين القتل والاسترقاق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها
واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم
او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى تضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب
او الشد او للمن والفداء او للمجموع يعني ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا تكون حرب
مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه الصلوة والسلام ذلك اي الامر
ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم بالاستيصال
ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم
فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم
كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اي جاهدوا وقرأ البصريان
وحفص قتلوا اي استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل على البناء
للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة
عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها
لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم

من العرف وهو طلب الرائحة او حدّدها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها
الذين آمنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت
اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعساً لهم
فعثوراً وانحطاطاً ونقيضه لعاً قال الاعشى والتعس اولى لها من ان اقول لعاً
وانتصابه بالفعل الواجب اضماره سماعاً والجملة خبر الذين كفروا ومفسّرة لناصبه
واضل اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القرآن لما فيه من التوحيد
والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية
الكفر بالقرآن للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرّره اشعاراً بانه يلزم الكفر بالقرآن
ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
دمّر الله عليهم استأصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من
وضع الظاهر موضع المضمر امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان
التدمير يدل عليها او السنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله
مولى الذين آمنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب
عنهم وهو لا يخالف قوله تعالى وردّوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك
ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين
غافلين عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة
من قريتك التي اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف
اليه والاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم
وهو كالحال افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القرآن وما يعمه والحجج
العقلية كالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كمن زين له سوء عمله كالشرك
والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلاً عن حجة مثل الجنة
التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن
هو خالد وتقديره امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد او مثل اهل الجنة كمثل جزاء من
هو خالد فعرّي عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصوير

اي الجملة الفعل المحذوف الناصب المصدر الموجود

اي من اهل قرية هم اشد قوة من اهل قريتك الذي كانوا سبباً لخروجك عنهم

المعطوف محذوف اي البس الامر كما ذكر فمن كان مستقراً على حجة ظاهرة وبرهان نيّر

المكابرة

المكابرة من يسوّي بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوّي بين
الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة
كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز
على بينة في الآخرة تقريراً لانكار المساواة فيها انهار من ماء غير آسن استيناف
لشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح
اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير اسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه لم يصر قارصاً ولا حازراً وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون
فيها كراهة طعم ولا غائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ او مصدر نعت به بإضمار
ذي او تجوّز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وانهار من عسل
مصفّى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقام مقام الاشربة
في الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف
بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس
ومغفرة من ربهم عطف على الصنف المحذوف او مبتدأ خبره محذوف اي لهم مغفرة
كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً مكان تلك الاشربة فقطّع امعاءهم من فرط
الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه واذا خرجوا قالوا للذين
اوتوا العلم لعلماء الصحابة ماذا قال آنفاً ما الذي قال الساعة استهزاءً
واستعلاماً اذ لم يلقوا له آذانهم تهاوناً به وآنفاً من قولهم انف الشيء لما تقدم منه
مستعاراً من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتاً مؤتنفاً
او حال من الضمير في قال وقرئ انفاً اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا
اهواءهم فلذلك استهزؤا وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى
اي الله تعالى بالتوفيق والالهام او قول الرسول صلى الله عليه وسلم وآتاهم
تقواهم بيّن لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة
فهل ينتظرون غيرها ان تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها
كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانّى لهم اذا جاءتهم ذكراهم

عطف على لفظ الجلال ومرضه الزمخشري لفظاً ومعنى ولم لا يجوز ان يكون التقدير زادهم الله بتوفيقهم الى قول رسوله

والمعنى ان تأتيهم الساعة بغتة لانه قد بدا اماراتها كبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وانشقاق القمر فكيف لهم ذكريهم اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له
ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اي اذا علمت سعادة المومن
وشقاوة الكافر فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح
احوالها واموالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمومنين والمومنات
ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف
المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب ماله
تبعة ما بترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثويكم
في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا المعاد لكم ويقول
الذين امنوا لولا نزلت سورة اي هلا انزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت
سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اي الامر به رايت الذين
في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه
من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم فويل لهم افعل من الولي وهو القرب او فعلى
من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم طاعة وقول معروف
استيناف اي امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة
ابي يقولون طاعة فاذا عزم الامر اي جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه
مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله اي فيما زعموا من الحرص على
الجهاد او الايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم ان توليتم
امور الناس وتامرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم تفاخرا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية
من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا
احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة
الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض
وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معه وساعدتموه في الافساد
وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع اولئك اشارة

الى المذكورين

الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فاصمهم عن استماع
الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون القران يتصفحونه وما فيه
من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها
ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب
لان المراد قلوب بعض او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها
وذكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة
لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين
ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل
الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر
من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السؤال وهو التمني وفيه ان
السؤال مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم
هما يتساولان وقد قرئ به سول على تقدير مضاف اي كيد الشيطان سول لهم
واملى لهم ومد لهم في الاماني او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب
واملي لهم اي وانا املي لهم فتكون الواو للحال والاستيناف وقرأ ابن عامر واملي
لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما
نزل الله اي قال اليهود الذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون
لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض الامر في بعض اموركم او في بعض
ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على
الرسول صلى الله عليه وسلم والله يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي افشاه
الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة
فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفيهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوفة
احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون
عن القتال له ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله
من الكفر وكتمان نعت الرسول عليه السلام وعصيان الامر وكرهوا رضوانه
ما يرضيه من الايمان والجهاد وغيره من الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك

المعطوف عليه محذوف مقدر بعد الهمزة الانكار والتوبيخ اي التقدير الا يلاحظونه فلا يتصفحونه

يعني به الاشارة الى ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه

فيه اشارة الى ان كيف منصوب بفعل محذوف وهو عامل في الظرف كانه يفعلون في حيوتهم ما يفعلون فكيف يفعلون اذا توفيهم الملائكة

ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله
والمومنين اضغانهم احقادهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم
باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التى نسمهم بها واللام لام الجواب كررت
فى المعطوف ولتعرفنهم فى لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه
او اماله الى جهة تعريض وتوريه ومنه قيل للمخطى لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب
والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر
بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها
ونبلوا اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبحها واخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم
المومنين فى صدقها وكذبها وقرا ابو بكر الافعال الثلثة بالياء لتوافق ما قبلها
وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة والنظير
او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته
وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم التى نصبوها
فى مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هولاء
كالكفر والنفاق والعجب والريا والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط
الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار
فلن يغفر الله لهم عام فى كل من مات على كفره وان صح فى اصحاب القليب
ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره بسائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا
وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرى
ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرا ابو بكر وحمزه بكسر السين وانتم الاعلون الاغلبون
والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت
متعلقا له من قريب او حميم فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل
وافراده منه انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وان تومنوا وتتقوا يوتكم

اجوركم ثواب ايمانكم وتقويكم ولا يسالكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير
كربع العشر وعشره ان يسالكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف
المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استاصله تبخلوا فلا تعطوا
ويخرج اضغانكم ويضغنكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير فى يخرج
لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان ها انتم هولاء
اى انتم يا مخاطبون هولاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا فى سبيل الله
استيناف مقرر لذلك او صلة هولاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو و
الزكوة وغيرها فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة ومن
يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان اليه والبخل يعدى
بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق والله الغنى
وانتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم فان تتولوا عطف على وان
تومنوا يستبدل قوما غيركم يقم مقامكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم فى التقوى
والزهد فى الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه السلام عنه وكان سلمان رضى
الله عنه الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه واليمن والملائكة عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهى تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضى لتحققه او بما اتفق له
فى تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه
كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول
الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل فى الاسلام
خلقا عظيما وظهر له فى الحديبية آية عظيمة وهى انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه
فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا اهل الفرس
فى تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول صلى الله عليه وسلم فى سورة الروم
وقيل الفتح بمعنى القضاء اى قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله

(margin:) انتم مبتدا اولاء خبره وها فى الموضعين للتنبيه اعادتها فى الثانى للتاكيد

(margin:) فيه اشارة الى ان من موصوفة لا موصولة

(margin:) فدك اسم قرية بخيبر

(margin:) قوله او فتح الروم عطف صلح الحديبية

علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين وازاحة
الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص
الضعفة عن ايدي الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تاخر جميع ما فرط منك مما يصح
ان يعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة
ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك
الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف به وصفه مبالغة هو
الذي انزل السكينة الثبات والطمانينة في قلوب المؤمنين حتى يثبتوا حيث
تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ
العقيدة واطمينان النفس عليها وانزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول عليه
السلام ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله تعالى واليوم الاخر ولله جنود
السموات والارض يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم
اخرى كما تقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها علة لما بعده لما دل
عليه قوله ولله جنود السموات والارض من التدبير اي دبر ما دبر من تسليط
المؤمنين ليعرفوا نعمة الله ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين
لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل
الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اي الادخال
والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند
حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف
على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء
ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه
ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرا ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما
لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى
مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف
لما استحقوه في الاخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع

موضع

موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال
الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات
والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا
على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية دينه
ورسوله عليه السلام وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له
بكرة واصيلا غدوة وعشيا او دائما وقرا ابن كثير وابن عامر الافعال الاربعة
بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه
وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود
ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد على سبيل التخييل فمن نكث
نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد
عليه الله وفى في مبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرا حفص
عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والاية نزلت
في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة
وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل
باموالهم واهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف عن مقاتلة قريش
ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ
بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله تعالى على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس
في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا
فمن يمنعكم من مشيته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل وهزيمة وخلل في المال
والاهل وعقوبة على التخلف وقرا حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد
ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم
ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنهم ان المشركين يستاصلونهم
واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع
كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان

وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون
بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم
وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين
موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب
للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض
يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما فان
الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث
الالهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم
لتاخذوها يعني مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة
ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم
اموالا كثيرة فخصها بهم ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه
وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي
ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي
كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل من قبل تهيئهم
للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا
لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب
الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد
من الله تعالى لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب
كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون
الى قوم اولي باس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله او المشركين
فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير
كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل
على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف
وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون
ليتناول تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة

اقول فيه بحث لان المغفرة ايضا داخلة تحت قضائه بالحكمة المقتضية لمغفرته فالاولى في هذا المحل ان يقال عدم ذكر صفة التعذيب بان يقال معذبا للايذان بان صفة العذاب صارت مسبوقة

فيه اشارة الى ان الموصوف محذوف عبارة عن العدم

في الآخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف
جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على
التخليف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم من الوعيد ومن يطع
الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة
في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم ومن يتول يعذبه عذابا
اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه
بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه عليه السلام
لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش
فرجع فبعث عثمان بن عفان فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان
يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في قلوبهم
من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح
واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني
مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا لمقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم
كثيرة تاخذونها وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر
وكف ايدي الناس عنكم ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي
قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة آية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم
من الله تعالى بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية
او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف او عجل
مثل لتسلموا او لتاخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا
مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة
على هذه او منصوبة بفعل يفسره الظاهر قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها
بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان
فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى فاظفركم بها وهي مغانم هوازن
او فارس وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء

ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا
يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن
غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلي ولن تجد
لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم ايدي كفار مكة وايديكم عنهم
ببطن مكة في داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل
خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد
به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون
من مقاتلتهم اولا طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ
ابو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي
معكوفا ان يبلغ محله يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدي ما يهدى الى مكة
وقرئ والهدي وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله ومكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه
المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول صلى الله عليه
وسلم حين احصر فلا ينهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان
تطؤهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال وطئنا وطئا على حنق وطء المقيد نابت الهرم
وقال عليه السلام ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر
وقعة للنبي صلى الله عليه وسلم بها واصله الدوس وهو بدل الاشتمال من
رجال ونساء او من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب
الدية او الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير
في البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم غير عالمين
بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا
مؤمنين بين اظهر الكفار جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل
الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين
اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي توفيقه لزيادة الخير او للاسلام من يشاء

واستدل الحنفية برواية ابي هريرة رضي الله
عنه من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن
القى السلاح فهو امن ومن اغلق بابه فهو امن قاله
يوم فتح مكة فيدل على ان فتح مكة كان عنوة لان
لفظ امن انما يستعمل في القهر لا في الصلح وذهب
الشافعي الى انها فتحت صلحا بدليل ان النبي
عليه السلام لم يستبح اموالها ولا قسم بين
الغانمين فيكون الحديث حجة عليه كذا في
شرح المشارق لابن الملك ويرد عليه ان
هذا الكلام يجوز ان يصدر من النبي عليه السلام
قبل الدخول وحين الدخول لا ما رعه احد
سماي م حطه

من مؤمنيهم او كافريهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا
الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او
ظرف لعذبنا او صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التي تمنع اذعان
الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين انزل عليهم الوقار والثبات
وذلك ما روي انه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب
ابن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسالوه ان يرجع من عامه على ان يخلي له قريش
مكة من القابل ثلثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله
عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم
قال اكتب هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم
انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح محمد بن
عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك
ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة التقوى كلمة
الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات
والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق
بها من غيرها واهلها والمستأهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء وييسره
له لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى عليه السلام انه واصحابه دخلوا مكة آمنين
وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم
فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا وما قصرنا ولا راينا البيت فنزلت والمعنى صدقه
في رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما راه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام
القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد
الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى
او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف
ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية تعليما للعباد واشعارا بان بعضهم لا يدخل
لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا والنبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه
آمنين حال من الواو والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم

ومقصرا آخرون لا تخافون حال مؤكدة او استيناف اى لا تخافون بعد
ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة فى تأخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون
دخولكم المسجد او فتح مكة فتحا قريبا فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان
يتيسر الفتح الموعود هو الذى ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه او لاجله
ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليعليه على جنس الدين كله
بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من
اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان
ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به
ويجوز ان يكون رسول الله صفته ومحمد خبر محذوف او مبتدا والذين معه معطوف
عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء
جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم لقوله اذلة
على المؤمنين اعزة على الكافرين تريهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة فى اكثر
اوقاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضا سيماهم فى وجوههم
من اثر السجود يريد السمة التى تحدث فى جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه
اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن فى الجار
ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم فى التورية
صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها ومثلهم فى الانجيل عطف عليه اى ذلك
مثلهم فى الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستانف او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره
اخرج شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا افرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية
ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه
بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من المؤازرة
بمعنى المعاونة او من الايزار وهى الاعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فأزره
كأجر فى آجره فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه
فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة يعجب الزراع
بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة قلوا

فى بدء

فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس
ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه
غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبى صلعم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وهى ثمانى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا اى لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن
او ترك لان المقصود نهى التقديم راسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم
ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا من القدوم بين يدى الله ورسوله مستعار
مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا
امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والاشعار
بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله فى التقديم او مخالفة الحكم ان الله
سميع لاقوالكم عليم بافعالكم يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبى اى اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على
الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب
بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبى والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار
والمبالغة فى الايقاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به
ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهى او لان تحبط على ان النهى عن الفعل
المعلل باعتبار التادية لان فى الرفع والجهر استخفافا قد يؤدى الى الكفر المحبط وذلك
اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روى ان ثابت بن قيس رضى
الله عنه كان فى اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية وانى رجل
جهير الصوت فاخاف ان يكون عملى قد حبط فقال عليه السلام لست هناك
انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة

ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة
عن مخالفة النهى قيل كان ابو بكر وعمر رضى الله عنهما بعد ذلك يسرانه حتى يستفهمها
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة
للتقوى خالصة فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل
باعتبار الاصل وضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى
فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه
وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير
للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استيناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم
كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدا اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا
لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة فى الاعتداد بغضهم
والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف
ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن
ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى
داخل الحجرة اذ لا بد وان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها
وثلثتها جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل
حجرة فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبى صلى الله عليه وسلم
وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه
من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له واسند فعل الابعاض الى الكل
وقيل ان الذى ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا
يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما
بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضى حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن
كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اى ولو ثبت صبرهم وانتظارهم
حتى تخرج فان ان وان دلت بما فى حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت
ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغى ان يكون مغيى بخروجه فان حتى

مختصة

مختصة بغاية الشئ فى نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول
حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغى ان
يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من
الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين
للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روى انهم وفدوا شافعين فى اسارى
بنى العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح
والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم
يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روى انه عليه السلام
بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا
به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد
ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد
فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق
والنبأ للتعميم وفى تعليق الامر بالتبين على فسق المخبر جواز قبول خبر الواحد من حيث
ان المعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث
هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل
بالغير وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا اى فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا
كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين
مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلثة دائر مع الدوام
واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما فى حيزه ساد مسد مفعولى علموا باعتبار ما قيد
به من الحال وهو قوله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد ضميرى فيكم
ولو جعل استينافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب
تغييرها وهو انكم تريدون ان يتبع رايكم فى الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اى لوقعتم
فى الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببنى المصطلق
وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم الايمان

الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا
لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك هم الراشدون اولئك
المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره تعدى بنفسه الى مفعول واحد
فاذا شدد زاد له مفعول آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول
آخر والكفر تغطية نعم الله تعالى بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان
الامتناع عن الانقياد فضلا من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض
لا للراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا من فعله مسند الى
ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبب والرشد فضل من الله تعالى وانعامه والله
عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما
بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت احديهما تعدت على الاخرى فقاتلوا
التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه
بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما
بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله تعالى وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة
الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا في كل الامور ان الله يحب
المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج
في عهده عليه السلام بالسعف والنعال وهو يدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض
عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فيء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغى
عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون
الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح
ولذلك كرر مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع
المضمر مضافا الى المامورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر
لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين
اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم
يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء

عسى

عسى ان يكن خيرا منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد
يكون المسخور منه خيرا عند الله تعالى من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه
اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور
وظيفة الرجال كما قال الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلتين
كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب والاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن
توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها استيناف
بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين
ان يكن فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم بعضا
فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان فعل ما استحق به
اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب
ولا يدعوا بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد
دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين
خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين
فقال لها هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم الصلاة والسلام
او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب
عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض
النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب
وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه من اي القبيل فان من الظن ما يجب
اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن
في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن
في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستأنف للامر والاثم الذنب
الذي يستحق عليه العقوبة والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا
ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب

كاللمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس
الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله
عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم
بعضا بالسوء في غيبته سئل عليه السلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه
فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه
ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام
المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل
الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله
فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه
ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع
واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة
في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب
عليهم او لكثرة ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله
صلى الله عليه يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه عليه السلام فقال ما عندي
شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا
لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من ادم
وحوا عليهما السلام او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه
للتفاخر ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا
وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع
العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب
وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب
بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر
بالاباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند
الله اتقيكم فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا

فليلتمس

فليلتمس منها كما قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله
وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله تعالى وفاجر
شقي هين على الله تعالى ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب امنا
نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين
وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال
ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا
اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول
عليه السلام بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه اخر السورة ولكن قولوا
اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادتين وترك
المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول قل لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا
او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان
والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت
لقولوا فانه حال من الضمير المستكن اي ولكن قولوا اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم
السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم
من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصري
لا يألتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل
عليهم انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب
مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب
نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان
ليس حال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهي كقوله ثم استقاموا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس
تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين
صدقوا في ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم امنا والله
يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم
وتوبيخ روي انه لما نزلت الاية المتقدمة جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون

فنزلت يمنون عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهي
النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود
بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا على اسلامكم اي باسلامكم
فنصب بنزع الخافض او لتضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هديكم
للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا يستلزم الاهتداء وقرئ ان هديكم بالكسر
وانه هديكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله
اي فلله المنة عليكم وفي سياق الآية لطيفة وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم
ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو
في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله
المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير
بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما في الآية من الغيبة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقران المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقران ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف
على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد
بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد
من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا
اشارة الى اختيار الله تعالى محمد المصطفى للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره
للاشعار بتعينهم بهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث
على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما
ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف
دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل للانكار اذ الاول استبعاد لان
يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله تعالى عما هو اهون مما يشاهدون
من صنعه ائذا متنا وكنا ترابا اي انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف

قوله ذلك رجع بعيد اي بعيد عن الوهم والعادة او الامكان وقيل الرجع
بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تاكل من اجسامهم وهو رد لاستبعادهم
بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام
وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغير
والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه
او تاكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة
بالمعجزات والنبي او القران لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهم في امر مريج مضطرب
من مرج الخاتم في اصبعه اذا خرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر
وتارة انه كاهن افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى اثار قدرة
الله في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها
من فروج فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها
والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف
بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدائع صنعه
وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء
ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب
الزرع الذي من شانه ان يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا او
حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط
ارتفاعها او كثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد
منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد
علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة
ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون
خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد
وفرعون اراد اياه وقومه ليلايم ما قبله وما بعده واخوان لوط اخوانه لانهم
كانوا اصهاره واصحاب الايكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب
الرسل اي كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد

فوجب وحل عليه وعيدي وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول افعجزنا بالابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيي
بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم في لبس من خلق جديد
اي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف
لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق والجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه
غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به
نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير
لما ان جعلت موصولة والباء مثلها في صوّت بكذا او للانسان ان جعلت
مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اي ونحن اعلم بحاله
ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه
وحبل الوريد مثل في القرب قال والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق واضافته
للبيان والوريدان عرقان يكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين
يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان
مقدر باذكر او متعلق باقرب اي هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى اي
يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ الملكين فانه اعلم
منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد تثبيط العبد
عن المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام للحجة يوم يقوم الاشهاد
عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد
كالجليس فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقوله فاني وقيار بها لغريب
وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ
من قول ما يرمي به من فيه الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر
ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب او عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات
امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة
قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر
وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح ذلك

قص

بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت
وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت
شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى احضرت
سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت
او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت
على انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانها جاءت به او على
الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى واضافتها اليه للتهويل وقرئ
سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد تميل وتفر عنه والخطاب
للانسان ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك
يوم تحقق الوعيد والانجاز والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها
سائق وشهيد ملكان احدهما يسوق والاخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين
وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه
او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته
الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا على اضمار القول والخطاب
لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الاخرة او للكافر فكشفنا عنك
غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات
والالف بها وقصور النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار
وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا
عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القران فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون
وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب
النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب
عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد
لجهنم هياته لها باغوائي واضلالي وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان
موصولة فبدل لها او خبر بعد خبر او خبر محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب
من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية

منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر
وان تدعاني احم عرضا ممنعا او الالف بدل من نون التاكيد على اجراء
الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق
مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام
فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد متعد مريب
شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر مبتدا متضمن لمعنى الشرط
وخبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا
للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما
استؤنفت كما استانف الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف
دل عليه ربنا ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته
بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما
في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد
فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الراي مائلا الى الفجور
كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال اي الله
تعالى لا تختصموا لدي في موقف الحساب وانه لا فائدة فيه وهو استيناف
مثل الاول وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة
رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي اي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والباء
مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل
واقعا عليه وعلى قوله ما يبدل القول لدي اي بوقوع الخلف فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي
وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو يدل على
تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه يوم نقول
لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير
والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملان
او انها مع السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة
زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرأ

هكذا في النسخ والظاهر ان يكون هكذا والفعل
واقعا على قوله ايضا اللهم الا ان يقال والفعل
واقع عطف على اسم كان وحينئذ اشاره
الى وجه آخر سمسامي رحمه

نافع

نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمجيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر
باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت
الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره
لانه صفة محذوف اي شيا غير بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان
هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرأ
ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ
حافظ لحدوده من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل
من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدا خبره
ادخلوها على تاويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجميع وبالغيب حال من الفاعل او
المفعول او صفة لمصدر اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب
او هو غائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته
وخافوا عقابه او بانهم يخشون خشيته مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة
اذ الاعتبار برجوعه الى الله تعالى بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او
مسلما عليكم من الله تعالى وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود لقوله ادخلوها
خالدين لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا
قوة كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض
كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب
التنقير عن الشيء والبحث عنه هل من محيص اي لهم من الله تعالى او من الموت
وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل راوا لهم
محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر
من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف
مراكبهم ان في ذلك فيما ذكر في هذه السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب
اي قلب واع متفكر في حقائقه او القى السمع اصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر
بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب

وابهامه لتفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام مر تفسيره مرارا وما مسنا من لغوب من تعب
واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ
يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون
ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر
على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك
ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك
من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت
فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب
الصلوة جمع دبر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت وقرا الحجازيان وحمزة
بالكسر وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالصلوة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب
الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات
واستمع لما اخبرك به من احوال القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم ينادي المنادي
اسرافيل او جبرئيل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة ان الله تعالى يأمركن
ان تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على السواء
ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون
الصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم
الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت
في الدنيا والينا المصير للجزاء في الاخرة يوم تشقق تتشقق وقرا عاصم وحمزة والكسائي
وخلف وابو عمرو بتخفيف الشين الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث
وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم
القادر لذاته الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وما انت
عليهم بجبار بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقران
من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي صلعم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

اي في ستة اوقات او في مقدار ستة
ايام فان اليوم عبارة عن اول طلوع
الشمس الى غروبها وهي لم توجد قبل خلق
السموات والارض

سورة الذاريات مكية وهي ستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولود فانهن
يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري الخلايق من الملائكة وغيرهم وقرا
ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار
او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرى وقرا على تسمية
المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية
في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اي
جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق
وغيرها او ما يعمهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح يقسمن الامطار بتصريف
السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار
ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال
اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث
امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم
كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره
على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل
والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير
الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان
لها طرائق او انها تزينها كما يزين الموشي طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك
كمثال ومثل وقرى الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك
كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف في الرسول عليه السلام
وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون او في القران او القيمة او امر
الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها
بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك يصرف
عنه الضمير للرسول عليه السلام او القران او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه

فكأنه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله تعالى وقضائه
ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف
وبسببه كقوله ينهون عن اكل وشرب اي يصدر تناهيهم عنهما بسببهما وقرئ
افك بالفتح اي من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان
قتل الخراصون الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجري
مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسالون
ايان يوم الدين اي فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم
على النار يفتنون يحرقون جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم
لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول
هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون
هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم
قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول
انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون في طائفة من
الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اي في قليل من الليل هجوعهم
او يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات
لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع
الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مع قلة
هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم
وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله تعالى وخشيتهم منه
وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا
على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة
وفي الارض آيات للموقنين اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات
من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات
والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته

وفي انفسكم اي وفي انفسكم آيات اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير يدل
دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن
من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة
افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السماء رزقكم اسباب رزقكم او تقديره
وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون
من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة
في السماء وقيل انه مستانف خبره فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير
لما وعلى الاول يحتمل له ولما ذكر من امر الآيات والرزق والوعد مثل ما انكم تنطقون
اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم
تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحققه ونصبه على الحال من المستكن في لحق او بالوصف
لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير
متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء وان بما في حيزه ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه
صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائي وابي بكر بالرفع هل اتاك حديث ضيف
ابراهيم فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه اوحى الله تعالى اليه والضيف
في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد وقيل كان اثني عشر ملكا وقيل ثلثة
جبريل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف المكرمين اي
مكرمين عند الله تعالى او عند ابراهيم عليه السلام اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا
عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اي نسلم عليك
سلاما قال سلام اي عليك سلام عدل الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات
حتى يكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرا حمزة والكسائي قال سلم وقرئ
منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم
ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف
عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان
يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان
عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تاكلون اي منه

وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب
ان قاله اول ما وضعه وللانكار ان قاله حينما راى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر
منهم خوفا لما راى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤا للشر وقيل وقع فى نفسه انهم ملائكة
ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله قيل مسح جبرائيل العجل بجناحه فقام
فدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو اسحق عليه السلام عليم يكمل
علمه اذا بلغ فاقبلت امرأته سارة الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم فى صرة
فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول فاقبلت باخذت
فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت
حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء وقالت عجوز عقيم اى انا عجوز عاقر
فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذى بشرنا به قال ربك وانما نخبرك به عنه انه هو
الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون فلما علم انهم
ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنهم قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة
مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهى العلامة عند ربك للمسرفين
المجاوزين الحد فى الفجور فاخرجنا من كان فيها فى قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر
ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير اهل بيت من المسلمين
واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضى
الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق
المفهومات المختلفة على ذات واحدة وتركنا فيها آية علامة للذين يخافون العذاب
الاليم فانهم المعتبرون بها وهى تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن
وفى موسى عطف على وفى الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا فى موسى كقوله
علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان هو معجزاته كاليد والعصا
فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به
من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشئ ويتقوى به وقرئ بضم الكاف وقال ساحر
اى هو ساحر او مجنون كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد فى انه

حصل باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فاغرقناهم فى البحر
وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير فى فاخذناه
وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم
او لانها لم تتضمن منفعة وهى الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شئ اتت
عليه مرت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفى ثمود
اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم
فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اى العذاب بعد الثلاث وقرا
الكسائى الصعقة وهى المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة
بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم
ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اى واهلكنا
قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل فى عاد ويؤيده
قراءة ابى عمرو وحمزة والكسائى بالجر من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما
فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة
وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون
السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها
فنعم الماهدون اى نحن ومن كل شئ اى من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم
تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل
التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة
انى لكم منه اى من عذابه المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين بين كونه منذرا
من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله الها آخر افراد
لاعظم ما يجب ان يفر عنه انى لكم منه نذير مبين تكرير للتاكيد او الاول مرتب على ترك
الايمان والطاعة والثانى على الاشراك كذلك اى الامر مثل ذلك والاشارة
الى تكذيبهم الرسول عليه السلام وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او بما يفسره
لان ما النافية بعدها لا يعمل فيما قبلها اتواصوا به اى كان الاولين والآخرين اوصى

بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصي
جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل
عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار
والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ وذكر ولا تدع
التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه ومن آمن فانه
يزداد بها بصيرة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة
متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره
مع ان الدليل يمنعه لنافي ظاهر قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل
معناه الا لنامرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان
يطعمون ما اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بها انتم كالمخلوقين له والمامورين
به والمراد ان يبين ان شانه مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم
انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل
لا اسالكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء
باستغنائه عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ
المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا اي للذين ظلموا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب
نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب
هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة او يوم بدر عن النبي صلعم من قرا
والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية وهي تسع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور يريد طور سينا وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى
والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم
الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف

المكنونة

فالتعبير بالمضارع للدلالة على الاستمرار

المكتوبة والمراد به القران او ما كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ او الواح موسى
او في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما تكتبه الحفظة في رق منشور الرق
الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار
بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها
بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة
او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور
اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روي ان الله تعالى يوم القيمة
البحار نارا يسجر بها جهنم او المختلط من السجر وهو الخلط ان عذاب ربك لواقع
لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور
تدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة
يوم تمور السماء مورا تضطرب والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج
ويوم ظرف وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ
للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم في خوض يلعبون اي في الخوض
في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف وذلك بان تغل
ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون
من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف
لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم ذلك افسحر هذا
اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر افهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود
بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل
عليه وهذا تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت
ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر
وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون
ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه
سيان في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واية نعيم او في
جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين

يعني انه في الاصل عام لكل شيء الا انه غلبت في الاباطيل والاكاذيب

وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقيهم ربهم عذاب الجحيم عطف على اتيهم ان
جعل ما مصدرية او في جنات او حال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال
من فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا اى كلا وشربا هنيئا او طعاما
وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل البا زايدة
وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة
مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق
او للسببية والمعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق
والقرن ولذلك عطف قوله والذين آمنوا على حور اى قرناهم بازواج حور عين
ورفقاء مومنين وقيل انه مبتدا خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض
للتعليل وقرا ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة في كثرتهم والتصريح
بان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرا ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين
لهم في الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او للاشعار
بانه يكفى للالحاق المتابعة في اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة والدرجة
لما روى انه عليه السلام قال ان الله تعالى يرفع ذرية المومن في درجته وان كانوا
دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرا نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم
وما نقصناهم من عملهم من شيء بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة
الآباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللايق
بكمال لطفه وقرا ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت
وآلتناهم من آلت يولت وولتناهم من ولت يلت والمعنى واحد كل امرئ بما كسب
رهين بعمله مرهون عند الله تعالى فان عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم
بفاكهة ولحم مما يشتهون اى وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع
النعيم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كاسا خمرا سماها باسم
محلها ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تاثيم اى لا يتكلمون بلغو الحديث
في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك
مثل قوله لا فيها غول وقراهما ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اى بالكاس

وامارواه ابو هريرة من قوله عليه السلام من
ابطا به عمله لم يسرع به نسبه فقد قيل المراد
شرف النسب من جهة الدنيا او لعل المذكور
في الاية يكون في الجنة والحديث محمول على الصراط
وفي لفظ الابطاء والاسراع اشارة اليه
يؤيده ما روى ان النبي عليه السلام
قال يكون رجل هو اخر من يجوز على الصراط فيلتفت
فلا يرى وراءه احدا فيقول يا رب بطأت
فيا اى عبدى عملك ابطاك كذا في شرح نظام
الشرق ...

علم

غلمان لهم اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم
لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام والذى
نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسال بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا
انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته
او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا عذاب السموم
عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرى ووقانا بالتشديد انا كنا
من قبل اى من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده ونساله الوقاية انه هو البر
المحسن وقرا نافع والكسائى بفتح همزته انه الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير
ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما
يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث
الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه قل تربصوا فانى معكم من المتربصين
اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى ام تامرهم احلامهم عقولهم بهذا التناقض في القول
فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام
موزون متسق مخيل ولا يتاتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه
ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرى بل هم ام يقولون تقوله اختلقه
من تلقاء نفسه بل لا يومنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فلياتوا
بحديث مثله مثل القران ان كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء
للاقوال المذكورة بالتحدى ويجوز ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر
الفساد ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك
لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يويد الاول
فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض
وام في هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا
من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا
عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزاين رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا

او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختاره حكمته ام هم المسيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا وقرا قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزه بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاي والباقون بالصاد خالصة ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدون فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من عالم الغيب حتى يعلموا ما هو كاين فليات مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رايه لا يعد من العقلاء فضلا ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ام تسألهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فالذين كفروا والذين يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد ويعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركون وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضهم على بعض وهو جواب قوله فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرى يلقوا وقرا ابن عامر وعاصم يصعقون على المبنى للمفعول من صعقه (او اصعقه) يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله تعالى وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب الاخرة وهو عذاب القبر او المواخذة في الدنيا كقتل البدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلاك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مقام قمت او من منامك او الى الصلوة

ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد من الريا ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرى بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت وعنه عليه السلام من قرا سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة النجم مكية وهي اثنتان وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم القيمة او انقض وطلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القران اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض او اذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد صلى الله عليه وسلم عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش (متعلق با قسم) وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقران عن الهوى ان هو ما القران والذي ينطق به الا وحي يوحى الا وحي يوحيه الله تعالى اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه عليه السلام قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة في عقله ورايه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقها الله عليه قيل ما راه احد من الانبياء في صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في السماء ومرة في الارض وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير لجبريل عليه السلام ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول عليهما السلام وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول عليه السلام فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقرير الشدة قوته فان التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدلو والى الثمر المعلق فكان جبريل عليه السلام

قوله واذا نما يعني اذا كان هويا لونن دخولا لكون معناه العلو والصعود

كقولك موضع معقد الازار او المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما او ادنى
على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما
يوحى اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل الى عبده عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه
لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبريل وفيه تفخيم للموحى به او الله اليه وقيل الضمائر
كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين
ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب قدسه ما كذب الفؤاد
ما راى ما راى ببصره من صورة جبريل والله تعالى اي ما كذب ببصره بما حكاه
له فان الامور القدسية تدرك ولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده
لما راه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره او ما راه
بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه السلام سئل هل رايت ربك
فقال رايته بفؤادي وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك فيه افتمارونه على ما يرى
افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة فان كلا من
المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرا حمزة والكسائي وخلف ويعقوب افتمرونه
اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته اي افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى
لتضمن الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد
راه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا
بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق
وقيل تقديره ولقد راه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة
على المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل
من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم
يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة عندها جنة المأوى
الجنة التي ياوي المتقون وارواح الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما
يغشيها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عدد وقيل يغشيها الجم الغفير من الملائكة
يعبدون الله تعالى عنده ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما راه وما طغى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب

التي

التي امر برؤيتها وما جاوزها لقد راى من آيات ربه الكبرى اي والله لقد راى
الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما راى
ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا من آيات
ربه او من مزيدة افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام
كانت لهم فاللات لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة فعلة من لوى لانهم كانوا
يلوون عليها اي يطوفون وقراءة هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب بالتشديد
على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة
لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن
الوليد فقطعها وقيل اصلها تانيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة
او لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه
منى وقرئ مناءة مفعلة من النوء كانهم يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله
الثالثة الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التاخر في الرتبة
الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها
جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرايتم تلك اذا
قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهو فعلى من الضيز وهو
الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يات وصفا وقرا
ابن كثير بالهمز من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسماء
الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون
انها الهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية او للصفة التي تصفونها بها من كونها
الهة وبنات وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها
باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم
انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم سميتم بها وآباؤكم بهواكم
ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن
الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم
ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه ام للانسان ما تمنى

ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي
طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ونحوها فلله الآخرة والاولى يعطي
منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد
ان يأذن الله في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان
يشفع ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين
لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموه بنتا
وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة او بالتسمية ان يتبعون الا الظن
وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم
والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما يكون
وصلة اليها فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته
والاهتمام بشأنه فان من غفل عن الله تعالى واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا
بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا يزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل
ذلك اي امر الدنيا وكونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض
مقرر لقصور همتهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم
بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب
نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في السموات وما
في الارض خلقا وملكا ليجزي الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله
او بسبب ما عملوا وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز
الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
بالمثوبة الحسنى وهو الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين
يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه
وقيل ما اوجب الحد وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك
والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور

من المجتنبين الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين نصب على الصفة او المدح
او رفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر
باجتناب الكبائر اوله ان يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب
به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم
وجوب العقاب على الله تعالى هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشأكم من الارض
واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم
من التراب بخلق آدم عليه السلام وحينما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم
فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل هو اعلم
بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام افرأيت
الذي تولى عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء
من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها
نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض
المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن
ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل
بالباقي اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ بما في صحف
موسى ابرهيم الذي وفى وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله
وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبرئيل حين
القي في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي
كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه
وهو التورية كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان هي المخففة
من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما في صحف موسى عليه السلام او الرفع
على هو ان تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب
غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس
او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام من سن سنة
سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك للدلالة والتسبب

الذي سوف يرى الاعيه وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى الاعيه
اي كما لا يواخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جا في الاخبار من ان الصدقة
والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه ثم يجزيه الجزاء الاوفى اي
يجزى العبد بسعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدر
او ان يكون الها للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله وان الى ربك المنتهى
انتهاء الخلايق ورجوعهم وقرى بالكسر على انه منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده
وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان
القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله تعالى على سبيل العادة
وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق بالرحم او تخلق ويقدر
منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشأة الاخرى الاحياء بعد الموت
وفاء بوعده وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر كالنشاة
وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهو ما يتاثل به من الاموال وافرادها لانه اشرف
الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية وانه هو رب الشعرى هو العبور وهي
اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول صلى الله عليه وسلم
وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول عليه السلام
ابن ابي كبشة ولان تخصيصها للاشعار بانه عليه السلام وان وافق ابا كبشة
في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى
الامم هلاكا بعد نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم عليه السلام وقرى
عادا لولى بحذف الهمزة والقاء حركتها الى لام التعريف عادا لولى بادغام التنوين
فيها وقرا نافع وابو عمرو كذلك مع جعل الواو همزة وثمود عطف على عادا لان
ما بعده لا يعمل فيه فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا عطف عليه من قبل من قبل
عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يوذونه وينفرون عنه
ويضربونه حتى لا يكون به حراك والموتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت
وهي قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها فقلبها فغشيها ما غشى فيه تهويل عظيم
وتعميم لما اصابهم فباى الاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول صلى الله

عليه

عليه وسلم او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها الاء من قبل
ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمومنين هذا نذير من النذر
الاولى اي هذا القران نذير من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير
من جنس المنذرين الاولين ازفت الازفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو
في نحو اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على
كشفها اذا وقعت الا الله تعالى لكنه لا يكشفها او الان تأخرها الا الله او ليس
لها كاشفة لوقتها الا الله تعالى اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كاشفة
على انها مصدر كالعاقبة افمن هذا الحديث يعني القران تعجبون انكارا وتضحكون
استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون
من سمد البعير في سيره اذا رفع راسه او مغنون ليشغلوا الناس عن استماعه
من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا اي فاعبدوه دون الهة عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيمة ويويد الاول انه قرى وقد انشق
القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من ايات اقترابها انشقاق القمر وقوله وان
يروا اية يعرضوا عن تاملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم راوا
قبله ايات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال
امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته
او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان
من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة
وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة
في الاخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرى بالفتح اي ذو مستقر
بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد

قوله سينشق فالتعبير بالمضي عن الاستقبال لتحقق وقوعه

اشارة الى ان العلاقة المصححة بين الاستقرار والانتهاء

جاءهم في القرآن من الانباء انباء القرون الخالية او انباء الآخرة ما فيه مزدجر
ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي
للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل
من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة
فيجوز نصب الحال عنها فما تغني النذر نفي او استفهام انكار اي فاي غناء تغني
النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او المصدر بمعنى الانذار فتول عنهم
لعلمك بان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه
كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم
بيخرجون او باضمار اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول يوم
القيمة وقرأ ابن كثير بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث
اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان
فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير وابن عامر
ونافع وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه
ليس على صيغة يشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فيكون الجملة حالا
كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين
مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت
قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه
تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعد
ما كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية
وقيل انه من جملة قيلهم اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني باني وقرئ
بالكسر على ارادة القول مغلوب غلبني قومي فانتصر فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه
منهم فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة
وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد
لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة واصله

اي يجوز ان لا يكون فيه الداعي ولكن فيه استعارة تمثيلية كما في امر التكوين

فعلى هذا التكذيب الثاني غير الاول وعلى الاول متحد خلاصة ما في سعدي

وفجرنا

وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماءان
لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله
تعالى في الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل
على قدر ما اخرج او على امر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه
على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو
الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها تؤدي
مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا
ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله تعالى ورحمة على امته
ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اي للكافرين
ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها اي شاع خبرها واشتهر فهل من مدكر
معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان
عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن
سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا
فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ
كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن
بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت في يوم
نحس شؤم مستمر استمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم
فلم يبق منهم احدا او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس
تقلعهم روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح
منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط
على الارض قيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم
وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتانيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان
عذابي ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في
الآخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب
الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر

كان الارض عن آخرها صارت عيونا

اذ اصله لمن كان كفر به فانقلب الضمير المجرور بعد حذف جاره مرفوعا

اي بلا حذف تاء الافتعال وان كان بعد الادغام

بالانذارات والمواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او جملتنا لا فضل له
علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرى بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام
واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر
كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون
ومنه ناقة مسعورة االقي الذكر الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه
بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا
عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار
عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه وقرا ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون
على الالتفات او على حكاية ما اجابهم به صالح عليه السلام وقرى الاشر كقولهم حذر
وحذر والاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة
مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر
على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء
كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن
سالف احيمر (مصغر احمر) ثمود فتعاطى فعقر فاجترا على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى السيف
فقتلها والتعاطي تناول الشي بتكلف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم
صيحة واحدة صيحة جبريل عليه السلام فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر
الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته
في الشتاء وقرى بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القران
فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة
اي ترميهم الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا انعاما
منا وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم
لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد
راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كسائر الوجه
روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فاعماهم فذوقوا
عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة

اي داخلين في السحر فعلى هذا الباء للملابسة وعلى الاول بمعنى في خلاصة سعدي

وقرى

وقرى بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر
بهم حتى يسلمهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كرر ذكر
في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل
قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستينافا للتنبيه والاتعاظ لئلا تغلبهم السهو
والغفلة وهكذا تكرير قوله فباي الاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد
جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا باياتنا
كلها يعني الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شي اكفاركم
يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند
الله ام لكم براءة في الزبر ام نزل لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان
من عذاب الله تعالى ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام او منتصر
من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم
الجمع ويولون الدبر اي الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل احد يولي دبره
وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلايل النبوة وعن عمر رضي الله عنه لما نزلت قال
لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع
ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق
بهم في الدنيا فمن طلايعه والساعة ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى
لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا
وسعر ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس
سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار والمها فان مسها سبب للتالم بها وسقر علم
لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار اذا لوحته انا كل شي خلقناه بقدر اي
انا خلقنا كل شي مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه
وكل شي منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرى بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى
ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شي مخلوق
بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود
وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا

كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما
امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر
متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال
مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس وسعة
او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وجمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق
في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من
تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذو الافهام عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله تعالى يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية وهي ثمان وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القران لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية
والاخروية صدرها بالرحمن فقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقران
وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشا الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه
واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان
علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير
عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل
الثلث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد الشمس
والقمر بحسبان بجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما ويتسق بذلك
امور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب
والاوقات والنجم النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر
الذي له ساق يسجدان ينقادان لله تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد
من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد
النجم والشجر والشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما
في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه
عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به

من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها
خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشا اقضيته ومنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ
بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى
كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت
السموات والارضون او ما يعرف به مقادير الاشيا من ميزان ومكيال
ونحوهما كانه لما وصفت السما بالرفعة من حيث انها مصدر القضا والاقدار
وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت وتعرف به المقدار ويسوى به الحقوق
والمواجب الا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف
وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه
فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة
حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها على ان الاصل
ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة
للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح او الثقلين فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به
والنخل ذات الاكمام اوعية الثمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى
فانه ينتفع به كالمكموم وكالجذع والحب والثمرة والحب ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر
وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتين والريحان يعني
المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله تعالى وقرا ابن عامر والحب
ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان
فحذف المضاف وهو فيعلان من الروح فقلب الواو واوغم ثم خفف وقيل روحان
قلب واوه يا للتخفيف فباي الاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما
بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال
الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله ادم من تراب
جعله طينا ثم حما مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله من تراب ونحوه
وخلق الجان الجن او ابا الجن من مارج من صاف من الدخان من نار بيان
لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فباي الاء ربكما تكذبان

مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى تصيرا افضل المركبات وخلاصة الكائنات
رب المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فبأي آلاء
ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف
الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما
من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان
يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحر فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان
يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله تعالى او من الارض لا يبغيان
لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما
باغراق ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما
تكذبان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من
الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا
صارا كالشيء الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب
يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان وله الجوار السفن جارية وقرئ
بحذف الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت
المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات
الشرع او اللاتي ينشئن الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل
الطويل فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية
تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها
من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان
ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها
وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله تعالى اي الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال
والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأي آلاء ربكما تكذبان اي
مما ذكرنا قبل وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما رتب
على افناء الكل من الاعادة والحيوة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات
والارض فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد

بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا كان او غيره كل يوم هو في شأن
كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث
من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول
اليهود ان الله تعالى لا يقضي يوم السبت شيئا فبأي آلاء ربكما تكذبان
اي مما يسعف به سؤالكما او ما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ
لكم ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة فانه تعالى
لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك
فان المتجرد للشيء يكون اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائي بالياء وقرئ
سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك
لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فبأي
آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار
السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين
من الله تعالى فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون
على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر واني لكم ذلك وان قدرتم ان تنفذوا
لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تقدرون ولا تعلمون الا
ببينة نصبها الله تعالى فتعرجون عليها بافكاركم فبأي آلاء ربكما تكذبان اي
من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد
العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى يرسل
عليكما شواظ لهب من نار ونحاس ودخان قال يضيء كضوء سراج السليط
لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ
بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ
ونحس وهو جمع كصحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان فان
التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد
الآلاء فاذا انشقت السماء فكانت وردة اي حمراء كوردة وقرئت بالرفع على
كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم

او يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن
وقيل هو الاديم الاحمر فباى الاء ربكما تكذبان مما يكون بعد ذلك فيومئذ اى فيوم
تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك
حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم
واما قوله فوربك لنسألنهم فحين يحاسبون فى المجمع والهاء للانس باعتبار
اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة فباى الاء ربكما تكذبان اى مما انعم الله
على عباده المؤمنين فى هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من
الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصى والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصى
تارة وبالاقدام اخرى فباى الاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون
يطوفون بينها بين النار يحرقون بها وبين حميم ماء حار آن بلغ النهاية فى الحرارة
ويصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من اغيثوا بالحميم فباى الاء
ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب او قيامه
على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين
فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ذعرت القطا
ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الانسى والاخرى
للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة
لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصى او جنة
يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فباى
الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان
جمع فنن وهى الغصنة التى تتشعب من فرع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق
وتثمر وتمد الظل فباى الاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاؤا فى الاعالى
والاسافل قيل احدهما التسنيم والاخرى السلسبيل فباى الاء ربكما تكذبان فيهما
من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس فباى الاء
ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق ديباج ثخين واذا كانت
البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين او حال منهم

لان

لان من خاف فى معنى الجمع وجنا الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع
وجنى اسم بمعنى مجنى وقرئ بكسر الجيم فباى الاء ربكما تكذبان فيهن فى الجنان فان
جنتان يدل على الجنان هى للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او فى هذه الآلاء
المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء
يقصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات
انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائى بضم الميم فباى
الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان اى فى حمرة الوجه وبياض البشرة
وصفائها فباى الاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب
فباى الاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون تينك الجنتين الموعودتين
للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباى الاء ربكما تكذبان
مدهامتان خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان
الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين
الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فباى الاء ربكما تكذبان فيهما
عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف فيه الاولان كذا
ما بعده فباى الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا
لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء احتج به ابو حنيفة
رحمه الله على ان من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث فباى الاء
ربكما تكذبان فيهن خيرات اى خيرات فخفف لان خيرا الذى بمعنى اخير لا يجمع وقد
قرئ على الاصل حسان حسان الخلق والخلق فباى الاء ربكما تكذبان حور مقصورات
قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اى مخدرة او مقصورات
الطرف على ازواجهن فى الخيام فباى الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم
ولا جان كحور الاوليين وهم اصحاب الجنتين فانهما يدلان عليه فباى الاء ربكما
تكذبان متكئين على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب
من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقرى حسان
العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شىء عجيب

وخالفه صاحباه

يعنى ان ضميرهم فى قبلهم لاصحاب الجنتين المدلول
عليهم بالجنتين كان ذكر المكان ذكر الساكن
سعدى [illegible]

والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان على المعنى فبأي آلاء ربكما تكذبان
تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل
الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وقرأ ابن
عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي صلعم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله تعالى عليه

سورة الواقعة مكية وهي ست وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب
اذا بمحذوف مثل اذكر او كانت كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اي لا تكون
حين تقع نفس تكذب على الله تعالى او تكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام
مثلها في قوله قدمت لحياتي او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق
او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه
عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته وسولت له
انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع
العظام كذلك او بيان بما يكون حينئذ من خفض اعداء الله تعالى ورفع
اوليائه وازالة الاجرام عن مجازها بانتثار الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب
على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها
من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت وبست الجبال
بسا فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت
وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم
ازواجا اصنافا ثلثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج فاصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة فاصحاب
المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل
او اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين
يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم
بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان

يعني ان اللام فيه للتوقيت واللام مع عاملها المحذوف خبر ليس

لمطابقة اخباره للواقع فقوله لوقعتها تعليل لنفي الكذب لا حظه

اي يطلق عليه الزوج فلذا قال تعالى ازواجا موضع اصنافا تأمل رحمه

خبران

خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال
الفريقين والسابقون السابقون والذين سبقوا الى الايمان والطاعة
بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات او
الانبياء فانهم مقدموا اهل الايمان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول
ابي النجم وشعري شعري والذين سبقوا الى الجنة اولئك المقربون في جنات النعيم
الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين
اي هم كثير من الاولين يعني الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليهما السلام
وقليل من الآخرين يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يخالف ذلك قوله عليه
السلام ان امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر
من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في اصحاب
اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا ينافي اكثرية
احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع
على سرر موضونة خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة
بالدر والياقوت والمتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين
حالان من الضمير في على يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا على هيئة
الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب اناء لا عروة
له ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وكأس من معين من خمر لا يصدعون
عنها لخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم ولا ينفد شرابهم وقرئ لا يصدعون
بمعنى لا يتصدعون اي لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير
مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي
وفيها او ولهم حور وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف
اي هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان
مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئا بالنصب على ويؤتون حورا كامثال
اللؤلؤ المكنون المصون عما يضر به في الصفاء والبقاء جزاء بما كانوا يعملون
اي يفعل ذلك كله بهم جزاء لاعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة

الى الاثم اى لايقال لهم اثمتم الا قيلا اى قولا سلاما سلاما بدل من قيلا
كقوله لايسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما
او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرى سلام سلام على الحكاية
واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك
اذا قطعه او مثنى اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر
موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله
من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب
يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب او مصبوب سائل كانه لما شبه
حال السابقين فى التنعم باعلى ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين
باكمل ما يتمناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة الاجناس
لا مقطوعة فى وقت ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة
القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك
ويدل عليه قوله انا انشاناهن انشاء اى ابتدانا هن ابتداء جديدا من غير ولادة
ابداء او اعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا
جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا
فجعلناهن ابكارا عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة
وروى عن نافع وحفص مثله اترابا فان كلهن بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن
لاصحاب اليمين متعلق بانشانا او جعلنا او صفة لابكارا وخبر لمحذوف مثل هن
او لقوله ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وهى على الوجه الاول خبر محذوف
واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال فى سموم فى حر نار ينفذ فى المسام وحميم وماء
متناه فى الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود يفعول من الحممة لا بارد كساير
الظل ولا كريم ولا نافع نفى بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح انهم كانوا قبل ذلك
مترفين منهمكين فى الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم
يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة وحنث فى يمينه
خلاف بر فيها وتحنث اذا تاثم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا

اى طلى ان المراد بالفرش النساء سنيالى رحمه
يعنى المراد اما ابتداء الانشاء او اعادة
الانشاء سنيابى رحمه

شيبيد سوى

ناظرا الى الاعادة

لمبعوثون

المبعوثون كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذا
الوقت كما دخلت العاطفة فى قوله او آباؤنا الاولون للدلالة على ان ذلك
اشد انكارا فى حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن
فى لمبعوثون وقرا نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله والعامل فى
الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين والاخرين
لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا وحدت من
يوم معين عند الله تعالى معلوم له ثم انكم ايها الضالون المكذبون اى بالبعث
والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء
والثانية للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه
من الحميم لغلبة العطش وتانيث الضمير فى منها وتذكيره فى عليه حملا على المعنى واللفظ
وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها فشاربون شرب الهيم الابل
التى بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة
فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضى عليها هيامها وقيل الرمال
على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذى لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل
به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الاخر من وجه
فلا اتحاد وقرا نافع وحمزة وعاصم بضم الشين هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء
فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا فى الجحيم وفيه تهكم كما فى قوله تعالى فبشرهم
بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم
فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه
او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة افرايتم ما تمنون اى
ما تقذفونه فى الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها
ءانتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت
قسمناه عليكم ووقتنا موت كل بوقت معين وقرا ابن كثير بتخفيف الدال وما نحن
بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد
من سبقته على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة

ويمكن ان يجاب عنه بان الهمزة الانكارية
تدل على التاكيد

استفهام

وتذكيره ناظرا الى اللفظ

اشارة الى ان فيه استعارة تخييلية

قرنا على قدرنا

لقدرنا وعلى بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثانى صلة والمعنى على
ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل
وننشئكم فيما لا تعلمون فى خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة
الاولى فلولا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل
صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس
افرايتم ما تحرثون تبذرون حبه ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون المنبتون ولو نشاء
لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او
على ما اصبتم لاجله من المعاصى فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة
وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون
لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر ائنا على
الاستفهام بل نحن قوم محرومون حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون افرايتم
الماء الذى تشربون اى العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن من السحاب
واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا
والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا
او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط
وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها او يخص ما يقصد
لذاته ويكون اهم وفقده اصعب بمزيد التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم
الضرورية افرايتم النار التى تورون تقدحون ءانتم انشأتم شجرتها ام نحن
المنشئون يعنى الشجرة التى منها الزناد نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة
فى امر البعث كما مر فى سورة يس او فى الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم
ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهى القفر او للذين خلت بطونهم
او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم
ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق الاسم للشئ
ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع
صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون

لنعمة او للتعجب من امرهم فى غمط نعمه او للشكر على ما عدها من النعم فلا اقسم
اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما فى لئلا يعلم
او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه قراءة فلاقسم
او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب
لما فى غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تاثيره او
بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القران ومواقعها اوقات نزولها وقرأ
حمزة والكسائى بموقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما فى المقسم به من الدلالة على عظم
القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده
سدى وهو اعتراض فى اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين
الصفة والموصوف انه لقران كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة
فى صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضى فى جنسه فى كتاب مكنون مصون
وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات
الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القران الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا
بمعنى نهى او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون من اطهره
بمعنى طهره والمطهرون اى انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب
العالمين صفة ثالثة او رابعة للقران وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب
اى نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعنى القران انتم مدهنون متهاونون به كمن
يدهن فى الامر يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اى شكر
رزقكم انكم تكذبون اى لمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم اى
تجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به وتكذبون اى بقولكم فى القران انه
سحر او شعر او فى المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اى النفس وانتم حينئذ
تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب ونحن اعلم
اليه الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذى هو اقوى سبب الاطلاع
ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجرى عليه فلولا ان كنتم غير مدينين اى
مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل

التركيب لذل الانقيا وترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف
والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتاكيد وهى بما فى حيزه دليل جواب
الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم
باياته ان كنتم صادقين فى تعطيلكم ولولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد
بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين اى ان كان المتوفى من السابقين فروح فله روح وقرى
فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحيوة المرحوم وبالحيوة الدائمة وريحان
ورزق وجنة نعيم ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك
يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين اى من اخوانكم يسلمون عليك واما ان
كان من المكذبين الضالين يعنى اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا
عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك
ما يجد فى القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اى هذا الذى ذكر فى هذه السورة
او فى شان القران لهو حق اليقين اى حق الخبر اليقين فسبح باسم ربك
العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبى صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مدنية وهى تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات والارض ذكرهنا وفى الحشر والصف بلفظ الماضى
وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان ما اسند اليه
ان يسبحه فى جميع اوقاته لانه دلالة جبلته لا يختلف باختلاف الحالات ومجى
المصدر مطلقا فى بنى اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق
التسبيح من كل شئ وفى كل حال وانما عدى باللام وهو متعد بنفسه مثل نصحت
له فى نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه وهو العزيز
الحكيم حال يشعر بما هو المبدا للتسبيح له ملك السموات والارض فانه الموجد لهما و
المتصرف فيهما يحيى ويميت استيناف او خبر لمحذوف وحال من المجرور
فى له وهو على كل شئ قدير من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير تام القدرة

هو الاول السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها والاخر
الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذى
تبتدى منه الاسباب والذى تنتهى اليه المسببات او الاول خارجا والاخر ذهنا
والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله الباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول
او الغالب على كل شئ والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين
والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل شئ عليم يستوى عنده الظاهر والخفى
هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج
فى الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل من السماء كالامطار
وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله
بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك
السموات والارض ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما
والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات
الصدور بمكنوناتها امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
من الاموال التى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيها فهى بالحقيقة له لا لكم او التى استخلفكم
عمن قبلكم فى تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس
فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة
ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير وما لكم لا تؤمنون
بالله اى وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم
لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول
يدعوكم اليه بالحجج والايات وقد اخذ ميثاقكم اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل
ذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرا ابو عمرو
على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذى
ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم اى الله تعالى او العبد من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرءوف رحيم حيث نبهكم بالرسول
والايات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا واى شئ

لكم ان لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله ميراث السموات
والارض يرث كل شيء فيها ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث
يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة بيان لتفاوت المنفقين باختلاف
احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري الافضل منها
بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من محذوف لوضوحه
ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة
والانفاق من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا وعد الله
الحسنى اي وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر
وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون
خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في ابي بكر رضي الله عنه
فانه اول من آمن وانفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف
به على الهلاك من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا من ذا الذي ينفق ماله في سبيله
رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم
المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اي يعطي اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك
الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف
فكيف وقد يضاعف وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام
باعتبار المعنى فكانه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فيضعفه
مرفوعا وابن عامر ويعقوب فيضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
ظرف لقوله وله او فيضاعف او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم
الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحايف اعمالهم من هاتين
الجهتين بشريكم اليوم جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشريكم اي
المبشر به جنات او بشريكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنان المخلدة
يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا

انظرونا

انظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا
اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور من بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا
على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا ورائكم
الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه
يتولد منها او الى الموقف فانه من ثمة يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا
آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين والملائكة فضرب
بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه
باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته
لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم
فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين
وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور
الشيطان والدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب
بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأواكم النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول
لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم
اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي مكان قول
القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير
النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته يقال انى الامر
يأني انيا وانا وانا اذا جاء اناه وقرئ الم يئن من آن يئين بالهمزة بمعنى انى والما يأن
روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا
عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اي القرآن وهو عطف على الذكر عطف
احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله تعالى وقرأ نافع وحفص
ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل
عطف على ان تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب
فيما حكى عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اي فطال عليهم الزمان بطول

اعمارهم او امالهم او ما بينهم وبين انبيائهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول وكثير
منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا
ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة
او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الآيات
لعلكم تعقلون كي يكمل عقلكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات
وقد قرئ بها وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله
واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين
اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون
بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في تضاعف ما مر غير انه
لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين آمنوا بالله ورسله
اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي اولئك عند الله بمنزلة الصديقين
والشهداء او هم المبالغون في الصدق فانهم امنوا وصدقوا جميع اخبار الله تعالى
ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى ولهم او على الامم يوم القيمة وقيل والشهداء
عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
او الذين استشهدوا في سبيل الله تعالى لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين
والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت والاجر والنور
الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان
الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة
تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر
في الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الاخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل
به الى الفوز الآجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب
يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو
يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل
الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل
غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة

تقضيها

تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به
الحراث او الكافرون بالله تعالى لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن
اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما
احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما
ثم عظم امور الاخرة بقوله وفي الاخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك
في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله
ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الاخرة
بها سابقوا الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والارض
اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة
كقوله فذو دعاء عريض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة
مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم
فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة في الارض
كجدب وعاهة ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة
في علم الله تعالى من قبل ان نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او الانفس ان
ذلك ان ثبته في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا
تأسوا اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتيكم بما اعطاكم
الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما اتيكم
من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت
وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد
به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال
ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت نفسه حالي
الضراء والسراء الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان
المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن
يتول فان الله هو الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني

عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه
بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرا نافع و
ابن عامر فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء
الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب لتبين الحق وتميز صواب
العمل والميزان ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس
بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الى نوح ويجوز ان
يراد به العدل لتقام به السياسة ويدفع بالاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه
باس شديد فان آلات الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة
الا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة في مجاهدة
الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام
صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله تعالى بالغيب حال من المستكن في ينصره ان
الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد
لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا
في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد
بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا مهتد
وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن
المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم
برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى
الى عيسى عليه السلام والضمير لنوح وابرهيم عليهما السلام ومن ارسلا اليهم او
من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل
وقرى بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه رافة وقرى رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية اي ابتدعوا رهبانية
ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة
والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف
من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان

وهو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء
رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل
متصل فان ما كتبنا عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه
دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله تعالى وهو
يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى
استحدثوها واتوا بها اولا لانهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها اي فما
رعوها جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد والولد وقصد السمعة والكفر
بمحمد صلى الله عليه وسلم فآتينا الذين آمنوا اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقها
ومن ذلك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم منهم من المتسمين باتباعه اجرهم وكثير
منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع يا ايها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة
اتقوا الله فيما نهيكم عنه وآمنوا برسوله بمحمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين نصيبين
من رحمته لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا
على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى
الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور في قوله يسعى نورهم
او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا
يعلم اي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون
في الياء اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى
انهم لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله
وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا
في اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب
انه لا يقدر النبي عليه السلام والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه
فيكون وان الفضل عطفا على لئلا يعلم وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت
وادغم النون في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة
الفتح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله روي ان خولة بنت
ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر
اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد يشعر بان الرسول
عليه السلام او المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكويها ويفرج عنها كربها
وادغم حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام الدال في السين والله يسمع تحاوركما
تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال
الذين يظهرون منكم من نسائهم الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر
امي مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم انثى وفي منكم تهجين لعادتهم
فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر ما هن امهاتهم
اي على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها
الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول صلى الله عليه وسلم وعن عاصم امهاتهم
بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون
منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه
الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين
يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اي الى قولهم بالتدارك ومنه
المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي رحمه الله
بامساك المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول
حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابي حنيفة رحمه الله باستباحة
استمتاعها ولو بنظرة بشهوة وعند مالك رحمه الله بالعزم على الجماع وعند
الحسن بالجماع او بالظهار في الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون
الظهار وكانوا يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثوري رحمه الله او بتكراره

لفظا

لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابي مسلم رحمه الله
او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة
اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة
على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا
على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها
بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه وان جامعها وفيه دليل على حرمة ذلك
قبل التكفير ذلكم اي ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية
الموجبة للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه خافية فمن لم يجد
اي الرقبة والذي غاب ماله واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان
يتماسا فان افطر بغير عذر لزم الاستيناف وان افطر لعذر ففيه خلاف
وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابي حنيفة ومالك
رحمهما الله فمن لم يستطع اي الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط
فانه عليه السلام رخص للاعرابي المفطر ان يعدل لاجله فاطعام ستين
مسكينا ستين مدا بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل
ما قيل في الكفارات وجنسه المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة رحمه الله يعطي كل
مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع
الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين او لجوازه في خلال الطعام كما قال ابو حنيفة
رحمه الله ذلك اي ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل
بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول
شرائعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين
اي الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين
ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعاديين في حد غير
حد الآخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا اخزوا
او اهلكوا واصل الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية وقد انزلنا
آيات بينات تدل على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب مهين

يذهب غيظهم وتكثيرهم يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم
لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم بما عملوا اى على رؤس الخلايق تشهيرا
لحالهم وتقريرا لعذابهم احصاه الله احاط به علما عددا لم يغب عنه شئ ونسوه
لكثرته او تهاونهم به والله على كل شئ شهيد لا يغيب عنه شئ الم تر ان الله يعلم
ما فى السموات وما فى الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلثة ما يقع من تناجى
ثلثة ويجوز ان يقدر مضاف او يأول نجوى بمتناجين ويجعل ثلثة صفة لها واشتقاقها
من النجوة وهى ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد
ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله تعالى يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم
فى الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو
سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت فى تناجى المنافقين
ولان الله تعالى وتر يحب الوتر والثلثة اول الاوتار اولان التشاور لا بد له
من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب
على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا اكثر
مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر الا هو معهم يعلم ما يجرى بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر
بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل لا ادنى بان جعل لا لنفى الجنس اينما كانوا فان
علمه بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا
يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ان الله بكل شئ عليم لان
نسبة ذاته المقتضية للعلم الى كل الاشياء على سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى
ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون
باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل
فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اى بما هو اثم وعدوان للمؤمنين
وتواص بمعصية الرسول عليه السلام وقرأ حمزة وينتجون وروى عن يعقوب وهو
يفتعلون من النجوى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك
او انعم صباحا والله سبحانه وتعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى
ويقولون فى انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا بذلك لو كان

محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم يا ايها الذين
آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله
المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين
والاتقاء عن معصيته واتقوا الله الذى اليه تحشرون فيما تأتون وتذرون
فانه مجازيكم عليه انما النجوى اى النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان
فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين آمنوا بتوهمهم انها فى نكبة اصابتهم وليس
الشيطان او التناجى بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا باذن الله الا بمشيئته
وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجويهم يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم
تفسحوا فى المجلس توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عنى وقرئ
تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا
على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق
والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلوة او جهاد
او ارتفعوا فى المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما
يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوائهم غرف الجنان
فى الآخرة والذين اوتوا العلم درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات
بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع درجته يقتضى للعمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك
يقتدى بالعالم فى افعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد
كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر
او استكرهه يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجويكم
صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم للرسول
عليه السلام وانفاع للفقراء والنهى عن الافراط فى السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق
ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ
بقوله أأشفقتم ان تقدموا وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن على
رضى الله عنه ان فى كتاب الله آية ما عمل بها احد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت

اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله
لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة
ذلك اي ذلك التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال
وهو مشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم لمن لم يجد حيث
رخص له في المناجاة بلا تصدق دل على الوجوب أأشفقتم أن تقدموا بين
يدي نجواكم صدقات أخفتم الفقر من تقديم الصدقة لما يعدكم الشيطان
عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب
الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقكم ذنب تجاوز
الله عنه لما راى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا وان فاقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر
فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا
الم تر الى الذين تولوا والوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم
لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام
وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل
على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروي انه عليه السلام
كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين
الشيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال عليه السلام
علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت
اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء
العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اي التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اي بايمانهم الذي
اظهروه جنة وقاية دون دمائهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس
في خلال امنهم عن دين الله تعالى بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان
بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي لله تعالى على انهم مسلمون ويقولون

كما

كما يحلفون لكم في الدنيا انهم منكم ويحسبون انهم على شيء لان تمكن النفاق
في نفوسهم بحيث يخيل اليهم في الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله
تعالى كما تروجه عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب
حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان
استولى عليهم من حذت الابل وحذتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء
على الاصل فانسيهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب
الشيطان جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم
فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله
ورسوله اولئك في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله تعالى كتب الله في
اللوح لاغلبن انا ورسلي بالحجة وقرا نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله
قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله
تعالى والمراد انه لا ينبغي ان يوادهم ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم
ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم اولئك اي الذين لم يوادوهم كتب
في قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان
جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم
بروح منه اي من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل
الضمير للايمان فانه سبب لحيوة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من
الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار دينه الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون
بخير الدارين عن النبي صلعم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى يوم القيمة

سورة الحشر مدنية وهي اربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه عليه السلام
لما قدم المدينة صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه

النبي المبعوث في التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا
وخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم
بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة
بخيبر والحيرة فانزل الله سبح الى قوله والله على كل شيء قدير هو الذي اخرج
الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة
العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام
واخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر اليه او في اول حشر الناس الى الشام
واخر حشرهم اليه فانهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او ان
نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى اخر ما ظننتم
ان يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ان حصونهم
تمنعهم من بأس الله تعالى وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة
على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز
ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتيهم الله اي عذابه وهو الرعب والاضطرار
الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اي فاتيهم نصر الله وقرئ فاتيهم اي العذاب
او النصرة من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب واثبت
فيها الخوف الذي يرعبها اي يملأها يخربون بيوتهم بايديهم ضنا بها على المسلمين
واخراجا لما استحسنوا من آلاتها وايدي المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون
ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب
المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب
وقرأ ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك
الشيء خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا
ولا تعتمدوا على غير الله تعالى واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر
بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قرر
في الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من وطانهم لعذبهم

في

في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار
استئناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة
ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب
الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير
ما قطعتم من لينة اي شيء قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين
ومعناها النخلة الكريمة وجمعها اليان او تركتموها الضمير لما وتأنيثه لانه مفسر
باللينة قائمة على اصولها وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه جمع
فباذن الله فبامر الله تعالى وليخزي الفاسقين علة لمحذوف اي فعلتم او واذن
لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روي انه عليه السلام لما امر بقطع نخلهم
قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت
واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء
الله على رسوله وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان
يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته
فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم من بني النضير او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما
اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب ما يركب
من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فيء
بني النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك
لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من
يشاء بقذف الرعب في قلوبهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط
الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك
لم يعطف عليه خمسه للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله تعالى في
عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف
الان سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام على قول والى العساكر والثغور

على قوال والى مصالح المسلمين على قول وقيل تخمس خمسته كالغنيمة فانه عليه السلام
كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على خلاف المذكور
كيلا يكون الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله
الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول
بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم ودولة بالرفع على كان التامة اي كيلا يقع دولة جاهلية
وما آتيكم الرسول وما اعطاكم من الفيء او من الامر فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به
لانه واجب الطاعة وما نهيكم عنه عن اخذه منه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا
الله في مخالفة رسوله عليه السلام ان الله شديد العقاب لمن خالف
للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول عليه السلام
لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خصص الابدال بما بعده او الفيء بفيء بني النضير
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون
الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون الذين ظهر صدقهم في
ايمانهم والذين تبوؤا الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار
فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيها وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان
فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوؤا
الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمي المدينة بالايمان
لانه مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين
تبوؤا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل اليهم ولا يجدون
في صدورهم في انفسهم حاجة مما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد
والغيظة مما اوتوا مما اعطوا المهاجرين من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم
ويقدمون المهاجرين على انفسهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص
البناء وهي فرجة ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب
المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل و
الثواب الآجل والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد حين قوي

الاسلام

الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيمة
ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل لاخواننا في الدين في قلوبنا غلا
للذين آمنوا حقدا لهم ربنا انك رؤف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر
الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين
بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم
في قتالكم او خذلانكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا اي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم
لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان
كذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه
دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن
الادبار انهزاما ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم
اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين
لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول في صدورهم
فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه نفاقا فان
استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله تعالى ذلك بانهم قوم لا يفقهون
لا يعلمون عظمة الله تعالى حتى يخشونه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى
لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة بالدروب
والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم باسهم بينهم شديد اي ليس ذلك
لضعفهم وجبنهم فانه يشتد باسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله
الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله
تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف
مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب
يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان
صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان قريب

وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل او فوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم ولهم
عذاب اليم في الآخرة كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الآمر المامور فلما
كفر قال اني بريء منك تبرأ منه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه
ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار
خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل
قال له ابليس عليهما اللعنة يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني
جار لكم وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما وخالدان على انه
الخبر لان في النار لغو يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد
ليوم القيمة سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة كغده وتنكيره للتعظيم
واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر
نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد او الاول في اداء الواجبات
لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون
وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم فجعلهم
ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من
الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم فاستاهلوا الجنة
والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل
بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القرآن على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا
الامانة على السموات ولذلك عقبه بقوله وتلك الامثال نضربها للناس
لعلهم يتفكرون فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على
عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ
مصدعا على الادغام هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن
الرحيم ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحواله وما حضر له من الاجرام

واعراضها

واعراضها وتقدم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم
والموجود او السر والعلانية هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس
البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة
من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ
بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل
من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر حالهم
بمعنى اصلحه المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة ونقصانا سبحان الله
عما يشركون اذ لا يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق المقدر للاشياء
على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريا من التفاوت المصور الموجد لصورها
وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه
بكتابي المسمى منتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني يسبح
له ما في السموات والارض ينزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع
للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحشر غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة
فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو اهل مكة كتب اليهم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة
مولاة بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة
خاخ فان بها ظعينة فيها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت
فاضربوا عنقها فادركوها ثم جحدت فسل علي السيف فاخرجته من عقيصتها
فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال
ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا

في قريش وليس فيهم من يحمي اهله واردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت
ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره
تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا
او صفة لاولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه
مشروط في الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين
يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من كفروا او استيناف لبيانه
ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب على الغائب والالتفات
من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا
في سبيلي وابتغاء مرضاتي للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف
دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استيناف معناه
اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم
اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ومن يفعله
منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطاه ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا
لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ما يسوءكم
كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للاشعار
بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم
قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم
بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا
وقرأ حمزة والكسائي بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وعاصم يفصل وقرأ ابن عامر
يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو منكم والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه
قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابرهيم والذين معه صفة ثانية
او خبر كان ولكم لغو او حال من المستكن او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ
قالوا لقومهم ظرف لخبر كان انا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم

وبدا

وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة
والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله
اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان يأتسوا به فانه كان
قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك لك من الله من شيء من تمام قوله المستثنى
ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك
انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه
تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين
كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله واغفر لنا ما فرط ربنا انك انت
العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد
كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التأسي بابرهيم عليه السلام
ولذلك صدره بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر بدل من لكم
فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التأسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة
ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد
به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا
عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم
اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم
في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهيكم عن مبرة هؤلاء لان قوله ان تبروهم
بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب
المقسطين العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء
بنت ابي بكر رضي الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت
انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم
كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم
بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم
الولاية في غير موضعها يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات فامتحنوهن

لا يقال قول ابرهيم كان سأستغفر لك
لا لاستغفرن لك كما يعني زيادة النون
لانا نقول على تقدير انحصار قول ابرهيم
فيما ذكر في مريم الشريفة ان الوفاء بالوعد
كان حتما لازما لاسيما لمثل ابرهيم عليه السلام
فاشار اليه بنون التأكيد سنائي
مرحط

فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان الله
اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي
يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا
بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاول لحصول
الفرقة والثاني للمنع عن الاستئناف وآتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من
المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما
تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روي انه عليه السلام
كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها
مسافر المخزومي طالبا لها فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت
فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنهما ولا جناح عليكم ان تنكحوهن
فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن اجورهن شرط
ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا
بعصم الكوافر بما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهي
المؤمنين من المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد
واسئلوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا
من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم
استئناف او حال من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة
والله عليم حكيم يشرع ما يقتضيه حكمته وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم
شيء من ازواجكم احد من ازواجكم وقرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة
في التعميم او شيء من مهورهن الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء
المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء
هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين
ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روي انه
لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهور الكوافر فنزلت وقيل

معناه

معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من
الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به مما يقتضي التقوى
منه يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا
(حال مقدرة)
نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء
ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان
يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة تأمرهن
بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا به تنبيه على
انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب
(مضاف الى المفعول)
على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين
آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار او اليهود اذ روي انها
نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا
من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت
في التوراة المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا
او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم
(اي المراد بالقوم عامة الكفار)
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

سورة الصف مدنية وهي اربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها
الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب
الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله تعالى ان الله
يحب الذين يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر
وما الاستفهامية والاكثر حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما
في الدلالة على المستفهم عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد
البغض ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر
دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا

(والفرق بين الاستفهام والموصول)

مصطفين مصدر وصف به كأنهم بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة
حال من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه
واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او كان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي
بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة
للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا
عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب والله لا يهدي
القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال عيسى بن
مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى عليهما السلام لانه لا نسب
له فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا في حال
تصديقي لما تقدمني من التورية وتبشيري برسول يأتي من بعدي والعامل
في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول
فلا يعمل اسمه احمد يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى ديني التصديق بكتب
الله تعالى وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي
خاتم المرسلين عليهم السلام فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة
الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر
على ان الاشارة الى عيسى عليه السلام ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب
وهو يدعى الى الاسلام اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيقته
المقتضي له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله تعالى بتكذيب رسوله
وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه
كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون
ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما
زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها كما في لا ابا لك او يريدون الافتراء
ليطفئوا نور الله يعني دينه او كتابه او حجته بافواههم بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ
غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة ولو كره الكافرون
ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او المعجزة ودين الحق والملة

لان حروف الجر لا تنصب بنفسها بل لما يتضمن معنى الفعل فلما كانت متعلقة بافعالها لا يبقى فيها معنى الفعل ولاجل هذا لا تعمل

فعلى هذا يكون مفعولا لا مزيدة للتأكيد

الحنيفه

الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان ولو كره المشركون لما فيه
من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب اليم وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان
والجهاد المؤدي الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك
مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم
اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط
او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم
يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ذلك اشارة
الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة
اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى
منصوبة باضمار يعطكم او تحبون ومبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل
او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على
البدل او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف
على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه بمعنى الامر كأنه
قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليه آجلا وعاجلا
يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان
المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري
الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله تعالى ليطابق قوله قال الحواريون
نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من
الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد
قل لهم كما قال عيسى وكونوا انصارا كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى عليه السلام
من انصاري الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به من الحوار وهو
البياض وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة

اى لعيسى عليه السلام فايدنا الذين آمنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك
بعد رفع عيسى عليه السلام فاصبحوا ظاهرين قصارا وغالبين عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الصف كان عيسى ع مصليا عليه مستغفرا له ما دام فى الدنيا وهو يوم القيمة رفيعه

سورة الجمعة مدنية وهى احدى عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما فى السموات والارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات
الاربع بالرفع على المدح هو الذى بعث فى الاميين اى فى العرب لان اكثرهم لا
يكتبون ولا يقرؤن رسولا منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلوا عليهم آياته مع كونه اميا
مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبايث العقايد والاعمال ويعلمهم
الكتاب والحكمة القران والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له
سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية
وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبى يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول عليه
السلام تعلم من معلم وان هى المخففة واللام تدل عليها واخرين منهم عطف
على الاميين والمنصوب فى يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم القيمة
فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز
فى تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم فى اختياره وتعليمه ذلك فضل الله
ذلك الفضل امتاز به عن اقرانه وفضله يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله
ذو الفضل العظيم الذى يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الاخرة مثل الذين حملوا
التورية علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا او لم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار
يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب فى حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى
المثل وصفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات
الله اى مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بايات الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف والله لا يهدى
القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون
الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله تعالى

وهى ما شرع له العباده من الاحكام سعدى

ثم للتراخى فى الزمان والثقات

كما قوله ولقد امر على اللئيم يسبنى اذ المراد العهد الذهنى لا الخارجى حتى يمتنع على القاعدة المشهورة والعهد الذهنى يعامل معاملة النكرة

ان

ان يمنكم ويتقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ان كنتم صادقين فى زعمكم ولا يتمنونه
ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصى والله عليم بالظالمين
فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذى تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم
مخافة ان يصيبكم فتوخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمن
الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغير فاء
ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة اى اذن
لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمى جمعه لاجتماع الناس فيه للصلوة وكانت
العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لوى لاجتماع الناس فيه اليه واول
جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام
بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة فى دار لبنى سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر
الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعى دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلوة
والامر بالسعى اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اى
السعى الى ذكر الله تعالى خير لكم من المعاملة فان نفع الاخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون
الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اديت وفرغ منها
فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل
الامر بعد الحظر للاباحة وفى الحديث وابتغوا من فضل الله ليس لطلب الدنيا وانما
هو عيادة حضور جنازة وزيارة اخ فى الله تعالى واذكروا الله كثيرا واذكروه
فى مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا رأوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها روى انه عليه السلام كان يخطب للجمعة فمرت
عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر رجلا فنزلت وافراد التجارة برد
الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذى كانوا يستقبلون اليه
للعير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة
على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما
كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا رأوا التجارة انفضوا اليها

واذا راوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب
خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما والله
خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقون مدنية وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم
من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في
الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لو
لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب وشهادتهم هذه فانها تجري
مجرى الحلف في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل
الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك
اشارة الى الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال
المذكورة من النفاق والكذب والاستخفاف بالايمان بانهم امنوا بسبب انهم
امنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او امنوا اذا راوا الاية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم
شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة
الايمان ولا يعرفون صحته واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضياءها وصباحتها
وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا
يحضر مجلس رسول الله في جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويصغي الى كلامهم كانهم خشب مسندة
حال من الضمير المجرور في لقولهم اي تسمع لما يقولون مشبهين باخشاب منصوبة
مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية من العلم والنظر وقيل الخشب جمع
خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر وقرا ابو عمرو
والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف وعلى انه كبدن
في جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي
يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل

> والاطلاع للايذان بان تحميل الشهادة اذا كان بطريق الاطلاع والعلم لا بطريق المعاينة والحضور يجوز كما فصل في محله

> فيكون كلاما مستقلا منقطعا عما قبله من الشهادة لبيان سوء صنيعهم والتشنيع ما فعلوا من الايمان

وجمعه

وجمعه باعتبار الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين
قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا
عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر
لكم رسول الله لووا رؤوسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك ورايتهم
يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء
عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله
لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاصلاح لانهماكهم في الكفر
والنفاق هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله
يعنون فقراء المهاجرين حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض بيده
الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى يقولون
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا
في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابي راسه بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال
لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز
الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن
وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراءة
مصدرا وحالا على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين امنوا لا تلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة
وسائر العبادات المذكورة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها
للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اي اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم
الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض
اموالكم ادخارا للاخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت اي يرى دلائله فيقول رب
لولا اخرتني الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك
وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرا ابو عمرو واكون منصوبا عطفا

على فاصدق وقرى بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله
نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها اخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرأ ابو بكر
بالياء لتوافق ما قبله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مدنية وهي ثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له
الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة
وهو على كل شئ قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع
فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم
مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب
اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن صوركم فصوركم
من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة ثم زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم
بخلاصة خصايص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا
سرايركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون
وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ولا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا
لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات
على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء
الم يأتكم ايها الكافرون نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح عليهم
السلام فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام
ثقيل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الآخرة ذلك
اي المذكور من العذاب والوبال بانه بسبب انه كانت تأتيهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا
والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى
الله عن كل شئ فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم حميد يدل على حمده كل
مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى

فيه اشارة الى انه سبحانه وتعالى خالق الشر
والى ان في الآية مجازا اذ من المعلوم ان الفا
تفصيل لما اجمله خلقكم والكافرية صفة حادثة
بعد الخلق

الى

الى مفعولين وقد قام مقامهما ان مع ما في حيزها قل بلى اي تبعثون وربي لتبعثن
قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير
لقبول المادة وحصول القدرة التامة فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه
وسلم والنور الذي انزلنا يعني القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما
فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر
باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم بالنون ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء
والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول
السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار
واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الآخرة لعظمها و
دوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما
ذلك اشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من
دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار
خالدين فيها وبئس المصير كانها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب
من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات
والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب
على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمز اي يسكن والله بكل شئ عليم حتى القلوب واحوالها
اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اي فان توليتم
فلا بأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون
لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله تعالى ويخاصمكم في امر الدين والدنيا فاحذروهم
ولا تأمنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك
التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم
بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم
لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم

قوله واللام فيه يريد ان تعريف الطرفين
للحصر المفيد للمبالغة والكمال على اسلوب
زيد الشجاع واطلاق التغابن على الفريقين
اما للمشاكلة او للتهكم بالاشقياء لان
نزولهم عن منازل السعداء ليس من الغبن
في شئ حمج

الفوز النجاة من المكروه
والظفر بالخير

على نزع الخافض اي يهد في قلبه
فلما سقط الجار نصب

اى بذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا
فى وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اى فعلوا ما هو خير لها وهو تاكيد للحث على
امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف تقديره انفاقا خيرا
او خبرا لكان مقدرا جوابا لهذه الاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال فيما امر به قرضا حسنا مقرونا
باخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر
وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعّفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور
يعطى الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شى
العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق مدنية وهى اثنتا عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبى اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه
كندائهم اولان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف
له منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن اى وقتها وهو الطهر فان اللام فى الازمان
ونحوها للتاقيت ومن عدّ العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات
وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغى ان يكون
فى الطهر وانه يحرم فى الحيض من حيث ان الامر بالشى يستلزم النهى عن ضده ولا يدل
على عدم وقوعه اذ النهى لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضى الله عنهما
لما طلق امراته حائضا امره عليه السلام بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا
العدة واضبطوها واكملوها ثلثة اقرا واتقوا الله ربكم فى تطويل العدة والاضرار بهن
لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضى عدتهن ولا يخرجن
باستبداد منهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفى الجمع بين النهيين
دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله الا ان ياتين
بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز
فى اسقاط حقها او الا ان تزنى فيخرج لاقامة الحد عليها او من الثانى للمبالغة

فى النهى

فى النهى والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله اشارة الى الاحكام
المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدرى
اى النفس وانت ايها النبى او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو
الرغبة فى المطلقة برجعة او استيناف فاذا بلغن اجلهن شارفن اخر عدتهن
فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن
بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها
واشهدوا ذوى عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع
وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعى رحمه الله وجوبه فى الرجعة
واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه ذلكم يريد الحث على
الاشهاد والاقامة او على جميع ما فى الاية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر
فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا
او ضمنا من الطلاق فى الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدى
حدود الله تعالى وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا
مما فى شان الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله
او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث
لا يحتسبون او كلام جئ به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه السلام انى لاعلم
اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروى ان
سالم بن عوف بن مالك الاشجعى اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو فى بيته
اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت الاية
رجع ومعه غنيمات ومتاع ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره
يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرا حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اى نافذ وبالغا
على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شى قدرا تقديرا او مقدارا او اجلا لا يتاتى
تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت الطلاق بزمان

قالامر للوجوب لكن الوجوب فى مجموع الامر
بالامساك والمفارقة فهذا انتم بالخيار
ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف
وان شئتم فترك الرجعة واختيار المفارقة
واتقاء الضرار ٥

العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سياتي من مقاديرها واللائي يئسن
من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي جهلتم فعدتهن
ثلثة اشهر روي انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء قيل
فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت واللائي لم يحضن واللائي لم يحضن بعد كذلك
واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات
والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم
ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلاف ثمه ولانه صح ان سبيعة بنت الحرث
وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال قد حللت فتزوجي ولانه متاخر النزول فتقديمه في العمل تخصيص
وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول ارجح للوفاق عليه ومن يتق الله
في احكامه فيراعي حقوقها يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك
اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله في احكامه فيراعي
حقوقها يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا
بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم من وجدكم من وسعكم
اي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن في السكنى
لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن
حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من
المعتدات والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن
اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف وليأمر بعضكم بعضا بجميل في
الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى امراة اخرى وفيه
معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق
مما آتاه الله اي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا
ما آتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك
وعده باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكاين من قرية

اهل

يعني ان التنوين في خسرا للتعظيم

فعلى هذا جعل المصدر بمعنى المفعول كضرب الامير

فعلى هذا مجاز ايضا لعلاقة الحلول

فعلى هذا يكون مجازا مرسلا

اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند فحاسبناها
حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب
الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها و
معاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا
تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المامور به في قوله فاتقوا الله يا اولي
الالباب ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف
الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا
يعني بالذكر جبرئيل عليه السلام لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن ولانه
مذكور في السموات او ذا ذكر اي شرف او محمد صلى الله عليه وسلم لمواظبته على تلاوة
القرآن وتبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال
الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر
مثل ارسل او ذكرا والرسول مفعوله او بدله على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات
الله مبينات حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين في قوله ليخرج الذين
آمنوا وعملوا الصالحات اي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح
او ليخرج من علم وقدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجب
وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض
مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر
يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله
على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان
كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن النبي صلعم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلعم

سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عليه السلام خلا بمارية في يوم عائشة

او حفصه رضی الله عنهما فاطلعت علی ذلک حفصه فعاتبته فیه فحرم رسول
الله صلی الله علیه وسلم ماریة فنزلت وقیل شرب عسلا عند حفصة فتواطت
علی عایشة وسودة وصفیة فقلن له انا نشم منک رایحة المغافیر فحرم العسل
فنزلت تبتغی مرضات ازواجک تفسیر لتحرم او حال من فاعله او استیناف
ببان الداعی الیه والله غفور لک هذه الزلة فانه لا یجوز تحریم ما احله الله تعالی
رحیم رحمک حیث لم یواخذک به وعاتبک محاماة علی عصمتک قد فرض
الله لکم تحلة ایمانکم قد شرع لکم تحلیلها وهو حل ما عقدته بالکفارة او الاستثنا فیها
بالمشیة حتی لا تحنث من قولهم حلل فی یمینه اذا استثنی فیها واحتج به من رای التحریم
مطلقا او تحریم المراة یمینا وهو ضعیف اذ لا یلزم من وجوب کفارة الیمین فیه
کونه یمینا مع احتمال انه علیه السلام اتی بلفظ الیمین کما قیل والله مولیکم متولی امرکم وهو
العلیم بما یصلحکم الحکیم المتقن فی افعاله واحکامه واذ اسر النبی الی بعض ازواجه
یعنی حفصة حدیثا تحریم ماریة القبطیة او العسل وان الخلافة بعده لابی بکر وعمر
رضی الله تعالی عنهما فلما نبات به ای فلما اخبرت حفصه عایشه بالحدیث واظهره
الله علیه واطلع النبی صلی الله علیه علی الحدیث ای علی افشائه عرف بعضه عرف
الرسول علیه السلام حفصه بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض
تکرما او جازاها علی بعضه بتطلیقه ایاها وتجاوز عن بعض ویویده قراءة الکسائی
بالتخفیف فانه لا یحتمل ههنا غیره لکن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب
للسبب والمخفف بالعکس ویوید الاول قوله فلما نباها به قالت من انباک هذا قال
نبانی العلیم الخبیر فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الی الله خطاب لعایشه وحفصة
علی الالتفات للمبالغة فی المعاتبة فقد صغت قلوبکما فقد وجد منکما ما یوجب
التوبة وهو میل قلوبکما عن الواجب من مخالصة الرسول علیه السلام من حب
ما یحبه وکراهة ما یکرهه وان تظاهرا علیه وان تتظاهرا بما یسوءه وقرا الکوفیون
بالتخفیف فان الله هو مولیه وجبریل وصالح المومنین فلن یعدم من یظاهره من الله
تعالی والملایکه وصلحاء المومنین فان الله ناصره وجبریل راس الکروبیین قرینه
ومن صالح من المومنین اتباعه واعوانه والملایکة بعد ذلک ظهیر متظاهرون

وتخصیص

وتخصیص جبریل علیه السلام لتعظیمه والمراد بالصالح الجنس ولذلک عم بالاضافة
وقوله بعد ذلک ظهیر تعظیم لمظاهرة الملایکة من جملة ما ینصره الله تعالی به
عسی ربه ان طلقکن ان یبدله ازواجا خیرا منکن علی التغلیب وتعمیم الخطاب
ولیس فیه ما یدل علی انه لم یطلق حفصه وان فی النساء خیرا منهن لان تعلیق
طلاق الکل لا ینافی تطلیق واحدة والمعلق بما لم یقع لا یجب وقوعه وقرا نافع و
ابو عمرو یبدله بالتخفیف مسلمات مومنات مقرات مخلصات او منقادات
مصدقات قانتات مصلیات او مواظبات علی الطاعة تایبات عن الذنوب
عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول علیه السلام سایحات صایمات
سمی الصایم سایحا لانه یسیح بالنهار بلا زاد او مهاجرات ثیبات وابکارا
وسط العاطف بینهما لتنافیهما ولانهما فی حکم صفة واحدة اذ المعنی مشتملات
علی الثیبات والابکار یا ایها الذین امنوا قوا انفسکم بترک المعاصی وفعل
الطاعات واهلیکم بالنصح والتادیب وقری واهلوکم عطفا علی واو قوا فیکون انفسکم
انفس القبیلتین علی تغلیب المخاطبین نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد
بها اتقاد غیرها بالحطب علیها ملایکة تلی امرها وهم الزبانیة غلاظ شداد غلاظ
الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقویاء علی الافعال الشدیدة
لا یعصون الله ما امرهم فیما مضی ویفعلون ما یومرون فیما یستقبل او لا یمتنعون
عن قبول الاوامر والتزامها ویودون ما یومرون به یا ایها الذین کفروا لا تعتذروا
الیوم انما تجزون ما کنتم تعملون ای یقال لهم ذلک عند دخولهم النار والنهی عن
الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ینفعهم یا ایها الذین امنوا توبوا الی الله توبة
نصوحا بالغة فی النصح وهو صفة للتایب فانه ینصح نفسه بالتوبة وصفت به
علی الاسناد المجازی مبالغة او فی النصاحة وهی الخیاطة کانها تنصح ما خرق
من الذنب وقرا ابو بکر بضم النون وهو مصدر بمعنی النصح کالشکر والشکور او النصاحة
کالثبات والثبوت تقدیره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسکم
وسیل علی رضی الله عنه عن التوبة فقال یجمعها ستة اشیاء علی الماضی من الذنوب
الندامة وللفرایض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم علی ان

لاتغو و ان تزني نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية عسى ربك ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف على النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدأ خبره نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسالون اتمامه تفضلا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم او ماويهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط مثل الله تعالى حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي عليه السلام والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما وقيل ادخلا اي لهما عند موتهما او يوم القيمة النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء عليهم السلام وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها عند الله تعالى مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله تعالى اذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلا درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امراة فرعون تسلية للارامل التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها اي مريم او الحبلة من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتابه وما كتب في اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى عليه السلام

قوله فنفخنا اسناد الفعل الى السبب

يعني به روح عيسى عليه السلام على الانفراد في الخلق لا معنى الاضافة في روحنا على الانفصال لانه سبحانه منزه

قوله وما كتب يعني به ان الكتاب بمعنى المكتوب وهو ما في اللوح

والانجيل

والانجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فيكون من ابتدائية عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امراة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه عليه السلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قاريها من عذاب القبر

سورة الملك مكية وهي ثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها وهو على كل شيء قدير على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة وازالها حسب ما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى على حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسنكم عقلا واورعكم عن محارم الله تعالى واسرعكم في طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا للفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل بها وقوع الجملة خبرا فلا تعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال وطبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب

وذلك لان الناس انما يقدمون على محاسن الاعمال لحوق ما بعد الموت فكان الموت اقوى تاثيرا في هذا المقصود ولذلك علله بقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا
سعدي چلبي رحمه

فيكون تقديم ذكر الموت ليعطف الابتلاء على الحيوة لان الابتلاء انما يحصل في الحيوة
سعدي چلبي رحمه

فيها للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل
ترى من فطور متعلق به على معنى التسبيب اى قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها
مرة اخرى متاملا فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها و
استجماعها ما ينبغى لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع
البصر كرتين اى رجعتين اخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير
كما فى لبيك وسعديك لذلك اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر
خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير
كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا اقرب السموات
الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك
كون بعض الكواكب مركوزة فى سموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها و
التنكير للتعظيم وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هى رجم
اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا
لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمى به ما يرجم
به واعتدنا لهم عذاب السعير فى الاخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا
وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على ان
للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا
لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهى تفور تغلى بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز
من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد
غيظ الزبانية كلما القى فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها الم ياتكم نذير
يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا
ما نزل الله من شئ ان انتم الا فى ضلال كبير اى فكذبنا الرسل وافرطنا فى التكذيب
حتى نفينا الانزال والارسال راسا وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال فالنذير
اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اى اهل انذار او منعوت
به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب
الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج

منا

منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية
للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه فى الدنيا او عقابه الذى
يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا
على ما لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل فنتفكر فى حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين
ما كنا فى اصحاب السعير فى عدادهم وفى جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف
اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه فى الاصل مصدر او المراد به الكفر فسحقا
لاصحاب السعير فاسحقهم الله تعالى سحقا اى ابعدهم من رحمته والتغليب للايجاز
والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائى بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب
يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس
اشارة الى ان بالغيب حال عن الفاعل او المفعول
او بالمخفى عنهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير تصغر دونه لذائذ الدنيا
واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا
الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف
الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله تعالى من خلقه وهو
بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعى ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روى
ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله به رسوله عليه السلام
فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد صلى الله عليه وسلم فنبه الله على جهلهم هو
الذى جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك عليها فامشوا فى مناكبها
فى جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذلل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب
ولا يتذلل له فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يبق شئ لم يتذلل
وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله واليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم
عليكم ءامنتم من فى السماء يعنى الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى
على تاويل من فى السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى
فى السماء وعن ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها و
آمنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابو عمرو ورويس ان يخسف
بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال

او كان الظاهر ان يقول فسحقا لهم ولاصحاب السعير على ما يقتضيه ظاهر قوله ما كنا فى اصحاب السعير
سعدى چلبى

قوله غائبا عنهم اشارة الى ان بالغيب حال عن المفعول

فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب ام امنتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصبا ان يمطر عليكم حصبا فستعلمون كيف نذير كيف
انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين
من قبلهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول
عليه السلام وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات
اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن
ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحريك
ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للفرق بين الاصيل في الطيران والطاري عليه
ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بان
خلقهن على اشكال وخصايص هيأتهن للجري في الهواء انه بكل شيء بصير يعلم كيف
يخلق الغرايب ويدبر العجايب ام من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون
الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا في امثال هذه الصنائع فلم يعلموا
فيه بحث جليل فيه اشارة الى ان المعطوف عليه محذوف
قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون
الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج
مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدا
وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون
الا في غرور لا معتمد لهم امن هذا الذي يرزقكم ام من يشار اليه ويقال هذا الذي
يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة
له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو عناد ونفور شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن
يمشي مكبا على وجهه اهدى يقال كببته فاكب وهو من الغرايب كقشع الله السحاب
فاقشع والتحقيق انهما من باب انفعل بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي
كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه
لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابل بقوله ام من يمشي سويا قائما سالما
من العثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد
بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال

ولذا لم يجمع ولم يقل ينصرونكم على ما يقتضيه معنى
الجند كما في قوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون
[illegible]

المسلك

المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف
في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوي
البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا هو الذي
يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار
لتنظروا صنايعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها
فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون للجزاء ويقولون
متى هذا الوعد اي الحشر او ما وعدوا من الخسف والحاصب ان كنتم صادقين يعنون
النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين قل انما العلم اي علم وقته عند الله لا يطلع
عليه غيره وانما انا نذير مبين والانذار يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه فلما
راوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة اي قرب منهم سيئت وجوه
الذين كفروا بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به
تدعون تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون ان لا بعث لهم فهو
من الدعوى قل ارايتم ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المومنين او رحمنا بتاخير
آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا
وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذي ادعوكم اليه مولى
النعم كلها امنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات
لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به فستعلمون من هو في ضلال
مبين منكم ومنا وقرا الكسائي بالياء قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض
بحيث لا ينال بالدلاء مصدر وصف به فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر
سهل الماخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر

سورة القلم مكية وهي اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ن من اسماء الحروف وقيل حوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الذي عليه
الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء اشد سوادا من النقس
يكتب به ويويد الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف والقلم هو الذي خط

اللوح او الذي يخط به اقسم به لكثرة فوايده واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب
النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف
الفم اذا اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر
وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثاني
على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى اولي العلم لاقامته مقامه
او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب
القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي والعامل في
الحال معنى النفي وقيل مجنون والباء لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث
المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال والبلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به
عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل
من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عايشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت
كان خلقه القران الست تقرأ القران قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بايكم
المفتون ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون
مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق
الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفايزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين
تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك
او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف
اي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اي ودوا
لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه
وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني ولا تطع كل حلاف كثير
الحلف في الحق والباطل مهين حقير الرأي من المهانة وهي الحقارة العقل هماز عياب
مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان
والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الاثام عتل جاف غليظ من
عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي ماخوذ من زنمتي

الشاة

الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه بعد
ثماني عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة
ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين اي قال ذلك
حينئذ لانه كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال
لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع اي لا تطع
من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر ءان كان
على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اي الان كان ذا مال
كذبت او تطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى في النهي عن
الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اي لا تطع
شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى فكانه شرطه في الطاعة سنسمه بالكي على
الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقي اثره وقيل هو
عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه لان السمة على الوجه سيما
على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيمة انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط
كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل
صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل والقته الريح
او بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان
فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية
عن المساكين كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون
ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به
خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لا اخرج ان شاء الله
ولا اخرج الا ان شاء الله واحد او لا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج
ابوهم فطاف عليها اي على الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتدأ منه
وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء
فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط
اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين

ان اغدوا على حرثكم ان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال
او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن معنى الاستيلاء ان كنتم صارمين
قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد
بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة
وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي
عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين وغدوا
قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا
منعت درها والمعنى انهم عزموا ان ينكدوا على المساكين فنكد عليهم بحيث لا يقدرون
فيها الا على النكد او غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع
وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله يتلاومون
وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اي غدوا
الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما راوها اول
ما راوها قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل نحن بعد ما تاملوا وعرفوا انها هي
محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا او سنا الم اقل لكم
لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على
ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين او لولا تستثنون
فسمي الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجري في ملكه
ما لا يريده فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار
بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا
انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله تعالى عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة
التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف
انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها
معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذي بلوناهم به اهل مكة واصحاب الجنة
العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا
عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اي في الآخرة او في جوار القدس

جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار
لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد صلى الله عليه وسلم
ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف تحكمون
التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج
رأي ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان
لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيئ باللام
كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استينافا وتخير الشيء واختاره
اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد
وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق
بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في
ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان
معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه
ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين
في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع
ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل ونقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد
على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء
يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا
ان يكون مما يشاركون الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب
الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب
قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب
شمرا او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من
ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء
الفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال يدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود
ان كان اليوم يوم القيمة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كانت وقت
النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم

ترهقهم ذلة تلحقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا او زمان الصحة وهم
سالمون متمكنون منه مزاحوا العلل فيه فذرني ومن يكذب بهذا الحديث كله
الي فاني اكفيكه سنستدرجهم سنستدنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال
وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام
عليهم لانهم حسبوه تفضلا لهم على المومنين واملي لهم وامهلهم ان كيدي متين لا يدفع
بشيء وانما سمي انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته ام تسالهم اجرا على الارشاد
فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح
او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك
وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس عليه السلام
اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملو غيظا في الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة
من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه
اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء
بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال
يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه بان رد الوحي اليه او استنبأه
ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح
بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والاية نزلت حين
هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل
فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان
هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث
يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه
الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني اسد عيانون
فاراد بعضهم على ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان
العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصايص بعض النفوس
وقرا نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اي يهلكونك
لما سمعوا الذكر اي القران اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه

لمجنون

لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القران
بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ن والقلم اعطاه ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وهي اثنتان وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي تحق فيها الامور اي تعرف
حقيقتها او تقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهي
مبتدا خبره ما الحاقة واصله ما هي اي شيء هي على التعظيم لشانها والتهويل لها فوضع
الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها وما ادريك ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي
اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد وما مبتدا وادريك خبره
كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار
والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود
فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم
بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو
لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت او البرد من
الصر او الصر عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا
ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها سخرها عليهم وهو استيناف او صفة جيء به
لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها
والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة
اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات
قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر
لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز
من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء
او لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها فترى
القوم اي كنت حاضرهم فيها في مهابها او في الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع

كانهم اعجاز نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس
باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائي ومن
قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات قرى
قوم لوط عليه السلام والمراد اهلها بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات
الخطأ فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية زائدة
في الشدة زيادة اعمالهم في القبح انا لما طغى الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه
وذلك في الطوفان وهو يؤيد ومن قبله حملناكم اي اباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية
في سفينة نوح عليه السلام لنجعلها لكم اي لنجعل الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق
الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قدرته ورحمته
وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ
الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية من شانها ان تحفظ
ما يجب حفظها بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها
وان من هذا شانه مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع اذن
بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيمة وذكر مآل المكذبين
بها تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى
المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى
الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض
والجبال رفعت عن اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة
فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء
او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب
للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء التي لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية
فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيامة وانشقت السماء لنزول الملائكة
فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك على ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر
ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها و
ان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم

فوق

فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها في نية التقديم يومئذ
ثمانية ثمانية املاك لما روي مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله تعالى
باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله تعالى ولعله ايضا
تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء
العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر
ليعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع
يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار
النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض
للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل وعلى الناس
كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه
تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها ها
يا رجل وها يا امرأة وهاؤما يا رجلان او يا امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة
ومفعوله محذوف دل كتابيه معمول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان معمول
وهو كتابيه حذف لدلالة الثاني عليه
هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء في حسابيه وماليه وسلطانيه
للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام
ولذلك قرئ باثباتها في الوصل اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت ولعله
عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس والخطرات التي لا ينفك
عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة
او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم
في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها
جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها القاعد كلوا
واشربوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم
بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا واما من
اوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتني لم اوت
كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة

لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي
كانه صادفها امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت حيوة الدنيا كانت الموتة
ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من الاموال والتبع وما نفي والمفعول محذوف
او استفهام انكار مفعول لاغنى هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس
او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه يقوله الله تعالى لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم
صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة
ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده
وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص
والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة انه كان لا يؤمن
بالله العظيم تعليل على طريقة الاستيناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو
المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث
على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار
بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع
ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقايد الكفر بالله تعالى واشنع الرذايل
البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين
غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب
الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون
بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق
بالقسم او فاقسم فلا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف بما تبصرون
وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات
باسرها انه اي القران لقول رسول يبلغه عن الله تعالى فان الرسول صلى الله
عليه وسلم لا يقول عن نفسه كريم على الله تعالى وهو محمد صلى الله عليه وسلم او جبريل
عليه السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون
لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تدعون اخرى
قليلا ما تذكرون تذكرا قليلا ولذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان

وهذه ارجا آية في الكتاب الكريم فانه قابل المؤمن بالكافر فيدخل الفاسق فيمن اوتي كتابه بيمينه والله اعلم
سنائي رحمه

مع نفي الشاعرية والتذكير مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القران للشعر
امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها يتوقف على تذكر احوال الرسول
عليه السلام ومعاني القران المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرأ ابن كثير ويعقوب
بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل عليه السلام
ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة
اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه
ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله
الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب
جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين
وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس وانه وان القران لتذكرة للمتقين
لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين
اذا راوا ثواب المؤمنين وانه لحق اليقين لليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك
العظيم فسبح الله تعالى بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى
اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سال سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدي الفعل
بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة او ابو جهل عليهما اللعنة فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء ساله استهزاء
او الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما
من السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله عليه السلام فاحشة
ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال
سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضى الفعل
لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الاخرة وهو عذاب النار للكافرين
صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب

كان جوابا والباء على هذا لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله
من جهته لتعلق ارادته به ذي المعارج ذي المصاعد وهي الدرجات التي تصعد
فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم
او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة تعرجون فيها تعرج الملائكة والروح
اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف لبيان ارتفاع
تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان
لكان في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج
الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين سنة من حيث
انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لا لان ما بين اسفل العالم واعلى
شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر
السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع و
الكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد
زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع
او سال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته
على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك
والروح جبريل عليه السلام وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر صبرا جميلا
لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء
وتعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل وبسال
سيل لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه
الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا من الامكان ونراه قريبا منه او من الوقوع
يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع
او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب كالفلزات او دردي الزيت وتكون
الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت
العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما ولا يسأل قريب قريبا عن حاله
وعن ابن كثير ولا يسأل على البناء للمفعول اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسأل منه

حاله يبصرونهم استيناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل
دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع
الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه
حال من احد الضميرين او استيناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه
بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل
عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ لانه بمعنى تعذيب وفصيلته وعشيرته
الذين فصل عنهم التي تؤويه تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض جميعا
من الثقلين والخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدي اي لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد
كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار او
مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للقصة ولظى مبتدأ خبره نزاعة للشوى وهو اللهب
الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب
على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف
او جمع شواة وهي جلدة الرأس تدعو تجذب وتحضر كقول ذي الرمة • تدعو انفه
الربب • مجاز عن جذبها واحضارها لمن فر عنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو
تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع
فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا
اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا يبالغ في الامساك
والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبايع جبل الانسان عليها واذا
الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات
المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات
لها من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان
بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة
من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلوتهم دائمون لا يشغلهم
عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم كالزكوات والصدقات الموظفة للسائل
للذي يسأل والمحروم والذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم

شديد الحرص قليل الصبر

الذين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة
الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون
على انفسهم ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن
من عذاب الله تعالى وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
سبق تفسيره في سورة المؤمنين والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين
هم بشهاداتهم قائمون حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم بمعنى لا يخفون ولا ينكرون و
لا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف
الانواع والذين هم على صلاتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها و
سننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها
وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلات مبالغات لا تخفى اولئك في جنات
مكرمون بثواب الله تعالى فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين
وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزي
الى غير من يعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه
وسلم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان
وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع عن هذا
الطمع انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب
عالم الغيب فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد
دخولها او انهم مخلوقون من اجل ما يعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها
لم يتبوأ منازل الكاملين او الاستدلال بالنشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها
مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون
على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا صلى الله عليه وسلم
بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا فذرهم
يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون مر في اخر الطور يوم يخرجون من
الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب منصوب للعبادة او علم

يوفضون

يوفضون يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد والباقون
من السبع بفتح النون وسكون الصاد وقرئ نصب بالضم على انه تخفيف نصب
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تفسيره ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل اعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عليه السلام مكية وهي ثمان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر
ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة
القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب الاخرة او الطوفان قال يا قوم
اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر في الشعراء نظيره وفي ان يحتمل
الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه
فلا يؤاخذكم به في الاخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان
والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا
وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتاخير
لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب
الحيوة شاكون في الموت قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي دائما
فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء
على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه
جعلوا اصابعهم في اذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم
تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم
والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من
اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا عظيما
ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم مرة بعد
اخرى وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ
من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او للتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب

على المصدر لانه احد نوعى الدعاء او صفة مصدر محذوف بمعنى جهارا
اى مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم من الكفر انه كان
غفارا للتائبين كانهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا
على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب
اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع فى قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى
اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك
على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار فى الاستسقاء
والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدر ويستوى فى هذا البناء المذكر
والمونث والمراد بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اى تعظيما
لمن عبده واطاعه فتكونون على حال تاملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر
لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد
بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار من حيث
انها موجبة للرجاء فان خلقهم اطوارا اى تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات
تغذى الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم عظاما ولحوما ثم انشاءهم خلقا اخر فانه
يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة
تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات الافاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع
سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اى فى السموات وهو فى سماء الدنيا وانما نسب
اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه
الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشاكم منها فاستعير
الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا
فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا
بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها
تكون لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا
فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصونى فيما

امرتهم

امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين
باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم فى الاخرة
وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد ادت بهم الى الخسار
وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن
ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا فى الغاية فانه ابلغ
من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم فى الدين وتحريش الناس على اذى نوح عليه
السلام وقالوا لا تذرن الهتكم اى عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث
ويعوق ونسرا ولا تذرن هولاء خصوصا قيل هى اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم
ونوح عليهما السلام فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت
الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرا
نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا
الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف
على رب انهم عصونى ولعل المراد هو الضلال فى ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا فى امر دينهم
او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين فى ضلال وسعر مما خطيئاتهم ما مزيدة للتاكيد
والتفخيم وقرا ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب
الاخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب
كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان
المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ الهة من دون
الله تعالى لا يقدرون على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا اى احدا وهو مما يستعمل فى النفى العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار
ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين
عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لى ولوالدى لمك بن متوشلخ وشمخا بنت
انوش وكانا مومنين ولمن دخل بيتى منزلى او مسجدى او سفينتى مومنا وللمومنين والمومنات
الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبى صلى الله عليه وسلم

من قرا سورة نوح كان من المومنين الذين يدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحي على الاصل
وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية
تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية
مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام ما راهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق
حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله تعالى به رسوله عليه السلام
فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه
وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به بالقران
ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا
قرا ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول كذا ما بعده الا قوله ان
لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر
الا في قوله وانه لما قام على انه استيناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر
بالفاء على ان ما كان من قولهم معطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه
وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم او سلطانه
او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة
والولد لعظمته وسلطانه او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك
وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القران ما نبههم على
خطا ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس
او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط
لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد وانا ظننا ان لن تقول الانس
والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم للسفيه في ذلك لظنهم ان احدا لا يكذب
على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف المحذوف اي
قولا مكذوبا فيه ومن قرا لن تقول كيعقوب مصدر لان التقول لا يكون الا كذبا وانه

كان

كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل كان اذا امسى بقفر
قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم فزاد والجن باستعاذتهم
بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم
والرهق في الاصل غشيان الشيء وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس
والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام من الله تعالى ومن فتح
ان فيهما جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا
لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس
يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم
جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضيء
المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب
او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع
الآن يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او
ذوي شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات
وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا
الصالحون المومنون الابرار ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف
الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق ذوي طرائق ومذاهب او مثل طرائق
في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد
اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها
ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن
نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القران آمنا به فمن يومن بربه فلا يخاف
فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المومن واختصاصها به
بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء بخس لانه لم يبخس حقا
ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقران ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون
ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك
تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم

اقول لعل المراد من الرجل منا مجوس وما يكون
ذكرا الا ما هو المشهور من انه ذكر من بني ادم
جاوز حد الصغر سنا اي حطم

يفهم من هذا ان الجن جسم وليس بمجرد او لا يعقل كون المجرد خطبا للنار
سنان چلبی حاشیه‌سی

خطبا لتوقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا اى ان الشان
لو استقام الجن والانس او كلاهما على الطريقة المثلى لاسقيناهم ماء غدقا
لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش
والسعة وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه
ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القران لوسعنا
عليهم الرزق مستدرجين لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم على كفرانه ومن يعرض عن ذكر
ربه عن عبادته او موعظته او وحيه نسلكه ندخله عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب
ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا
فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهى الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد
الارض كلها لانها جعلت للنبى صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة
المساجد او مواضع السجود على المراد النهى عن السجود لغير الله تعالى واراب السبعة

جمع ارب بمعنى العضو وهى الجبهة واليدين والفخذين والرجلين
سنان چلبی حاشیه‌سی

والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اى النبى صلى الله عليه وسلم وانما
ذكر بلفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه
يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا
مما راوا من عبادته وسمعوا من قرائته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال
امره وهو جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم
اللام جمع لبدة وهى لغة وقرئ لبدا كسجد ولبدا كصبر جمع لبود قال انما ادعو ربى
ولا اشرك به احدا فليس ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتى وقرا عاصم
وحمزة قل على الامر للنبى صلى الله عليه وسلم ليوافق ما بعده قل انى لا املك لكم ضرا
ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا وعبر عن احدهما باسمه وعن الاخر باسم
سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل انى لن يجيرنى من الله احد ان اراد بى سوء
ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا او ملتجا الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك
فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة او من ملتحدا
او معناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله
صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عنى ولو آية ومن يعص الله ورسوله فى الامر بالتوحيد

اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاءه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى
حتى اذا راوا ما يوعدون فى الدنيا كوقعة بدر او فى الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه
لبدا بالمعنى الثانى او بمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار وعصيانهم له
فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو او هم قل ان ادرى ما ادرى اقريب
ما توعدون ام يجعل له ربى امدا غاية بطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا
ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادرى وقته
عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اى على الغيب المخصوص
به علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل
به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط
وكرامات الاولياء على المغيبات انما يكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الاخرة
بتوسط الانبياء عليهم السلام فانه يسلك من بين يديه من بين يدى المرتضى ومن

قوله وجوابه تخصيص الرسول الخ فان قلت التخصيص ينافى ما ذكره فى تفسير قوله الا من ارتضى وهو قوله يعلم بعضه حتى يكون له معجزة فان المعجزة تكون للانبياء لا للملائكة قلت يمكن ان يقال ان رسل الملائكة ايضا لهم معجزة حتى يعلموا مقام التصديق من الله انه ارسله اليهم
سنان چلبی حاشیه‌سی

ويرد هذا الجواب ان المص نفسه قد قال فى تفسير قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ان المراد بالوحى ما يتم الشفه به كما فى ليلة المعراج والمنقف فانه قد دل على ان النبى عليه السلام قد اظهره الله تعالى على بعض الغيبات بلا توسط فلا يجوز تخصيص الرسول بالملك ويمكن ان يجاب عنه بان المراد من قوله على غيبه احدا اى من الملائكة الا من ارتضى من رسول فانهم شاملون له ولغيره ومن الاظهار ما كان بغير وسط فيكون المثبت للملائكة الرسول من بينهم شيا واحدا وهو الاظهار بغير وسط فلا يلزم منه ان الرسول عليه السلام ليلة المعراج اخذ عليه بغير وسط مشافهة كما عممه القاضى فى سورة الشورى لان المستثنى هو الملك والمستثنى منه ايضا وله جواب آخر هو ان المقصود شئ واحد يجوز لرسولنا عليه السلام اثبات شيئين وهما الاظهار بغير وسط ووسط فلا يلزم تحقيقا ابطال الكرامات وكن على الحق المتين
سنان چلبی حاشیه‌سی

خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشيطان وتخاليطهم ليعلم
ان قد ابلغوا اى ليعلم النبى عليه السلام الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة
النازلون بالوحى او ليعلم الله ان ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه موجودا رسالات
ربهم كما هى محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شئ عددا
حتى القطر والرمل عن النبى عم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا عم او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وهى عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء فى الزاء وقد
قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اى الذى زمله غيره او زمل نفسه سمى به
النبى صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه
بدء الوحى متزملا فى قطيفة او تحسينا له اذ روى انه كان يصلى متلففا بمرط مفروش
على عائشة رضى الله عنها فنزل او تشبيها له فى تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد
فى قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اى الذى تحمل لاعباء النبوة قم الليل
اى قم الى الصلوة او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا

نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا
وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام نصف الليل والزائد عليه كالثلثين و
الناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه
للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه
كالنصف او للنصف والتخيير بين ان تقوم اقل منه على البت وان تختار احد الامرين
من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف
والناقص عنه والزائد عليه ورتل القران ترتيلا اقرأه على تؤدة وتبيين حروف
بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك
قولا ثقيلا يعني القران فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما
على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض
يسهل عليه التكليف بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين
لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد
للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رضي الله عنها رأيته
ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز
ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذا الوجه للتعليل مستأنف فان التهجد يعد للنفس
ما به يعالج ثقله ان ناشئة الليل اي النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ
من مكانه اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى نيها السرى وألصق منها مشرفات
القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث
او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشأت
اذا ابتدأت هي اشد وطأ اي كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء
مواطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص
واقوم قيلا واسد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات ان لك
في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة
الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ
الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا

وذكر

وذكر الله تعالى يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قران
ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه
ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا رب المشرق والمغرب
خبر محذوف او مبتدأ خبره لا اله الا هو وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب
بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا
مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضي ان يوكل اليه الامور واصبر على ما
يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم وتكل
امرهم الى الله تعالى كما قال وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم فان في
غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا
زمانا او امهالا ان لدينا انكالا تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة
طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا اخر من العذاب مولما
لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح
والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق
بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان
عن تجلي انوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى يوم ترجف الارض
والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من معنى الفعل وكانت
الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا
من هيل اذا نثر انا ارسلنا اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم
يوم القيمة بالاجابة والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى عليه
السلام ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق
ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل
للمطر العظيم فكيف تتقون ان كفرتم ان بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل
الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض والتمثيل واصله ان الهموم تضعف
القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول السماء منفطر
منشق والتذكير على تأويل السقف او اضمار شيء به بشدة ذلك اليوم على عظمها

واحكامها فضلا من غيرها والباء للآلة كان وعده مفعولا الضمير لله تعالى او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الآيات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اى يتقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله تعالى فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن تحصوه اى ان لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الاوقات والساعات فتاب عليكم بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر لكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤا القرآن كيف ما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه فقال وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله والضرب فى الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سبيل الخير او باداء الزكوة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تأكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله فى مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وهى ست وخمسون آية

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اى المتدثر وهو لابس الدثار روى انه عليه السلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ار شيئا فنظرت فوقى فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبرئيل وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هى اول آية نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفى فانه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اى الذى دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا او قولا روى انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحى وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكانه قال مهما يكن فكبر ربك او الدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير واجب فى الصلوة ومحبوب فى غيرها وذلك بغسلها وحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنية فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما تدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن تستكثر لا تعط مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا فى عوض اكثر نهى تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او ولا تمنن بعبادتك على الله تعالى مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه

هذا على القاعدة المعروفة بين فصحاء العرب فانهم اذا ارادوا شخصا فى حال من الاحوال مثل الدثار والتزمل يشتقون من حال ذلك الشخص لفظا فيخاطبون به للتلطف ولدفع الخوف عنه كما فصل صاحب الكشاف فى سورة المزمل

وقرئ تستكثرْ بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من منّ بكذا او تستكثر
نجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها
وابطال عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك ولوجهه او امره فاصبر
فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين فاذا نقر في الناقور
في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت
والفاء للسببية كانه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداك
عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان
معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدا خبره يوم
عسير ويومئذ بدله او ظرف لخبره اذ التقدير ذلك الوقت وقوع يوم عسير غير يسير
تاكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين
ذرني ومن خلقت وحيدا نزل في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اي
ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته وحدي لم يشركني
في خلقه احد او من العائد المحذوف اي ومن خلقته فردا لا مال له ولا ولد او ذم
فانه كان ملقبا به فسماه الله تعالى تهكما به او ارادة انه وحيد ولكن في الشرارة او
عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء
وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم
لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج هو ان يرسلهم
في مصالحه لكثرة خدمته او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم وقيل كان له عشرة
بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا
وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق
الرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد
على ما اوتي او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال
كلا انه كان لآياتنا عنيدا فانه ردع عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستيناف
بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد
نزول الآية في نقصان ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه عقبة شاقة

المصعد

المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار
يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد
او بيان للعناد والمعنى انه فكر فيما يخيل طعنا في القرآن وقدر في نفسه ما يقول فيه
فقتل كيف قدر تعجب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن
ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق بان يحسد
ويدعو عليه حاسده بذلك روي انه مر بالنبي عليه السلام وهو يقرأ حم السجدة
فاتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى
فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا و
كلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون
انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا فقالوا
لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله
وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية
ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اي في امر القرآن مرة بعد اخرى ثم عبس
قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقطب في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول عليه السلام واستكبر
عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت
هذه الكلمة بباله نطق بها من غير تلبث وتفكر وقوله ان هذا الا قول البشر كالتاكيد
للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا
وما ادريك ما سقر تفخيم لشانها وقوله لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر
والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة
للبشر مسودة لاعالي الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص
عليها تسعة عشر ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلاف
النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعة
السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف

يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل
نوع ملك او صنف يتولاه او واحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا
يناسبه ويتولاه ملك او صنف وان الساعات اربعة وعشرون خمسة منها
مصروفة في الصلوات فيبقى تسعة عشر قد يصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب
يتولاه الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو
كاسم واحدة وتسعة اعشر جمع عشيرة كيمين وايمن اي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم
او جمع عشر ليكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين
فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق بأسا واشدهم غضبا لله تعالى
روي ان ابا جهل لما سمع ان عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان
يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم
الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو تسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه
لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم واستبعادهم ان
يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وصدق القران لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا
بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
اي في ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض المستيقن حيثما عراه
شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون
في المدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون في التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا
اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه
مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى
يضل الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما هم عليه الا هو
اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب
اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما هي وما سقر او عدة
الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان

يتذكروا

يتذكروا بها والقمر والليل اذ ادبر اي ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب
وحفص اذ ادبر على المضي والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر لاحدى البلايا
الكبر اي البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة
تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة
جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى الكبر انذارا
او حال عما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبر المحذوف
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر بدل من للبشر اي نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير
او التخلف عنه او لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله تعالى كالشتيمة
اطلقت للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين الا اصحاب اليمين فانهم
فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال في جنات لا يكتنه
وصفها وهي حال من اصحاب اليمين او ضميرهم في قوله يتساءلون عن المجرمين
اي يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اي دعوناه
وقوله ما سلككم في سقر بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤولين والمجرمين اجابوا بها قالوا
لم نك من المصلين الصلوات الواجبة ولم نك نطعم المسكين ما يجب اعطاؤهم وفيه
دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع
الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك كله
مكذبين بالقيامة حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين
لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين اي معرضين عن التذكير يعني القران
او ما يعمه ومعرضين حال كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة شبههم في اعراضهم
ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة من قسورة اي اسد فعولة من القسر وهو القهر
بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كلا منا بكتاب من السماء فيها من الله
الى فلان اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم كلا ردع عن اقتراحهم الآيات بل لا يخافون
الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا انه تذكرة

وليكون تخصيصا بعد تعميم لان الخوض مع الخائضين
يشمل لكل تكذيب سواء كان تكذيبا بيوم الدين
او غيره ولانه خبر جواب اخر وهو ان الخوض
مع الخائضين وصل الى مرتبة حيث يبلغ
السماك في القبح والشناعة وصار التكذيب
بيوم الدين نتيجة له وفيه رمز الى الفرار عن التكذيب
وعدم القرب منه الى ما كان سببا له حفظه

وای تذکرة فمن شاء ذکره فمن شاء ان یذکره وما یذکرون الا ان یشاء
الله ذکرهم او مشیتهم کقوله وما تشاؤن الا ان یشاء الله وهو تصریح بان
فعل العبد بمشیة الله تعالى وقرأ نافع تذکرون بالتاء وقرئ بهما مشددا هو
اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين
منهم عن النبي صلعم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق محمدا وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية وهي اربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد شايع في كلامهم قال
امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وقد مر الكلام فيه في قوله
فلا اقسم بمواقع النجوم ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس المقصرة
في التقوى يوم القيمة على تقصيرهن او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت في الطاعة
او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة بالسوء او بالجنس لما روي انه عليه السلام
قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت
كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت او نفس آدم عليه السلام
فانها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى القيمة لان المقصود من اقسامها
مجازاتها ايحسب الانسان يعني الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب او الذي
نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيمة فاخبره
به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام ان لن نجمع
عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوي
بنانه نجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف
بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال
من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اي نحن قادرون بل يريد الانسان
عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون
الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله
من الزمان يسأل ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا

قوله واسناد الفعل اليه جواب سؤال وهو
ان عم الانسان من ينكر ذلك مثال عدي بن
ربيعة فما معنى قوله تعالى ايحسب ان لن
نجمع العظام لان الاستفهام انكاري جواب
ما قاله المص فتامل وكن على الحق المتين
[illegible]

برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع
بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب
اذا انفتح وخسف القمر وذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر
في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق
ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع
باستتباع الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور
العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان
يومئذ اين المفر اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان
كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر
وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه
استقرار امرهم او الى مشيته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء
النار ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله
او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة حسنة او سيئة عمل بها بعده او بما قدم
من مال تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة
حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها
فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار
وهو العذر او جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر وذلك
اولى وفيه نظر لا تحرك يا محمد عليه السلام به لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به
لتاخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه
واثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي فاذا قرأناه بلسان جبرئيل عليك
فاتبع قرآنه قراءته وتكرر فيه حتى يترسخ في ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك
من معانيه وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد
التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين
فكيف بها في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب
مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا

فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك
و قرائته فاذا قرأناه فاتبع قرانه بالاقرار و التامل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء
عليه كلا ردع للرسول عليه السلام عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار
بالعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بني
آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس
فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ
ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل
عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى
غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف
الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر • واذا نظرت اليك من ملك
والبحر دونك زدتني نعما • بمعنى السؤال فان الانتظار لا يعقب العطاء ووجوه
يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع
اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا
ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر
واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها
من يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة
العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا
ومحابها والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها
او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة الى ربك يومئذ المساق سوقه
الى الله وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اي فلا زكاه ولا صلى
ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب
وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد
خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل
لك من الولي واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم
او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى

من آل

من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر ذلك عليه مرة
بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو
يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن
والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون
في الآخرة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل
منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة
على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله اليس ذلك بقادر على ان
يحيي الموتى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى
وعنه عليه السلام من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا به

سورة الدهر مدنية وهي احدى وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله اهل كقوله
اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد
الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية
كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع و
المراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان او آدم عليه السلام بين
اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه من نطفة امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت
الشيء اذا خلطته ووصف النطفة به لان المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل
منهما مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منها مادة عضو
وقيل مفرد كاعشار واكياس وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا
اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه في موضع
الحال اي مبتلين له مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء
فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب
من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه
السبيل اي بنصب الدلائل وانزال الآيات اما شاكرا واما كفورا حالان

من الهاء واما للتفصيل او للتقسيم اي هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم
شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه
بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق
قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا
وانما المأخوذ به المتوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون واغلالا
بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم
وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا
للمناسبة ان الابرار جمع برّ كارباب او بارّ كاشهاد يشربون من كأس خمر
وهي في الاصل القدح تكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب
عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات
الكافور فيكون كالممزوجة به عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء او من محل من كأس
على تقدير مضاف اي ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره
ما بعده يشرب بها عباد الله اي ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى
من لان الشرب مبتدأ منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤوا اجراء سهلا
يوفون بالنذر استيناف ببيان ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه فاجيب بذلك
وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجب على نفسه لله
تعالى كان اوفى بما اوجبه الله عليه ويخافون يوما كان شره شدائده مستطيرا
فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه
اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله
او الطعام او الاطعام مسكينا ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه عليه السلام
كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن
ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك
انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن
وتوقع المكافات المنقصة للاجر وعن عائشة رضي الله عنها انها تبعث بالصدقة
الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب

الصدقة

الصدقة لها خالصا عند الله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا
انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافاة يوما عذاب يوم
عبوسا تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد
العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من قمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت
قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم
وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا
بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا
يأكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الحسن والحسين
رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقالوا يا
ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها
وفضة جارية لهما صوم ثلثة ايام ان برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي
من شمعون الخيبري ثلثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة
اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا ولم يذوقوا
الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم
وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبرئيل بهذه السورة وقال
خذها يا محمد هنأك الله تعالى في اهل بيتك متكئين فيها على الارائك حال من هم
في جزاهم او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وان يكون حالا من
المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ
وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى
ان هواها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها حال او صفة
اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا
جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة
حال او صفة وذللت قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل
القطوف ان تجعل سهل التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا ويطاف
عليهم بآنية من فضة واكواب واباريق بلا عرى كانت قواريرا قوارير من فضة

اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون
قواريرا من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها راس الآية وقرئ قوارير
من فضة على هي قوارير قدروها تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها
واشكالها كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون
بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قُدِّروها اي
جُعلوا قادرين لها كما شاؤوا من قدرت الشيء وقدّرنيه فلان اذا جعلك قادرا له
ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب
يستلذون الشراب الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها
في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك
حكم بزيادة الباء والمراد به ان ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا
فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب عنها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف
عليهم ولدان مخلدون دائمون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء الوانهم
وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض واذا رايت ثم ليس له مفعول
ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع رايت نعيما وملكا كبيرا واسعا
وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى
ادناه هذا وللعارف اكثر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وصفايا الملكوت
فيستضيء بانوار قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق يعلوهم
ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم او حسبتهم
او ملكا على تقدير مضاف اي اهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه
خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس
واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع
من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله
اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف
باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت
تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز

ان

ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا
آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيهم الى الله تعالى ووصفه
بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما
سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات
الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء على اضمار القول
والاشارة الى ما عدّ من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه غير مضيع
انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان
مزيدة لاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتاخير نصرك على كفار مكة وغيرهم
ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي
في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال
به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما و
ذلك يستدعي ان لا يكون المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس
باثم ولا كفر غير محظورة واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره او دم
على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما ومن الليل فاسجد له وبعض
الليل فصل له ولعل المراد به صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة
الليل من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة من
الليل ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوما
ثقيلا شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه
نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا
بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة
الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق
القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة او الآيات
القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤون الا
ان يشاء الله وما تشاؤون ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيتكم وقرأ ابن
كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤون بالياء ان الله كان عليما بما يستأهل كل احد

حكيما لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق
للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم
مثل اوعد وكافا ليطابق الجمل المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وهي خمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا
فالملقيات ذكرا اقسم بطوايف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة
فعصفن عصف الرياح في امتثال امره ونشرن الشرايع في الارض او نشرن النفوس
الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا
للمحقين ونذرا للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد صلى الله عليه
وسلم فعصفن ساير الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم
في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين
او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى
الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه
فيرون كل شيء هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة
الا ذكر الله تعالى او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب
في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر
الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن
للاحسان والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال عذرا
او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى
المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية
اي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحي او
ما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما ابو عمرو
وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه

ان الذي توعدونه من مجيء القيمة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محقت
او اذهب نورها واذا السماء فرجت صدعت واذا الجبال نسفت كالحب
ينسف بالمنسف واذا الرسل اقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة
على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ
ابو عمرو وقتت على الاصل لاي يوم اجلت اي يقال لاي يوم اخرت وضرب
الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت
على انه بمعنى اعلمت ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وما ادراك ما يوم الفصل ومن
اين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين اي بذلك وويل في الاصل مصدر
منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه
ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك
من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الآخرين ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم
عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتاخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى
كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل يومئذ للمكذبين بآيات
الله تعالى وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين
بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير
للتوكيد حسن شايع في كلام العرب الم نخلقكم من ماء مهين نطفة قذرة ذليلة
فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره
الله تعالى للولادة فقدرنا فقدرنا على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة
نافع والكسائي بالتشديد فنعم القادرون نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك
او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام
والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو
الوعاء اجري على الارض باعتبار اقطارها احياء وامواتا منتصبان به على المفعولية
وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او بالحالية
من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بجعل على المفعولية وكفاتا حال او
الحال فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسي

شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم واشعارا بان فيها ما لم يعرف
ولم ير واسقيناكم ماء فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين بامثال
هذه النعم انطلقوا اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا
وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم للامر اضطرارا الى ظل يعني ظل
دخان جهنم لقوله وظل من يحموم ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان
العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس
الحس والخيال والوهم او لان المودي الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة في
الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل شعبة
تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما
اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر
كالقصر اي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة
وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقُصُر بمعنى القصور كرُهُن ورُهْن وكالقَصَر جمع قصرة
كحاجة وحوج والهاء للشعب كانه جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل صفر فان الشرار
لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة
والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة
وقرا حمزة والكسائي وحفص جمالة وعن يعقوب رويس جُمالات بالضم جمع جُمالة
وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه
ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اي بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق
او بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اي هذا
الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف فيعتذرون على يؤذن
ليدل على نفي الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم
اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه ويل يومئذ
للمكذبين هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين تقرير وبيان للفصل
فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم
ويل يومئذ للمكذبين اذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب ان المتقين من الشرك

لانهم

لانهم في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون
في انواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اي مقولا لهم ذلك انا كذلك
نجزي المحسنين في العقيدة ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب
المؤبد كلوا وتمتعوا حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا
لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم قليلا انكم مجرمون
ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل واذا قيل لهم
اركعوا اطيعوا واخضعوا او صلوا واركعوا في الصلوة اذ روي انه نزل حين امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة وقيل يوم القيمة
حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على ان
الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث
بعده اي بعد القران يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة
والمعاني الشريفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والمرسلات كتب انه ليس من المشركين

سورة النبأ مكية وهي اربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان
ما يتساءلون عنه كانه لفخامته خفي جنسه فيسال عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون
عن البعث فيما بينهم او يسالون الرسول عليه السلام والمؤمنين عنه استهزاء
كقولهم يتداعونهم ويترادونهم اي يدعونهم ويردونهم او للناس عن النبا العظيم بيان
للشان المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به وتدل عليه قراءة يعقوب عمه
الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون
ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان
الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة او الاول للبعث
والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون الم نجعل
الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة
على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ

مهادا اى انها لهم كالمهد للصبى مصدر سمى به ما يمهد لينوم عليه وخلقناكم ازواجا ذكرا
وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية
وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا
وجعلنا الليل لباسا غطاء يستر بظلمته من اراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا
وقت معاش يتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به او حيوة تبعثون فيها عن نومكم وبنينا
فوقكم سبعا شدادا سبع سموات اقويا محكمات لا يوثر فيها مرور الدهور وجعلنا
سراجا وهاجا متلالئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا فى الحرارة من
الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات السحايب اذا اعصرت اى
شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه
اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب
او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب
وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه
وفى الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى
وقرئ ثجاجا ومثاجح الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف
من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال
جنة لف وعيش مغدق ولفيف كشريف ولف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار
او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان فى علم الله تعالى او فى حكمه ميقاتا حدا
يوقت به الدنيا وتنتهى عنده او حدا للخلايق ينتهون اليه يوم ينفخ فى الصور بدل
او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه
السلام سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف من امتى بعضهم على صورة القردة
وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم
صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم
يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع
من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جلبابا سابغة من قطران
لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واكلة السحت واكلة الربوا والجائرين فى الحكم

المعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والموذين جيرانهم والساعين
بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله تعالى والمتكبرين
للخيلاء وفتحت السماء وشقت السماء وقرأ الكوفيون بالتخفيف فكانت ابوابا
فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب او فصارت ذات ابواب
وسيرت الجبال اى فى الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى
على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت
مرصادا موضع رصد ترصد فيه خزنة النار الكفار وخزنة الجنة المومنين لتحرسهم
من فيحها فى مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذى تضمر فيه الخيل او مجدة فى رصد
الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة
للطاغين مابا مرجعا وماوى لابثين فيها وقرأ حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا
دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون
سنة او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضى تناهى تلك الاحقاب
لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه حقب اخر وان كان
فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من المستكن فى لابثين او نصب
احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم
يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل
اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها
حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم
وبالغساق ما يغسق اى يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا
انه اخر ليتوافق رءوس الاى وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتشديد جزاء وفاقا
اى جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ
وفاقا فعالا من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لموافقة هذا الجزاء وكذبوا
باياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شايع فى كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف
وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام التكذيب

للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين
وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين في الكذب
مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين
ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر
اي تكذيبا مفرط كذبه وكل شئ احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر
لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال
بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا
مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات
للمبالغة وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القران على اهل النار ان للمتقين مفازا
فوزا اي موضع فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا
بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء فلكت ثديهن اترابا لذات وكاسا
دهاقا ملأنا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرأ الكسائي بالتخفيف
اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء
تفضلا منه اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به
حسابا كافيا من احسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ
حسّابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل
ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء الرحمن بالجر صفة له في قراءة ابن عامر
وعاصم ويعقوب وبالرفع في قراءة ابي عمرو وقراءة حمزة والكسائي بجر الاول ورفع الثاني
على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض
اي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق
فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان
هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا
كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او ليتكلمون والروح
ملك موكل على الارواح او جنسها او جبرئيل عليه السلام او خلق اعظم من الملائكة

ذلك

ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا بالايمان
والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الاخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو
آت قريب ولان مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير
او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير
لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر
اي شئ قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف
او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود
الكافر حالها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات مكية وهي ست واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا
فالمدبرات امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم
غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد
وينشطون اي يخرجون ارواح المومنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها
ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشئ من اعماق البحر فيسبقون
بارواح الكفار الى النار وبارواح المومنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها
بان تهيئها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات او الاوليان لهم والباقيات
لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا
فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع
بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط
الثور اذا خرج من بلد الى آخر ويسبحون في الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه
اسرع حركة فيدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت
العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج
الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة
حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق النازع

اقول لا يبعد ان يقال السر في تخصيص الكافر
والمومن بالنشط هو ان ارواح المومنين قليلة
التعلق بالابدان لما ان لهم عالما اخر خيرا
من هذا العالم فيتخلص ارواحهم من ابدانهم بلا
ازعاج بخلاف الكفار فان تعلق ارواحهم
بابدانهم شديدة في الغاية فان الدنيا
سجن المومن وجنة الكافر سيما في حظ

اقول كون حركة الكواكب قسرية وان كان يخالف
اصول الفلسفة الا انه حق وكذا حركة الفلك لان عموا
من كون حركة الفلك ارادية بط لان الحركة الارادية
اما ان يكون لغرض ممكن الحصول او ليس كذلك فان
كان الاول لزم وقوف هذه الحركات وانتهاؤها الى
السكون لان كل حركة كانت لطلب مرتفعة حصول

في النفوس فتنشط الى عالم الملكوت فتسبح فيه فتسبق الى حظاير القدس فتصير
لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط
الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من
المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون
بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو ويدبرون امرها
او صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها و
تخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر
الظفر اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف
الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها
حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال والواقعة التي ترجف
الاجرام عندها وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب
تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موضع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة
الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار
اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب يقولون ائنا لمردودون
في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته
اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة كقولهم عيشة راضية
او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت
حفرا وهي حفرة ائذا كنا وقرا نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر عظاما نخرة
بالية وقرا الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص وروح نخرة وهي ابلغ قالوا تلك
اذا كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون
لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها
فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه
الارض بعد ما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت
بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها
نائمة او لان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هل اتيك حديث موسى اليس قد اتاك

حديثه

فعلى هذا الان ان توتى بالعاد
في والناشطات والسابحات
سناني مرحظ

فيه اشارة الى ان ارواح الاولياء ينصرفون
تصرف الاحياء

وهذا هو المراد من المدبرات
سناني مرحظ

حديثه فيسليك على تكذيب قومك وتهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب
من هو اعظم منهم اذ ناديه ربه بالواد المقدس طوى قد مر بيانه في سورة طه اذهب
الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما في النداء من معنى القول
فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرا الحجازيان
ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته فتخشى باداء
الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما هي تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله
فقولا له قولا لينا فاريه الاية الكبرى اي فذهب وبلغ فاريه المعجزة الكبرى وهي قلب
العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالواحدة
فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله تعالى بعد ظهور الاية وتحقق الامر ثم ادبر
عن الطاعة يسعى ساعيا في ابطال امره او ادبر بعد ما راى الثعبان مرعوبا مسرعا
في مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى في المجمع بنفسه او بمناد فقال انا ربكم الاعلى
اعلى كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اخذا منكلا لمن راه او سمعه
في الاخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق او على كلمته الاخرة وهي هذه وكلمته الاولى
وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا
مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد
خلقا اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال
رفع سمكها اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا
فسويها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم كمالها من الكواكب والتداوير و
غيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش
الليل اذا اظلم وانما اضاف اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء
شمسها كقوله والشمس وضحيها يريد النهار والارض بعد ذلك دحيها بسطها ومهدها
للسكنى اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعيها ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد
الجملة عن العاطف لانه حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارسيها اثبتها
وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية متاعا
لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة الداهية التي تطم اي تعلو

اي بحركة السماء وذلك لان الليل والنهار انما يحدثان
بسبب غروب الشمس وطلوعها والغروب والطلوع
لا يحصلان الا بسبب حركة الفلك اعلم ان قوله
تعالى واغطش ليلها باضافة الليل الى السماء
اشارة الى ان الافلاك متحركة لا ان تكون ساكنة
والكواكب نفسها متحركة والا لم يكن للاضافة وجه
اللهم الا ان يقال لما كان حركة الكواكب واقعا
في السماء اضيفت اليها سناني مرحظ

على سائر الدواهي الكبرى التي هي اكبر الطامات وهي القيمة او النفخة الثانية او
الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان
ما سعى بان يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول
المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت
لمن يرى لكل راء بحيث لا تخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم
كقوله اذا راتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول عليه السلام اي لمن تراه من
الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما بعده من التفصيل فاما
من طغى حتى كفر وآثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب
النفس فان الجحيم هي المأوى مأواه واللام فيه ساد مسد الاضافة للعلم بان صاحب
المأوى هو الطاغي وهي فصل او مبتدا واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي ربه
لعلمه بالمبدا والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة هي المأوى ليس له
سواها مأوى يسألونك عن الساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اي اقامتها واثباتها
او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه فيم انت
من ذكريها في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها
في شيء فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استأثره الله تعالى بعلمه وقيل فيم انكار
لسؤالهم وانت من ذكراها مستانف معناه انت ذكر من ذكراها اي علامة من اشراطها
فان ارساله خاتما للانبياء عليهم السلام امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم
والجواب الى ربك منتهيها اي منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت لانذار
من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به
وعن ابي عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها
لم يلبثوا اي في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها اي عشية يوم او ضحاه كقوله
الا ساعة من النهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والنازعات
كان ممن حبسه الله في يوم القيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس مكية وهي اثنتان واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمني مما علمك
الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ
عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين
وقرئ آان بهمزتين وبالف بينهما بمعنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار
بعذره في الاقدام على قطع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بالقوم والدلالة على انه
احق بالرافة والرفق او لزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله
وما يدريك لعله يزكى اي اي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف
منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى اي يتعظ
فتنفعه موعظتك وقيل الضمير في لعله للكافر اي انك طمعت في تزكيه بالاسلام
وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن
وقرا عاصم بالنصب جوابا للعل اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال
عليه واصله تتصدى وقرا ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى اي تعرض
وتدعى الى التصدي وما عليك الا يزكى وليس عليك باس في ان لا يزكى بالاسلام
حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ
واما من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك
او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهي عنه والتهى
وتلهى ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه
عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله
انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب
المذكور وتانيث الاول لتانيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان
او خبر محذوف مكرمة عند الله تعالى مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين

هذا القول باستخلاف الاعمى مع عدم
اهليته للشهادة والخليفة لا بد ان يكون
من اهل الولاية سنائي مرحله

بايدي سفرة كتبة من الملائكة والانبياء ينتسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون
بالوحي بين الله تعالى ورسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف
يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها كرام اعزاء على الله تعالى او متعطفين على
المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه
باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم
بليغ من اي شيء خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير
ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له من الاعضاء
والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن
امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان يتنكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل
بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه
سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك
عقبه بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار في النعم لان الاماتة
وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن
السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين في نفسه انما هو موكول
الى مشيئته تعالى وتقدس كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره لم يقض
بعد من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية ما امره الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد
من تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا
الماء صبا استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل
منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات او بالكراب واسند
الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا
وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى
وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها
او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من
اب اذا أم لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة
تؤب للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف

فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصف بها مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر
المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لا ينفعونه
او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه
بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه يكفيه في الاهتمام به
وقرئ يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفار الصبح ضاحكة مستبشرة
بما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة يغشاها
سواد وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم
الغبرة قال عليه السلام من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة كورت مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا
اريد رفعه لف او لف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق وزال اثره او القيت
عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس
بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت
قال ابصر خربان فضاء فانكدرا او اظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت
عن وجه الارض او في الجو واذا العشار النوق اللاتي اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء عطلت
تركت مهملة او السحاب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت
من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة
بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا البحار سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى
بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وروح بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها
وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموؤدة المدفونة
حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق ولحوق العار بهم من اجلهن سئلت
باي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى أانت قلت للناس
اتخذوني الآية وقرئ سألت اي خاصمت عن نفسها او سئلت على الاخبار

عنها وقرئ قتلت على الخطاب به وإذا الصحف نشرت يعني صحف الأعمال فإنها
تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب وقيل فرقت بين أصحابها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر أو لكثرة الصحف أو شدة التطاير وإذا السماء
كشطت قلعت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب
القاف والكاف كثير وإذا الجحيم سعرت أوقدت إيقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر
وحفص ورويس بالتشديد وإذا الجنة أزلفت قربت من المؤمنين علمت نفس
ما أحضرت جواب إذا وإنما صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست
منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لأن المراد زمان متسع
شامل لها ولمجازاة النفس على أعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا أقسم
بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر وهي ما سوى النيرين من الكواكب السيارات
ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس أي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس
الوحش إذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر والليل إذا عسعس أقبل ظلامه
أو أدبر وهو من الأضداد يقال عسعس الليل وسعسع إذا أدبر والصبح إذا تنفس أضاء
غبرته عن إقبال روح ونسيم إنه أي القرآن لقول رسول كريم يعني جبريل فإنه قاله
عن الله تعالى ذي قوة كقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين عند الله تعالى
ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم أمين على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ
ثم تعظيما للأمانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون كما بهته الكفرة
واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما السلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر
على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف إذ المقصود منه نفي قولهم
إنما يعلمه بشر افترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد رآه
ولقد رأى رسول الله جبريل عليهما السلام بالأفق المبين بمطلع الشمس الأعلى وما هو
محمد صلى الله عليه وسلم على الغيب على ما يخبره من الوحي إليه وغيره من الغيوب بظنين
بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرأ عاصم ونافع وحمزة وابن عامر بالضاد بضنين من الضن
وهو البخل أي لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس
من يمين اللسان ويساره والظاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا

وما

وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة وهو نفي قولهم إنه لكهانة وسحر
فأين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر الرسول والقرآن كقولك
لتارك الجادة أين تذهب إن هو إلا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم
أن يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب وإبداله من العالمين لأنهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤون
الاستقامة يا من يشاؤها إلا أن يشاء الله إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم فله
الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله قال عليه
السلام من قرأ سورة التكوير أعاذه الله تعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته

فيه إشارة إلى أن المراد من العالمين ذوو العلم من الملائكة والثقلين على ما مر في أول الكتاب
سعدي چلبي

سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انفطرت انشقت وإذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة وإذا البحار
فجرت فتح بعضها إلى بعض فصار الكل بحرا واحدا وإذا القبور بعثرت قلب ترابها
وأخرج موتاها وقيل إنه مركب من بعث وراء الإثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى
علمت نفس ما قدمت من عمل أو صدقة وأخرت من سنة أو تركة ويجوز أن يراد
بالتأخير التضييع وهو جواب إذا يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم أي شيء
خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فإن محض الكرم
لا يقتضي إهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف إذا انضم
إليه صفة القهر والانتقام والإشعار بما به يغره الشيطان فإنه يقول له افعل ما شئت
فربك كريم لا يعذب ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على أن كثرة كرمه تستدعي الجد
في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك فسواك فعدلك
صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على أن من قدر على ذلك أولا قدر عليه
ثانيا والتسوية جعل الأعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة
متناسبة الأعضاء أو معدلة بما يستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك
بالتخفيف أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت أو فصرفك عن خلقة غيرك
وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات في أي صورة ما شاء ركبك
في أي صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك

وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع للاغترار بكرم الله تعالى
وقوله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترارهم والمراد
بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق
لما تكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة لكونهم كراما عند
الله تعالى لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله
يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه
وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادريك ما يوم
الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره بحيث
لا تدركه دراية دار يوم لا تملك نفس لنفس شيا والامر يومئذ لله تقرير لشدة
هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر المحذوف
قال عليه السلام من قرا سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مكية وهي ست وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اي حقير روي
ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث
خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله
الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل
الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين
اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم ياخذونها
وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل
فيه عليهم واذا كالوهم او وزنوهم اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف
الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكموا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا
مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تاكيدا
للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ
والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو خط

المصحف

المصحف في نظائره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن ذلك لم يتجاسر
على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم ليوم عظيم عظمه
لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده
القراءة بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم
بالعظيم وقيام الناس فيه والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف
وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب الفجار
ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين
كما قال وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من راه
انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل
تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم مكان والتقدير ما كتاب السجين او محل
كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك الذين يكذبون
بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد متجاوز
عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه الاعادة
اثيم منهمك في الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها
اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه
شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم
حب المعاصي بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدا على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق
والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام ان
العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدا وقرا حفص
بل ران باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الراين انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه
بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على
الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون
النار ويصلونها ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون تقول لهم الزبانية كلا تكرير للاول
ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء

بترادرع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفى عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر فى نظيره يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفى نعيم على الارائك على الاسرة فى الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعيم والمفرجات تعرف فى وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرا يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك اى مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذى له ختام اى مقطع هو رائحة المسك وقرا الكسائى خاتمه بفتح التاء اى ما يختم به ويقطع وفى ذلك يعنى الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله تعالى ويمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام فى الباء كما فى يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا يعنى رؤساء قريش كانوا من الذين آمنوا يضحكون كانهم يستهزؤن بفقراء المومنين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين متلذذين بالسخرية منهم وقرا حفص فكهين واذا راوهم قالوا ان هولاء لضالون واذا راوا المومنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المومنين حافظين يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين فى النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اغلق دونهم فيضحك المومنون منهم على الارائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقرا حمزة والكسائى بادغام اللام فى الثاء قال عم من قرا سورة المطففين سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة انشقت مكية وهى خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت بالغمام لقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له اى انقادت لتاثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذى ياذن ويذعن له وحقت وجعلت حقيقة بالاستماع

والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت بسطت بان تزال جبالها واكامها والقت ما فيها ما فى جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت فى الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شئ فى بطنها واذنت لربها فى الالقاء والتخلية وحقت للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر فى سورة التكوير والانفطار او بدلالة قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اى جهدا يوثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعى الى لقاء جزائه فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله مسرورا الى عشيرته المومنين او فريق المومنين او اهله فى الجنة من الحور واما من اوتى كتابه وراء ظهره اى يوتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرا الحجازيان والكسائى والشامى ويصلى كقوله وتصلية جحيم وقرى ويصلى كقوله ونصله جهنم انه كان فى اهله فى الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله تعالى بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التى ترى فى افق المغرب بعد الغروب وعن ابى حنيفة رحمه الله البياض الذى يليها سمى به لرقته من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها فى الشدة وهو لما يطابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هى الموت ومواطن القيمة واهوالها او هى وما قبلها من الدواهى على انه جمع طبقة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول عليه السلام على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق او مجاوزين له فما لهم

لا يؤمنون بيوم القيمة وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون أو لا يسجدون
لتلاوته لما روي أنه عليه السلام قرأ واسجد واقترب فسجد من معه من المؤمنين و
المشركين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به أبو حنيفة رحمه الله على وجوب
السجدة فإنه ذم لمن سمعه ولم يسجد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سجد فيها وقال
والله ما سجدت إلا بعد أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها بل الذين
كفروا يكذبون بالقرآن والله أعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة
فبشرهم بعذاب أليم استهزاء بهم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع
أو متصل والمراد من تاب وآمن منهم لهم أجر غير ممنون مقطوع أو ممنون به عليهم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله تعالى أن يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات
ويكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها أو
أبواب السماء فإن النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيمة
وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما أحضر فيه من العجائب وتنكيرهما
للإبهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما أو للمبالغة في الكثرة كأنه
قيل ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود أو النبي وأمته أو أمته وسائر الأمم أو كل نبي وأمته
أو الخالق والخلق أو عكسه فإن الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده أو الملك
الحفيظ والمكلف أو يوم النحر أو عرفة والحجيج أو يوم الجمعة والمجمع فإنه يشهد له أو كل يوم
وأهله قتل أصحاب الأخدود قيل إنه جواب القسم على تقدير لقد قتل والأظهر أنه دليل
جواب محذوف كأنه قيل إنهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن أصحاب الأخدود فإن
السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والأخدود
الخد وهو الشق في الأرض ونحوهما بناء ومعنى الخق والأخقوق روي مرفوعا أن ملكا
كان له ساحر فلما كبر ضم إليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه إليه فرأى
في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللهم إن كان الراهب

أحب

أحب إليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الأكمه والأبرص
ويشفي من الأدواء وعمي جليس للملك فأبرأه فسأله الملك عمن أبرأه فقال ربي فغضب
فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وأرسل الغلام إلى
جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا وأجلسه في سفينة ليغرق فدعا
فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس
وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه
فوقع في صدغه ومات فآمن الناس فأمر بأخاديد وأوقدت فيها النيران فمن
لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا أماه
اصبري فإنك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله عنه أن بعض ملوك المجوس خطب الناس
وقال إن الله تعالى أحل نكاح الأخوات فلم يقبلوه فأمر بأخاديد النار فطرح فيها
من أبى وقيل لما تنصر أهل نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فأحرق في الأخاديد
من لم يرتد النار بدل من الأخدود بدل الاشتمال ذات الوقود وصف لها بالعظمة
وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس إذ هم عليها حافة النار قعود قاعدون
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه لم يقصر فيما أمر به
أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة حين تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم
وما نقموا وما أنكروا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء على طريقة قوله
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا
غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله الذي له ملك السموات
والأرض والله على كل شيء شهيد للإشعار بما يستحق أن يؤمن به ويعبد إن الذين
فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالأذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب
الحريق العذاب الزائد في الإحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود و
بعذاب الحريق ما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم إن الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير إذ الدنيا وما فيها
يصغر دونه إن بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فإن البطش أخذ بعنف إنه هو
يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده أو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة

وهو الغفور لمن تاب الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد
بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته
فانه واجب الوجود وتام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش
ومجده علوه وعظمه فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هل اتيك
حديث الجنود فرعون وثمود ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى
قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما
اصابهم بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب
من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا اثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم والله من ورائهم
محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط بل هو قران مجيد بل هذا الذي كذبوا به كتاب
شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قران مجيد بالاضافة اي قران رب مجيد في لوح
محفوظ من التحريف وقرا نافع محفوظ بالرفع صفة للقران وقرئ في لوح وهو الهواء يعني
ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق والكوكب البادي في الليل وهو في الاصل للسالك الطريق واختص
عرفا بالاتي ليلا ثم استعمل في البادي فيه وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب المضيء
كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل
عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشانه ان كل نفس لما عليها اي ان
الشان كل نفس لعليها حافظ رقيب فان هي المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرا
ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم
فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه بوصية الانسان
بالنظر في مبدائه ليعلم صحة اعادته فلا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته خلق من ماء
دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد
الممتزج من الماءين في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب بين صلب الرجل

وترائب

وترائب المراة وهي عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع
وينفصل عن جميع الاعضاء حتى يستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها
عروق ملتفة بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها
ولذلك يشبهه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو
في الصلب وله شعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر
وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب انه على رجعه لقادر
والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتميز بين ما طاب من الضمائر و
ما خفي من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه فما له فما للانسان من قوة من منعة
في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع ترجع في كل دورة الى الموضع الذي
تحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي اوبا لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل
من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يكون المراد
بالسماء السحاب والارض ذات الصدع ما تتصدع عنه الارض من النبات او الشق
بالنبات والعيون انه ان القران لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل فانه
جد كله انهم يعني اهل مكة يكيدون كيدا في ابطاله واطفاء نوره واكيد كيدا واقابلهم بكيدي
في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام
منهم او لا تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة
التسكين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة واطلاقه
على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى
وفي الحديث لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم
فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال عليه السلام اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون
في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى خلق كل شيء
فسوى خلقه بان جعل له ما به يتاتى كماله ويتم معاشه والذي قدر اي قدر اجناس

الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واجالها فهدى
توجهه الى افعاله طبعا واختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال
الآيات والذي اخرج المرعى انبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء احوى
يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة خضرته سنقرئك
على لسان جبريل او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ مع
انك امي ليكون آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا
من الآيات وقيل نهي والالف للفاصلة كقوله السبيلا الا ما شاء الله نسيانه
بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روي انه عليه السلام اسقط
آية في قراءته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها او نفي النسيان
راسا فان القلة يستعمل للنفي انه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك بالقراءة
مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء
ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي والتدبر ونوفقك لها ولهذه
النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وانه يعلم اعتراض فذكر بعد ما استتب
لك الامر ان نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس
من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما انت عليهم بجبار الآية او لذم المذكرين
واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك
امر بالاعراض عمن تولى سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله فانه يتفكر فيها
فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر
فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله في الكفر الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم
فانه عليه السلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم او ما في الدرك الاسفل
منها ثم لا يموت فيها ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية او تكثر
من التقوى من الزكاء او تطهر للصلوة او ادى الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى
كقوله اقم الصلوة لذكري ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر
وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم
في الآخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعي للدنيا

اكثر

اكثر في الجملة وقرأ ابو عمرو بالياء والآخرة خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات خالص
عن الغوائل لا انقطاع له ان هذا لفي الصحف الاولى الاشارة الى ما سبق من قد افلح
فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى قال عم
من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام

واعلم انه خفة القبح لكل ذي ان كل حالة انتقل الانسان
اليها هي افضل من التي كان عليها فكما انه كان
جنينا خيرا مما كان نطفة وصار طفلا خيرا مما كان
جنينا فكذلك حاله بعد الموت بل ابلغ بدرجات
كثيرة
واليه الاشارة بقوله تعالى
والآخرة خير وابقى
سبحانه تعالى

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيمة او النار
من قوله وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه
كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها
او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر
تصلى من اصلاه الله تعالى وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى من عين
آنية بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل
ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعل طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام
غيرهم والمراد طعامهم مما يتحاماه الابل ويتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني
من جوع والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة
لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابها في جنة عالية علية المحل او القدر لا تسمع
يا مخاطب او الوجوه وقرئ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع
فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين
جارية يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او القدر
واكواب جمع كوب هو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق مسانيد جمع نمرقة بالفتح
والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة
افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره
حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة
لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا
ليتأتى لها قطع البراري والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان

الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكبرها صنعا ولانها اعجب
ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء
كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت فهي راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت
بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف
الراجع المنصوب والمعنى فلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات
ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد
ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا ولم
يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمتسلط وعن الكسائي بالسين على
الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر
يعني عذاب الاخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد
في الدنيا وعذاب النار في الاخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من
تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه
ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال
من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا
حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهي ثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم بالصبح او فلقه كقوله والصبح اذا تنفس وبصلاته وليال عشر عشر ذي الحجة
ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال
عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر والاشياء كلها شفعها ووترها
او الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك
والبروج والسيارات او شفع الصلوات ووترها او بيومي النحر وعرفة وقد روي مرفوعا
او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما راه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في
الدين او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرا غير حمزة والكسائي والوتر

بفتح

بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل اذا يسر اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والتقييد
بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه
من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو
بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين
المبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك القسم او المقسم به قسم حلف او محلوف به
لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية
وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله
الم تر كيف فعل ربك بعاد يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليهم السلام
قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد على تقدير مضاف
اي سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهو عاد الاولى باسم
جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد ذات البناء الرفيع او القدود الطوال
او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد
فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في
بعض صحاري عدن جنة وسماها ارم ثم سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم
وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب
ابل له فوقع عليها التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت
اسم القبيلة او البلدة وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل كقوله وتنحتون
من الجبال بيوتا بالواد وادي القرى وفرعون ذي الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي
كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد صفة للمذكورين
عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب او مرفوع فاكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب
عليهم ربك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمي به الجلد
المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط
ما حل بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة من العذاب كالسوط
اذا قيس الى السيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال
من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب فاما الانسان

متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد الا السعي
لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتليه ربه اختبره بالغنى واليسر
فاكرمه ونعمه بالجاه والمال فيقول ربي اكرمن فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدأ الذي
هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط والظرف المتوسط
في تقدير التأخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام
وكذا قوله واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتليه
اي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول ربي اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي
الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك
ذمه على قوله وردعه عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرامه ولم يقل فاهانه
وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر
والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء في الوصل والوقف وقرأ ابن عامر فقدّر بالتشديد بل لا تكرمون
اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين اي بل فعلهم اسوأ من قولهم وادل على تهالكهم
بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا
عن غيرهم وقرأ الكوفيون تحاضون وتأكلون التراث الميراث واصله وراث اكلا لما
ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم
او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا
مع حرص وشهوة وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب لا يكرمون الى ويحبون بالياء والباقون
بالتاء كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا
دكا بعد دك حين صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا وجاء ربك اي ظهرت
آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته
وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت
الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف
ملك يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر الانسان معاصيه ويتعظ
لانه يعلم قبحها فيندم عليها وانى له الذكرى اي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل
به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت

اقول الكلام في التوبة في دار التكليف ولا دلالة فيه
على عدم القبول فيها وفي قوله استدل حيث لم يقل
وفيه دليل ... سامي حفظه

لحيوتي

لحيوتي اي لحياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة
على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا منه فيومئذ
لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله
ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية
مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول يا ايتها النفس المطمئنة
على ارادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله تعالى فان النفس تترقى في سلسلة الاسباب
والمسببات الى الواجب لذاته وتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره
او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ
بها ارجعي الى ربك الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك قول من قال كانت
النفوس قبل الابدان موجودة في عالم القدس او بالبعث راضية بما اوتيت مرضية
عند الله تعالى فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم او في زمرة
المقربين فتستضيء بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلي في
اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي اعددت لك عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه وتعالى بالبلد الحرام وقيده
بحلول الرسول فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل
حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد
ساعة من النهار وهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم
او ابراهيم عليهما السلام وما ولد ذريته او محمد صلى الله عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار
ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد
تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال
في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول
صلى الله عليه وسلم بما يكابده من قريش والضمير في ايحسب لبعضهم الذي كان يكابد منه

اكثر او لفقر بقوته كابي الاسد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظي ويجذبه عشرة
فينقطع ولا تزل قدماه او لكل احد منهم او للانسان ان لن يقدر عليه احد فينتقم منه يقول
اي في ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة
ومفاخرة او معادات للرسول صلى الله عليه وسلم ايحسب ان لم يره احد حين كان
ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله تعالى يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه
عليه ثم قرر ذلك بقوله الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمايره و
شفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه
النجدين طريقي الخير والشر او الثديين واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر
تلك الايادي باقتحام العقبة وهو الدخول في امر شديد والعقبة الطريق في الجبل
استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام في قوله وما ادريك ما العقبة فك
رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة
النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى
فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب
اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة
او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه
صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم او فك وثم لتباعد الايمان
عن العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا
بالصبر واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله تعالى وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده
او بموجبات رحمة الله تعالى اولئك اصحاب الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا باياتنا
بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقران هم اصحاب المشأمة الشمال
او الشوم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شان لا يخفى
عليهم نار موصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته
واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحيها وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك
والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تليها تلا طلوعه طلوع
الشمس اول الشهر او غروبها ليلة البدر او في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا
جليها جلى الشمس فانها تنجلي اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر
ذكرها للعلم بها والليل اذا يغشيها يغشى الشمس فيغطي ضوءها او الافاق او الارض
ولما كانت واوات العطف نوايب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة
مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف
بالمجرور والظرف المقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمروا وبكر
خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بنيها ومن
بنيها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشيء القادر الذي بنيها
ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض
وما طحيها ونفس وما سويها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله
فالهمها فجورها وتقويها بقوله وما سويها الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس
للتكثير كما في قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم عليه السلام والهام الفجور
والتقوى افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكيها
انميها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث
على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب
ذاته وكمال صفاته الذي هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظايم
الآئه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد
بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة
لتكذيبهم صالحا عليه السلام وقد خاب من دسيها نقصها واخفيها بالجهالة والفسوق
واصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغويها بسبب طغيانها او بما
اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغيا وانما قلبت
ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث حين قام ظرف

قال ولما كانت واوات العطف اقول هذا دفع لما يورد
ههنا من انه يلزم فيه جعل العطف على معمولي عاملين مختلفين لان
قوله والشمس وضحيها في تقدير اقسم بالشمس اذا اشرقت فالشمس معمول
للباء والظرف معمول لفعل القسم فلو جعلت الواوات
عاطفة فقد عطفت القمر والنهار والليل على الشمس التي هي
معمول الباء والظرف اعني اذا تلاها واذا جلاها واذا يغشاها
على الظرف الذي هو معمول الفعل ولو جعلتها قسمية يلزم
تعدد القسم مع وحدة الجواب وقد اتفق الخليل وسيبويه
على منعه حيث علما بالاستقراء انه لا بد لكل قسم من جواب على
حدة لانه المقصود بالقسم وفي صورة العطف وان
تعدد القسم لكن المجموع في حكم قسم واحد فيستدعي جوابا واحدا فاختار
المص اختيار الشق الاول كما تقرره ان الواو العاطفة
التي في قوله والشمس نائبة مناب الفعل والباء معا فيعمل
عملا واحدا هو الواو وكل من المجرور والظرف معمول
ولما كانت الواوات العاطفة نائبة عن تلك الواو
صرن سببا لربط المجرورات على المجرور وربط
الظروف على الظرف فصار كان المجرورات والظروف
معطوفة على معمولي عامل واحد هذا ما استخرجته في هذا
المقام حين ما ارسي بعون الله الملك العلام
وما قال المولى سعدي من كون المراد بالظروف اذا جلاها
واذا يغشاها ففيه تقصير لما عرفت ان الظروف هنا
اربعة كالمجرور وكذا ما قاله في شرح قول المص المقدمين
من قوله يعني القمر واذا لما عرفت ايضا ان المراد بالمجرور
والظرف المقدمين الشمس وضحيها لان وضحيها في قوة
الشرط عليها افصح عنه قول المص ضوءها اذا اشرقت
وتعلم بالا خلفناه اشد بيان عبارة المص كما يعرف
بالتامل الصادق لخواجه محمد احمد [illegible]

لكذبت او طغوى اشقاها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن والاه
على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم
لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله اي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها
وسقياها وسقيها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول العذاب
ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة
مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه فسواها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم تفلت
منها صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقباها اي عاقبة الدمدمة او عاقبة
هلاك ثمود وتبعتها فيبقي بعض الابقاء والواو للحال وقرا نافع وابن عامر فلا على العطف
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلع عليه الشمس والقمر

سورة الليل مكية وهي احدى وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اي يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر
بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق
صنفي الذكر والانثى من كل نوع له توالد او ادم وحوا عليهما السلام وقيل ما مصدرية
ان سعيكم لشتى اي مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى
وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من اعطى الطاعة واتقى
المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره
لليسرى فسنهيئه للحالة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا
هياه للركوب بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا
عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية
الى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى هلك
تفعل من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد الى الحق بموجب
قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل وان
لنا للاخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين
افلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصلاها لا يلزمها مقاسيا

شدتها

شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه
اشقى ووصفه بقوله الذي كذب وتولى اي كذب الحق واعرض عن الطاعة
وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها
ويصلاها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك
صليها فلا يخالف الحصر السابق الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله
يتزكى فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد باتيانها
مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل
لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه الاعلى لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي
يرضيه والاية نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة يؤذيهم المشركون
فاعتقهم وقيل المراد بالاشقى ابو جهل وامية بن خلف عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى وقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه كلم موسى
عليه السلام ربه تعالى وتقدس والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان ياتيهم
باسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا
اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار
ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف
بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء
بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روي ان الوحي تاخر عنه عليه السلام اياما لتركه الاستثناء
كما مر في سورة الكهف او زجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او
لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللاخرة خير لك
من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين
انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة وعد له ما هو اعلى واجل من ذلك وهي الاخرة
او ولنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف

يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء
الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا
والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع
النون المؤكده وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لا محالة وان تأخر
لحكمة الم يجدك يتيما فاوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن
فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى او المصادفة ويتيما حال
ووجدك ضالا عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق
للنظر وقيل وجدك ضالا فى الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك
حليمة وجاءت بك لتردك الى جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك
عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه
على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر
واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث
بها تبليغها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى
لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الانشراح مكية وهى ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق وكان غائبا
حاضرا او الم نفسحه بما اودعناه فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك
تلقى الوحى بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روى ان جبرئيل اتى
رسول الله عليهما السلام فى صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه وغسله فملاه
ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفى الانشراح مبالغة
فى اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك وزرك عبأك الثقيل الذى انقض
ظهرك الذى حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل
عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته او تلقى الوحى او ما كان
يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم فى ايذائه

حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها واى رفع مثل ان
قرن اسمه باسمه تعالى فى كلمتى الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه فى ملائكته وامر
المؤمنين بالصلوة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل
ايضاح فيفيد مبالغة فان مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال
القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس
من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما فى ان مع من المصاحبة
المبالغة فى معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين ان مع العسر يسرا كرر
للتاكيد او استيناف وعدة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الاخرة كقولك
ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة اى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب
وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء
كان للعهد او الجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد يغاير ما اريد بالاول فاذا فرغت
من التبليغ فانصب فاتعب فى العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة
ووعدنا بالنعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة او فاذا فرغت
من الصلوة فانصب بالدعاء والى ربك فارغب بالسؤال فلا تسأل غيره فانه
القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اى فرغب الناس الى طلب ثوابه عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرأ الم نشرح فكانما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى

سورة التين مكية وهى ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء
لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل
رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفى الحديث انه يقطع البواسير
وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه
قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة
او مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان وطور سينين يعنى الجبل الذى ناجى عليه
موسى ربه تعالى وسينين وسيناء اسمان للموضع الذى فيه هذا الجبل

الامين اي الامن من امن الرجل امانة فهو امين او المأمون به يأمن فيه من دخله
والمراد به مكة لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس في احسن تقويم تعديل بان
خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر
سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل
سافلين وهو النار وقيل ارذل العمر فيكون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب
على الاستثناء مقرر له فما يكذبك فاي شيء يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين
بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات
والمعنى فما الذي يحملك على هذا الكذب اليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى
اليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك
كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التين
اعطاه الله تعالى العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك اي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه او مستعينا به الذي خلق اي الذي له
الخلق او الذي خلق كل شيء ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب
العبادة المقصودة من القراءة فقال خلق الانسان او الذي خلق الانسان
فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان في معنى
الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط
قدرته وكمال حكمته اقرأ تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في الصلوة
ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ وربك الاكرم الزائد
في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة
الذي علم بالقلم اي الخط بالقلم وقد قرئ به لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان
ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن
قارئا وقد عدد سبحانه وتعالى مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه

من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار
اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى
لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى
اي رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله
ومفعوله ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات
تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارأيت الذي ينهى عبدا
اذا صلى نزلت في ابي جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص
على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ
العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي ارأيت ان
كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت تكرير للاول وكذا الذي في قوله ارأيت
ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط
محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرني عمن
ينهى بعض عباد الله تعالى عن صلاته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه
او امر بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق
والتولي عن الصواب كما تقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله
وقيل المعنى ارأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي
مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحكم
الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال يا كافر اخبرني ان
كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله تعالى امرا بالتقوى اتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى
في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لان النهي كان عن الصلوة والامر بها فاقتصر
على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل ولان نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لغيرها وعامة
احواله محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما
هو عليه لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض
على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتب في المصحف
بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور

ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي
ناصية وبالنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد
المجازي للمبالغة فليدع نادية اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم
روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك
فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر الوادي ناديا فنزلت
سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو في الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن
وهو الدفع او زبني على النسب واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء كلا ردع ايضا
للناهي لا تطعه واثبت انت على طاعتك واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب
الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه اذا كان ساجدا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر مدنية وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقران فخمه باضماره من غير ذكره شهادة له بالنباهة
المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه تعالى وعظم الوقت الذي انزل فيه
بقوله وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدأ بانزاله
فيها او انزله جملة من اللوح الى سماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل عليه السلام ينزله
على رسوله عليه السلام نجوما في ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها
وهي وتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها ان
يحيي من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تعالى
فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه عليه السلام ذكر اسرائيليا
لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا
ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان
لما له فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين
من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان
سلام هي اي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة ويقضي في غيرها

السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى
مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على انه كالمرجع
او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة البينة مدنية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات
الله تعالى ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم
او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تأتيهم البينة الرسول او القران فانه مبين
للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقران بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل من البينة
بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ يتلو صحفا مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان
اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبريل عليه السلام و
كون الصحف مطهرة ان الباطل لا يأتي ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب
قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه
بان آمن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة
فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به و
افراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا
مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اي في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة
ولكنهم حرفوه وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك
واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله مختلف
لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمزة على الاصل
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات
عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء

اي صفة الرسول على تقدير البدلية فحينئذ
يحصل ايضا شرط كون النكرة بدلا من المعرفة
بدل الكل سمائي رحمه

المؤذن بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من تهم وجمع جنات
وتقييدها بالاضافة ووصفها بما يزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد رضي الله
عنهم استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم
ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث
على كل خير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزال مدنية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن
لها واللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف
واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن والاموات جمع ثقل وهو متاع البيت
وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان
المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله
زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها
تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك
لها بان احدث فيها ما دل على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها
اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة
يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب
مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة
المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم
الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا
والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبي صلعم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات فكانما قرأ القرآن كله

سوا كان كافرا او عاصيا سعدي رحمه

سورة العاديات مكية وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو

والنصبه

ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا
حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي توري النار والايراء اخراج النار يقال
قدح الزند فاورى فالمغيرات يغير اهلها على العدو صبحا اي في وقته فاثرن به فهيجن
بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو
او بالنقع اي ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء روي انه عليه السلام بعث خيلا
فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن
الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر
لهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان
لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بني مالك
وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه
لظهور اثره عليه او ان الله تعالى على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير لمال
من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث
ما في القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا في الصحف او ميز ما في الصدور
من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا
وما اسروا فيجازيهم وانما قال ذلك ثم قال بهم لاختلاف شانهم في الحالين وقرئ ان الله خبير بلا لام
عن النبي صلعم من قرأ والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

لان السر التي محلها الصدر اصل في الاعمال سعدي رحمه

سورة القارعة مكية وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم يكون الناس
كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر
دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف
لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع
حسناته فهو في عيشة راضية ذات رضى اي مرضية واما من خفت موازينه
بان لم يكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية فمأواه النار
والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادراك ما هيه نار حامية ذات حمى

فان الام مأوى الولد سعدي رحمه

لم اطلعت لغيره على هذا المعنى في الكتب سعدي رحمه

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله تعالى ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة
حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات
عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة القبور روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا
بالكثرة فكثرتهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء
والاموات فكثرتهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين
للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم
مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي لاخرتكم فيكون زيارة القبور
عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه
للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون خطاء رايكم اذا عاينتم ما وراءكم
وهو انذار ليخافوا ويتنبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وفي ثم دلالة
على ان الثاني ابلغ من الاول والاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون
علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك
عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله
لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما
انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا راتهم من مكان بعيد
والثانية اذا وردوها من قريب والمراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عين
اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسئلن
يومئذ عن النعيم اي الذي الهيكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم بما
يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله قل من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل
يعمان اذ كل يسال عن شكره وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف اية

سورة العصر مكية وهي ثلث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب
والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الانسان
لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة
الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد
او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الحق او ما يبلو الله تعالى به عباده وهذا من
عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله
سبحانه وتعالى انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا
بان ما عدا ما عد يودي الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهدم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض
الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود
وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك
فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد
بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع مالا بدل من كل
او ذم منصوبا او مرفوع وقرا حمزة وابن عامر والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده
وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام
يحسب ان ماله اخلده تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال
اغفله عن الموت وطول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه
تعريض بان المخلد هو السعي للاخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة
في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادريك ما الحطمة ما النار التي لها
الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله تعالى وما اوقده لا يقدر

فان عصر النبوة ... الانسان ... من خطه

ان لطيفة غيره التي تطلع على الافئدة تعلوا اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما في البدن واشده تألما او لانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة انها عليهم مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال الى اجبال لكنا باقتي ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون غير حفص بضمتين عن النبي صلعم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فانها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبى جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة ترميهم فيقع الحجر في راس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من الاستفهام الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة

العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف مأكول كورق الزرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ ليألف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر لالاف بغير ياء بعد الهمزة فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام وآمنهم من خوف اي من خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الايلاف اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون مكية وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ارأيت استفهام معناه التعجب وقرئ اريت بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها وارأيتك بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله مالا لنفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد

بن المغيرة او منافق بخيل وقرى يدع اى يترك ولا يحض اهله او غيرهم على طعام
المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل
للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن
يرون الناس اعمالهم ليروهم الثنا عليها ويمنعون الماعون الزكات او ما يتعاور
فى العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين
والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التى هى عماد الدين والريا الذى هو
شعبة من الكفر ومنع الزكوة التى هى قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها
الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم
مع الخلق والخالق عن النبى عليه السلام من قرأ سورة ارايت غفر له ان كان للزكاة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهى ثلاث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك وقرى انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثيرة من العلم والعمل وشرف
الدارين وروى عنه عليه السلام انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير احلى من العسل
وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة
لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته والقران
فصل لربك فدم على الصلوة خالصا لوجه الله تعالى خلاف الساهى عنها المرائى
فيها شكرا لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التى هى خيار
اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة
كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية ان
شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذى لا عقب له اذ لا يبقى منه
نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة
ولك فى الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر
سقاه الله تعالى من كل نهر له فى الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر

سورة الكافرون مكية وهى ست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون يعنى كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روى
ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد آلهك سنة فنزلت
لا اعبد ما تعبدون اى فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال
كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اى فى ما عبدتم
فى وقت ما ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة المبالغة وانما لم يقل ما عبدت
ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن
حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه
قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل ما مصدرية وقيل الاوليان
بمعنى الذى والاخريان مصدريتان لكم دينكم الذى انتم عليه لا تتركونه ولى دين
الذى انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن فى الكفر ولا منع من الجهاد ليكون منسوخا
بآية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر
الدين بالحساب والجزاء والعبادة والدعاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الكافرين فكانما قرأ ربع القران وتباعدت عنه مردة الجن ويرى من الشرك

أى فيما يستقبل لانه فى قران لا اعبد
ولا انا عابد ما عبدتم اى فى الحال او فيما
سلف ولا انتم عابدون ما اعبد صح

سورة النصر مدنية وهى ثلاث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر
المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجئ تجوزا للاشعار بان
المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا
وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده ومستعدا لشكره ورأيت الناس
يدخلون فى دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن
وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان
على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسر الله تعالى ما لم يخطر ببال احد حامدا
له عليه او فصل له حامدا على نعمه روى انه عليه السلام لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل
الكعبة فصلى ثمان ركعات فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان

صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام
واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك
بالالتفات الى غيره وعنه عليه السلام انى استغفر الله فى اليوم والليلة مائة
مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول
من الخالق الى المخلوق كما قيل ما رايت شيا الا ورايت الله قبله انه كان توابا
لمن استغفر مذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعى
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قراها بكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك
قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة
وكمال امر الدين وهى كقوله اكملت لكم دينكم ولان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا
سميت سورة التوديع وعنه عليه السلام من قرا اذا جاء اعطى من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة اللهب مكية وهى خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدى الى الهلاك يدا ابى لهب
نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه السلام لما نزل
عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك
الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخراه وانما كناه
والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته او لان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره او لانه
لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق لحاله او ليجانس قوله ذات لهب
وقرئ ابو لهب كما قيل على بن ابو طالب وتب اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضى
لتحقق وقوعه كقوله جزانى جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاديات وقد فعل
وقد دل عليه انه قرئ وقد تب والاول اخبار عما كسبت يداه والثانى عن عمل نفسه
ما اغنى عنه ماله نفى لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له
ومحلها النصب وما كسب وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة
والاتباع او عمله الذى ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد فى طريق الشام
وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك

والاستكراه ليس من حيث ذكر العزى الذى هو اسم الاصنام بل لاجل اضافة العبد اليه اذ ذكر العزى بدون الاضافة واقع فى القران فى سورة النجم
سنان من خطه

النعى خبر الموت صح

ثلثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه
وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه
لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا وامراته
عطف على المستكن فى سيصلى او مبتدا وفى جيدها الخبر وهى ام جميل اخت ابى سفيان
حمالة الحطب يعنى حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة النبى عليه السلام وتحمل
زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت
تحملها فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا عاصم بالنصب
على الشتم فى جيدها حبل من مسد اى مما مسد اى فتل ومنه رجل ممسود الخلق اى مجدوله
وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التى تحمل الحزمة وتربطها فى جيدها تحقيرا
لشانها او بيانا لحالها فى نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم و
الضريع وفى جيدها سلسلة من النار والظرف فى موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابى لهب فى دار واحدة

سورة الاخلاص مكية وهى اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة
ولا حاجة الى العايد لانها هى هو او لما سئل عنه اى الذى سالتم عنه هو الله اذ روى
ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان
على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقى ما يكون
منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة
فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية
وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه فى قل يا ايها الكافرون ولا يجوز فى تبت
ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم وموادعته لهم
وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر
بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اليه اذا قصده
وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه

قوله لجواز صليها الخ لا يقال الاسلام يجب ما سلف فكيف يتصور الصلى بعده
انا نقول هذا انما يرد اذا مات عقيب الاسلام كسحرة فرعون واما من عاش بعده فمنهم
شقى ومنهم سعيد
سنان من خطه

ورد فى حسان المصابيح فى فضيلة سورة الاخلاص انه يعدل ثلث القران والسر فيه
قيل هو ان القران ثلثة اقسام الاعتقادات والعمليات التكليفية والقصص الاعتبارية
وسورة الاخلاص تشتمل على الاول منها
وقيل لان ثوابها لكونه القسم الاشرف يتضاعف حتى يبلغ ثلث الكل والفرق بينهما
ان تكرارها ثلثا يجعلها كقراءة الكل على الثانى دون الاول قلت لفظ تعدل يشعر باراده
الثواب والاول اختيار الامام الغزالى
تفسير الفاتحة للمولى الفنارى
من خط حسن جلبى المحشى

فی جمیع جہاته وتعریفه لعلمهم بصمدیته بخلاف احدیته وتکریر لفظ الله للاشعار بان من
لم یتصف به لم یستحق الالوهیة واخلاء الجملة عن العاطف لانها کالنتیجة للاولی
او الدلیل علیها لم یلد لانه لم یجانس ولم یفتقر الی ما یعینه او یخلف عنه لامتناع الحاجة
والفناء علیه ولعل الاقتصار علی لفظ الماضی لوروده ردا علی من قال الملائکة بنات
الله والمسیح ابن الله او لیطابق قوله ولم یولد وذلک لانه لا یفتقر الی شیء ولا یسبقه
عدم ولم یکن له کفوا احد ای ولم یکن احد یکافیه ای یماثله من صاحبته وغیرها وکان اصله
ان یوخر الظرف لانه صلة لکن لما کان المقصود نفی المکافات عن ذاته تعالی قدم
تقدیما للاهم ویجوز ان یکون حالا من المستکن فی کفوا او خبرا ویکون کفوا حالا من احد
ولعل ربط الجمل الثلث بالعاطف لان المراد منها نفی اقسام الامثال فهی کجملة واحدة
منبه علیها بالجمل وقرا حمزة ویعقوب ونافع فی روایة کفؤا بالتخفیف وحفص کفوا بالحرکة
وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها علی جمیع المعارف الالهیة والرد
علی من الحد فیها جاء فی الحدیث انها تعدل ثلث القران فان مقاصده محصورة فی بیان
العقاید والاحکام والقصص ومن عدلها بکله اعتبر المقصود بالذات من ذلک وعن النبی صلی الله علیه
وسلم انه سمع رجلا یقراها فقال وجبت قیل یا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مکیة وهی خمس ایات

بسم الله الرحمن الرحیم

قل اعوذ برب الفلق ما یفلق عنه ای یفرق عنه کالفرق فعل بمعنی مفعول وهو یعم جمیع
الممکنات فانه تعالی فلق ظلمة العدم بنور الایجاد عنها سیما ما یخرج من اصل کالعیون
والامطار والنبات والاولاد ویخص عرفا بالصبح ولذلک فسر به وتخصیصه لما فیه
من تغیر الحال وتبدل وحشة اللیل بسرور النهار ومحاکاة فاتحة یوم القیمة والاشعار
بان من قدر ان یزیل ظلمة اللیل عن هذا العالم قدر ان یزیل عن العائذ ما یخافه ولفظ
الرب ههنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار تربیة من شر ما خلق
خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فیه فان عالم الامر خیر کله وشره اختیاری
لازم ومتعد کالکفر والظلم وطبیعی کاحراق النار واهلاک السموم ومن شر غاسق لیل
عظیم ظلامه من قوله الی غسق اللیل واصله الامتلاء یقال غسقت العین اذا امتلات

دمعا

قوله وتکریر لفظ الله للاشعار یعنی لما توقف استحقاق الالوهیة علی ثبوت هذا الوصف اعنی الصمد فلا بد من ذکر الذات مرة اخری لیمکن اجراؤه علیه وصفا له اذ لا یمکن جعله وصفا للمذکور اولا لان احدا بدل او خبر وقع فاصلة بینه وبین الموصوف ویمکن ایضا ان یقال تکریر لفظ الله للاشعار بان کل من احد من الاحد والصمد یکفی فی استحقاق الالوهیة سیالکوتی رحمه الله

دمعا وقیل السیلان وغسق اللیل انصباب ظلامه وغسق العین سیلان
دمعها اذا وقب اذا دخل ظلامه فی کل شیء وتخصیصه لان المضار فیه تکثر ویعسر الدفع
ولذلک قیل اللیل اخفی للویل وقیل المراد به القمر فانه یکسف فیغسق ووقوبه دخوله فی الکسوف
ومن شر النفاثات فی العقد ومن شر النفوس او النساء السواحر اللواتی یعقدون
عقدا فی خیوط وینفثن علیها والنفث النفخ مع ریق وتخصیصه لما روی ان یهودیا سحر
النبی صلی الله علیه وسلم فی احدی عشر عقدة فی وتر دسه فی بئر فمرض علیه السلام
ونزلت المعوذتان واخبره جبریل علیه السلام بموضع السحر فارسل علیا رضی الله
عنه فجاء به فقراهما علیه فکان کلما قرا آیة انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا یوجب
ذلک صدق الکفرة فی انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقیل المراد بالنفث
فی العقد ابطال عزایم الرجال بالحیل مستعار من تلیین العقدة بنفث الریق لیسهل
حلها وافرادها بالتعریف لان کل نفاثة شریرة بخلاف کل غاسق وحاسد ومن شر
حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا یعود ضرره منه قبل ذلک
الی المحسود بل یخص به لاغتمامه بسروره وتخصیصه لانه العمدة فی اضرار الانسان
بل الحیوان وغیره ویجوز ان یراد بالغاسق ما یخلو عن النور وما یضاهیه کالقوی و
بالنفاثات النباتات فان قواها النباتیة من حیث انها تزید فی طولها وعرضها
وعمقها کانها تنفث فی العقد الثلث وبالحاسد الحیوان فانه انما یقصد غیره غالبا
طمعا فیما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القریبة للمضرة عن النبی صلعم انزلت
علی سورتان ما انزل مثلهما وانه لن تقرا سورتین احب ولا ارضی عند الله تعالی منهما یعنی المعوذتین

بعد آیات المعوذتین الی هذا اشار بقوله کلما قرا آیة الخ سیالکوتی رحمه الله

سورة الناس مکیة وهی ست ایات

بسم الله الرحمن الرحیم

قل اعوذ قری فی السورتین بحذف الهمزة ونقل حرکتها الی اللام برب الناس
لما کانت الاستعاذة فی السورة المتقدمة من المضار البدنیة وهی تعم الانسان
وغیره والاستعاذة فی هذه السورة من الاضرار التی تعرض للنفوس البشریة وتخصها
عمم الاضافة ثمه وخصصه بالناس ههنا وکانه قیل اعوذ من شر الموسوس الی
الناس بربهم الذی یملک امورهم ویستحق عبادتهم ملک الناس اله الناس

عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة
قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا
بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه
غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به
على انه المستحق للعبادة لا غير واندرج فيها وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف
الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير
الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان من شر الوسواس
اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس
سمي بفعله مبالغة الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه
تعالى الذي يوسوس في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية
فانها تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه
وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم من الجنة والناس
بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة
الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان
يراد به الناسي كقوله تعالى يوم يدع الداع فان نسيان الله تعالى يعم الثقلين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى

الحمد لله على الاتمام والصلاة على من ختم به الرسل الكرام وعلى آله واصحابه العظام قد وقع
الفراغ من كتابة هذا التفسير الجليل على يدي العبد الذليل ابراهيم بن مصطفى كتب الله لهما
المغفرة والحسنى بدار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية حميت عن الآفات والبلية
ضحوة يوم الجمعة التاسع عشر من رمضان المبارك لسنة سبع وعشرين ومائة والف
من هجرة مشرع المجد والشرف مأمورا بهذا الكتب والتحرير من قبل الصدر النحرير جرثومة
الفضائل والادب وارومة المعالي والحسب المولى العريف بداماد زاده اسعد الله [illegible]
وابد اعوام سعادته الى قريب [illegible] وقد كتبت النصف الاول من النسخة المصححة ببراعة المولى الفاضل
طاشكبري زاده والنصف الثاني من النسخة التي صححها المولى الكامل [illegible] مع ما وجدناه [illegible]
من السوانح واللوائح بقلمهما الشريف افاض الله عليهما سجال غفرانه واسكنهما بحبوحة جنانه

فان العادة قد جرت على ان يستعيذ
الولد لمن يربيه والمملوك
بمالكه والعابد بمعبوده
[illegible]

قال الله جلت دولته يوم يرون الملائكة لا بشرى الآية أقول هذا شروع في جواب اقتراحهم نزول الملائكة عليهم ورؤية ربهم بأن الذي طلبوه من
نزول الملائكة سيوجد لكن على وجه يلقون فيه ما يكرهونه وإنما قال يرون الملائكة دون تنزل الملائكة إيذانا من أول الأمر بأن نزول الملائكة عليهم ليس
على طريق الإجابة لما سألوه بل على وجه آخر غير معهود ولعل فيه نكتة أخرى وهي أنهم لما اقترحوا رؤية الله وهي من أعظم المقترحات أجاب تعالى بما ترى كأنه
قال اقترحوا رؤية ربهم فسوف يرون بدل رؤيته ملائكة العذاب قائلين لا بشرى وفيه من إظهار المقت ما لا يخفى تكلموا في ناصب يوم على وجوه فقال بعضهم
منصوب على أنه مفعول به لمقدر هو اذكر أو ظرف له لكن بتأويل مر في قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت أي اذكر الحوادث في ذلك اليوم وقيل
منصوب بما دل عليه لا بشرى لأنه بمعنى يمنعون البشرى أو يعدمونها كما قاله البيضاوي أو بمعنى لا يبشرون المجرمين كما قاله بعضهم والفرق أنه على الأول نفيهم
أن هناك بشرى لكنها تمنع عنهم وعلى الثاني أنه لا بشرى هناك قط على ما يدل عليه نفي الجنس وهذا أبلغ في مقام التهويل من حيث أن نفيها كناية عن إثبات
ضدها كما أن نفي المحبة في قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن إثبات بغضه ومقته عليهم ولا يخفى أن وجود البشرى مع منعها عنهم أشد تهويلا
ألا ترى إلى قوله ديدار مينمايي و پرهيز ميكني بازار خويش وآتش ما تيز ميكني قال الإمام في المفاتيح إنما قال لا بشرى لأن الكافر وإن كان ضالا
ومضلا إلا أنه كان يعتقد في نفسه أنه كان هاديا فكان يطمع في ذلك الثواب العظيم ولأنهم ربما عملوا ما رجوا منه النفع كنصرة المظلوم وعطية الفقير و
صلة الرحم لكنها أبطلها كفرهم فبين سبحانه أنهم في أول الأمر يشاهدون ما يدل على نهاية اليأس والخيبة وذلك هو النهاية في الإيلام انتهى أقول
لا يذهب عليك أن تلك الأفعال المدلول عليها بلا بشرى يجب أن تكون مقدرة مقدمة مكان اذكر وإلا فلو كان العامل في يوم معنى النفي المستفاد من
لا بشرى كما يوهمه ظاهر العبارة لعاد المحذور الذي ستتلوه عليك في عدم جواز كون لا بشرى عاملا في يوم وقيل يوم منصوب بقوله تنزل بقرينة قوله ونزل
ورجح هذا بأن فيه كسرا لقولهم هذا كما أن قوله وقدمنا كسر لقولهم أو نرى ربنا وقيل منصوب بيعذبون المقدر قال البيضاوي يومئذ تكرير أقول
أي لليوم الأول على تقدير كونه منصوبا بما دل عليه قوله لا بشرى أي يمنعون وأما إذا كان منصوبا باذكر المقدر فلا تكرير إذ الأول ظرف للذكر والثاني ظرف
لمعنى النفي فيتغاير العاملان ولا يجوز أن يكون اذكر المقدر العامل في يوم عاملا في يومئذ لما ستسمعه من قولنا إذا كان العامل في الأول يمنعون المقدر المقدم ولا شك
أنه لا يعمل في يومئذ لأن ما قبل لا العاملة في الاسم لا يعمل فيما بعدها بل العامل فيه حينئذ معنى النفي المعتبر في لا بشرى فلا تكرير حقيقة إذ لم يتحد العاملان فالمعمول الأول
غير المعمول لمعنى النفي وإن قدرنا اذكر آخر ليومئذ أو يمنعون آخر له أيضا كان يومئذ مع عامله تكريرا ويمكن أن يقال المراد تكرير الظرف ولم يكتف بواحد
كما كرر عاملا بما ومن هذا ظهر أنه إذا كان العامل في يوم اذكر وفي يومئذ معنى النفي فلا تكرير إذ لا مجال لعمل اذكر المقدر المقدم في يومئذ بل لعمل يمنعون المقدر
المدلول بلا بشرى المقدم لما عرفت بعينه هذا كله كما ترى بناء على أن العامل في المكرر بالكسر هو العامل في المكرر بالفتح وعلى أن لا بشرى يمنع العمل في المكرر بالكسر بلا بعد
أن يقال سواء كان العامل في يوم اذكر أو يمنعون المقدرين المقدمين على لا بشرى أن الجملة المنفية معمولة للقول المضمر الواقع حالا من الملائكة والملائكة معمول
يرون ويرون معمول ليوم فكلمة لا وما في حيزها من تتمة الظرف الأول فليست بأجنبية ولا مانعة من أن يعمل ما قبلها فيما بعدها فعلى هذا يتحد العاملان ويصح
كون يومئذ تكريرا بمعنى التوكيد فاحفظ هذا ثم أقول في معنى الآية مستفيضا من الله سبحانه أن الكفار لما اقترحوا نزول الملائكة عليهم ورؤية الله تعالى
استؤنف ببيان استكبارهم وعتوهم غاية العتو ثم بجواب أنهم يرون الملائكة آية ملائكة بدل رؤية ربهم بحيث أن رؤيتهم الملائكة ليست على وجه
اقترحوه بل على ما يكرهونه لافتضاحهم بكلام معجب غاية التعجيب بنفي جنس البشرى مع التخصيص بإجرامهم إثباتا لهم المشعر بعلة النفي المذكور وأي جرم أشنع
من الاستكبار والعتو وبتكرير اليوم المنبئ عن هول ما يقع فيه فلما سمعوا هذا الخطب المهول قالوا حجرا محجورا أي عاذنا الله من عدم البشرى لنا كأنهم قالوا
في أنفسهم كيف ينفي عنا البشرى ونحن مستحقون لها لأن لنا أعمالا نرجو منها ثوابا على ما أشار إليه الإمام الرازي فيما نقلناه سابقا فأجاب سبحانه بقوله
وقدمنا الآية يعني أن أعمالهم التي يرجون ثوابها ضائعة لا يترتب عليها شيء معتد به كالثواب والمنفعة الأخروية التي هي تخفيف العذاب كما هو
المذهب لأن كل أحد مجزي بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر كما قيل في أبي طالب مع ثبوت أصل العذاب لا يليق أن ينخرط في سلك البشرى فلا ينالوه
بما عملوا أبدا فيدخلون جهنم ولذلك قابلهم بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا الآية والله أعلم قال البيضاوي أو خبر أقول هذا عطف على
قوله تكرير يعني يجوز أن يكون يومئذ خبرا للا التي لنفي الجنس وللمجرمين حينئذ إما بيان للبشرى وصلة له لما فيه من الإبهام كما في هيت لك أو خبر ثان للا
وذلك أن نقول كونه بيانا ناظر إلى كون يومئذ تكريرا وكونه خبرا إلى كونه خبرا وقيل يجوز أن يكون صفة لبشرى قال أو ظرف أقول هذا أيضا
عطف على قوله تكرير أي يجوز أن يكون يومئذ متعلقا بما تعلق به لام للمجرمين وهو الخبر أي لا بشرى حاصلة للمجرمين يومئذ وقوله لبشرى عطف على للا أي يجوز
أن يكون يومئذ ظرفا لبشرى بشرط أن تكون منونة بيانه أن بشرى هنا إما مبني على الفتح تقديرا لتضمنه معنى من أي لا من بشرى كما قاله النحويون
في نحو لا رجل أي لا من رجل في الدار أو معرب حذف تنوينه لمنعه عن الصرف لعلة ألف التأنيث اللازم وعلى التقديرين فهو إما منصوب بلا أو مرفوع على الابتداء وخبره للمجرمين فإذا كان
بشرى مبنيا مع لا لا يجوز أن يعمل في يومئذ لأن المبني مع لا لا يعمل لأنه مع كونه لا مع بشرى ككلمة واحدة وجزء الكلمة لا يعمل قال عطف على المدلول أقول
أي المدلول عليه بلا بشرى سواء اعتبر عاملا في يومئذ أو يوم أولا وهو يمنعون والمعنى رد ولي وجه ضمير يقولون حيث قال أولا أي يقول الكفرة ثم هم أولا
لا يرجون لقاءنا وهذا يميل منه ظاهرا إلى تخصيص المجرمين بهم وإن جوز سابقا عمومه منهم وقدمه ولعل هذا لكونهم المتحدث عنهم والمسوق لهم الكلام
أو لأنهم داخلون في المجرمين دخولا أوليا من طريق البرهان بمساق الذين لا يرجون أولا ذكر ضميرا وراعى فيه طريقة الاستخدام حيث اعتبر أولا عموم اللفظ

قال البيضاوي أو نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للأقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه
وبين الأقل منه كالربع والأكثر منه كالنصف أقول هذا أيضا على ترتيب النظم يعني يجوز أن يكون نصفه بدل البعض من
الليل والاستثناء من النصف والتقدير قم نصف الليل إلا قليلا من النصف وكما علمت قبل هذا أن النصف الأول نفسه قليل بالنسبة
إلى الكل علمت أن القليل من النصف أقل من الكل فالضميران حينئذ لذلك الأقل أعني القليل من النصف القليل من الكل الأقل
من الكل كالثلث فحاصل المعنى قم الأقل منه كالثلث أي قم بعد مضي ثلث الليل أو انقص من الأقل المقدر بالثلث كالربع
أي قم بعد ما مضى ربع الليل أو زد على ذلك الأقل المعبر عنه بالثلث كالنصف أي قم بعد ما مضى نصف الليل وتوضيحه على قياس
ما أسلفناه لك من المثال مستغنى عنه قال أو النصف أقول هذا عطف على قوله للأقل من النصف يعني على تقدير
كون نصفه بدلا من الليل والاستثناء من النصف يجوز أن يكون الضميران للنصف المطلق فيكون التخيير بين أن يقوم
في أقل منه على البت ويختار أحد الأمرين من الأقل والأكثر يعني يكون التخيير بين شيئين إذ المعنى قم في أقل من النصف أي
الثلث على البت والقطع ولا تتجاوز إلى غيره بأن تقوم بعد مضي ثلث الليل دائما فإن حملتك ضرورة فعليك بالخيار
بين أمرين القيام في الأقل من النصف أي بعد مضي الثلث والقيام في الزائد على ذلك النصف أي بعد مضي الثلثين فلا تكرار
فيه كما يتوهم من ظاهره حيث أخذ الأقل من النصف مرتين من حيث أن أخذه أولا من جهة كونه مبتوتا به وأخذه ثانيا
من جهة كونه أحد المختارين إن حملته الضرورة على تركه ونظيره قولهم فيما يقولون جالس الحسن أو الحسن
أو ابن سيرين ومعناه أن مجالسة الحسن أمر ضروري فإن لم تمكنك ضرورة فأنت بالخيار من مجالسة ابن سيرين
قال أو الاستثناء من أعداد الليل لأنه عام فالتخيير بين قيام النصف والناقص منه والزائد عليه أقول الظاهر أنه عطف
على قوله الاستثناء من الليل يعني أن المراد بالليل ما يشتمل أجزاءه كالساعات ويجوز أن يراد أعداده لأن الليل واحد
الليل إذ لا عهد فالظاهر الاستغراق أي الليالي والمعنى والله أعلم قم الليالي إلا قليلا من الليالي ثم قوله نصفه بيان
لما هو الليل القليل أي قم نصف الليل القليل أو انقص من ذلك النصف أي النصف الأول أو زد عليه على قياس
ما أوضحناه لك لكن على هذا يبقى الكثير بحاله مأمورا بالقيام في جميع كله هذا ما سنح لذهني الكليل وطبعي العليل
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله أولا وآخرا

لمؤلفه الحقير احمد افندي البردي من خطه

ست ساعات مثلا منه
ثلثه مثلا منه
ثلثيه مثلا منه

دنيا با خصوصه بناءً على كون الذين لا يرجون كاملين في الاجرام على ما قاله صاحب المدارك من ان مطلق الاشتهاء يتناول لكل المسيئات هذا دنيا يا اذ يقولها الملائكة
ولا يخفى عليك ان هذا المعنى لا يلايمه العطف المذكور فالاولى ح كون ويقولون حالا من الملائكة اي وهم يقولون او كونه عطفا على القول المضمر قبل قوله لا بشرى
حالا واستينافا كما صرح به بقي لي هنا كلام وهو قول البيضاوي وملائكة الموت لا يناسب قوله تعالى وقدمنا وقوله اصحاب الجنة يومئذ اذ العمد
الى احباط اعمالهم في القيمة وكذا المراد من يومئذ هو يوم القيمة والمعنى يوم اذ يرون الملائكة ويمكن ان يقال الانتقال الى صيغة الماضي في وقدمنا للاشعار بتغاير
زماني الرؤية والقدوم فمعنى قوله اصحاب الجنة يومئذ يوم اذ نقدم الى احباط عملهم ففي الاتيان فيما يقع في الدنيا بصيغة المستقبل وفيما يقع في الآخرة بلفظ
الماضي من الاشارة الى شدة الغضب ما لا يخفى [illegible] مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات [illegible] قيده به لقوله واحسن مقيلا ونعلم
ان لهم مكانا آخر يأوون اليه وكل منهما وان كان لهم الا ان مكان القيلولة يستقر فيه في بعض الاوقات فالاستقرار في الاول اكثر ويكون للمجالس
والتجاوب بالاحباب وفي الثاني اقل ويكون للاستراح والتمتع بالازواج ويجوز المقيل لمكان الاستراح والتمتع بالازواج على التشبيه [illegible] اكثر منهما في كونهما
محل خلوة فيكون استعارة وقوله او لانه عطف على قوله على التشبيه يعني ان المقيل لا يخلو عن ذلك اي الاستراح والتمتع [illegible] غالبا فيكون
لازما عرفيا ومجازا مرسلا قال المحشي سعدي في بيان قول المص او لانه الخ يعني اطلق المقيل واريد به مكان الاستراحة مطلقا سواء [illegible] القيلولة
فيه او لا على طريق التغليب انتهى اقول فيه بحث اذ يلزم على هذا ان يقع النوم في الجنة اذ على تقدير عدم الوقوع كيف يتصور التغليب من حيث
ان مقتضى قاعدته ان يكون بعض اماكنهم محلا للنوم وبعضه للاستراحة بدونه فيغلب الثاني على الاول ويراد مطلق مكان الاستراحة بلا نوم اذ الكل
على تقدير كونه تغليبا كانه من قبيل تغليب وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه كقوله تعالى ذلك بما قدمت ايديكم وقال العلامة التفتازاني في
بيانه ذكر الايدي لان اكثر الاعمال يزاول بالايدي فجعل الجميع كالواقع بالايدي انتهى فعلى هذا لا بد ان يقال لما كان اكثر اماكنهم [illegible] النوم و
للنوم فذكر الثاني واريد مكان الاستراحة مطلقا وهو خلاف الواقع [illegible] اذ لا نوم [illegible]
التقديرين حاصله انه لا يمكن حمله على الحقيقة هنا اذ لا نوم في الجنة ونقل عن الازهري ان المقيل [illegible] نوم
قال صاحب الفوايد القيلولة الاستراحة وقت انتصاف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم هذا [illegible]
كشاف نقلا عن الزمخشري التحاسين جمع تحسين مصدر في الاصل ثم اوقع اسما لما يحسن به من الزخارف [illegible] حسنة
اصحاب الجنة نشأت من حسن مقيلهم لزينته باصناف التحاسين فيكون وصفا للحسن بما كنه على طريق الكناية قال [illegible] يراد باحدهما
المصدر او الزمان اقول يعني بعد ان يراد باحدهما المكان يحتمل ح والاحتمال العقلي هنا يرتقي الى تسعة مكانا [illegible] ومصدر وزمان
ومصدر ومكان وزمان ومصدر ومكان ومصدر وزمان ومكان وزمان ومكان وما اختاره المص من [illegible] احتمالات خمسة المكانان
ومكان ومصدر ومصدر ومكان ومكان وزمان وزمان ومكان وعلى الاخيرين تتحصل الاشارة المذكورة فقوله اشارة ناظرا الى قوله زمانا
فقط كما لا يخفى ثم الظاهر من قوله الطيب ما يتخيل انه من قبيل قول جرير [illegible] دعائمه اعز واطول اي من دعائم كل بيت صرح به الامام
الرازي بقي ان المصدر الميمي من مكسور العين يكون مفتوح العين الا ان يقال بشذوذه ثم اقول لم يظهر لي بعد انه ما منع المفسرين عن القول
بكون المستقر عاما من مكان التجالس ومكان القيلولة اي الاستراح والتمتع بالازواج ثم تخصيص مقام الاستراح بالذكر بعد ثبوت الخيرية المطلق المستقر
مع عنوانه باحسن للاشارة الى ما يتزين به مقيلهم كما قاله المص برد انسب اعتبار هذه النكتة كما يظهر بالتامل الصادق [illegible]
اي بالفاء التفريعية اشارة الى ان الحكم بكونه خبرا متفرع على ما افاده من ان المعنى الملك الثابت للرحمن [illegible] كما قيل [illegible] المبتدا
وفي خبره اوجه الاول ان الحق خبر وعلى هذا قوله للرحمن اما متعلق بالحق اي ثابت للرحمن او للتبيين اي مقصودي وبياني للرحمن [illegible] حينئذ
معمول للملك لا للحق لانه مصدر بالنظر الى لفظه وان كان في معنى الثابت ومعمول المصدر لا يتقدم عليه الوجه الثاني ان يكون الحق صفة للملك
ويومئذ والمعنى الملك الثابت موجود يومئذ او الخبر حينئذ للرحمن اي الملك الثابت مستقر للرحمن ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدا ولعل هذا
اولى وانسب من حيث المعنى ثم اقول قال بعض متأخري المفسرين ايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان ان اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون
الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم الرحمة كما قال الله سبحانه يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وكان ذلك اليوم مع كون الملك [illegible] المبالغ في الرحمة
لعباده يوما عسيرا للكافرين [illegible] بحالي [illegible] المتعالي

لمحرره [illegible] خط شريف

اي ناظرا اليه بقوله او الزمان ٥ منه